

المجلد (٦) - العدد (٢)

مجلة العلوم العربية والإنسانية

رجب ١٤٣٤هـ - مايو ٢٠١٣م

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي

الأعضاء

أ.د. أحمد حسني إبراهيم أحمد

أ.د. حمديني عبدالقادر العوضي

د. محمد بن علي السويد

د. إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع

سكرتير المجلة

عبد الحميد عبدالله العثيم

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم بن مبارك الجوير

أ.د. سعد حمدان الغامدي

أ.د. عبدالله بن حمد الحميدان

أ.د. عبدالله بن يوسف الشبل

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

أ.د. فخر الدين قباوة

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) اجتماع

(جامعة أم القرى) نحو وصرف

(جامعة الملك سعود) علم لغة تطبيقي

(مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً) تاريخ

(جامعة الكويت) جغرافيا

(جامعة حلب) اللغويات

المحتويات

صفحة

القسم العربي

التسمية بما اقترنت به لواحق الاسم "دراسة صرفية نحوية"

د. يوسف محمود فجال ٥١٧

العدول عن أصل وضع الجملة بالحذف في سورة "المؤمنون" وأثره في المعنى

د. محمد عبدالله هزائمة ٥٦٣

دلالات "ثمَّ" في القرآن الكريم

د. حسن عبد العاطي محمد عمر ٥٩٩

علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب

د. عبدالعزيز بن حميد الحميد ٦٦٩

أثر نون التوكيد في بنية الفعل العربي "دراسة في المستوى الصوتي"

د. ريم فرحان عودة المعاينة ٧١٧

من مظاهر لهجة طيِّ في اللهجة القصيمية المعاصرة

د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة ٧٤٣

الروح الدينية تحسّد الحملة الصليبية الأولى

د. عبد المعز بني عيسى ٨٣٧

معوقات التنمية الريفية - وأثرها في ضعف مشاركة المجتمع المحلي "دراسة تطبيقية على منطقة ضرية بالقصيم"	د. أحمد بن محمد الشبعان	٨٧٩
معركة بانوكبيرن عام ١٣١٤م	د. فاطمة عبد اللطيف الشناوى	٩٣٩
واقع العمل التطوعي ومعوقاته وأساليب تنميته واتجاهات الطلاب نحوه بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية	د. إبراهيم بن عبدالله العبيد	٩٨٧

القسم الإنجليزي

تأثير بعض المتغيرات على استخدام المرشدين لفنيات المقابلة الإرشادية في العمل الإرشادي في المملكة العربية السعودية (الملخص العربي)	دخيل بن محمد بن حمد البهدل	٢٧
اختيار تقنيات تعليم اللغات : إطار حديث (الملخص العربي)	د. خالد بن محمد أبا الحسن	٥١

التسمية بما اقترنت به لواحق الاسم دراسة صرفية نحوية

د. يوسف محمود فجال

الأستاذ المشارك في النحو والصرف

جامعة الملك سعود بالرياض

ملخص البحث. اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يكون لكل شيء اسمٌ دالٌّ عليه، يبيّن كُنْهَهُ، ويميّزه عن غيره، ويحتزلُ وراءه عدداً من الصفات والمعاني الخاصة به، ومن هنا فإنّ دراسة الأسماء مجال حيوي حُصِبَ غزير الاتجاهات، وثيق الصلة بالواقع المعيش للأمم والشعوب جميعاً. ولم يألُ النحاة جهداً في دراسة الأسماء بأنواعها وأصنافها المختلفة، فعقدوا لذلك أبواباً مخصصة، كما ذكروا كثيراً مما لم يدخل في هذه الأبواب مُتفرقاً في مؤلفاتهم، وبينوا طرائق التعامل نحويّاً مع الاسم بالتفصيل، وافترضوا الكثير من الفرضيات في ذلك، التي رأينا تحقّق الكثير منها في عالمنا المعاصر. ومن الموضوعات التي وُجدت مفرّقة في كتب النحاة، مع تغيّير في استعمالاتها وأحكامها في عصرنا الحاضر هي التسمية بما اقترنت بلواحق الاسم، وهذا البحث مراجعة لكلام النحاة، واستقراءً لأقوالهم، ثم الحكمُ عليها، كما فيه إجابة عن كثيرٍ من التساؤلات التي تعنّى على الخاطر، ويكثرُ ورودها على الألسنة حول طرائق التعامل مع هذا النوع من الأسماء، من نحو كَيْفِيَّةِ إعرابها وتثنيها وجمعها وتصغيرها والنسبة إليها، وغير ذلك.

مقدمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، أما بعد :
الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، سيدنا محمد خير
الورى ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى. أما بعد :

فدراسة الأسماء مجال حيوي خصب غزير الاتجاهات ، علاقته مباشرة مع
الواقع المعيش للأمم والشعوب والناس ، إذ اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يكون لكل
شيء اسم دال عليه ، يبين كنهه ، ويميزه عن غيره ، ويختزل وراءه عدداً من الصفات
والمعاني الخاصة به.

قال ابن جني : « قيل : إنما وضعت الأعلام لضرب من الاختصار وتنكب
الإكثار ؛ وذلك أن الاسم الواحد من الأعلام قد يؤدي بنفسه تأدية ما يطول لفظه ،
ويملأ استماعه ، ألا ترى أنك إذا قلت : (كَلَّمْتُ جَعْفَرًا) فقد استغنيت بـ (جَعْفَر) هذا
عن أن تقول : الطويل البزاز الذي ينزل بمكان كذا ، ويدعى أخوه كذا ، ويدعى ولده
كذا ، وتبلغ تجارته كذا ، ويلبس من الثياب كذا ، ويتعاطى من كذا وكذا ، إلى ما يطول
ذكره ، ثم لا يستوفى ؛ لأنه لا يمكنك في التفصيل أن تذكر جميع أحواله التي تخصه ،
ولعلك أنت أيضاً إنما تعرف القليل منها ، وكان ذلك مؤدياً إلى الإطالة ، بل كأنما لم
تستوف الغرض والبُغية ، فلما رأوا ذلك أنابوا عن جميعه اسماً واحداً علماً ، يُغني
عن الإطالة والملالة وقصور المعنى مع حُسور المنة »^(١).

والأسماء مجال خصب للدراسات الاجتماعية والنفسية والتاريخية والثقافية ،
واللسانية بفروعها كافة على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبي والمعجمي

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان. المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة. تحقيق : مروان العطية وشيخ الراشد،

والدالليّ، فالتسميات طريق لمعرفة الطبقات الاجتماعية المختلفة من حضريّة وبدويّة، غنيّة وفقيرة وغيرها، وهي طريق لمعرفة الحالة النفسية للشعوب والأمم والعوائل، من فرَح أو تَرَح، من رجاء أو امتنان، من تَمَلَّق أو مَحَبَّة صادقة، كما أنّها مجال خُصَّب لدراسة التطور الصوتي في كثير من الكلمات، وطرائق نُطِقَها، ومجال فسيح للدراسات الصرفيّة، وما يلحقها من تغيّرات صرفيّة في بنيتها، من قلب أو إعلال أو نَسَب أو تصغير أو تشنية أو جمع أو نحوها، ومجال ثريّ للدراسات النحويّة وما يتبعها من معرفة طريقة إعراب هذه الأسماء، وما يُبنى منها، وما يُمنع من الصّرف، ونحو ذلك، كما أنّ الهدف الأسمى من هذه الدراسات اللغويّة المتنوعة هو الوصول إلى البحث الدالليّ.

ومن هذا المنطلق كان اختياري للأسماء مجالاً للدراسة، وقد خصّصت ما اقترنت به لواحق الاسم بالحديث لأُمور عدّة :

- عدم وجود دراسة سابقة في هذا الموضوع، مع وجود دراسات في مواضيع كثيرة ومتنوعة عن الأسماء والمسميّات، وطرائق التعامل معها.
- عدم تحدّث النحاة عن هذا النوع من الأسماء في بابٍ واحد، بل وجد متفرّقاً في كتب النحاة، فإذا أردتَ أن تُلم باستعمالات نوع ما من هذه الأنواع فإنه يتطلب منك الكثير من العناء والجهد في الحصول على الحكم المطلوب.
- تعدّد أنواع اللواحق وأغراضها ومعانيها، وما يتبع ذلك من اختلاف الحكم النحوي أو الصرفي بناء على المعنى المراد لهذه اللاحقة.
- ورود هذا الاستخدام كثيراً في كتاباتنا وتحدّثنا به بشكل يوميّ، مما يستوجب علينا معرفة طرائق استخدام هذا النوع من الأسماء.

ومن هنا كان هذا البحث عرضاً لآراء النُّحاة لهذه الأسماء بالتفصيل، وبيان دلالاتها، وطرائق استخدامها نحويّاً وصرفيّاً، من خلال منهجيّة وصفية استقرائية تحليليّة.

وقد كان للنُّحاة القدامى والمحدثين جهودٌ حثيثة في دراسة الأسماء من حيث أحكامها الصرفيّة، والنحوية، واللغويّة عامّة، فمنهم من صنّف في ذلك، ومنهم من خصّ لها مباحث في مجمل كتبهم، ومنهم من أورد أحكاماً عن ذلك في مباحثهم وفصول دراساتهم، وكان الهدف من ذلك التعريف بالاسم، ولغاته، وبيان أنواعه، وأصله، واشتقاقيّته، وحكمه الصرفيّ، والنحويّ، ودلالته المعجميّة، وقد فرض النُّحاة الكثير من الفرضيّات عن الأسماء تَهْدَفُ إلى بيان الحكم النُّحوي فيما قد تدعو إليه الحاجة، باستقصاء كل ما يخطر على البال في ذلك.

ومن أبرز الدراسات عن الأسماء التي راعَت الجانب اللغويّ أو النحويّ، الآتي :

• الاشتقاق : لابن دريد، حققه عبد السلام هارون، وطبع في مكتبة الخانجي بمصر.

• اشتقاق الأسماء : للأصمعي، رسالة تقع في ثمان وخمسين صفحة، حققها د. رمضان عبد التواب ود. صلاح الدين الهادي، وطبعت في مكتبة الخانجي في مصر، عام ١٤٠٠ هـ.

• المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة : لابن جني (٣٩٢هـ)، حققه د. مروان العطية وشيخ الراشد، وطبع في دار الهجرة ببغداد، عام ١٤٠٨ هـ.

• جنى الجنّتين في تمييز نوعي المثنيين : لمحمد أمين بن فضل الله المحبي (١١١١هـ)، نشر دار الآفاق الجديدة ببغداد، ١٤٠١ هـ.

• أثر التسمية في بنية الكلمة وموضع إعرابها ^(٢) : للدكتور سليمان العايد، طبع في مصر، عام ١٩٩١م.

• أسماء الناس في المملكة العربية السعودية : للأستاذ الدكتور إبراهيم الشمسان، طبع في مكتبة الرشد بالرياض، عام ١٤٢٦هـ.

• الأسماء المركبة، أنواعها وإعرابها، دراسة نحوية : للدكتور عبد الرحمن الحميدي، بحث نُشر في مجلة الدرعية، العدد : ٢٩، عام ١٤٣٠هـ.

• أسماء الناس الذكور في منطقة عسير : للدكتور عبد الرحمن البيشي، رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية عام ١٤٣٢هـ.

• اللطائف في اللغة، المشهور بـ (معجم أسماء الأشياء) : لأحمد بن مصطفى الدمشقي، طبع في دار الفضيلة بالقاهرة.

وهنا، قد يتبادر إلى الذهن عدد من التساؤلات :

- ما لواحق الاسم ؟

- ما أنواع التسمية بالأسماء المثناة، وما أنواع الأسماء المجموعة جمعاً مذكراً سالماً، وما أنواع المجموعة جمعاً مؤنثاً سالماً، وما أنواع المزيدة بألف ونون ؟

- كيف نتعامل مع هذه الأسماء من حيث الإعراب، والتصغير، والنسب، وكيف نشيها، ونجمعها ؟

إنّ هذا البحث يُراجع كلام النحاة، ويستقرئ أقوالهم، ويحكمُ عليها، ويجبُ

(٢) هذه دراسة نحوية صرفية شاملة لكل أنواع المسّميات، تقع في ١٤٣ صفحة، حرص الباحث فيها على جمع أكبر قدرٍ من كلام العلماء في كل مسألة، دون العناية بتحليل النصوص المنقولة أو تجلية غوامضها، وإن كان هذا البحث أقرب ما تُكتب في موضوع بحثي فإنّ بحثي يختلف عنه بأنه دراسة موسعة وخاصة بما اقترنت به لواحق الاسم، إضافة إلى ما في بحثي من تحليل وتدقيق للآراء المختلفة، وكثيرٌ من المسائل التي تعرضت لها لم يتعرض لها الباحث في كتابه.

عن هذه التساؤلات التي تعنّ على الخاطر، ويكثر ورودها على الألسنة.
أسأل الله - عزّ شأنه - أن أكون قد وفّقت في بلوغ الهدف، وأن ينفعَ به،
والله يتولانا.

تعريف اللاحقة

اللاحقة (suffixe) : مقطعٌ أو أكثر يُضاف إلى آخر الكلمة، فيُغيّر معناها ونوعها، أو معناها دون نوعها.

والمقطع : هو مجموعة من الوحدات الصوتية (الفونيمات)، أقلها صوت صامت واحد وصائت واحد، وقد يكون أكثر من ذلك. يضمّها نظامٌ معيّن.
فالمقطع إذاً شكلٌ من أشكال تجمع الفونيمات وتوزّعها في الكلام بين صامت وصائت. ومثاله كلمة : (مُسْلِمٌ) فإنّها تتكوّن من ثلاثة مقاطع وهي : (مُسْ، لِ، مِ)،
(مُسْ = ص ح ص^(٣) لِ = ص ح) (مِ = ص ح) فإذا أضفنا إليها **اللاحقة** (ون) تُصبح (مُسْلِمُون) فتصبح من أربعة مقاطع، وهي : (مُسْ، لِ، مُو، نَ)، (مُسْ = ص ح ص) (لِ = ص ح) (مُو = ص ح ح) (نَ = ص ح).
ولواحق الأسماء في العربية إمّا تصريفية أو اشتقاقية، فالتصريفية هي التي تُغيّر معنى الكلمة ولا تُغيّر نوعها، والاشتقاقية هي التي تُغيّر معنى الكلمة ونوعها.

(٣) الرمز (ص) يعني صامت، والصوامت جميع حروف الهجاء سوى حروف العلة، والرمز (ح) يعني صائت، والصوائت هي حروف العلة الثلاثة : الألف والواو والياء، والحركات : الضمة والفتحة والكسرة.

ولواحق الأسماء العربية على النحو الآتي :

المورفيم اللاحق	اسم اللاحقة	وظيفة اللاحقة
انْ	التثنية	مورفيم العدد، والإعراب
يْنِ		
وَنْ	جمع المذكر السالم	مورفيم العدد، والجنس، والإعراب
يْنِ		
اِثْرَ	جمع المؤنث السالم	مورفيم العدد، والجنس
ة	التأنيث	مورفيم الجنس
ى		
اء		
يَّ	النسب	مورفيم اشتقاقي
ان	الألف والنون الزائدتان	مورفيم اشتقاقي

وتعدّ لاحقاً النسب، والألف والنون الزائدتان لاحقتين اشتقاقيتين، إذ تُحوّل هاتان اللاحقتان الأسماء الداخلة عليها إلى صفات، أمّا غيرهما فهي من اللواحق التصريفية التي لا تُغير نوع الكلمة.

ومصطلح (اللاحقة suffixe) وجمعها (اللواحق suffixes) مصطلح لسانی، ورد عند النحاة القدماء بالمدلول ذاته، ولكن ليس بالتفصيل والتقسيم الذي ورد عن اللسانيين. ومن ذلك قول المبرد : « إذا قال لك رجلٌ : رأيتُ رجلاً، فإن الجواب أن تقول : مَنْ؟ أو قال : جاءني رجل، فإنك تقول : مَنْ؟ أو قال : مررت برجل، قلت : مَنْ؟ وليست هذه الواو والياء والألف اللواحق في (مَنْ) إعراباً ؛ ولكنهن لَحَقْنَ في الوقف للحكاية، فهنّ دليلٌ، ولسن بإِعراب »^(٤).

(٤) المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. القاهرة : الأهرام، ط ١٤١٥هـ. ٢ :

وقال ابن جني عن هاء السكت : «.... وذلك أنّ هذه الهاء إنما هي أحدُ لَوَاحِقِ الوقفِ»^(٥).

وقال الزمخشري : « والحروف التي تتصلُّ بـ (إيّا) من الكاف ونحوها لَوَاحِقُ للدلالة على أحوال المرجوع إليه ، وكذلك التاء في (أنت) ونحوها في أخواته ، ولا محل لهذه اللّوَاحِقِ من الإعراب ، إنما هي علامات ، كالتنوين وتاء التأنيث وياء النسب»^(٦).

التسمية بالمشئ

المشئ ما دلّ على اثنين أو اثنتين بزيادة ألف في آخره رفعاً ، وياء نصباً وجراً ، تليهما نونٌ مكسورة ، مفتوح ما قبلها ، صالح للتجريد ، وعطف مثله عليه^(٧) .
والتسمية بالمشئ أربعة أنواع :

- الأول : تسمية شخص باسم أصله مشئ.
 - الثاني : اشتهار اسم لشخصين أو لموضعين سُمياً باسم واحد.
 - الثالث : تغليب اسم شخص على شخصين سُمياً باسمين مختلفين.
 - الرابع : اشتهار شخصين أو موضعين أو شيئين باسم مغاير لاسميهما.
- فالأول :** نحو : دولة البحرين ، والدونكين ، والحصنين ، ومحمددين ، وحسنين ، وبدران ، وعبدان ، وزيدان ، وجمعان.

(٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان. سر صناعة الإعراب. تحقيق د. حسن هندراوي، دمشق : دار القلم، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ. ٢ : ٤٩٢.

(٦) الزمخشري، محمود بن عمر. المفصل. بيروت : دار الجيل، ط الثانية. ص : ١٢٧.

(٧) انظر ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح التسهيل. تحقيق د. عبد الرحمن السيد و د. محمد المختون، مصر : هجر ، ط الأولى، ١٤١٠ هـ. ١ : ٥٩ ، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. همع الهوامع. تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت : دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٨ هـ. ١ : ١٣٢.

والثاني نحو : الجَلَالَيْن (جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي)، والخالدين، والكُعَيْن، والعامرين، والقَيْسَيْن^(٨). كما جاء ذلك في أسماء الأماكن من الجبال والبقاع التي لا يفارق بعضها بعضاً، نحو : أَبَانَيْن^(٩)، وعَمَائَيْن^(١٠)، وفيها قال جرير:

ولو أنَّ عَصْمَ عَمَائَيْنِ وَيَذْبُلُ سَمِعَا بِذِكْرِكَ أَتَزَلَا الْأَوْعَالَ
وعُمرَان^(١١)، وفيها قال صخرُ الغَيِّ الهُدَلِيّ :
إلى عُمَرَيْنِ إلى غَيْقَةٍ فَيَلِيلَ يَهْدِي رِبْحَلًا زَخُوفًا^(١٢)

والثالث نحو : العُمَرَيْن (أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)، والمُصْعَبَيْن (مصعب وعبد الله ابني الزبير)، والحُثُيبَيْن (عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب)، والأَبَوَيْن (الأب والأم)، والرَّجَبَيْن (رجب وشعبان)، والفُرَاتَيْن (الفرات ودجلة)، والعِشَاءَيْن (المغرب والعشاء).

(٨) الخالدان : هما خالد بن قيس من بني جحوان من بني أسد، وخالد بن قيس بن نضلة من بني أسد أيضاً. والكُعبان : هما كعب بن كلاب وكعب بن ربيعة. والعامران : هما عامر بن الطفيل بن مالك بن كلاب، وعامر بن مالك بن جعفر بن كلاب. والقَيْسان، من طَيْئ : وهما قيس بن عتاب بن أبي حارثة وقيس بن هزمة بن عتاب. انظر ابن يعيش، يعيش بن علي. شرح المفصل. تحقيق محيي الدين عبد الحميد (ولم يُشر الطابع إلى ذلك)، ط المنيرة. ١ : ٤٧.

(٩) أَبَانَان : جبلان، وهما أَبَان الأبيض، وأَبَان الأسود، بينهما نحو فرسخ، ووادي الرُّمة يقطع بينهما. انظر البكري، أبا عُبيد عبد الله بن عبد العزيز. معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السَّقا، بيروت : عالم الكتب. ص : ٩٥.

(١٠) عَمَائَة : من العَمَى، جبل ضخيم بالبحرين، والعَمَائَتَان جبلان، هما : عَمَائَة وصَاحَة، بينهما مسافة فرسخ. انظر معجم ما استعجم : ٨٢٠، ٩٦٦.

(١١) موضع بين مكة والمدينة. انظر معجم ما استعجم : ٩٦٧، ١٠١١.

(١٢) مواضع متدانية. انظر معجم ما استعجم : ١٠١١.

وقد عقد السيوطي في المزهري^(١٣) فصلاً عَنْون له بـ (ذكر المثنى على التغليب)، وعقد ابن فارس باباً في الصاحبي^(١٤) عَنْون له بـ (باب الاسمين المصطحيين)، وكذلك فعل المحبّي في جنى الجنيتين^(١٥).

وتتعدد أسباب التغليب، فيُغلبُ اسم على آخر لشرفه كالأبوين، أو ذُكُورته كالقمرين، أو عظمه كما في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾^(١٦)، أو خِفَتُهُ كالعُمَرَيْنِ، أو شُهْرَتُهُ كالْفُرَاتَيْنِ^(١٧).

قال المفضّل: «من شأن العرب إذا اجتمع شيان من جنسٍ واحدٍ فكان أحدهما أشهر سُمّي الآخر باسمه. ولما كان القمرُ أشهرَ عند العرب وأكثرَ في أوقات المشاهد، وتُدركُه ليلاً ونهاراً، سَمّوا الشمس باسمه، وهي القصة في تسميتها أبا بكر وعمر؛ إذ كانت خلافة عمر أكثر وأشهر في الإسلام للفتوح وطول المدة»^(١٨).

والرابع نحو: العِراقين (الكوفة والبصرة)، والجيشين (القوة والشباب)، والخائنين (الجوع والعري)، والأخضرين (العشب والشجر)، والطرفين (اللسان والفرج)، والتّيرين (الشمس والقمر)، والأحمدين (الأمن والسلام)، والأسموين (الماء

(١٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. المزهري. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي القاهرة: دار التراث، ط الثالثة. ٢: ١٨٥ - ١٨٧.

(١٤) ابن فارس، أحمد. الصاحبي. تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ط ١٩٧٧م. ص: ١٢٠ - ١٢١.

(١٥) المحبّي، محمد أمين بن فضل الله. جنى الجنيتين في تمييز نوعي المثنيين. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط الأولى، ١٤٠١هـ، ص: ١١٧ - ١٣٠.

(١٦) الفرقان: ٥٣.

(١٧) انظر المزهري ٢: ١٨٥، وجمع الهوامع ١: ١٣٧.

(١٨) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. مجالس العلماء. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: الخانجي، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ. ص: ٣١.

والمالح)، والدارين (الدنيا والآخرة)، والثَّقَلَيْن (الإنس والجن)، والرَّحْلَتَيْن (رحلة الشتاء ورحلة الصيف)، والنَّفْخَتَيْن (نفخة الصعق ونفخة البعث)، والحَجَرَيْن (الذهب والفضة)، والجبلين (الصفاء والمروءة)، والأَذْلَيْن (عَير الحَي والوَتد)، والجَرِيدَتَيْن والدَّائِبَتَيْن والأَهْرَمَيْن (الليل والنهار)، والأَمْرَيْن (الفقر والهرم)، والأَيُّضَيْن (الليل والنهار أو اللبن والماء)، والأَصْغَرَيْن (القلب واللسان)، والخَافَتَيْن (المشرق والمغرب)، والزَّهْرَاوَيْن (البقرة وآل عمران)، والمَطْهَرَيْن (الماء والتراب)، والْبَرْدَيْن (وقت صلاة الصبح ووقت صلاة العصر)، والأَعْمَيْن (السيل والبعر الصَّوُول أو الحريق)، والقرينين (أبي بكر وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما).

وقد عقد السيوطي في المِزهر^(١٩) فصلاً عنون له بـ (ذكر الألفاظ التي وردت مثناة).

ما ينطبق عليه اسم (المثنى) من الأنواع السابقة

بناءً على حدّ التثنية فإنّ الأنواع الأول والثالث والرابع ليست من باب التثنية، لعدم صلاحيتها للتجريد وعطف مثلها عليها، ولكنها ملحقة بالمثنى من حيث الإعراب فقط^(٢٠)، أما النوع الثاني فهو مثنى حقيقة.

حكم القياس على أنواع المثنى

أما بالنسبة للقياس على هذه الأنواع فيرى السيوطي أنّ القسم الثالث الذي هو للتغليب مسموعٌ، يحفظ ولا يُقاس عليه^(٢١).

ولا أرى ما يُبرّر الحكم بعدم جواز القياس عليه، فمتى ما تشابهت ظروف التسمية الحديثة بالسابقة جاز القياس عليه.

(١٩) ٢ : ١٧٣ - ١٨٥.

(٢٠) انظر شرح التسهيل ١ : ٦٥، ٦٧، وجمع الهوامع ١ : ١٣٦، ١٣٧.

(٢١) انظر جمع الهوامع ١ : ١٣٧.

حكم تثنيته أو جمعه

قرّر النحاة عدمَ جواز تثنية المثنى أو جمعه جمع مذكرٍ سالماً، لأن ذلك سيؤدي إلى اجتماع إعرابين في كلمة واحدة^(٢٢).

إعرابه

الأنواع الثاني والثالث والرابع تعامل معاملة المثنى، فترفع بالألف وتنصب وتجرّ بالياء.

واختلف في النوع الأول على أوجه عدة :

الأول : أن يُعرب إعراب المثنى، فيرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، فيقال : هذه الْبَحْرَانِ، وَزُرْتُ الْبَحْرَيْنِ، ومررت بِالْبَحْرَيْنِ^(٢٣). وعده سيبويه الأقيس والأجود^(٢٤)، وتابعه على ذلك النحاة^(٢٥).

الثاني : أن يُعرب إعراب ما لا ينصرف، ويُلتزمُ بالألف قبل النون، فيقال : هذه الْبَحْرَانُ، وزرت الْبَحْرَانِ، ومررت بِالْبَحْرَانِ^(٢٦)، وشرط الرضي لذلك ألا تتجاوز

(٢٢) انظر السيرافي، أبا سعيد الحسن، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدي، وعلي سید علي، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط الأولى، ١٤٢٩ هـ. ٤ : ١٤٢، وجمع الهوامع ١ : ١٤٠ - ١٤١.

(٢٣) انظر ابن السراج، محمد بن السري. الأصول. تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط

الثالثة، ١٤١٧ هـ. ٢ : ١٠٦، وشرح التسهيل ١ : ٦٥.

(٢٤) انظر سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة : الهيئة المصرية، ط ١٣٩٥ هـ. ٣ : ٢٣٢.

(٢٥) انظر المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة : الأهرام، ط ١٤١٥ هـ، ٤

٣٦ : ٣٦، وجمع الهوامع ١ : ١٦٥.

(٢٦) انظر المقتضب ٤ : ٣٦، والأصول ٢ : ١٠٦، وجمع الهوامع ١ : ١٦٥.

حروف الكلمة سبعة أحرف ، لأن حروف (قَرَعْلَانَة) غاية عدد حروف الكلمة ، فلا تجعل النون في (مستعتبان) مثلاً معتقب الإعراب ^(٢٧).

الثالث : أن يُعرب إعراب المفرد ، ويُلتزمُ بالياء قبل النون ، فيقال : هذه البحرينُ ، وزرت البحرينَ ، ومررتُ بالبحرينِ. ومنع سيبويه ^(٢٨) هذا الوجه معللاً ذلك بأنه لا نظير لها في الكلام ، فليس في الكلام في آخر الاسم ياء ونون زائدتان وقبل الياء فتحة ، بخلاف ما آخره ألف ونون ، فهو مثل : عُثْمان ، وزَعْفَران.

ويرى الرضي أن مجيء (البحرين) في المثنى هو على خلاف القياس ، فيقال : هذه البحرينُ ، ودخلتُ البحرينَ ، واستعمال (البحرين) مجعولاً نونه معتقب الإعراب أكثر من استعمال (البحران) ^(٢٩).

والذي أراه في مسألة الإعراب أننا نرجع في ذلك إلى الاستعمال المتداول بين الناس ، فلا نُغيّر ما جرى الناس على لفظه واستعماله ، فما آخره ياء ونون كـ (البَحْرَيْنِ) وشُهر بين الناس بذلك بقي على حاله ، وما آخره ألف ونون كـ (بَدْران) وشُهر بين الناس بذلك بقي على حاله.

ويُعامل من حيث الإعراب بالحركات ، ويُنظر إلى الاسم من حيث الصرف أو عدمه إلى حال الاسم ، فإن كان آخره ألفاً ونوناً كـ (بَدْران) جرى مجرى (سَلْمان) في منع الصرف ، وإن كان آخره ياء ونوناً ، فإن كان مؤنثاً — مثلاً — منع من الصرف للعلمية والتأنيث كـ (البَحْرَيْنِ) ، وإن كان مذكراً كـ (مُحَمَّدَيْنِ) صُرف. وهكذا.

(٢٧) انظر رضي الدين الإستراباذي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية. تحقيق يوسف حسن عمر،

بنغازي : منشورات جامعة قاروينس، ط الثانية، ١٩٩٦م، ٣ : ٢٦٦.

(٢٨) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٢.

(٢٩) انظر شرح الكافية للرضي ٣ : ٢٦٧.

تصغيره

يُنظر عند تصغير العَلَم المتصل به لاحقتا التثنية إلى عدد أحرفه قبل التثنية، فإن كان قبل لاحقتي التثنية ثلاثة أحرف فإنه يعامل معاملة الثلاثي، فيصاغ على (فُعِيل)، فيقال في تصغير من اسمه (زيدان) : (زُيَيْدَان)، ولا يُكسر ما بعد ياء التصغير.

وإن كان قبل لاحقتي التثنية أربعة أحرف فإنه يعامل معاملة الرباعي، فيصاغ على (فُعَيْل)، فيقال في تصغير من اسمه (ظريفان) أو (مُحمَّدِين) : (ظُرَيْفَان) و (مُحَيِّمَيْن)، وهذا رأي المبرِّد^(٣٠)، حيث راعى أصل العلم.

أمَّا سيبويه فينظر إلى لاحقة التثنية على أنها مُتَمِّمة لبنية الكلمة، فلا يُحذف اللاحقة ويحذف ما قبلها من مدَّات، فيقول فيمن اسمه (ظريفان) أو (جِدَارَان) : (ظُرَيْفَان) و (جُدَيْرَان) بتخفيف الياء^(٣١).

النسبة إليه

عند النسبة إلى العلم المتصل به لاحقتا التثنية، إنْ أعْرَبناه إعراب المثنى رددناه إلى مفردة ونسبنا إلى المفرد، فنقول فيمن اسمه (زيدان، محمدان، البحرين) : (زَيْدِي، مُحَمَّدِي، الْبَحْرِي).

وإن أعْرَبناه إعراب المفرد بالحركات نسبنا إليه على حاله^(٣٢)، فنقول فيمن اسمه (زيدان، محمدان، البحرين) : (زَيْدَانِي، مُحَمَّدَانِي، بَحْرِينِي).

(٣٠) انظر المقتضب ٢ : ٢٦٣.

(٣١) انظر الكتاب ٣ : ٤٤٣، ورضي الدين الإستراباذي، محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن وزميله، بيروت : دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٢هـ. ١ : ٢٤٧، وأبا حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. ارتشاف الضرب. تحقيق د. رجب عثمان محمد، القاهرة : الخانجي، ط الأولى، ١٤١٨هـ. ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣٢) انظر الكتاب ٣ : ٣٧٢.

ويرى الرضي - بناء على ما ورد في طريقة إعراب المثنى المسمى به آنفاً - وجوب إلزامه الألف، فنقول فيمن اسمه (محمدين، البحرين) : (محمداني، بحراني)^(٣٣). وأما قولهم : (بحريني) بالياء فهو شاذ، إلا أنه الأكثر في (البحرين).

ويرى أبو علي الفارسي أن الألف والنون في (بحراني) نسبة إلى (البحرين) ليستا للتثنية، وإنما الاسم قد بُني على (فَعْلَان) فُنسب إليه على لفظه^(٣٤). ونقل ياقوت الحموي عن أبي محمد اليزيدي قوله : « قال لي المهديُّ والكسائيُّ حاضرٌ : كيف نسبوا إلى (البحرين) فقالوا (بحراني) ؟ قال : وكيف نسبوا إلى (الحصنين) قالوا : (حصني) ؟ قال : ولمَ لمْ يقولوا : (حصناني) ؟ فقلت : لو نسبوا إلى (البحرين) فقالوا : (بحري) لم يُعرف إلى (البحرين) نسبوا أم إلى (البحر) وأمنوا اللبس في (الحصنين) إذ لم يكن موضع آخر يُنسب إليه غير (الحصنين) فقالوا : (حصني) ».

فقال الكسائي : لو سألتني الأمير لأجبتُ بأجودَ من جوابه، فقال : قد سألتك. فقال الكسائي : إنهم لما نسبوا (الحصنيني) كانت فيه نونان، فقالوا : (حصني) اجتزاء

(٣٣) انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ٨٢. قال الرضي في تعداده لشواذ النسب : « وقالوا : بحراني، في النسبة إلى (البحرين) المجمعول نونه معتقب الإعراب، والقياس : (بحريني)، ووجهه : أن نون (البحرين) بالياء تجعل معتقب الإعراب، وقياس المثنى المجمعول نونه معتقب الإعراب أن يكون في الأحوال بالألف، كما مر في باب العلم، فيلزم (البحرين) الياء شاذ إذاً.

وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف في النسب، لا هو ولا الألف، فقليل (بحراني)، على أنه منسوب إلى (البحران) المجمعول نونه معتقب الإعراب ؛ لكونه هو القياس في المثنى المجمعول نونه كذلك، وإن قل استعماله ».

(٣٤) انظر الفارسي، أبا علي الحسن بن أحمد، التكملة. تحقيق د. كاظم بحر المرجان، بيروت : عالم الكتب، ط

الثانية، ١٤١٩ هـ. ص : ٢٦٦.

بإحدى التونين، ولم يكن في (البحرين) إلا نُونٌ واحدةٌ، فقالوا : (بَحْرَانِيّ). فقال اليزيدي : فكيف يُنسب رجل من (بني جِنّان) ؟ فإن قلت : (جِنِّيّ) على قياسك فقد سوّيت بينه وبين المنسوب إلى (الجِنّ)، فإن قلت : (جِنّانيّ) رجعت عن قياسك وجمعت بين ثلاث نونات .

وقد علّق ياقوت على اليزيدي فقال : « قول اليزيدي : أمنوا اللبس في الحصنين، محال ؛ فإنّ في بلاد العرب مواضع كثيرة يُقال لها : (الحصن) غير مثناة، يأتي ذكرها عقيب هذا. فإن نسب إلى (الحصنين) بما نسب إلى (الحصن) التبس بما نسب إلى (الحصن) كما أنّهم لو نسبوا إلى (البحرين) (بحريّ) لالتبس بما نسب إلى (البحر). فبطلت حجة اليزيدي. وهذا خبرٌ يتداوله العلماء منذ أيام اليزيدي وإلى هذه الغاية لم أر من أنكره، وهو عجبٌ » (٣٥).

ويلاحظ في هذا النصّ أمور عدّة :

الأول : أنهم أعربوا العلم المثنى بالحروف، فقالوا : (بحران، وبحرين)، وقالوا : (حصنان، وحصنين) بحسب موقعها الإعرابي.

الثاني : أنهم نسبوا إلى العلم مرّة إلى مفردة ومرة إليه وهو مثنى، وردّهم العلم إلى مفردة لإعرابهم إياه بالحروف، ونسبتهم إليه مثنى لأمن اللبس.

الثاني : رجّح ياقوت النسبة إلى العلم وهو مثنى ؛ خشية أن يلتبس بما يوافقه من الأسماء المفردة.

(٣٥) الحُموي، ياقوت. معجم البلدان، بيروت : دار صادر، ط ١٣٩٧هـ. ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤، وانظر ١ :

٣٤٧، وانظر شرح كتاب سيويه للسيرافي ٤ : ٩٥.

التسمية بجمع المذكر السالم

جمع المذكر السالم هو الاسم الدالّ على أكثر من اثنين بزيادة واوٍ ونونٍ في آخره، رفعاً، أو ياء ونون، نصباً وجراً، وسلم بناء مفردة عند الجمع. وهذا الجمع مختصٌ بالعلم أو الوصف للعاقل من الذكور^(٣٦).

أنواع جمع المذكر السالم، وحكمها الإعرابي

الأول : تسمية شخص أو موضع باسم أصله جمع مذكر سالم. نحو : عَابِدِينَ، عَلِيَّين^(٣٧)، وَسَعْدُون، وزيدون، ومن أسماء المواضع والبلدان : قَتْسَرِين، وفِلَسْطِين، وَيَبْرِين، وصَرِيفِين، ونَصِيبِين، وصِفِين^(٣٨).

وذكر ابن جني أن (فلسطين) وأخواتها إنما هي جمع على ضربٍ من التَّأوّل^(٣٩)، وأنها واحد لا جمع لها، أو جمع لا واحد لها مستعمل^(٤٠).

الثاني : تغليب اسم شخص على أشخاص سُمُوا بأسماء مختلفة. نحو : الحُيَّيْنِ (أي : حُيِّب وأصحابه، وحُيِّب هو عبد الله بن الزُّبَيْر)^(٤١).

واختلف في النوع الأول على أوجه عدّة :

(٣٦) انظر في حدّ جمع المذكر السالم وشروطه، شرح التسهيل ١ : ٦٩، والأزهري، خالد. التصريح بمضمون

التوضيح. تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت : دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢١هـ. ١ : ٦٧.

(٣٧) اسم لأعلى الجنة.

(٣٨) انظر شرح التسهيل ١ : ٨١، وجمع الهوامع ١ : ١٦٥.

(٣٩) انظر سر صناعة الإعراب ٢ : ٦٢٧.

(٤٠) انظر سر صناعة الإعراب ٢ : ٦٢٥.

(٤١) شرح التسهيل ١ : ٧٠.

الأول : يُعَرَّب إعراب جمع المذكر السالم ، فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ، فيقال : هذه فَلَسْطُونُ ، وَزُرْتُ فَلَسْطِينَ ، ومررت بفَلَسْطِينَ . بفتح الفاء واللام ^(٤٢) . ومثله : يَبْرِينَ ^(٤٣) .

واستدلَّ على ذلك بـ (عَلِيِّينَ) في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ ^(١٨) وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا عِلْيُونُ ^(٤٤) ، وبما جاء في الأثر : شهدتُ صَفِيْنِ ، ويُسْتُ صِفُون ^(٤٥) . وقال السيوطي : وهي اللغة الفصحى ^(٤٦) .

الثاني : تلزم الياء قبل النون ، ويُجعل الإعراب على النون مصروفاً ، فيقال : هذا مسلمونٌ ، ورأيت مسلموناً ، ومررت بمسلمونٍ ^(٤٧) . ويمنع نحو : (فَلَسْطِينُ) للعلمية والتأنيث ، فيقال : هذه فلسطينُ ، ورأيت فَلَسْطِينَ ، ومررتُ بفَلَسْطِينَ ^(٤٨) . ومثله : (يَبْرِينَ) ^(٤٩) .

الثالث : تلزم الواو قبل النون ، ويُجعل الإعراب على النون مصروفاً ، فيقال : هذا زيدونٌ ، ورأيت زيدوناً ، ومررت بزيدونٍ . أجاز ذلك المبرِّد ^(٥٠) .

(٤٢) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٢ ، والمقتضب ٤ : ٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢ : ٦٢٥ ، والأصول ٢ : ١٠٦ ، ومعجم البلدان ١ : ٧١ ، ٤ : ٢٧٤ .

(٤٣) انظر معجم البلدان ٥ : ٤٢٧ .

(٤٤) المطففين : ١٨ - ١٩ .

(٤٥) انظر همع الهوامع ١ : ١٦٥ .

(٤٦) انظر همع الهوامع ١ : ١٦٥ .

(٤٧) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٢ ، والمقتضب ٤ : ٣٦ ، والأصول ٢ : ١٠٦ ، ومعجم البلدان ١ : ٧١ ، ٤ : ٢٧٤ ، وهمع الهوامع ١ : ١٦٥ .

(٤٨) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٢ ، والأصول ٢ : ١٠٦ ، ومعجم البلدان ١ : ٧١ ، ٤ : ٢٧٤ .

(٤٩) انظر معجم البلدان ١ : ٧١ ، ٥ : ٤٢٧ .

(٥٠) انظر شرح التسهيل ١ : ٨٦ .

ويرى ابن مالك أن الأجود إجراؤها مُجَرَّى الجمع، ثم التزام الياء، وأما التزام الواو وجعل الإعراب في النون فقليل عنده، والحمل عليه ضعيف^(٥١).

الرابع : تلزم الواو قبل النون، ويجعل الإعراب على النون غير مصروفٍ، ذهب إلى هذا الرأي أبو عليّ الفارسي ؛ إذ جعل (حمدون) ونحوه أعجمياً، وحمله على ذلك اعتقاده أن زيادة الواو والنون بعد ضمة في آخر اسم ليس من وضع العرب، لعدم ذلك في النكرات^(٥٢). وقال السيوطي : للعلمية وشبه العُجمة^(٥٣).
الخامس : التزام الواو وفتح النون مطلقاً^(٥٤).

وذكر السيوطي أن جعل المثنى كـ (سَلَمَان) والجمع كـ (غَسَلِينَ) أو (هَارُونَ) مشروط بألاً يجاوزا سبعة أحرف، فإن جاوزاها لم يعربا بالحركات^(٥٥).
وأرى في هذه المسألة ما رأيته في التسمية بالمثنى، من أن ذلك يعود للاستعمال المشهور.

حكم تثنيته أو جمعه

قَرَّرَ النحاة عدمَ جواز تثنية الأعلام المتصلة بها لاحقاً جمع المذكر السالم، أو جمعها جمع مذكرٍ سالماً، لأن ذلك سيؤدي إلى اجتماع إعرابين في كلمة واحدة^(٥٦).

(٥١) انظر شرح التسهيل ١ : ٨٦.

(٥٢) انظر شرح التسهيل ١ : ٨٧.

(٥٣) انظر همع الهوامع ١ : ١٦٦.

(٥٤) انظر همع الهوامع ١ : ١٦٦.

(٥٥) انظر همع الهوامع ١ : ١٦٦.

(٥٦) انظر شرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٢، وهمع الهوامع ١ : ١٤٠ - ١٤١.

تصغيره

يُعامل العلمُ المتَّصلُ به لاحقاً جمع المذكر السالم معاملة العلم المتَّصل به لاحقاً التثنية، كما بيَّنته سابقاً، فيُنظر عند تصغيره إلى عدد أحرفه قبل الجمع، فإن كان قبل لاحقتي الجمع ثلاثة أحرف فإنه يعامل معاملة الثلاثي، فيصاغ على (فُعِيل)، فيقالُ في تصغير من اسمه (سَعْدُون) : (سُعِيدُون)، ولا يُكسر ما بعد ياء التصغير.

وإن كان قبل لاحقتي النسب أربعة أحرف فإنه يعامل معاملة الرباعي، فيُصاغ على (فُعِيل)، فيقال في تصغير من اسمه (مُحَمَّدُون) أو (ظَرِيفُون) : (مُحَيِّمِدُون) و (ظُرِيفُون)، وهذا رأي المبرِّد، حيث راعى أصل العلم^(٥٧).

أمَّا سيبويه^(٥٨) فيُنظر إلى لاحقة الجمع على أنها مُتممة لبنية الكلمة، فلا يُحذفُ اللاحقة ويحذف ما قبلها من مدّات، فيقول فيمن اسمه (ظَرِيفُون) أو (ثلاثين) : (ظُرِيفُون) و (ثُلَيْثين) بتخفيف الياء، وقال أبو علي الفارسي هي قول جميع العرب^(٥٩).

وذكر الرّضي في تصغير (أَرْضِين) علماً، أننا لا نردّها إلى مُفردّها سواءً أكانت النون معتقب الإعراب أو لا ؟ فَتُصَغَّرُ على (أُرِيضِين)، فإن كانت النون مُعتقب الإعراب فإنها تكون مُنصرفة في المذكر، وغير مُنصرفة في المؤنث، وإن كانت النون ليست مُعتقب الإعراب فنقول فيها : (أُرِيضُون) رفعاً، و (أُرِيضِين) نصباً وجراً.

كما ذكر في تصغير (سِينِين) علماً، إن لم تُجعل النون مُعتقب الإعراب رُدَّ إلى واحده ؛ لبقاء الاسم حينئذ على حرفين، ولا يتم بهما بنية التصغير كما تمّت في

(٥٧) انظر المقتضب ٢ : ٢٦٣، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٤٧.

(٥٨) انظر الكتاب ٣ : ٤٤٢.

(٥٩) انظر التكملة : ٥٠٤، والفارسي، أبا علي الحسن بن أحمد. المسائل البصريّات. تحقيق د. محمد الشاطر

أحمد محمد، مصر : المدني، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ. ١ : ٢٧٧، وارتشاف الضرب ١ : ٣٧٠.

(أَرْضُونَ)، فَتُرَدُّ اللام المحذوفة، ولا تحذف الواو والنون؛ لأنهما - وإن كانتا عوضاً من اللام المحذوفة في الأصل - صارتا بالوضع العَلَمِيّ جزءاً من العَلَم، فيقال: (سُنِّيُونَ) رفعاً، و (سُنِّيِينَ) نصباً وجرّاً. وإن جُعِلَت النون مُعْتَقَب الإعراب، فلا تُرَدُّ إلى واحدتها، وتَصَغَّر على (سُنِّيِينَ) منصرفاً في المذكر، وغير مُنْصَرَف في المؤنث^(٦٠).

النسبة إليه

عند النسبة إلى العلم المتصل به لاحقاً جمع المذكر السالم، إن أعربناه إعراب جمع المذكر السالم بالحروف، رددناه إلى مفردة ونسبنا، وإن أعربناه إعراب المفرد بالحركات نسبنا إليه على حاله^(٦١).

فَنَقُولُ فِي (مَحْمَدُونَ، فَلَسْطِين، عَابِدِينَ، قَنَسْرِينَ، يَبْرِينَ): (مُحَمَّدُونِيّ، فَلَسْطِينِيّ، عَابِدِينِيّ، قَنَسْرِينِيّ، وَيَبْرِينِيّ). وقد نَسَبَ من أعرب (فلسطين) بالحروف فقال: (فَلَسْطِيّ)^(٦٢). ويُنسَب لها في زماننا: (فِلَسْطِينِيّ).

التسمية بجمع المؤنث السالم

قد يُسَمَّى بما جُمِعَ جمعَ مؤنثٍ سالماً رجلٌ أو امرأةٌ أو موضعٌ أو نحو ذلك، وذلك نحو: فَتَكَات، وَعَطِيَّات، وَنِعَمَات، وفي المواضع: أَدْرِعَات، وَعَرَفَات.

(٦٠) انظر شرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٧٢.

(٦١) انظر الكتاب ٣ : ٣٧٢، والأصول ٣ : ٦٨.

(٦٢) انظر معجم البلدان ٤ : ٢٧٤.

حكمه الإعرابي

في المسمّى به ثلاثة مذاهب :

الأول : أن يُعامل معاملته بأن يُرفع بالضمّة وينصب ويجر بالكسرة، مع تنوينه. واستُدلّ على ذلك بـ (عرفات) في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾^(٦٣)، ويقول العرب : هذه عرفاتٌ مباركاً فيها^(٦٤). وعدّه النحاة الأفصح^(٦٥).

الثاني : أن يُعامل معاملته بأن يُرفع بالضمّة وينصب ويجر بالكسرة، دون تنوينه. فيُقال : هذه أذرعاتٌ، وزرتُ أذرعاتٍ، ومررت بأذرعاتٍ. وعلل سيبويه ذلك بأنهم شبهوا التاء بهاء التأنيث، وهاء التأنيث لا تُلحق بنات الثلاثة بالأربعة ولا الأربعة بالخمسة^(٦٦).

الثالث : أن يعرب إعراب ما لا ينصرف، للعلمية والتأنيث. وقد رُويت (أذرعات) بالأوجه الثلاثة في قول امرئ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ، وَأَهْلَهَا بِيَثْرَبَ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ^(٦٧)

تثنيته وجمعه

يجوز تثنية العلم المختوم بلاحتقي جمع المؤنث السالم، فيُقال : (أذرعاتان) في تثنية رجلين اسمهما (أذرعات)، لعدم اجتماع إعرابين.

(٦٣) البقرة : ١٩٨.

(٦٤) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٣.

(٦٥) انظر المقتضب ٤ : ٣٦، وشرح المفصل ١ : ٤٦، ومعجم البلدان ١ : ١٣٠، ٤ : ١٠٤.

(٦٦) انظر الكتاب ٣ : ٢٣٤، والأصول ٢ : ١٠٦ - ١٠٧.

(٦٧) انظر المقتضب ٤ : ٣٧، وابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. أوضح المسالك. تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد، بيروت : المكتبة العصرية. ١ : ٦٩، ومعجم البلدان ١ : ١٣٠، ٤ : ١٠٤.

وعند جمعها جمع مؤنثٍ سالماً فإنه تُحذف التاء كما تحذف في المفرد ثم تُحذف الألف معها، ثم تُزاد علامة الجمع الألف والتاء، فيقال في جمع (أُذِرْعَات) : (أُذِرْعَات) ^(٦٨).

تصغيره

يُعامل العلم المتصل به لاحقاً جمع المؤنث السالم معاملة العلم المتصل به لاحقاً التثنية، كما بينته سابقاً، فيُنظر عند تصغير الاسم المجموع جمع مؤنث سالماً إلى عدد أحرفه قبل الجمع، فإن كان قبل لاحقتي الجمع ثلاثة أحرف فإنه يعامل معاملة الثلاثي، فيصاغ على (فُعِيل)، فيقال في تصغير من اسمها (هِنْدَات) : (هُنَيْدَات)، ولا يُكسر ما بعد ياء التصغير.

وإن كان قبل لاحقتي النسب أربعة أحرف فإنه يعامل معاملة الرباعي، فيصاغ على (فُعَيْل)، فيقال في تصغير من اسمها (ذِكْرِيَات) أو (ظَرِيفَات) : (ذُكَيْرِيَات) و (ظَرِيفَات)، وهذا رأي المبرد، حيث راعى أصل العلم ^(٦٩).

أما سيويه ^(٧٠) فيُنظر إلى لاحقة الجمع على أنها مُتممة لبنية الكلمة، فلا يُحذف اللاحقة ويحذف ما قبلها من مدّات فيقول فيمن اسمها (ظَرِيفَات) : (ظَرِيفَات) بالتخفيف. التَّسْبِة إِلَيْهِ

عند النسبة إلى العلم المتصل به لاحقة جمع المؤنث السالم، إنْ أَعْرَبناه إعراب جمع المؤنث السالم، رددناه إلى مفرده ونسبنا إلى المفرد. فنقول في (أُذِرْعَات) : (أُذِرْعِي) ^(٧١)، وفي (عَرَفَات) : (عَرَفِي) ^(٧٢).

(٦٨) انظر شرح كتاب سيويه للسيرافي ٤ : ١٤٢.

(٦٩) انظر الكتاب ٣ : ٤٤٣، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٤٧، وارتشاف الضرب ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٧٠) انظر الكتاب ٣ : ٤٤٣.

(٧١) انظر معجم البلدان ١ : ١٣١.

وإن أعربناه إعراب العَلَم المؤنث المفرد، أي : إعراب ما لا ينصرف، نسبنا إليه على حاله، وعند ذلك نحذف التاء لأنها للتأنيث، ويعامل معاملة الاسم المقصور. فننسب إلى (أدْرعَات) كآلآتي : أدْرعَات ← أدْرعَا (تُحذف تاء التأنيث، ويصبح الاسم مختوماً بألف التأنيث المقصورة) ← أدْرعَيَّ (حذفت الألف المقصورة لوقوعها بعد أربعة أحرف) ^(٧٣).

ويظهر الفرق في مثل النسبة إلى العلم (هِنْدَات)، فإنْ أعربناه إعراب جمع المؤنث السالم، فالنسبة إليه (هِنْدِيّ)، برَدّه إلى مفرده، وإنْ أعربناه إعراب ما لا ينصرف، جاز فيه ثلاثة أوجه : (هِنْدِيّ، هِنْدَوِيّ، هِنْدَاوِيّ) حُذفت تاء التأنيث، ثم يجوز في الألف ثلاثة أوجه لوقوعها رابعة في كلمة ساكنة الوسط، وهي حذف الألف، أو قلبها واواً، أو قلبها واواً وإضافة ألف قبلها.

التسمية بما آخره ألف ونون

شَبّه الصرْفِيّون الأعلامَ التي وَقَعَ في آخرِها الألف والنون الزائدتان بألف التأنيث الممدودة في كثير من أحكامها ^(٧٤)، وقد عرضت في هذا المبحث أنواع الأعلام التي خُتِمت بالألف والنون وأحكامها من حيث الإعراب، والتصغير، والنسب، والتثنية، والجمع. وهذا بيان ذلك.

= (٧٢) انظر معجم البلدان ٤ : ١٠٥.

(٧٣) انظر الكتاب ٣ : ٣٧٣، ٣٧٩، والأصول ٣ : ٦٨.

(٧٤) انظر الكتاب ٣ : ٤٢٤، والتكملة : ٥٠٥، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١ : ١٩٦.

أنواع ما آخره ألف ونون وأحكامه الإعرابية

١ - أن تكون الألف والنون زائدتين

وحكمه المنع من الصرف^(٧٥)، وعلامة زيادتهما أن يكون قبلهما أكثر من حرفين^(٧٦). وذلك نحو : حَمْدَان، وَمَرْوَان، وَعَدْنَان، وَغَيْلَان، وَعُمَرَان، وَعُثْمَان، وَغَطَفَان، وَأَصْبَهَان، وَسِرْحَان، وَصَفْوَان، وَسَعْدَان، وَمُرْجَان.

٢ - أن تكون النون أصلية

وحكمه الصَّرف، إن لم يكن هناك مانع آخر للصرف، وذلك كأن يكون قبلهما حرفان، نحو : بَيَّان، وَبَنَان، وَرَزَّان، وَرَوَّان. ف (بيان) إن كان اسم رجل صُرف، وإن كان اسم أنثى منع من الصرف للعلمية والتأنيث.

ومن أمثلة سيبويه : (فَيْنَان) و (ديوان)، حيث قال : « وسألته [أي : الخليل] عن رجل يسمى (فَيْنَاناً)، فقال : مصروف ؛ لأنه (فَيْعَالٌ)، وإنما يريد أن يقول : لِشِعْرِهِ فنونٌ كأَفْنَانِ الشَّجَرِ.

وسألته عن (ديوانٍ) فقال بمنزلة (قِيْرَاطٍ) ؛ لأنه من دَوْنَتْ، ومن قال (دَيَوَانٌ) فهو بمنزلة (بَيْطَار) »^(٧٧).

٣ - أن تحتل النون الأصالة والزيادة بحسب المعنى

وهنا يجوز الصرف وعدمه بحسب الاحتمالين، ويكثر ذلك فيما إذا كان قبل الألف والنون حرفان ثانيهما مُضْعَفٌ^(٧٨)، نحو : حَسَّان، إن جعلته من الحِسِّ فوزنه

(٧٥) أوضح المسالك ٤ : ١٢٥، وابن خروف، علي بن محمد. شرح جمل الزجاجي. تحقيق د. سلوى محمد عرب، مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ط الأولى، ١٤١٩هـ. ٢ : ٩٠٦.

(٧٦) انظر جمع الهوامع ١ : ١٠٧ - ١٠٨.

(٧٧) الكتاب ٣ : ٢١٨.

(٧٨) انظر جمع الهوامع ١ : ١٠٧ - ١٠٨.

(فَعْلَان) فلا ينصرف، أو من الحُسْن، فوزنه (فَعَّال) فينصرف، وكذا (حَيَّان) هل هو من الحياة أو الحَيْن ؟

ومنه ما أورده سيبويه بقوله : « وَإِذَا سَمَّيْتَ رَجُلًا : طَحَّان، أو سَمَّان (من السمن)، أو تَبَّان (من التَّبَن)، صَرَفْتَهُ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنَّكْرَةِ ؛ لِأَنَّهَا نَوْنٌ مِنْ نَفْسِ الْحَرْفِ، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ دَالِ (حَمَّاد) »^(٧٩). ومن الأمثلة التي أوردها أيضاً : دِهَقَّان (من التَّدَهَّقُن، أو من الدَّهَق)، وَشَيْطَان (من التَّشْيِطُن أو من شَيْط) ^(٨٠).

وقال ﷺ لوفد من جُهَيْنَةَ : « من أنتم ؟ قالوا : نحن بنو غِيَّان، فقال ﷺ : أنتم بنو رَشْدَان، وكان اسم واديههم غَوَّى فسمَّاه رسول الله ﷺ رُشْدًا » ^(٨١).

فقضى ﷺ باشتقاقه من الغيِّ، مع احتمال أن يكون مشتقاً من الغَيْن ^(٨٢).

٤ - أن تُجهل أصالة النون أو زيادتها

حكمه أن يُقضى بزيادة النون فيه إلى أن يقوم دليل على خلاف ذلك.

وذلك نحو التسمية بـ (رُمَّان)، فالخليل وسيبويه لا يصرفانه ويحكمان على الألف والنون بالزيادة حملاً على الأكثر، وأبو الحسن يصرفه ويحملها على أنها أصل، وحجته أنه كثر في النَّبَات (فَعَّال)، كـ (سُمَّاق) و (حُمَّاض) و (عُنَّاب) ^(٨٣).

تصغيره

(٧٩) الكتاب ٣ : ٢١٧.

(٨٠) الكتاب ٣ : ٢١٨.

(٨١) الزهري، محمد بن سعد. الطبقات الكبير. تحقيق د. علي محمد عمر، القاهرة : الخانجي، ط الأولى،

٢٨٧ هـ - ١٤٢١.

(٨٢) والعَيْنُ هُوَ الْعَيْنُ أَوْ الْعَطَشُ. انظر الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،

بيروت : دار العلم للملايين، ط الثالثة، ١٤١٤ هـ. (غين) ٦ : ٢١٧٥.

(٨٣) انظر الأصول في النحو ٢ : ٨٥ - ٨٧، والتكملة : ٥٠٤، وشرح المفصل ١ : ٦٧.

إن وقعت الألف والنون زائدتين بعد ثلاثة أحرف فإنها تُصَغَّرُ على وزن (فُعِيل)، دون أنْ تُحذف الألف والنون، ودون أنْ تُكسَّر ما بعد ياء التصغير^(٨٤)، ويعاملُ الاسمُ حينئذٍ معاملة الاسم الثلاثي. فنقول في (حَمْدان) : (حُمَيْدان)، وفي (عَدْنان) : (عُدَيَّان).

وإن وقعتا زائدتين بعد أربعة أحرف فإنها تُصَغَّرُ على وزن (فُعِيل)، ويعامل الاسم حينئذٍ معاملة الاسم الرباعي، دون قلب الألف ياءً أو حذف شيءٍ من حروفها^(٨٥). فنقول في مَنْ اسمه (زَعْفَران، وَأَصْبَهان، وَأَقْحَوَانَة) : (زُعَيْفِران، وَأُصَيِّبهان، وَأُقَيِّحِيَانَة).

ومثل ذلك : حَمْدان، وَمَرْوان، وعَدْنان، وَغَيْلان، وعُمُران، وعُثْمان، وَغَطَفان، وَصَفْوان، وَسَعْدان، ومُرْجَان.

وإن كانت النون أصليةً، فإنه يُكسَّر ما بعد ياء التصغير^(٨٦)، فيقال في (بَيان، وَرَزَّان، وَبَنان، وَرَوَّان، وَسُلْطان) : (بُيَّين، وَرُزَّيْن، وَبُنَيْن، وَرُؤَيْن، وَسَلْيَطِين)، وقلبت الألفُ واواً هنا لوقوعها ثالثة، ثم قُلِبَت الواو ياءً لمناسبة ياء التصغير والكسرة، ثم أَدغمت الياء في الياء.

أحكام صرفية أخرى

أما في التَّسْبِبة إلى ما آخره ألف ونون زائدتان فإنهما لا يُحذفان، فيقال في (عدنان) : (عدنانيّ)، وفي (همدان) : (هَمدانيّ).

وكذلك في جمعه جمع مؤنثٍ سالماً، فيقال في (وُجْدان) علم على فتاة : (وُجْدانات).

(٨٤) انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضي ١ : ١٩٦، وجمع الهوامع ٣ : ٣٤٣.

(٨٥) انظر الكتاب ٣ : ٤٢٤، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١ : ٢٠٠، وجمع الهوامع ٣ : ٣٤٥.

(٨٦) انظر جمع الهوامع ٣ : ٣٤٣.

وكذلك في جمعه جمع مذكر سالماً، فيقال في (عدنان، وسرحان، وضبعان، وسُلطان، وعُثمان، ومروان، وعُربان) : (عدنانون، وسرحانون، وضبعانون، وسُلطانون، وعُثمانون، ومروأئون، وعُربانون) ^(٨٧).

التسمية بما خُتم بلواحق التأنيث

التعريف بلواحق التأنيث

لواحق التأنيث ثلاثٌ : تاءُ التأنيث، والألفُ المقصورة، والألفُ الممدودة، وهي كما يأتي :

تاءُ التأنيث : هو حرف يلحق آخر الاسم للدلالة على تأنيثه، يُقْلَبُ في الوقف هاءً.

وقد اختلف النُّحاة في التاء والهاء أيهما الأصل، فمذهب سيبويه والبصريين أنَّ التاء أصلُ والهاء بدلٌ عنها، قال سيبويه : « وأما الهاء فتكون بدلاً من التاء التي يُؤنَّثُ بها الاسم في الوقف، كقولك : هذه طَلْحَة » ^(٨٨). ويرى الكوفيون أنَّ الهاء أصلُ ^(٨٩).

والراجحُ — كما قال ابنُ يَعِيش ^(٩٠) — مذهبُ البصريين، بدليل أنَّ الوصلَ مما تجري فيه الأشياء على أصولها، والوقف من مواضع التغيير.

ويرى أ.د. خالد بسندي أنَّ جميع علامات التأنيث ترجع إلى علامة واحدة هي التاء المبدلة هاءً عند الوقف، ووضَّح ذلك بأنَّ التاء عند الوقف تقلب هاءً، والفارق بين الهاء والألفِ المقصورة المدة الزمنية الخاصة بنطق كلٍّ منهما، فمثلاً (دعوة)

(٨٧) انظر شرح كتاب سيبويه ٤ : ١٥٣.

(٨٨) الكتاب ٤ : ٢٣٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٥ : ٨٩.

(٨٩) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٥ : ٨٩.

(٩٠) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٥ : ٨٩.

و(دعوى) الهاء صورة صوتية تقل مدتها في النطق عن الإطلاق الموجود في الألف، إذا فالألف ترجع في أصلها إلى الهاء المبدلة تاءً.

وأما الألف الممدودة فهي فرعٌ عن الألف المقصورة^(٩١)، فالهمزة التي هي علامة التأنيث لا الألف قبلها مبدلةٌ من الألف المقصورة؛ فلما اجتمع ألفان ساكنان، الأولى للمد والثانية للتأنيث، حُرِّكت الألف الثانية فقلبت همزةً وجوباً^(٩٢).

وخلَصَ أ.د. بسندي إلى أنَّ الهمزة بدلٌ من الألف بنصِّ كلام الصرفيين، والألف بدلٌ من الهاء، والهاء مبدلة من التاء في حال الوقف، إذا فالتاء هي الأصل، والألف، والهمزة فرعان عنها.

ويَتَضَحُّ ذلك في اللهجات المعاصرة، فنحن نقول في (فاطمة) : (فاطمة)، ونقول في (سلمى) : (سَلْمَة)، ونقول في (حمراء) : (حَمْرَة)، وهكذا نرى أنَّ كل العلامات تحولت إلى علامة واحدة هي الهاء المنقلبة عن التاء^(٩٣). ورأيه حريٌّ بالنظر. وليست كل تاء تلحق آخر الاسم تكون للتأنيث، فالتاء - لغير التأنيث - عشرة أنواع^(٩٤) :

- ١ - لتمييز الواحد من الجنس، نحو : تمر وتمررة.
- ٢ - لتمييز الجنس من الواحد، نحو : كمء وكماء.
- ٣ - للمبالغة، نحو : راوية.

(٩١) انظر مع الهوامع ٣ : ٢٩٠.

(٩٢) انظر الكتاب ٣ : ٢١٣، وابن جني، أبا الفتح عثمان. المنصف. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، ط الأولى، ١٣٧٣ هـ. ١ : ١٥٥.

(٩٣) انظر بسندي، د. خالد عبد الكريم. الزيادة ومعانيها في الأبنية الصرفية في ديوان طفيل الغنوي. الرياض : مركز حمد الجاسر، الأولى، ١٤٣٠ هـ. ص : ١٢٤ - ١٢٧.

(٩٤) انظر مع الهوامع ٣ : ٢٩٠ - ٢٩١.

- ٤ - لتأكيد المبالغة، نحو : علّامة.
 - ٥ - لتأكيد التأنيث، نحو : نَعْجَة، ناقة.
 - ٦ - لتأكيد الجمع، نحو : حِجَارَة، فُحولة.
 - ٧ - لتأكيد الوحدة، نحو : ظُلْمَة، غُرْفَة.
 - ٨ - للتعريب، نحو : كِيَالِجَة، مُوَارِجَة.
 - ٩ - للدلالة على النسب، نحو : المهالبة، الصقالية، الأشاعنة.
 - ١٠ - للتعويض، نحو : عِدَة، لُغَة، تَزْكِيَة.
- أما الاسم المقصور^(٩٥) : فهو الاسم المُعْرَب الذي آخره ألف لازمة.
- فَخَرَجَ بـ (الاسم) الفعل والحرف، نحو : مشى، إلى. وخرج بـ (المُعْرَب) المَبْنِيُّ، نحو : أنا، وهذا. وخرج بـ (لازمة) الأسماء الخمسة أو الستة في حالة النصب، والمثنى في حالة الرفع.

وليست كل ألف مقصورة للتأنيث، فالألف المقصورة أربعة أنواع :

- ١ - أصليّة منقلبة عن ياء أو واو، نحو : هُدَى، ندى، سَمَا.
- ٢ - زائدة للإلحاق، نحو : أرطى، مِعْزَى، حَبْنَطَى، سَرْنَدَى.
- ٣ - زائدة لتكثير اللفظ، نحو : قَبَعْتَرَى.
- ٤ - زائدة للتأنيث، نحو : لَيْلَى، سَلْوَى، سُعْدَى، سُلَيْمَى^(٩٦).

(٩٥) خصّص العلماء للمقصور والممدود عدداً من المؤلفات والرسائل التي حصروا فيها أنواعهما، وأوزانهما، وطرائق التعامل معهما من حيث الصرف وعدمه، ومن ذلك : **المقصور والممدود** للفرّاء، تحقيق عبد الإله نبهان ومحمد خير البقاعي، دار قتيبة، ط ١٤٠٣هـ، و**المقصور والممدود** لابن السكيت، تحقيق د. محمد محمد سعيد، مصر : الأمانة، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، و**المقصور والممدود** لأبي علي القالي، تحقيق د. أحمد عبد المجيد هريدي، مصر : الخانجي، ط الأولى، ١٤١٩هـ. وغير ذلك.

ومحور دراستنا هو النوع الرابع، فألفه هي المسماة بألف التأنيث المقصورة، أما ما قبلها من أنواع فليست بألف تأنيث، وإن سُمِّي بها اسم مؤنث فإنه يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث، لا لوجود الألف المقصورة في آخره، وذلك نحو: هُدى، رنا، مُنى، سَمَا.

أما الاسم الممدود: فهو الاسم العرب الذي آخره همزة قبلها ألف زائدة. فخرج بـ (الاسم) الفعل، نحو: جاء، استاء. وخرج بـ (ألف زائدة) ما كانت ألفه أصلية، نحو: ماء، داء.

وليست كل ألف ممدودة للتأنيث، فالألف الممدودة أربعة أنواع:

١ - أصلية، نحو: قراء، خطاء.

٢ - أصلية منقلبة عن ياء أو واو، نحو: بناء، سماء.

٣ - زائدة للإلحاق، نحو: غلباء، وحرباء.

٤ - زائدة للتأنيث، نحو: شيماء، ميساء، غيداء، حسناء، زكرياء^(٩٧).

ومحور دراستنا هو النوع الرابع، فألفه هي المسماة بألف التأنيث الممدودة، أما ما قبلها من أنواع فليست بألف تأنيث، وإن سُمِّي بها اسم مؤنث فإنه يُمنع من الصرف للعلمية والتأنيث، لا لوجود الألف الممدودة في آخره، وذلك نحو: سماء، هداء.

وقد تُلحق لواحق التأنيث أسماء الذكور^(٩٨)، نحو: حمزة، وطلحة، وطلعت، ومِدحت، وعزّت، ومُصطفى، ومُرتضى، وزكرياء، وعاديا. وسمّى الصرفيون هذا النوع بالمؤنث اللفظي.

(٩٦) انظر السجستاني، أبا حاتم سهل بن محمد. المذكر والمؤنث. تحقيق د. حاتم الضامن، دمشق: دار الفكر،

ط الأولى، ١٤١٨هـ، ص: ٤٠، وشرح المفصل لابن يعيش ٦: ٣٧، وجمع الهوامع ٣: ٣٠٦.

(٩٧) انظر المذكر والمؤنث للسجستاني: ٤٢، شرح المفصل لابن يعيش ٦: ٣٨، وجمع الهوامع ٣: ٣٠٧.

إعراب الأسماء المختومة بلواحق التانيث

يُمْتَنَعُ صَرْفُ الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ الْمُتَّصِلَةِ بِهَا لَوَاحِقِ التَّانِيثِ كَيْفَمَا وَقَعَتْ، مُؤَنَّثَةٌ كَانَتْ أَوْ مَذَكَّرَةٌ^(٩٩).

وَأَقْصِدُ بِالْأَسْمَاءِ هُنَا : أَسْمَاءَ الرِّجَالِ، وَالْإِنَاثِ، وَالْدُولِ، وَالْمَدَنِ، وَالْمَنَاطِقِ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، وَلَا أَقْصِدُ الْاسْمَ بَعْمُومِهِ الَّذِي هُوَ قَسِيمُ الْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، مِنْ نَحْوِ : امْرَأَةٍ، وَجُرْأَةٍ، وَحَسَنَةٍ، فَإِنَّهَا تُصَرَّفُ وَإِنْ كَانَتْ مَخْتُومَةً بِالتَّاءِ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَعْلَامٍ، وَهِيَ لَيْسَتْ مَوْضِعَ دِرَاسَتِنَا هَذِهِ.

أَمَّا الْأَسْمَاءُ الْمُخْتُومَةُ بِالْوَاحِقِ التَّانِيثِ : الْأَلْفِ الْمُقْصُورَةِ وَالْأَلْفِ الْمُدَوَّدَةِ فَإِنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ كَيْفَمَا وَقَعَتْ، مَذَكَّرَةً أَوْ مُؤَنَّثَةً، مَعْرِفَةً أَوْ نَكْرَةً، مَفْرَدَةً أَوْ جَمْعاً، اسماً أَوْ صِفَةً.

أَمَّا إِنْ كَانَتْ الْوَاحِقَتَانِ الْأَلْفُ الْمُقْصُورَةُ وَالْأَلْفُ الْمُدَوَّدَةُ لَيْسَتَا لِلتَّانِيثِ، وَهُمَا زَائِدَتَانِ، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ التَّكَرَّاتِ اللَّاتِي لِحَقَّتْهَا إِحْدَى هَاتَيْنِ الْوَاحِقَتَيْنِ تُصَرَّفُ، وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ مَذَكَّرٌ فَإِنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَشَبَهِ التَّانِيثِ، وَإِنْ سُمِّيَ بِهَا أُنْثَى فَإِنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّانِيثِ، لَا لَوْ قَوَّعَ الْأَلْفُ الْمُقْصُورَةُ أَوْ الْمُدَوَّدَةُ فِي آخِرِهَا، وَمِثْلُ ذَلِكَ : أَنْ يَتَسَمَّى الْإِنَاثُ بِنَحْوِ : هُدًى، وَمَدًى، وَسَمَاءُ^(١٠٠).

وَإِنْ سُمِّيَ مُذَكَّرٌ بِالْأَعْدَادِ (ثَلَاثَ، أَوْ أَرْبَعَ) الَّتِي خَلَّتْ مِنْ عِلَامَةِ التَّانِيثِ، فَإِنَّهُ يُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّانِيثِ ؛ إِذِ الْأَعْدَادُ مِنَ (الثَّلَاثِ إِلَى الْعِشْرِ) مُؤَنَّثَةٌ، غَيْرُ

(٩٨) وَقَدْ تَلَحَّقَ صِفَاتُهُمْ، فَيُقَالُ : رَجُلٌ رُبْعَةٌ، وَرَجُلٌ عِيَايَاءٌ، وَرَجُلٌ زَيْغَرَى. انظر برهومة، عيسى. اللغة والجنس.

رام الله : دار الشروق، ط الأولى، ٢٠٠٢م. ص : ١٠٠.

(٩٩) انظر أوضح المسالك ٤ : ١١٦، ١٢٥.

(١٠٠) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١ : ٥٩ - ٦٠، وأوضح المسالك ٤ : ١٢٥.

أنه لا علامة تأنيث فيها^(١٠١)، وإن سُمِّيَ مُدَكَّرً بالْأَعْدَادِ (إحدى، أو ثلاثة، أو أربعة) التي خُتِمَتْ بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ، فَإِنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ أَيْضاً، لظهور العلامة فيها^(١٠٢).

طريقة تشيئها

عند تشيئة الاسم المختوم بتاء التأنيث لا تحذف هذه التاء، فيقال في (فاطمة) : (فَاطِمَتَانِ وَفَاطِمَتَيْنِ) وفي (طلحة) : (طَلْحَتَانِ وَطَلْحَتَيْنِ)، وفي (عزة) (عَزَّتَانِ وَعَزَّتَيْنِ).

ويُشَيَّ الاسم المقصور الثلاثي بقلب ألفه ياءً إن كان أصلها ياءً، فُتْشَيَّ (نَدَى) و(مَدَى) و(هُدَى) على (نَدَيَانِ وَنَدَيَيْنِ) و(مَدَيَانِ وَمَدَيَيْنِ) و(هُدَيَانِ وَهُدَيَيْنِ)، وَتُشَيَّ (مها) و(سما) على (مِهَوَانِ وَمِهَوَيْنِ) و(سَمَوَانِ وَسَمَوَيْنِ).

ويُشَيَّ الاسم المقصور الرباعي فأكثر بقلب ألفه ياءً، فُتْشَيَّ (سلوى) و(مصطفى) على (سَلَوِيَانِ وَسَلَوِيَيْنِ) و(مُصْطَفِيَانِ وَمُصْطَفِيَيْنِ)^(١٠٣).

ويُشَيَّ الاسم الممدود ببقاء همزته إن كانت أصليةً، فُتْشَيَّ (قراء) على (قُرَّاءَانِ وَقُرَّاءَيْنِ)، وإن كانت همزته مُنْقَلَبَةً عَنْ أَصْلٍ أَوْ مَزِيدَةٍ لِلْإِلْحَاقِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِي تَشْيِئِهَا إِبْقَاءُ الْهَمْزَةِ أَوْ قَلْبُهَا وَآواً، فُتْشَيَّ (سماء) على (سَمَاءَانِ وَسَمَاءَيْنِ) أَوْ (سَمَاوَانِ وَسَمَاوَيْنِ).

(١٠١) انظر المذكر والمؤنث للسجستاني : ٥١.

(١٠٢) انظر المذكر والمؤنث للسجستاني : ٥١ - ٥٢.

(١٠٣) انظر الكتاب ٣ : ٣٨٦ - ٣٩٠، والمقصور والممدود لابن السكيت : ٤٣ - ٤٤، وابن أبي الربيع،

عبيد الله بن أحمد. البسيط في شرح جمل الزجاجي. تحقيق د. عيَّاد الثبتي، بيروت : دار الغرب الإسلامي،

ط الأولى، ١٤٠٧هـ. ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨.

وسماوين)، وإن كانت همزته مزيدة للتأنيث فإنها تُقلبُ واواً، فُشَّي (هيفاء) على (هيفاوان وهيفاوين) ^(١٠٤).

وقال ابن أبي الربيع : لا يبعد أن يُقال : (قُراوان، وقُراوين) فتُقلبُ الهمزة واواً، لكنّه لا يُقاس عليه ولا يُحفظ، كما حُكي (حمراءان، وحمراءين)، لكنّ هذا لم يأت به الكتاب العزيز، ولا نطق به فصحاء العرب ^(١٠٥).
طريقة جمعها جمع مذكرٍ سالماً ^(١٠٦)

عند جمع الاسم المختوم بألف مقصورة جمع مذكرٍ سالماً فإنّ الألف تحذف منه مطلقاً ؛ لالتقاء الساكنين، فتقول

في (مُوسى، ويحيى، وزكريّا) : (مُوسَوْن، وَيَحْيَوْن، زَكْرِيَّوْن) في الرفع، و (مُوسَيْن، وَيَحْيَيْن، زَكْرِيَّيْن) في النصب والجر. ولو سُمِّي رجلٌ بـ (عصا) لجمع على (عَصَوْن، وعَصَيْن) ^(١٠٧).

ويُعامل الاسم الممدود عند جمعه جمع مذكرٍ سالمٍ كالثنائية، فإن كانت همزته أصليّة بقيت، فتجمع (قراء) على (قُراؤون وقُرائين)، وإن كانت همزته مُنقلبة عن أصلٍ أو مزيدة للإلحاق فإنه يجوز في تثنيته إبقاء الهمزة أو قلبها واواً، والإبقاء أولى، فتجمع (سماء) على (سماؤون وسمائين) أو (سماوون وسماوين)، وإن كانت همزته

(١٠٤) انظر الكتاب ٣ : ٣٩١ - ٣٩٢، والمقصود والممدود لابن السكيت : ٤٥ - ٤٦، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩.

(١٠٥) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩.

(١٠٦) يجوز جمع أسماء الرجال جمع مذكرٍ سالماً، ويجوز جمعه جمع تكسير، كما يجوز جمع أسماء الإناث جمع مؤنث سالماً، ويجوز جمعه جمع تكسير. انظر الكتاب ٣ : ٣٩٥. ولم أتطرق لجمع التكسير في بحثي هذا لعدم تعلّق التغيير باللاحقة، بل بوزن المفرد.

(١٠٧) انظر الكتاب ٣ : ٣٩٤، وشرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٥، وشرح الرضي على الكافية ٣ : ٣٧٠، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٢٥٣ - ٢٥٤.

مزيدة للتأنيث فإنها تُقْلَبُ واواً، فتجمع (هيفاء) على (هيفاوون وهيفاوين)^(١٠٨)، ومن أمثلة سيبويه قوله : (وَرَقَاوُون) جمع (وَرَقَاء) اسم رجل^(١٠٩).

أما العَلَمُ المختوم بتاء التأنيث، لرجل أو لأنثى، فإنه لا يُجْمَع هذا الجمع، فلا يجوز أن نقول فيمن اسمه : (طَلْحَة، أو سَلْمَة، أو جَبَلَة) : (طلحون، أو سلمون، أو جبلون)، بل يجمع بألف وتاء، فيُقال : طَلَحَات، وسَلَمَات، وجَبَلَات^(١١٠). وأجازه الكوفيون وابن كيسان، فقالوا : (طَلْحُون) بسكون العين، وابن كيسان يفتحها، قياساً على الجمع بالألف والتاء^(١١١). وردّ الرضي رأيهم لمخالفته الاستعمال والقياس^(١١٢).

طريقة جمعها جمع مؤنثٍ سالماً

عند جمع الاسم المختوم بتاء التأنيث، لذكر أو لأنثى، تحذف التاء، فيُقال في : (طَلْحَة، سَلْمَة، فاطمة) : (طَلَحَات، وسَلَمَات، وفاطمات). فإن كان المسمّى به ثلاثياً، مؤنثاً، سالم العين، ساكنها، ففي عين جمعه أحكام، وهي كالآتي :

- ١ - إن كان مفتوح الفاء، فيجب في عينه إتياع حركتها للفاء.
- نحو : طَلْحَة = طَلَحَات، رَنْدَة = رَنْدَات، حَمْدَة = حَمَدَات.

(١٠٨) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٢٥٤ - ٢٥٥.

(١٠٩) انظر الكتاب ٣ : ٣٩٥.

(١١٠) انظر الكتاب ٣ : ٣٩٤، والبسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٢٥٣، والتصريح بمضمون التوضيح ١ :

٦٧.

(١١١) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤ : ١٤٤.

(١١٢) انظر شرح الرضي على الكافية ٣ : ٣٧٢.

٢ - إن كان مضموم الفاء، ولامها ياء. فيجوز في عينه الفتح والتسكين، ولا يجوز الإتيان.

نحو : دُمِيَّة = دُمِيَّات، ودُمِيَّات.

٣ - إن كان مكسور الفاء، ولامها واو. فيجوز في عينه الفتح والتسكين، ولا يجوز الإتيان.

نحو : ذِرْوَةٌ = ذِرَوَات، ذِرَوَات.

٤ - إن كان غير ما سبق. فيجوز في عينه الفتح والتسكين وإتيان العين للفاء. نحو : رِفْعَةٌ = رِفْعَات، رِفْعَات، رِفْعَات. ومُزْنَةٌ = مُزْنَات، مُزْنَات، ومُزْنَات. وإن كان المسمى به رباعياً أو خماسياً، أو ثلاثياً معتل العين، أو ثلاثياً سالم العين متحركة، فيلزم في الجمع صورة المفرد. فيقال في (خَدِيجَةٌ، سَعْدِيَّة، نُورَةٌ، سَارَةٌ، سَلْمَةٌ) : (خَدِيجَات، سَعْدِيَّات، نُورَات، سَارَات، سَلَمَات) (١١٣).

عند جمع الاسم المختوم بألف مقصورة جمع مؤنث سالماً فإنَّ الألف تُقْلَبُ ياءً^(١١٤)، فيُقال في (سَلَمَى، دَالِيَا^(١١٥)، سَمَارَى) : (سَلْمِيَّات، ودَالِيَّيَّات، وسَمَارِيَّات).

ويُعَامَلُ الاسم الممدود عند جمعه جمع مؤنث سالم كالتثنية، فإن كانت همزته أصليَّة بقيت، فتجمع (قَرَأَ) على (قَرَأَات)، وإن كانت همزته مُنْقَلَبَةً عن أصلٍ أو مزيدة للإلحاق فإنه يجوز في تثنيته إبقاء الهمزة أو قلبها واواً، والإبقاء أولى،

(١١٣) انظر في المسألة شرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٧، ١٤٩، والحملاني، أحمد. شذا العرف. اعتنى

به د. عبد الحميد هندواي، بيروت : دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٩ هـ. ص : ١٢٩ - ١٣٠.

(١١٤) انظر شرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٤.

(١١٥) يسمى الإنثاء في عصرنا بهذا الاسم، ويختتمه بعضهم بالألف (داليا)، وبعضهم بالتاء المربوطة (دالية).

فتجتمع (سماء) على (سماءات وسموات)، وإن كانت همزته مزيدة للتأنيث فإنها تُقْلَبُ واواً^(١١٦)، فنجمع (هيفاء) على (هيفاوات).

طريقة تصغيرها

ما خُتِمَ من الأسماء بتاء التأنيث، أو ألف التأنيث الممدودة، فإنها تُعامل على نية انفصالهما، وكأنهما غير موجودين في الكلمة، ولا يُحذفان سواء قلَّ عدد حروف الكلمة أو كثر^(١١٧).

فنصغّر ما وقعت فيه تاء التأنيث أو ألف التأنيث الممدودة بعد ثلاثة أحرف فقط على وزن (فُعِيل)، وكأنّها من ثلاثة أحرف فقط، فيُقال في تصغير (نُورَة، وفُضَّة، وسارَة، وغُيْداء، وهُيْفاء، ونُجْلَاء) : (نُورَة، وفُضِيْضَة، وسُورَة، وغُيِيْداء، وهُيِيْفَاء، ونُجِيْلَاء)^(١١٨).

ويُصغّر ما وقعت فيه تاء التأنيث أو ألف التأنيث الممدودة بعد أربعة أحرف على وزن (فُعِيْل)، وكأنّ اللاحقة غير موجودة، ودون أن تحذف لاحقة التأنيث، فيقال في تصغير (مُنيرة، وجَوْهَرَة، وجُلُولاء، وبرَّاكاء، وقَرِيْشاء) : (مُنِيرَة، وجُويْهَرَة، وجُلِيْلَاء، وبُرِّيْكاء، وقَرِيْشاء)^(١١٩)، وهذا مذهب المبرّد^(١٢٠) في العلم الممدود؛ إذ لا

(١١٦) انظر شرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٤.

(١١٧) انظر شرح كتاب سيبويه للسرياني ٤ : ١٤٥.

(١١٨) انظر الكتاب ٣ : ٤٢٠، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ١٩٤، والتكملة : ٥٠٣.

(١١٩) انظر الكتاب ٣ : ٤٢٣، والأصول ٣ : ٤٠، وارتشاف الضرب ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠، ومع الهوامع ٣ :

٣٤٨.

(١٢٠) انظر المقتضب ٢ : ٢٦٠.

يحذف الألف أو الواو أو الياء، أما سيبويه فيحذفها، فيقول : (جُلَيْلاء، وُبرِيكاء، وُقُرَيْثاء)، إذ يجعل الألف الممدودة بمنزلة حروف الاسم الأصلية^(١٢١).

وجوز ابن الأنباري أن تحذف ألف التانيث الممدودة عند وقوعها بعد أربعة أحرف، وتعوّض منها التاء قياساً على المقصورة^(١٢٢)، فيقال : (عُويْدِيَّة) و (بُويْقَلَة) و (بُرَيْسَة).

أمّا ما خُتم بألف التانيث المقصورة فإن كانت الألف بعد ثلاثة أحرف فقط، فإنها تعامل على نية الانفصال أيضاً، فتُصَغَّر على وزن (فُعِيل)، فنقول في تصغير (سَلَمَى) و (سُعْدَى) و (بُشْرَى) : (سَلَيْمَى) و (سُعَيْدَى) و (بُشَيْرَى)^(١٢٣).

وإن كانت بعد أربعة أحرف فإنها تحذف^(١٢٤)، فتُصَغَّر (قُرْقَرَى) على (قُرَيْقِر)، إلا إن كان قبل الحرف الأخير ألف فيجب حذف إحدى الألفين ثم تصغير الاسم، فتُصَغَّر (حُبَارَى) على (حُبَيْرَى) بعد حذف الألف الأولى، و (حُبَيْر) بعد حذف الألف الثانية، ويعوّض أبو عمرو بن العلاء^(١٢٥) بتاء عن الألف المحذوفة فيقول : (حُبيرة)^(١٢٦)، وإن كان المسمى بها رجلاً فقد نص سيبويه على تصغيرها على (حُبَيْر) بحذف

(١٢١) انظر الكتاب ٣ : ٤٤٠.

(١٢٢) انظر شرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٤٤، وجمع الهوامع ٣ : ٣٤٨.

(١٢٣) انظر الكتاب ٣ : ٤١٨، والأصول ٣ : ٤٠، والتكملة : ٥٠٢.

(١٢٤) انظر الكتاب ٣ : ٤١٩، والأصول ٣ : ٤٠، والتكملة : ٥٠٢، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٤٥،

وارتشاف الضرب ١ : ٣٦٨.

(١٢٥) انظر الكتاب ٣ : ٤٣٧، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٤٤.

(١٢٦) انظر الأصول ٣ : ٤٧، والتكملة : ٥١٠، وشرح شافية ابن الحاجب ١ : ٢٥٦ - ٢٥٧، وجمع الهوامع

٣ : ٣٤٧.

الألفين. قال : « وإن حَقَّرت رجلاً اسمه (مَهَارِي) أو رجلاً اسمه (صَحَارِي) كان (صُحَيْر) و (مُهِير) أحسن ؛ لأنَّ هذه الألف لم تجئ للتأنيث... » ^(١٢٧).

وتُصَغَّر أسماء الأعلام الثلاثية المؤنثة التي لا علامة تأنيث لها بإلحاق تاء التأنيث في آخرها ^(١٢٨)، فتُصَغَّر (نَدَى، نُهى، مُنى، رُوى، شَذى، رَشَا) ^(١٢٩) على (نُدَيَّة، نُهَيَّة، مُنَيَّة، رُؤَيَّة، شَذَيَّة، رُشَيَّة).

طريقة التَّسَبُّب إليها

إن كانت اللاحقة للاسم تاء التأنيث فإنها تُحذف لأجل ياء النسب، ويُكسَر ما قبلها ^(١٣٠)، فيقال في (عَزَّة، نُورَة، فَاطِمَة، حَمْزَة، مَكَة، السُّعُودِيَّة) : (عَزَيّ، نُورِيّ، فَاطِمِيّ، حَمْزِيّ، مَكِّيّ، سُّعُودِيّ).

وإن كانت اللاحقة الألف المقصورة فإن وقعت ثالثة قلبت واواً، فيقال في (نَدَى) : (نَدَوِيّ)، وفي (مَدَى) : (مَدَوِيّ)، ومن أمثلة سيبويه : « وفي رجل اسمه (حَصَى) : (حَصَوِيّ) » ^(١٣١).

وإن وقعت رابعةً في علم ساكن الوسط جاز حَذْفُها، أو قلبها واواً، أو قلبها واواً مع زيادة ألف قبلها، والطريقة الأولى هي الأحسن كما عبّر سيبويه ^(١٣٢) بذلك.

(١٢٧) الكتاب ٣ : ٤٣٨، وانظر ارتشاف الضرب ١ : ٣٦٨.

(١٢٨) انظر همع الهوامع ٣ : ٣٤٧.

(١٢٩) الألف اللاحقة لهذه الأسماء أصلية، وليست للتأنيث، وتحدّث عنها تنمة لمسائل الباب.

(١٣٠) انظر الأصول ٣ : ٦٨، والتكملة : ٢٦٥، وهمع الهوامع ٣ : ٣٥٥.

(١٣١) الكتاب ٣ : ٣٤٢، وانظر الأصول ٣ : ٦٥.

(١٣٢) الكتاب ٣ : ٣٥٢.

فَنَقُولُ : (سَلْمِيَّ وَسَلْمَوِيَّ وَسَلْمَاوِيَّ) فِي (سَلْمَى)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ سَيَبِيهِ : (دُنْيَاوِيَّ، وَدَهْنَاوِيَّ، وَدِفْلَاوِيَّ) فِي (دُنْيَا، وَدَهْنَا، وَدِفْلَى) ^(١٣٣).

وإن كان مُتَحَرِّكُ الْوَسْطِ وَجِبَ حَذْفُهَا، فَيَقَالُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى نَهْرٍ بَرَدَى : (بَرَدِيَّ)، وَإِلَى جَمَزَى : (جَمَزِيَّ)، وَعَلَّلَ سَيَبِيهِ ذَلِكَ بِأَنَّهَا ثَقُلَتْ بِتَتَابُعِ الْحَرَكَاتِ فَأَشْبَهَتْ الْخَمَاسِيَّ، فَوَجِبَ حَذْفُهَا ^(١٣٤).

وإن وقعت خامسةً وجِبَ حَذْفُهَا؛ فَيَقَالُ : (مُصْطَفِيَّ) فِي (مُصْطَفَى)، وَ (سُلَيْمِيَّ) فِي (سُلَيْمَى)، وَ (فَرَنْسِيَّ) فِي (فَرَنْسَا)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ سَيَبِيهِ : (حُبَارِيَّ، جُمَادِيَّ، قَرْقَرِيَّ) فِي (حُبَارَى، وَجُمَادَى، وَقَرْقَرَى) ^(١٣٥).

وإن كانت اللاحقة الألف الممدودة فإنها تُعْطَى الْأَحْكَامُ نَفْسُهَا الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهَا حَالُ التَّنْيَةِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ بَقَاءُ هَمْزَتِهِ إِنْ كَانَتْ أَصْلِيَّةً، فَيُنْسَبُ إِلَى (قُرَاءَ) : (قُرَائِيَّ)، وَإِنْ كَانَتْ هَمْزَتُهُ مُنْقَلَبَةً عَنْ أَصْلٍ أَوْ مَزِيدَةٍ لِلْإِلْحَاقِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِي النِّسْبَةِ إِلَيْهَا إِبْقَاءُ الْهَمْزَةِ أَوْ قَلْبُهَا وَآوًا، فَيُنْسَبُ إِلَى (سَمَاءَ) : (سَمَائِيَّ وَسَلْمَاوِيَّ)، وَإِنْ كَانَتْ هَمْزَتُهُ مَزِيدَةً لِلتَّأْنِيثِ فَإِنَّهَا تُقَلَّبُ وَآوًا، فَيُنْسَبُ إِلَى (هَيْفَاءَ) : (هَيْفَاوِيَّ) ^(١٣٦). وَمِنْ أَمْثَلَةِ سَيَبِيهِ : (حَرْمَلَاوِيَّ، حُخْنَفَسَاوِيَّ، زَكْرِيَّآوِيَّ) فِي (حَرْمَلَاءَ، وَخُنْفَسَاءَ، زَكْرِيَّآءَ) ^(١٣٧). وَذَكَرَ السَّجِسْتَانِيَّ ^(١٣٨) أَنَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَرَبِ مَنْ لَا يَقْلِبُ أَلْفَ التَّأْنِيثِ الْمَمْدُودَةَ وَآوًا، فَيَقُولُ : (هَيْفَائِيَّ، وَهَيْفَاءَانَ). وَنَقَلَ السَّيُوطِيُّ : إِنَّهُ قَلِيلٌ رَدِيءٌ ^(١٣٩).

(١٣٣) انظر الكتاب ٣ : ٣٥٢ - ٣٥٣، والأصول ٣ : ٧٤، والتكملة : ٢٦٥.

(١٣٤) انظر الكتاب ٣ : ٣٥٢ - ٣٥٣، والأصول ٣ : ٧٥.

(١٣٥) انظر الكتاب ٣ : ٣٥٤، والأصول ٣ : ٧٥، والتكملة : ٢٤٧، وجمع الهوامع ٣ : ٣٥٩ - ٣٦٠.

(١٣٦) انظر المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني : ٣٧، والتكملة : ٢٦٢، وجمع الهوامع ٣ : ٣٦٠.

(١٣٧) الكتاب ٣ : ٣٥٥، ٣٥٧.

(١٣٨) انظر المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني : ٣٧.

خاتمة

وفي نهاية بحثي هذا أخلص إلى الآتي :

- ١ - لقد عرض النحويون في مصنفاتهم بالتفصيل لطرائق التعامل مع أسماء الأعلام المقترنة بها اللواحق ، وهي الأسماء المقترنة بها لواحق التشية ، وجمع المذكر والمؤنث السالمين ، والتأنيث ، والألف والنون الزائدتان.
- ٢ - كان تعاملهم مع هذه المسميات متفرقاً في أبواب عدّة صرفيّة ونحوية ، فمثلاً في التسمية بالمشي نجد أن النحاة يبينوا أحكام ذلك في باب المشي وإعرابه ، وفي باب التصغير ، وفي باب النسب ، وفي باب الجمع.
- ٣ - كثير من أحكام النحاة كانت واضحة في تغيّر الحكم بين الأسماء المتصلة باللواحق والعلم المسمى به ، فتارة يُنظر إلى أصل العلم فيفرّق بين الاسم قبل التسمية وبعدها ، وتارة يُنظر إلى ما آل إليه فلا يُفرّق ، فمثلاً في النسبة إلى رجل اسمه (ظريفان) : نظر بعض النحاة إلى أن الاسم مثنى فعّد اللاحقة ليست من أصل الاسم فصغّره على (ظريفان) ولم يحذف ياء (ظريف) ، بينما نظر غيرهم إلى أن الألف والنون أصبحت من الكلمة نفسها فحذف منه الياء عند تصغيره فقال : (ظريفان).
- ٤ - تفاوتت أحكام النحاة بين التسمية بالعلم قديماً وما يُعامل به حديثاً ، فقد حكم النحاة بجواز إعراب العلم المثنى المسمى به بالحروف فيقال في (دولة البحرين) : هذه البحرين ، إلا أن هذه التسمية قد انقرضت في عصرنا ولم يُعد يُستخدم إلا (البحرين) بالياء فقط ، وكأنّ الياء جزءٌ من حروف الكلمة الأصليّة.
- ٥ - لم يكن بيان النحاة لأحكام ذلك ضرباً من الافتراض ، بل قد وجدت التسمية بها قديماً وحديثاً ، ومما سُمّي به في ذلك : البحرين ، وزيدان ، وعابدين ،

وفلسطين، وأذرعَات، وعَرَقات، وحمدان، وعدنان، وفاطمة، وحمزة، وسلوى، وزكريا، وشيماء.

٦ - إنّ موضوع هذا البحث من الموضوعات الحيويّة، كثيرة الاستخدام في حياتنا، لانتّصاله مباشرة بالعلم الذي يُسمّى به كل ما في هذا الكون، مما يضطر الباحث أو الكاتب إلى التدقيق فيه ومعرفته.

أسأل الله أن ينفع به، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

المراجع

- [١] ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيّان الأندلسي، تح د. رجب عثمان محمد، ط الخانجي بالقاهرة، الأولى، ١٤١٨هـ.
- [٢] الأصول في النحو : لابن السراج، تح د. عبد الحسين الفتلي، ط مؤسسة الرسالة ببيروت، الثالثة، ١٤١٧هـ.
- [٣] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لابن هشام الأنصاري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية ببيروت.
- [٤] البسيط في شرح جمل الزجاجي : لابن أبي الربيع، تح د. عياد الثبتي، ط دار الغرب الإسلامي ببيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.
- [٥] التصريح بمضمون التوضيح : للشيخ خالد الأزهرى، تح محمد باسل عيون السود، ط دار الكتب العلمية ببيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.
- [٦] التكملة : لأبي علي الفارسي، تح د. كاظم بحر المرجان، ط عالم الكتب ببيروت، الثانية، ١٤١٩هـ.

- [٧] جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين : لمحمد أمين بن فضل الله المحبي ، ط دار الآفاق الجديدة ببيروت ، ط الأولى ، ١٤٠١هـ.
- [٨] الزيادة ومعانيها في الأبنية الصرّية في ديوان الطُفيل الغنوي : للدكتور خالد عبد الكريم بسندي ، ط مركز حمد الجاسر بالرياض ، الأولى ، ١٤٣٠هـ.
- [٩] سر صناعة الإعراب : لابن جنيّ ، تح د. حسن هندأوي ، ط دار القلم بدمشق ، الأولى ، ١٤٠٥هـ.
- [١٠] شذا العرف في فن الصرف : لأحمد الحملاوي ، اعتنى به د. عبد الحميد هندأوي ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٤١٩هـ.
- [١١] شرح التسهيل : لابن مالك ، تح د. عبد الرحمن السيد و د. محمد المختون ، ط هجر بمصر ، الأولى ، ١٤١٠هـ.
- [١٢] شرح جمل الزجاجي : لابن خروف ، تح د. سلوى محمد عرب ، ط جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، الأولى ، ١٤١٩هـ.
- [١٣] شرح الرضي على الكافية : تح يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ببنغازي ، الثانية ، ١٩٩٦م.
- [١٤] شرح شافية ابن الحاجب : للرضي ، تح محمد نور الحسن وزميله ، ط دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤٠٢هـ.
- [١٥] شرح كتاب سيويه : لأبي سعيد الحسن السيرافي ، تحقيق أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، ط دار الكتب العلميّة ببيروت ، الأولى ، ١٤٢٩هـ.
- [١٦] شرح المفصل : لابن يعيش ، حققه محيي الدين عبد الحميد (ولم يُشر الطابع إلى ذلك) ، ط المنيرية ، د.ت.

[١٧] *الصاحبي* : لأحمد بن فارس، تح السيد أحمد صقر، ط عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، ١٩٧٧ م.

[١٨] *الصباح* : للجوهري، تح أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين ببيروت، الثالثة، ١٤١٤ هـ.

[١٩] *الطبقات الكبير* : للزهري، تح د. علي محمد عمر، ط الخانجي بالقاهرة، الأولى، ١٤٢١ هـ.

[٢٠] *الكتاب* : لسيبويه، تح عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية، ١٣٩٥ هـ.

[٢١] *اللغة والجنس* : للدكتور عيسى برهومة، ط دار الشروق برام الله، الأولى، ٢٠٠٢ م.

[٢٢] *المبهم في تفسير أسماء شعراء الحماسة* : لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق مروان العطية وشيخ الراشد، ط دار الهجرة ببيروت، الأولى، ١٤٠٨ هـ.

[٢٣] *مجالس العلماء* : لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي بالقاهرة، الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

[٢٤] *المذكر والمؤنث* : لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، تح د. حاتم الضامن، ط دار الفكر بدمشق، الأولى، ١٤١٨ هـ، من منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدمشق.

[٢٥] *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* : للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط دار التراث بالقاهرة، الثالثة.

[٢٦] *المسائل البصريات* : لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمد الشاطر أحمد محمد، ط المدني بمصر، الأولى، ١٤٠٥ هـ.

- [٢٧] المنصف : لابن جنّي، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط وزارة المعارف العمومية، الأولى، ١٣٧٣ هـ.
- [٢٨] معجم البلدان : لياقوت الحمّوي، ط دار صادر بيروت، ١٣٩٧ هـ.
- [٢٩] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عُبيد البكري، تح مصطفى السّقا، ط عالم الكتب بيروت.
- [٣٠] المفصل في صناعة الإعراب : للزمخشري، ط دار الجيل بيروت، الثانية، د.ت.
- [٣١] المقتضب : للمبرد محمد بن يزيد، تح محمد عبد الخالق عضيمة، ط الأهرام بالقاهرة، ١٤١٥ هـ.
- [٣٢] المقصور والممدود : لابن السكيت، تح د. محمد محمد سعيد، ط الأمانة بمصر، الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- [٣٣] المقصور والممدود : لأبي علي القالي، تح د. أحمد عبد المجيد هريدي، ط الخانجي بمصر، الأولى، ١٤١٩ هـ.
- [٣٤] المقصور والممدود : للفرّاء، تح عبد الإله نبهان ومحمد خير البقاعي، ط دار قتيبة، ١٤٠٣ هـ.
- [٣٥] معجم الهوامع : لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٤١٨ هـ.

Noun- Suffixed Proper Names in Arabic: A morpho- Syntactic Study

Dr. Yousef M. Fajjal

*Associate professor in linguistics
King Saud University*

Abstract. The social needs require that every single body must have a name that defines it, shows what it is, and distinguishes it from others, and also includes a number of meanings and features. Hence, this field of study is rich and closely related to the real life of all nations and people.

The grammarians made a great effort in terms of studying nouns with their various kinds. They also wrote many chapters to identify how to deal with them in details. They also assumed many assumptions which are really occurred in our contemporary world.

One of the topics that were dispersed in the traditional books of grammar with variation in their uses and premises in the present time is "Naming Attached with Suffixes". This paper reviews the grammarians' discussion in this regard, extrapolates their arguments, as well as judging these views. This paper also answers many questions that frequently repeated about how to deal with these names in terms of their grammatical analysis, dual, plural, minimization, and so on.

العدول عن أصل وضع الجملة بالحذف في سورة " المؤمنون " وأثره في المعنى

د. محمد عبدالله هزائمة

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية العلوم والآداب بعبينة

جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. يدور هذا البحث حول العدول عن أصل وضع الجملة بالحذف في سورة " المؤمنون " وأثره في المعنى، لما في العدول عن الأصل من تأثير في سمو المعنى المنشود. وجاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومتم، وخاتمة. في المقدمة قدّم الباحث لبحثه مبيناً أهدافه، ومنهجه، حيث تتبع مواضع العدول عن الأصل التي وقعت في سورة " المؤمنون ". وفي التمهيد عرّف بمصطلحات البحث: الجملة، والعدول، والحذف، وألوانه، كحذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الحرف، أيضاً ضمّن بعضها بعض الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع. وفي المتم صنف الباحث الموضوعات التي وقع فيها عدول عن الأصل، مبيناً القاعدة النحوية الأصل، وكيف عُدل عن تلك القاعدة، والمعنى الذي يأتي من ذلك العدول. وفي الخاتمة لخص الباحث ما تبينته في البحث من أهمية العدول عن الأصل في إظهار المعنى.

مقدمة

جرت العادة في العربية أن يأتي الكلام على أصل محدد وُضع له وفق نط تركيبي^١ معين، ليؤدي بذلك النمط المعنى المطلوب، ولكن يتطلب الأمر - أحياناً - أن يُقدم هذا النمط التركيبيّ دلالة أبلغ وأعمق مما هو ظاهر في التركيب، وقد لا تتحقق هذه الدلالة باستعمال النمط الأصل، فيُضطر إلى العدول عن هذا الأصل ليتحقق المعنى المقصود. وهذا ما يحاول البحث إبرازه في الصفحات القادمة. وذلك من خلال تطبيق ذلك على سورة "المؤمنون"؛ وهي سورة مكيّة تدور حول محور تحقيق الوحدانية، وإبطال الشرك، ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، وتُبرز الفضائل الروحية والعملية التي تُزكّي النفس وتجعل السلوك مستقيماً.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد ومتن وخاتمة، فبعد التقديم، يأتي التمهيد ليُعرف الباحث ببعض مصطلحات البحث، كالجملة والعدول والحذف وألوان الحذف، كحذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الحرف، كذلك التعريف بأبرز الدراسات السابقة التي بحثت في الموضوع. ويختلف هذا البحث عن هذه الدراسات في أنه يحاول أن يُبين الأثر الدلالي للعدول في كل موضع من مواضعه، أمّا الدراسات السابقة فمعظمها كان يعرض لهذا الأمر عرضاً وصفيّاً فهو أقرب ما يكون إلى التصنيف والفهرسة لهذه الجوانب. ثم يأتي متن البحث، ويتناول المواضع التي وقع فيها عدول عن الأصل بالحذف. حيث قام الباحث بتتبع آيات سورة "المؤمنون"، ثم رصد الجمل التي وقع فيها عدول بالحذف، وصنّفها بحسب موضوعات النحو، حيث جاءت في ستة موضوعات، هي: حذف المبتدأ، وحذف المفعول به، وحذف المنعوت، وحذف الشرط، وحذف جواب الشرط، وحذف حرف النداء، وقد حاول الباحث في كل موضع

إبراز الأثر الذي أحدثته العدول عن الأصل في المعنى. وفي الخاتمة لخص الباحث ما تبين من أثر للعدول عن الأصل في إظهار المعنى المقصود.

التمهيد

الجملة

حين رأى النحاة أن الجملة لا تبدو - دائماً - على غط تركيبى واحد، اقترحوا لها أصلاً نمطياً، تخرج عنه بالزيادة والحذف والإضمار والاستتار إلخ، وسموا أصل الحرف وأصل الكلمة باسم جامع هو "أصل الوضع"، ثم رأوا أن القواعد المستنبطة تحتمل بعض الاستثناء، فكان عليهم أن يшиروا إلى ذلك؛ للتفريق بين القاعدة الأولى وما استثنى منها، فتسمى الأولى: "القاعدة الأصلية" ويُسمى الاستثناء: "القاعدة الفرعية" ^(١)..

وهذا النمط عند النحاة نوعان: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية؛ كما تقضي طبيعة الإسناد، أي على أساس وضع المسند في الجملة، ونوع الكلمة التي تقوم به، فإذا كان المسند متأخراً عن المسند إليه، فالجملة لابد أن تكون اسمية، أيًا كان نوع المسند، وإذا تقدم المسند، وكان فعلاً، كانت الجملة فعلية ^(٢)، وكل ركن

(١) تمام حسان، الأصول، دراسة ايبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي، (دار الثقافة، الدار البيضاء،

١٩٩١م)، ص ١٢٣

(٢) محمد حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، (دار الشروق، م.د، ١٩٩٦م)، ص ٣١، ٣٢

من هذين الركنين عمدة لا تقوم الجملة إلا به، وما عدا هذين الركنين مما تشتمل عليه الجملة، فهو فضلة، يمكن أن يستغني عنه تركيب الجملة^(٣).

أما ابن هشام فكان له رأي آخر في تقسيم الجملة، فهي اسمية وفعلية وظرفية؛ فالاسمية: هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، والفعلية: هي التي صدرها فعل، كقام زيد، أما الظرفية: فهي المصدرة بظرف أو جار ومجرور، نحو "أعندك زيد" و "أفي الدار زيد" إذا قدرت (زيداً) فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأً مُخبرٌ عنه بهما^(٤).

والجملة كلام، والكلام، هو كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه^(٥) وهي مجموعات مكونات مباشرة، تنعقد حسب سمات تركيبية متماثلة، متكاملة محكمة، تقع في صورة متواليات من الوحدات البنوية، والعلاقات التي تمكن

المتكلم من بناء المقصد الدلالي في شكل لغوي مفيد^(٦)، فأكبر القواعد الأصلية على الإطلاق قاعدة الإفادة؛ أي قاعدة أمن اللبس^(٧) فهذا هو أصل الوضع بالنسبة إلى الجملة.

(٣) تمام حسان، الأصول، ص ١٣٨.

(٤) ابن هشام، مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه: زكي مبارك، محمد حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢)، ص ٩٢.

(٥) ابن جني، الخصائص، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م)، ج ١، ص ١٨.

(٦) المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، سلسلة اللسانيات، (منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، مجلد ٢، ١٩٩١م)، ص ١٣.

(٧) تمام حسان، الأصول، ص ١٤٠.

العدول

ثمة أسباب متعددة قد تتوارد نظام الجملة العربية فتؤدي إلى العدول عن الأصل، وتفضيل الفرع، منها: إرادة أمن اللبس، الذي قد يكون مع الاستصحاب، فالمبتدأ في اللغة العربية (وفي اللغات الأخرى كذلك) هو ما عبّر عنه ابن مالك بقوله: "وإن بشكل خيف لبس يجتنب"، مثال ذلك، أن القاعدة الأصلية تجعل المبتدأ متقدماً على الخبر، ولكن يحدث أحياناً أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على لفظ يشتمل عليه الخبر، فلو استصحبنا هذا الأصل لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، ولأدى ذلك إلى اللبس، عندئذ يُعدل عن هذا الأصل إلى القاعدة الفرعية، وهي قاعدة تقديم الخبر، ومن هذه الأسباب، أيضاً، مراعاة أصل آخر حين يتعارض الأصلان في تركيب بعينه، ومنها أيضاً الذوق العربي في الأداء اللغوي (النطق) وما يرتبط بهذا الذوق من الظواهر السياقية^(٨).

إن العدول عن أصل الوضع في الجملة، يمكن أن يكون بالعدول عن أي واحد من الأصول، فيكون بالاستتار، أو الحذف، أو الزيادة، أو الفصل، أو التقديم والتأخير، أو الإضمار، أو التضمين، فالاستتار يكون في ضمائر الرفع، ويكون الحذف في أي جزء من أجزاء الجملة، ويكون الفصل بين المتلازمين، وتكون الزيادة بالحرف أو النسخ، ويكون التقديم والتأخير حين لا تكون الرتبة محفوظة، ويكون الإضمار عند وجود العمل دون العامل، ويكون التضمين إما في معنى أحد أجزاء الجملة أو في ضرب أسلوبها^(٩). وشرط جواز هذا العدول أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة، ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود الدليل،

(٨) المصدر السابق، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٩) المصدر السابق، ص ١٦٤.

ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المُفسّر، ولا يكون الفصل إلا بغير الأجنبي، ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى، وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ^(١٠).

فرغبة من الباحث في إلقاء الضوء على جانب من العدول عن أصل وضع الجملة في النص القرآني وأثره في المعنى، فقد تتبع جانب العدول بالحذف في سورة "المؤمنون" *.

الحذف

الحذف هو صورة من صور العدول عن أصل الوضع، سواء أكان في الجملة أم في المفرد أم في الحرف. وقد عدّه ابن جني من باب شجاعة العربية، وكذلك الزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف^(١١).

"والحذف ؛ من حذفت الشيء قطعته ؛ وهو يُشعر بالطرح، بخلاف الإضمار، ولهذا قالوا: "أنّ" تنصب ظاهرة ومضمرة، والمشهور أنّ الحذف مجاز ؛

(١٠) المصدر السابق، ص ١٣٨.

* سورة مكية، وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية، وعند الكوفيين مائة وثمانين عشرة آية (تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ١٢٣). وقد رُوي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لقد أنزلت عليّ عشر آيات مَرَّئٍ أقامهنّ دخل الجنة، ثم قرأ: (قد أفلح المؤمنون) إلى قوله تعالى: (وأولئك هم الوارثون)، وتدور هذه السورة حول محور تحقيق الوحدةانية، وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلّوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس، واستقامة السلوك (تفسير السمرقندي، ط ١، ١٩٩٣، ص ٤٠٧).

(١١) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (المكتبة العلمية، د.م، ١٩٥٢) ج ٢، ص ٣٦٠.

وحكى إمام الحرمين ^{**} في "التلخيص" عن بعضهم: إنَّ الحذف ليس بمجاز؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه، والحذف ليس كذلك ^(١٢).

وقال الزنجاني في المعيار ^{***} إنما يكون مجازاً إذا تغير بسببه حكم؛ فأما إذا لم يتغير به الحكم، كقولك: زيد منطلق وعمرو، بحذف الخبر فلا يكون مجازاً إذا لم يتغير حكم ما بقي من الكلام، وخلاصة القول: أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك، لعدم استعماله، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره - وهو المجاز العقلي - فالحذف كذلك ^(١٣) ويقول فيه الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين" ^(١٤).

وألوان الحذف كثيرة، على نحو ما بينها ابن جني في كتابه الخصائص،

وهي:

^{**}. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي

(١٢) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، (دار التراث،

القاهرة، ١٩٨٤م)، ج٣، ص١٠٣.

^{***} كتاب معيار النُّظَّار في علوم الأشعار لعز الدين الزنجاني.

(١٣) المصدر السابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

(١٤) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود شاكر، ط٥، (مكتبة الخانجي، القاهرة. د.ت)،

ص١٤٦.

١- حذف الاسم

ويتمثل بحذف المبتدأ، والخبر، والمضاف، والمضاف إليه، والموصوف، والصفة، والمفعول به، والظرف، والمعطوف، والمعطوف عليه، والمستثنى، وخبر إنَّ مع النكرة، وخبر إنَّ مع المعرفة، والمفعول الثاني في (أزیداً ظننته منطلقاً)، وخبر كان، والمنادى، والتمييز، والحال، والمصدر، والفضلة.

٢- حذف الفعل

فمن ألوان الحذوف الفعلية: حذف الفعل مع الفاعل، وحذف الفعل وحده، وحذف الرفع في قولهم: (أما أنت منطلقاً).

٣- حذف الحرف

وهو على ضربين: أحدهما حرف زائد على الكلمة، والآخر حرف من نفس الكلمة.

الدراسات السابقة

كثير من الدراسات اللغوية، اهتمت بكتاب الله الحكيم، فتناولت بلاغته وبيانه من الجانب النحوي، فعرضت لكثير من مسائل الحذف، والتقديم والتأخير، والإضمار، وغيرها من جوانب التأويل النحوي. ولكن معظمها عرض لها عرضاً وصفيّاً فهو أقرب ما يكون إلى التصنيف والفهرسة لهذه الجوانب، من دون أن تُبيّن أثرها المعنوي في النصّ القرآنيّ.

فمن هذه الدراسات ، ما قام به محمد عبد الخالق عضيمة من حصر وتصنيف وفهرسة لألوان التأويل في القرآن تحت عنوان : (دراسات لأسلوب القرآن الكريم). ومنها دراسة بعنوان : (التأويل النحوي في القرآن الكريم) ، قدمها عبد الفتاح الحموز ، فقد بين فيها مواضع التأويل في القرآن الكريم ، واكتفى بذكر بعض الشواهد في بعض السور. ثمّة دراسة أخرى للباحث مصطفى عبد السلام أبو شادي ، بعنوان : (الحذف البلاغي في القرآن الكريم) ، عرض فيها بعض مواطن الحذف في القرآن الكريم ، مُبيناً فيها أنواع الحذف وأسبابه البلاغية.

وهناك ، أيضاً ، دراسات أخرى تناولت هذا الموضوع ، إضافة إلى كتب إعراب القرآن الكريم وكتب التفسير ، إذ لا يتسع هذا المكان لذكرها. وقد أشار بعضها إلى هذه الحذوف ، ولكن من دون توضيح الأثر المعنوي في النصّ القرآنيّ. وأفضل ما عرض لها هو كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني ، وكتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي.

وفيما يلي عرض لبعض المواضع التي وقع فيها العدول بالحذف في سورة "المؤمنون" مُستبعداً منها ما جاء فيه العدول على قراءة شاذة أو ضعيفة :

حذف المبتدأ

يكثر حذف المبتدأ جوازاً في جواب الاستفهام ، وبعد الفاء الداخلة على جواب الشرط ، وكذلك بعد القول ؛ نحو : ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^{(١٥)(١٦)} ،

أيضاً ذكر "إن من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ "القطع والاستئناف" يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يرفعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ" (١٧).

أما حذف المبتدأ في هذه السورة الكريمة فقد جاء في النص الآتي: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكَ﴾ (٨٧) ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (١٨).

إذ إن تأمل هذه الآيات واستقراءها يُومض في نفس القارئ أن ثمة حذفاً في جمل هذه الآيات؛ من شأنه أن يُحرك اجتهاد القارئ للوقوف على موضع الحذف، ويشير تشوقه لاستنباط المحذوف. فيزداد الأجر بسبب الاجتهاد، وتزداد اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ أشد وأحسن (١٩).

وسيجد اللطف والظرف إذا ما وقع على مواضع الحذف في جمل الآيات الآتية:

= (١٦) محمد عبدالعزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ط ١ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٢١٤.

(١٧) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٤٧.

(١٨) سورة المؤمنون، الآيات ٨٤ - ٨٩.

(١٩) بدرالدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٥.

١ - قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٠)

٢ - وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ (٢١)

٣ - وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي مُسْحَرُونَ ﴾ (٢٢)

إذ إن الجار ولفظ الجلالة المجرور (لله) في الآيات الثلاث، وقع خبراً لمبتدأ محذوف، فهو في الآية الأولى خبر واقع في جواب استفهام ابتدأت به الآية الكريمة، والاستفهام هو: لمن الأرض ومن فيها؟ ف (من) الأولى: استفهامية خبر مقدم، و (الأرض) مبتدأ مؤخر، و (من) الثانية معطوفة، و (فيها) متعلقان بمحذوف صلة (من). إن الجواب على مثل هذا السؤال يحتمل وجهين، فإما أن يكون أصلاً؛ فيتضمن المبتدأ والمعطوف، وما تعلق به، وهو (الأرض ومن فيها)، عندئذ ستكون صيغة الجواب: سيقولون الأرض ومن فيها لله، وإما أن يكون عدولاً عن هذا الأصل، فيحذف هذا المبتدأ وما جاء بعده، ويكتفى بخبره فقط، وهو (لله). فإن ذكر المبتدأ وما تعلق به، كان بذكره طول وسآمه وتكرار ورتابة، ولفقدت الآية الكريمة رونقها وتجويدها. ولهذا قال شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني رحمه الله: وأن رب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد^(٢٣)، ولو استغني عن ذكر المبتدأ بضميره، لكانت صيغة الجواب: (هي لله)، أيضاً فإن هذا الضمير سيكون قاصراً في إشارته إلى المبتدأ، وما تعلق به، فالمبتدأ متعدد، والضمير لا يكون عائداً إلا على بعض منه وهو (الأرض). فما من وجه أفضل، وأحسن،

(٢٠) سورة المؤمنون، آية ٨٥.

(٢١) سورة المؤمنون، آية ٨٧.

(٢٢) سورة المؤمنون، آية ٨٩.

(٢٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٥١.

وأكثر بلاغة من حذف المبتدأ في هذا السياق. ولهذا قال الجرجاني رحمه الله: فإنك ترى أن ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين^(٢٤).

وأما الجار ولفظ الجلالة المجرور (لله) في الآية الثانية فمتعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، وفيه نظر إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ والتقدير: قل من له ملكوت كل شيء؟ فلام الجر مقدرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى^(٢٥). ويمكن أن يقال في هذا الحذف ما قيل في سابقه.

وأما في الآية الثالثة، فالجار ولفظ الجلالة (لله) خبر لمبتدأ محذوف، وهذا المبتدأ هو نفسه الواقع في جملة الاستفهام (من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ وهو اللفظ (رب)، فالجواب على هذا الاستفهام ينبغي أن يتضمن المبتدأ المحذوف (رب)، أو ضميره (هو)، ولكنه حذف في هذا السياق صيانة وتنزيهاً له، والله أعلم. وهذا يتفق مع ما ذكره صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن من أن المبتدأ يحذف صيانة له؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ^(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ^(٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ^(٢٦) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَيْكَ أَرْسِلْ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ^(٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ^(٢٨)؛ فقد حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أي هو رب السموات. والله ربكم. والله رب المشرق؛ لأن موسى عليه السلام استعظم

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٢٥) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ط ٧ (دار اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد للشؤون

الجامعية، حمص، ١٩٩٩م) مجلد ٥، ص ٢٢٣.

(٢٦) سورة الشعراء، الآيات ٢٣ - ٢٨.

حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتفخيماً، فاقصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير^(٢٧).

ومما يُلحظ على الخبر الذي حُذف مبتدأه، أن اللام دخلت عليه (الله)، على الرغم من أنه جواب للسؤال مَنْ رَبُّ السموات السبع؟. فالقراءة فيهما سيقولون (الله) و(الله)، فمن قرأ سيقولون (الله)، فهو جواب على السؤال إذا قال: (من رب السموات السبع) فالجواب الله، وهي قراءة أهل البصرة، ومن قرأ (الله) فحيد أيضاً، لو قيل: من صاحب هذه الدار؟ فأجيب زيد لكان هذا جواباً على لفظ السؤال، ولو قلت في جواب من صاحب هذه الدار: لزيد، جائز؛ لأن معنى "من صاحب هذه الدار" لمن هذه الدار^(٢٨). ووجه صوغ هذه الآية بهذا الأسلوب، فهو لقصد التعريض بأنهم يحترزون عن أن يقولوا: رب السموات السبع الله؛ لأنهم أثبتوا مع الله أرباباً في السموات، إذ عبدوا الملائكة فهم عدلوا عما فيه نفي الربوبية عن معبوداتهم واقتصروا على الإقرار بأن السموات ملك لله لأن ذلك لا يبطل أوهام شركهم من أصلها^(٢٩).

(٢٧) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ١٠٧.

(٢٨) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، (دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م)،

ج ٤، ص ١٧.

(٢٩) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، د.م، د.ت)، ج ١٨،

ص ١١٠.

حذف المفعول به

يقع الحذف أيضاً في المفعول به ، وهو عمدة الكلام. يقول الزجاج : لو حاول إنسان أن يأتي بجميعه توات عليه الفتوق ، ولم يمكنه القيام به لكثرت في التنزيل ، وكان بمنزلة من يستقي من بئر زمزم فيغلبه الماء ^(٣٠). ويرى الجرجاني أن الحذف فيه أحوج وأمس ، واللطائف كأنها فيه أكثر ، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر ^(٣١). ثم ضبط الجرجاني أصل العلاقة بين أركان الجملة الفعلية. فحال الفعل مع المفعول به الذي يتعدى إليه ، حاله مع الفاعل ، فكما أنك إذا قلت : " ضرب زيد " ، فأسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلاً له ، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق ، كذلك إذا عدت الفعل إلى المفعول به ، فقلت : " ضرب زيد عمراً " ، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول به في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ؛ ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول به ، ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه ، بل إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى الفاعل أو مفعول ، أو يتعرض لبيان ذلك ، فالعبارة فيه أن يقال : (كان ضربٌ) ، أو " وقع ضربٌ " ، أو " وجد ضربٌ " ^(٣٢).

(٣٠) الزجاج، إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢ (دار الكتاب المصري،

القاهرة، ١٩٨٢)، القسم الثاني، ثلاثة أجزاء، ص ٤٠٥.

(٣١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٥٣.

(٣٢) المصدر السابق، ص ١٥٣، ١٥٤.

وثمة أسباب وأغراض متعددة يحذف لأجلها المفعول به، من شأنها أن تخدم المعنى، فمنها:

١ - التفيخيم والإعظام.

فقد بين صاحب البرهان في علوم القرآن أن من أسباب الحذف التفيخيم والإعظام، وفي ذلك قال حازم القرطاجني في "منهاج البلغاء": إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى، لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعددها طول وسامة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال^(٣٣). وهذا ما نجده في قوله عز وجل، بعدما ذكر صفات المؤمنين: ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٣٤). ففي الآية الكريمة حذف مفعول به للفعل ابتغى، قدره بعض النحاة بالقول "شيئاً كائناً وراء ذلك"^(٣٥). لقد جاء هذا الحذف في سياق الآيات الكريمة، التي علّق فيها سبحانه فلاح العبد وفوزه ونجاته من اللوم والعدوان على حفظ فرجه منه، فلا سبيل إلى الفلاح بدونه، وأنّ مَنْ لم يحفظ فرجه، وأراد أو ابتغى شيئاً آخر غير ما أحل الله له لم يكن من المفلحين، بل هو من الملوّمين والعادين، فاستحق العدوان، ووقع في اللوم.

فالمراد أو المبتغى الواقع مفعولاً للفعل (ابتغى) حذف، وهذا من شأنه أن يثبت المعنى للفعل، من غير أن يتعرض لذكر المفعول، وفي ذلك اتساع وشمول

(٣٣) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٣٤) سورة المؤمنون، آية ٧.

(٣٥) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٥، ص ١٨٦.

أكبر لكل ما يقع في دائرة فاحشة الزنا، فابتغاء غير الأزواج والإماء قد يكون بأشياء كثيرة تتصل بفحش الزنا. حتى إن الإمام الشافعي - رحمه الله - ومن وافقه على تحريم الاستمنا باليد استدلوا على ذلك بهذه الآية، قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٣٦) وفي قوله^(٣٧) (أو ما ملكت أيمانهم) دلالة على تعميم وطء ما ملك باليمين، وهو مختص بالإناث بإجماع، فكأنه قيل "أو ما ملكت أيمانهم من النساء"، وفي الجمع بين الأختين من ملك اليمين، وبين المملوكة وعمتها أو خالتها خلاف، ويخص أيضاً في الآية بتحريم وطء الحائض، والأمة إذا زوجت، والمظاهر منها حتى يُكْفَر، ويشمل قوله وراء ذلك الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمنا، ومعنى (وراء ذلك) وراء هذا الحد الذي حد من الزواج ومملوكات النساء^(٣٨). كما أن الجرجاني - رحمه الله - ذكر أن المفعول به يحذف لغرض أن تتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه^(٣٩). فحذف المفعول به في هذه الآية الكريمة - والله أعلم - لدليل على أن العناية موجهة إلى إثبات الفعل للفاعل؛ أي أن كل من يبتغي أي شيء آخر غير ما أحل الله من

(٣٦) سورة المؤمنون، آية ٧.

(٣٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد، محمد السيد، محمد العجاوي، علي عبد الباقي، حسن قطب، ط ١ (مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجزيرة، ٢٠٠٠م) مجلد ١٠، ص ١٠٩.

(٣٨) محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل الموجود، علي معوض، زكريا النوني، أحمد الجمل، عبد الحي الفرماوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ج ٦، ص ٣٦٧.

(٣٩) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٥٦.

الأزواج والإماء وهي أشياء كثيرة كما سبق ، فهو من العادين ، فبالحذف إطلاق لدائرة المحرمات لتشمل كل الذي لم يحلّه الله ، وهو الواقع مفعول الفعل (ابتغى).

أما الأصل ، وهو ذكر المفعول به فهو خلاف الغرض ؛ ففيه حصر وتحديد للإثم أو الفحش المرتكب ؛ فيكون نوعه بذلك الشيء الذي لو ذكر ؛ لأن العناية تكون موجهة إلى إثبات الفعل على ذلك المفعول المذكور ، وأن من يبتغي ذلك الشيء المذكور فقط ، فهو من العادين. لذلك قال الجرجاني رحمه الله : في وجوب أن تسقط المفعول لتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله : أنك لم تجد حذف المفعول في النحو من الروعة والحسن ما وجدت ، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليّة ، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه ^(٤٠).

ومن هذا الحذف - أيضاً - ما وقع في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ^(٤١) ، فقد عدل في هذه الآية الكريمة عن الأصل ، وهو ذكر مفعول اسم الفاعل (سابقون) ، وتقديره : سابقون الناس لها. وغرض ذلك أن يُثبت فعل السبق إلى الخيرات لهؤلاء المؤمنين ، وأن يجعله صفة ملازمة لهم.

فالإكتفاء بذكر اسم الفاعل من دون تعديته إلى مفعوله ، يُظهر العناية الجليّة بإثبات الفعل لاسم فاعله ، وإظهار معناه من غير تعديته إلى شيء ، أو التعريض فيه لمفعول. فتحقيق المعنى بهذا العدول يتفق مع ما جاء في كتب التفاسير من تفسير لهذه الآية ، وهي أن المؤمنين يتنافسون في الإكثار من أعمال الخير ، فالسبق تمثيل

(٤٠) المصدر السابق، ص ١٦٢

(٤١) سورة المؤمنون، آية ٦١.

للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق إلى الغاية^(٤٢). وخلاف ذلك، وهو الأصل: (وهم سابقون الناس لها)، من شأنه أن ينقل العناية إلى مفعول (سابقون)، وأن جُل الاهتمام يكون موجهاً له، فتكون الغاية من ذلك - والله أعلم - هي إظهار الفئة التي سُبقت إلى الخيرات، وهذه الفئة تكون محصورة بالمفعول الذي لو ذكر.

٢- ومن أسباب حذف المفعول به ما يُسمى بالإضمار على شريطة التفسير.

لقد مثل الجرجاني على هذا الحذف بقول البحرى^(٤٣):

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا، وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ

فالأصل: لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه، ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة، وهو على ما ذكر من أن الواجب في حكم البلاغة أن يُنطق بالمحذوف، ولا يظهر إلى اللفظ، فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت: "لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها"، صرت إلى كلام غثٍّ وإلى شيء يمجّه السمع، وتعافه النفس^(٤٤). فهذا النوع من الحذف يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

(٤٢) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٣٩.

(٤٣) ديوان البحرى، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب ٣٤، ط ٣ (دار المعارف،

القاهرة، د.ت)، مجلد ١، ص ٥٠٨.

(٤٤) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٦٣.

قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾

لقد حُذِفَ من هذه الآية الكريمة مفعول المشيئة، استغناء بدلالته في الثاني. حيث يُفهم من مضمون جواب (لو)؛ أي لو شاء الله أن يبعث رسولاً لأنزل ملائكة^(٤٦). وحذِفُ مفعول (شاء) جائز لفهم المعنى، وأكثر ما يُحذف مع (لو) لدلالة الجواب عليه^(٤٧). فهذا الحذف يمثل عدولاً عن الأصل، وهو عدول فيه من البلاغة والفائدة الجليّة، ما لا نجدُهما في ذكر الأصل. فالبيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له، أبدى لطفاً ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك^(٤٨). لأنه عند ذكر فعل المشيئة (لو شاء) علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئاً يقتضي مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون، فإذا ذكرت ذلك المفعول عُرف ذلك الشيء^(٤٩) ولكان ذلك كالمكرر، فيفقد حسنه وغرابته وبيانه، المتولد من الإبهام بحذف المفعول.

٣- ومن حذف المفعول به، أيضاً، ما يأتي طلباً للإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل^(٥٠).

(٤٥) سورة المؤمنون، آية ٢٤.

(٤٦) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٥، ص ١٩٥.

(٤٧) محمد عبدالحق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (دار الحديث، القاهرة، د.ت) القسم

الثالث، ج ٢، ص ١٨٠.

(٤٨) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤٩) المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٥٠) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٥.

يتمثل هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٥١). هنا عدول عن مقتضى السياق لسر بليغ، فالظاهر أن يقول: (ادفع بالحسنة السيئة)، ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل، والمعنى: ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان، وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة^(٥٢).

فلما كان المفعول الثاني بلفظ الأول في عموميه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه لدلالة ما ذكر عليه^(٥٣). فالأصل، هو تعداد وجوه البر والإحسان بمختلف أنواعهما ودرجاتهما، التي يدفع بها الإنسان السيئة، وهذا فيه من الإسهاب والتفصيل ما يجعل في تعدادها طول وسامة، كما أن هذا الأصل مع ما فيه من تعداد وتفصيل فإنه لن يحيط بكل أنواع البر والإحسان من أقوال وأفعال، التي تُدفع بها السيئة. وخلاف الأصل، هو العدول عن تعدادها وتفصيلها بحذفها وذكر ما يدل عليها، فجاء هذا الدليل بصفة المحذوف وجملة التفصيل (التي هي أحسن)، فهو دليل جامع شامل يحيط بكل وجوه البر والإحسان من أقوال وأفعال، إحاطة من شأنها تدفع السيئة.

٤- ومن المفعول ما يحذف رعاية للفاصلة^(٥٤).

وفي ذلك قال الرماني: إنما حذفت الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء^(٥٥).

(٥١) سورة المؤمنون، آية ٩٦.

(٥٢) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٥، ص ٢٢٥.

(٥٣) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٦٦.

(٥٤) المصدر السابق، ص ١٠٧.

وأمثلة ذلك متعددة في سورة (المؤمنون)، فمنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ﴾^(٥٦)، وقوله: ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً مِّمَّنْ أُتَتْ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٥٧)، وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٥٨)، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٥٩)، وقوله: ﴿قَالَ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٦٠).

فكثير ما يعتري الحذف في رؤوس الآي لهذا الغرض. والصناعة النحوية أشارت إلى ذلك، فجاء أنه يجوز حذف المفعول لغرض لفظي كتناسب الفواصل^(٦١). والفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهو الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً^(٦٢).

أيضاً، قد تكون هناك نكتة بلاغية، تُستقرأ من حذف المفعول من رؤوس بعض هذه الآيات، وهي ما سبق ذكره من توجيه العناية الجليلة إلى إثبات الفعل لفاعله، لا أن تكون موجهة إلى المفعول، وهذا ما يقتضيه السياق في كل آية، ففي قوله تعالى: (رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ)، تكون الغاية الأسمى هي إظهار سبب

= (٥٥) المصدر السابق نفسه.

(٥٦) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٦، ٣٩.

(٥٧) سورة المؤمنون، آية ٥٢.

(٥٨) سورة المؤمنون، آية ٩٨.

(٥٩) سورة المؤمنون، آية ٩٩.

(٦٠) سورة المؤمنون، آية ١٠٨.

(٦١) محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج ٢، ص ٩٧.

(٦٢) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٥٣، ٥٤.

نصرة نوح عليه السلام، وهي تكذيب المشركين لما دعاهم إليه. "ففي نصرته إهلاكهم، فكأنه قال: أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي، أو انصري بدل ما كذبوني، كما تقول هذا بذلك، أي بدل ذاك ومكانه، والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم، سلوة النصره عليهم، أو انصري بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه" ^(٦٣). فصار التكذيب صفة ملازمة لهم، فهو الغاية المنشود إثباتها؛ لأنه سبب نصره نوح عليه السلام، وما تولدت هذه الصفة إلا من اقتصار الجملة على الفعل والفاعل، وطرح المفعول، والله أعلم. وفي قوله تعالى: (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)، أيضاً، تخلص عناية إثبات فعل التقوى لفاعله، لتحقيق الغاية، وهي التقوى الواسعة الشاملة للقول والفعل، في السراء والضراء، في السر والعلانية.

فذكر في كتاب التحرير والتنوير أن من فائدة هذا الحذف تنزيل الفعل منزلة القاصر؛ لأنه دال على معنى خاص، وهو التقوى الشاملة لامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ^(٦٤).

وكذلك في الآية الكريمة (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)، فإن حذف المفعول أظهر العناية الجلييلة، والغاية المقصودة، وهي التعوذ من مجرد حضور الشياطين. أيضاً، في قوله تعالى: (وَلَا تُكَلِّمُونِ)، فإن الغاية من العدول هي إثبات الفعل لفاعله وهذا من شأنه أن يظهر المعنى الجليل، وهو زجر هؤلاء المشركين، كما تنزجر الكلاب، وعدم صدور أي كلام منهم في خصوص رفع العذاب عنهم، فلا

(٦٣) الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل الموجود، علي معوض، فتحي حجازي، ط١ (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م) ج ٤، ص ٢٢٦.

(٦٤) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ١١١.

كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير، والعواء كعواء الكلاب، لا يفهمون ولا يفهمون^(٦٥).

حذف المنعوت

يُعد النعت والمنعوت من مكملات الجملة، وفي الأصل أن يُذكر المنعوت إذا ذكر النعت ؛ لأن المنعوت قد يكون عمدة في الكلام، ولكن قد يُعدل عن هذا الأصل، فيحذف أحدهما. فقد أجاز ابن مالك حذف المنعوت، وإقامة النعت مقامه إذا دل عليه دليل، فقال ابن مالك^(٦٦) :

وَمَا مِنَ الْمُنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَفِي النَّعْتِ يَقْلُ

أي يجوز بكثرة حذف المنعوت إن عُلم، وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل. وهو جائز حسن في العربية، ويُعدّ من جملة الفصاحة والبلاغة^(٦٧). وهذا الحذف جاء في المواضع التالية :

١ - في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴾^(٨١) قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ^(٨٢) لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَكْبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ^(٦٨).

(٦٥) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٥٢.

(٦٦) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار إحياء

التراث العربي، بيروت، د.ت)، ج ٢، ص ٦٣.

(٦٧) الزجاج، إعراب القرآن، ١٩٨٢، القسم الأول، ص ٢٨٦.

(٦٨) سورة المؤمنون، الآيات ٨١ - ٨٣.

٢- وقوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِرِينَ﴾^(٦٩)

ففي النص الأول جاءت كلمة (مثل): صفة لمصدر محذوف ؛ أي مثل قول الأولين^(٧٠).

وهذا الحذف من جهة الصناعة النحوية، قد استوفى شروط الحذف، فالدليل على المنعوت واضح بيّن، والنعت صالح لمباشرة عامله. كما أن الموصوف في هذا المقام يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي، لتعلق غرض السياق، وهذا من شروط حذف الموصوف^(٧١).

أما النكتة في هذا الحذف، فتكمن في المعنى الذي يؤديه، وهو الذي لا يتحقق بذكر الأصل. فلو ذكر الموصوف (بل قالوا قولاً مثل قول الأولين)، لَمَا تجلّى ذلك المعنى الجليل الذي أظهره سياق الحذف، فأطلق الصفة مقام الموصوف، لتتسع دائرة قول الأولين، فتشمل كل ما قالوه ؛ لأن ما قالوه أقوال كثيرة. ولكن بذكر الأصل حَصُرَ وتحديد لقول معين، قاله الأولون، والله أعلم. وأما في الآية الثانية، فقد جاءت كلمة (قليل) صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق أو فعل الإصباح، الذي هو من أفعال الزمن فوعده الله الرسول نصراً عاجلاً^(٧٢). فهذا النصر العاجل الذي وعده به الرسول، لا بد وأن يُعبّر عنه بسياق ملائم يُظهر صفة الاستعجال، وهذا ما أظهره العدول عن أصل جملة النعت بحذف المنعوت، وإقامة النعت مقامه، خاصة وأن لفظ النعت نفسه (قليل) يُعبر عن قصر الزمن الذي

(٦٩) سورة المؤمنون، آية ٤٠.

(٧٠) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٥، ص ٢٢٠.

(٧١) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٥٤.

(٧٢) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٥٨.

سيحل فيه العذاب ، فلا حاجة إذن لذكر الأصل المحذوف أيًا كان تقديره ؛ لأنه لا يضيف إلى المعنى المنشود أية فائدة.

حذف الشرط

جاء حذف الشرط في سورة "المؤمنون" في قوله تعالى :

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾^(٧٣).

قال الزمخشري : فإن قلت : إذا : لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، كيف وقع قوله : لذهب جزاء وجواباً ، ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل ؟ قلت : الشرط محذوف تقديره : ولو كان معه آلهة ، وإنما حذف لدلالة قوله : (وما كان معه من إله) عليه ، وهو جواب لمن معه الحاجة من المشركين^(٧٤) . وهذا الحذف في ميزان النحاة جائز ، فجاء في ألفية ابن مالك^(٧٥) :

وَالشَّرْطُ يُغْنِي عَنْ جَوَابٍ قَدْ عَلِمَ وَالْعَكْسُ قَدْ يَأْتِي إِنْ الْمَعْنَى فُهِمَ

فيحذف الشرط ويُستغنى عنه بالجزاء ، وهو قليل^(٧٦) .

(٧٣) سورة المؤمنون، آية ٩١.

(٧٤) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٧٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢، ص ٣٧٩.

(٧٦) المصدر السابق، ص ٣٨٠.

فالأصل في أسلوب الشرط أن يتضمن أركان الشرط : أداة الشرط ، وفعل الشرط ، وجواب الشرط. فعلى هذا الأصل تكون جمل هذه الآية : (ما اتخذ الله ولد وما كان معه من إله ولو كان معه آلهة إذاً لذهب كل إله بما خلق) وهذا الأسلوب يتضح ما فيه من طول وتكرار.

وطرح أي ركن من أركان الشرط ، هو عدول عن الأصل. فالتأمل في هذه الآية الكريمة ، لن يفوته أن ثمة شرطاً طرح من سياق جمل هذا النص القرآني ، واستغني عنه بجوابه المتمثل بقوله تعالى : (إذاً لذهب كل إله بما خلق) ، لوجود القرينة في النص نفسه ، وهي : (وما كان معه من إله). الأمر الذي أكسب النص قوة وبلاغة ورصانة في توالي الجمل وتناسقها ، من دون طول وسآمة أو تكرار ورتابة. فلو لم يُطرح هذا الأصل ، لكان في ذكره طول وتكرار ، من دون توكيد يُستفاد.

حذف جواب الشرط

قد يُحذف جواب الشرط ، ويُستغنى عنه بالشرط ؛ وذلك عندما يكون هناك دليل على حذفه ، وفي هذا قال ابن مالك^(٧٧) :

وَالشَّرْطُ يُغْنِي عَنْ جَوَابٍ قَدْ عَلِمَ وَالْعَكْسُ قَدْ يَأْتِي إِنْ الْمَعْنَى فُهِمَ

(٧٧) المصدر السابق، ص ص ٣٧٩ ، ٣٨٠.

ويكون حذفه واجباً إن كان الدال عليه ما تقدم هو جواب في المعنى ؛ أي لا يصلح أن يكون جواباً صناعة ، نحو: أنت ظالم إن فعلت ^(٧٨). ومما لا شك فيه أن هذا الحذف له دلالة كبيرة، وله دور جُل في خدمة المعنى في السياق القرآني.

فمن المواضع التي حذف فيها جواب الشرط في سورة "المؤمنون" :

- ١- قوله عز وجل: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧٩).
- ٢- وقوله: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨٠).

لقد جاءت جملة الشرط في هاتين الآيتين بصيغة واحدة، هي (إن كنتم تعلمون)، ف (إن): شرطية، و(كنتم): كان واسمها، وهي فعل الشرط، وجملة تعلمون: خبرها، وجواب الشرط محذوف ؛ أي: فأخبروني بخالقهما ^(٨١). وهذا الجواب لا يصلح أن يكون شرطاً ؛ لأنه بصيغة الأمر، لذا يجب أن يكون مقترباً بالفاء ^(٨٢).

ففي الأصل يقتضي أسلوب الشرط ذكر أداة الشرط، وفعل الشرط وجوابه، فحذف أي ركن من أركانه، يُعد عدولاً عن هذا الأصل، ويأتي هذا لأسباب ذات علاقة بالمعنى، فالمعنى الذي يتحقق بالحذف لا يمكن أن نجده بذكر

(٧٨) محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج ٤، ص ٥٥.

(٧٩) سورة المؤمنون، آية ٨٤.

(٨٠) سورة المؤمنون، آية ٨٨.

(٨١) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مجلد ٥، ص ٢٢٢.

(٨٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢، ص ٣٧٥.

الأصل. إذ إن هذا الحذف وقع في سياق الاستفهام من المشركين عن ملكية هذا الكون العظيم، وما فيه من نواميس متعددة وكثيرة. فقد بدا النظم الحكيم بالأرض ومن فيها، وما في باطنها من كنوز، وما يجري فيها من أنهار وبحار ومحيطات؛ لأنها أقرب شيء إلى المسؤولين (المشركين)، وهم يتخذون منها مهذاً ومعاشاً^(٨٣).

في دائرة هذا السياق جاء أسلوب الشرط (إن كنتم تعلمون)، وقد حُذف منه جوابه، وتقديره: فأقروا هي ومن فيها لمن؟ وهو أسلوب تهيج وإلهاب، وحث على الإجابة الصحيحة، لا رغبة في الصدق من الخصم المعاند، ولكن ليدفع عن نفسه معرة الجهل، وهذا الأسلوب كثير الاستعمال في مخاطبات القرآن حتى مع المؤمنين، بل ومع الملائكة الأبرار؛ لأنه يُفجّر في نفس المخاطب طاقات النخوة والحماسة، فيقذف بالحق من قلبه إلى لسانه، وإن كان ذلك القذف غير مرغوب فيه عنده، فإذا دُفع إلى النطق بالحق، فقد قامت الحجة عليه، ولزم الانصياع للحق، وإلا فقد فُقد كل شيء في ميدان الحجاج والجدال^(٨٤). فالاستعلام بهذا الأسلوب، إن كان عندكم علم بهذه النواميس العظيمة الظاهرة البينة فيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات^(٨٥). على الرغم من قوله: (سيقولون الله)؛ لأنه لا تعارض بين قوله (إن كنتم تعلمون) لا ينفي عنهم، وبين ما حكى من قوله: (سيقولون الله)؛ لأن قوله (إن كنتم تعلمون) لا ينفي علمهم بذلك^(٨٦).

(٨٣) عبد العظيم إبراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، ط ١ (مكتبة وهبة،

القاهرة، ١٩٩٩م)، ج ٣، ص ٢١، ٢٢.

(٨٤) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٨٥) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٦.

(٨٦) محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٨٦.

فهذه الاستهانة وهذا التلويح بغباوتهم وجهلهم يستلزم حذف جواب الشرط، وتقديره: فأقروا هي ومن فيها لمن؟ أو فأخبروني بخالفهما؟ لأن الحق سبحانه وتعالى لا ينتظر من هؤلاء الإخبار عمن يملك كل هذه النواميس، فطرح الكلام الذي يُطلب فيه هذا الإخبار وهو جواب الشرط.

حذف حرف النداء

ورد أسلوب النداء في سورة "المؤمنون" كثيراً، وجاء هذا في الآيات التالية:

- ١ - ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ ^(٨٧).
 - ٢ - ﴿ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ ^(٨٨).
 - ٣ - ﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرَفَّقَنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ^(٨٩).
 - ٤ - ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٩٠).
 - ٥ - ﴿ وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ^(٩١) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
- حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾

(٨٧) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٦، ٣٩.

(٨٨) سورة المؤمنون، آية ٢٩.

(٨٩) سورة المؤمنون، آية ٩٣.

(٩٠) سورة المؤمنون، آية ٩٤.

(٩١) سورة المؤمنون، الآيات ٩٧ - ٩٩.

٦- ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (٩٢).

٧- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٩٣).

٨- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٩٤).

بتأمل هذه الآيات، يتبين أن أسلوب النداء في جميعها قد حذف منه حرف النداء. وهو حذف حسن جائز فصيح ورد به الكلام^(٩٥) وهذا الحذف وقع في سياق متماثل في جميع الآيات، وهو بعد لفظ الرب. فمن منظور الصناعة النحوية، هو حذف جائز. إذ إنه لا يجوز حذف حرف النداء مع المندوب، نحو "وازيده"، ولا مع الضمير، نحو "يا إياك قد كفيتك"، ولا مع المستغاث، نحو "بالزيد أقبل: زيد أقبل"، وفي "يا عبدالله اركب"، "عبدالله اركب"^(٩٦).

لقد علل سبب الحذف بالتخفيف؛ لكثرة دورانه في الكلام^(٩٧). ولكن ربما تكون هناك نكتة بلاغية في هذا الحذف، وهي أن العدول عن ذكر حرف النداء في سياق هذه الآيات - والله أعلم - كان بُغية مناسبة اللفظ للمضمون، إذ إن مضمون هذه الآيات، هو نداء ومناجاة لله جل شأنه، متضمنة الرجاء والطلب من جلاله، والطلب في هذه الحال يتمنى أن يكون قريباً من الله ليُجاب طلبه، وهذا

(٩٢) سورة المؤمنون، الآيات ١٠٦، ١٠٧.

(٩٣) سورة المؤمنون، آية ١٠٩.

(٩٤) سورة المؤمنون، آية ١١٨.

(٩٥) الزجاج، إعراب القرآن، ١٩٨٢، القسم الثاني، ص ٦٤٨.

(٩٦) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٩٧) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٦.

التمني لا بد وأن يُعبر عنه باللفظ، وهذا لا يتحقق إلا بالعدول عن الأصل، وهو حذف حرف النداء؛ لأنَّ نداء القريب يتطلب حذفه. أمَّا نداء البعيد فهو من المواضع التي لا يجوز فيها حذف حرف النداء^(٩٨). ومما يُرجح هذا أن حرف النداء (يا) لم يُحذف مع لفظ الربِّ في غير سياق الرجاء والطلب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٩٩)، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠٠).

الخاتمة

حاولت في هذه الدراسة أن أكشف عن مواضع العدول عن أصل الجملة، بواسطة الحذف في سورة (المؤمنون)، ثم حاولت أن أتبين الأثر الذي يحدثه ذلك العدول في المعنى.

لقد خلصت الدراسة إلى أن ثمة مواضع كثيرة في النص القرآني، خرجت فيها الجملة عن أصلها بواسطة الحذف. وهذا الحذف وقع في مستويي الكلام في الجملة، الكلام العمدة، والكلام الفضلة، واختُصر الأمر في هذه الدراسة على الكلام العمدة.

كثير من الدراسات اللغوية، التي بحثت في موضوع إعراب القرآن الكريم، وبلاغته وبيانه، تناولت مسألة الحذف في الجملة، ولكن كان ذلك مقتصرًا، لا

(٩٨) محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٩٩) سورة الفرقان، آية ٣٠.

(١٠٠) سورة الزخرف، آية ٨٨.

يتجاوز الدراسة الوصفية لذلك. باستثناء بعض الكتب التي تناولت بعض وجوه العدول بتعمق، كدلائل الإعجاز في القرآن الكريم، والبرهان في علوم القرآن. إذ إن معظم الدراسات تكتفي بالإشارة إلى أن ذلك المبتدأ أو المفعول به أو الخبر.... إلخ، قد حُذف لدلالة المعنى عليه، أو لوجود الدليل، أو ما شابه ذلك من العبارات، من دون أن يبين أثر ذلك في المعنى المنشود. على الرغم من أن هناك تأثيراً قوياً وبالغاً للحذف في أداء المعنى المقصود في الجملة التي وقع فيها ذلك العدول عن الأصل.

وقد تبين في هذه الدراسة أن المعنى الذي يتأتى بالعدول عن أصل الجملة، بأية واسطة من وسائطه، لا يمكن له أن يتحقق بذكر الأصل، بل قد يؤدي ذلك الأصل إلى إخلال في المعنى المنشود. ومما يجدر التنويه به في هذا المقام، هو أن مجالات العدول متعددة؛ فتشمل العدول عن أصل وضع الحرف، والعدول عن أصل وضع الكلمة، والعدول عن أصل وضع الجملة، ووسائط هذا العدول متنوعة وكثيرة، فيكون بالاستتار، أو الحذف، أو الزيادة، أو الفصل، أو التقديم والتأخير، أو الإضمار، أو التضمين.

ويعد النص القرآني مجالاً خصباً لدراسة هذه الموضوعات وتطبيقها عليه. ومن الواجب والسنة، أيضاً، أن نُسخرَ علمنا في كتاب الله الحكيم، خدمة للدين وللناس. وأدعو الله أن يعينني لأن يكون هذا البحث الأوّل في سلسلة أبحاث في فروع هذا المجال.

المصادر والمراجع

- [١] ابن جنبي: *الخصائص*، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ١٩٥٢.
- [٢] ابن عاشور، محمد الطاهر: *تفسير التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، ج ١٨، د.ت.
- [٣] ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله: *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تأليف: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، د.ت.
- [٤] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: مصطفى السيد، محمد السيد، محمد العجاوي، علي عبد الباقي، حسن قطب، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجزيرة، ط ١، مجلد ١٠، د.ت.
- [٥] أبو السعود: *تفسير أبي السعود*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٥، د.ت.
- [٦] الأندلسي، محمد يوسف أبو حيان: *تفسير البحر المحيط*، دراسة وتحقيق: عادل الموجود، علي معوض، زكريا النوتي، أحمد الجمل، عبدالحلي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦، د.ت.
- [٧] الأنصاري، ابن هشام: *معني اللبيب عن كتب الأعاريب*، حققه: زكي مبارك، محمد حمد لله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٣، د.ت.
- [٨] الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن: *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٢٠٠٤، ٥.
- [٩] حسان، تمام: *الأصول*، دراسة ايستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩١.

- [١٠] الدرويش، محيي الدين: *إعراب القرآن وبيانه*، دار اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ط٧، مجلد٥، ١٩٩٩.
- [١١] ديوان البحتري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب ٣٤، دار المعارف، القاهرة، ط٣، مجلد ١، د.ت.
- [١٢] الزجاج: *إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ثلاثة أجزاء، ١٩٨٢.
- [١٣] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: *معاني القرآن وإعرابه*، شرح وتحقيق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.
- [١٤] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٣، ج٣، ١٩٨٤.
- [١٥] الزمخشري، جار الله أبو القاسم: *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تحقيق: عادل الموجود، علي معوض، فتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ج٤، ١٩٨٨.
- [١٦] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد: *تفسير السمرقندي*، تحقيق: علي معوض، عادل الموجود، زكريا النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٢، ١٩٩٣.
- [١٧] عاشور، المنصف: *بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية*، سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، مجلد ٢، ١٩٩١.
- [١٨] عبداللطيف، محمد حماسة: *بناء الجملة العربية*، دار الشروق، د.ت، ١٩٩٦.

- [١٩] عضيمة، محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، القسم الثالث، الجزء الثاني، د.ت.
- [٢٠] المطعني، عبد العظيم إبراهيم: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ج ٣، ١٩٩٩.
- [٢١] النجار، محمد عبدالعزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ج ١، ٢٠٠١.

Sentence Transformation Using Omission in the Sura of " The Believers" and its impact in the Sense

Dr. Mohammad A . Hazaimeh

*Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Sciences and Arts-
Unaizah Qassim university . Kingdom of Saudi Arabia*

Abstract. This research is about the sentence transformation using deletion in the sura of "The Believers" and its effect on the meaning , due to its great impact in the desired meaning. The paper is offered through an introduction , a preface , an index , and a conclusion. In the introduction , the researcher introduces his aims and method. He traces the sentence transformation's occurrences [Locations – places] in the above mentioned sura. On the other hand , in the preface , he defines the terms of his research: sentence , transformation , and the types of deletion such as the deletion of nouns , verbs and letters. At the same time , the paper included previous studies of the same subject. Coming to the index , the subjects of sentence transformation have been classified showing the grammatical rule and how it is transformed and the new meaning coming after sentence transformation. On the conclusion , the researcher sums up the new result of his paper related to the importance of the emergence of the meaning thanks to the sentence transformation.

دلالات "ثم" في القرآن الكريم

د. حسن عبد العاطي محمد عمر

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة القصيم

ddhassan666@gmail.com

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعد ...

فهذا بحث بعنوان (دلالات ثم في القرآن الكريم)، وقد ركز على المعاني التي تؤديها (ثم) في القرآن الكريم، وقد توصل إلى أن (ثم) في القرآن الكريم تؤدي ثمانية معانٍ إضافة إلى معناها الذي قرره لها جمهور النحاة، وهو دلالتها على التشريك مع الترتيب والمهلة، وهذه المعاني الإضافية هي: التراخي في الرتبة، والاستبعاد، والاستمرار، والتقديم، والاستثناء، ومطلق الجمع، أي أنها مثل واو العطف، أو تكون بمعنى (هنالك)، أو زائدة.

وهذه المعاني جميعها فيها خلاف بين المفسرين، وقد حرص البحث على إيراد هذا الخلاف، وختم كل مسألة من مسأله بخاتمة صغيرة رجح فيها ما يخدم المعنى القرآني ولا يتعارض مع اللغة. كما بين البحث التراوح في مقدار المهلة التي تدل عليها عندما تكون على معناها الأصلي.

وقد وقع هذا البحث في ثمانٍ وأربعين صفحة، مشتمل على مقدمة وخاتمة وقائمة بالمراجع التي تناولت هذا الموضوع تناولاً مباشراً، وقد بلغت هذه المراجع ثمانية وثلاثين مرجعاً.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان من السابقين واللاحقين، وبعد:

فهذا بحث عنوانه: (دلالات "ثم" في القرآن الكريم)، و(ثم) حرف عطف يدل على ثلاثة معانٍ عند جمهور النحويين، وهي: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة^(١)، فإذا قلت: جاء زيدٌ ثم عمرو، فهذا يدل على أن المجيء قد حصل من زيد وعمرو وأن زيداً سابق لعمرو في المجيء وأن بين مجيء زيد ومجيء عمرو مهلة، أي فاصل زمني، وبما أنها تدل على هذه المعاني فقد ركّز البحث أولاً في النظر في الفاصل الزمني الذي تدل عليه، هل له ضابط في الحد الأدنى والأعلى أو يأتي على أزمان لا ضابط لحديها. وثانياً ركّز على هذه المعاني الثلاثة هل هي دائماً تتحقق لـ(ثم) أو تتخلف في بعض الآيات.

فالمهلة الزمانية التي تدلُّ عليها (ثم) فقد تراوحت ما بين لحظة يسيرة ومئات السنين فيما علم نهايته البشر وآلاف السنين فيما لم يعلموا نهايته، فالحلظة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِثْقَالِي نَفْسٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، فالمهلة هنا ربما تكون ثواني أو دقائق. ودلت على مئات السنين في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ١١-١٢]، فمعلوم أن مدة نوم أهل الكهف ثلاثمائة سنة على التاريخ الشمسي. ودلت على آلاف السنين في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فالإحياء للحساب يوم القيامة زمانه مجهول للبشر، والأمم

(١) انظر سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/٤٩٩.

السابق لأمة محمد عليه السلام مضى على وفاتها آلاف السنين، بل الرسول صلى الله عليه وسلم مضى على وفاته أكثر من ألف سنة، فدلالة (ثم) الثانية في هذه الآية متفاوتة ما بين الميت الأول والميت الأخير من البشر، فالأولون مضت على وفاتهم آلاف السنين وما زالوا ينتظرون الساعة. وقد وضَّح البحث مقدار المهل التي دلت عليها في القرآن الكريم.

ودلالاتها على التشريك والترتيب والمهلة قد تَخَلَّفت في بعض الآيات^(٢)، فلا يوجد تشريك في قوله تعالى: ﴿أَتَمَّرَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ٥١]، ولا يوجد ترتيب في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، فخلقُ حواء سابق لخلقنا، ولا توجد مهلة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، فالاستقامة هنا حاصلة مع الإيمان مباشرة دون مهلة. وقد تناول البحث هذه الآيات وأمثالها، ووضَّح آراء المفسرين والنحاة فيها، ورجَّح ما يدعم المعنى وتأييده الأدلة.

وفي (ثم) أربع لغات: تُمَّ وهي الأصل، فُمَّ بإبدال الثاء فاء، ثُمَّتْ بتاء التانيث الساكنة، ثُمَّتْ بتاء التانيث المتحركة^(٣). ولم ترد من هذه اللغات في القرآن إلا الأولى، وقد وردت في القرآن ثمانياً وثلاثين وثلاثمائة مرة. ولم ترد في القرآن مسبقة بحرف من حروف المعاني إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿أَتَمَّرَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ٥١].

(٢) انظر ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م، الصفحات ١٥٨ إلى ١٦١.

(٣) المرادي، الحسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نلسم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ص ٤٣٢.

وقد جاء البحث في عشر مسائل، الأولى والثانية منها على أصل (ثم) في الدلالة على التراخي في الزمن، أي حدوث الثاني بعد الأول بمهلة، وأمّا الثماني الأخيريات فقد جاءت على معانٍ أخرى لـ(ثم)، وهي موضوع خلاف بين أهل اللغة، وهذه المعاني هي: دلالتها على التراخي في الرتبة، الاستبعاد، الاستثناف، الدوام والاستمرار، التقديم، ومجيئها بمعنى (هنالك)، وبمعنى واو العطف، ومجيئها زائدة. وقد ذكر ابن عطية والقرطبي لها معنيين آخرين هما التوبيخ والتعجيب، الأول ذكره ابن عطية والثاني القرطبي، ولم أورد هذين المعنيين في سرد المسائل لأنها مسميان آخران لمعنى الاستبعاد، فاكتفيت بذكرهما معه.

وقد تم إيراد أقوال النحاة المختلفة في كل مسألة من هذه المسائل، وفي آخر كل مسألة جاءت خلاصة تشير إلى أرجح الأقوال بناء على ما يحقق المعنى ولا يتعارض مع اللغة، وفي الغالب يتفق الترجيح مع عنوان المسألة، أو لا يأباه، ولم يتخلف ذلك إلا في مسألة زيادة (ثم)؛ وذلك لأن زيادتها لا تدعمها شواهد وأدلة من اللغة العربية.

المسألة الأولى: دلالتها على مدّة محددة

جاءت (ثم) على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وجاء هذا التراخي متفاوتاً ما بين الزمن اليسير وآلاف السنين، وجاءت نهايته على نوعين، نوع معلوم ومعروف للناس، وآخر اختصّ بعلمه الله تعالى، لكنه واقع إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة.

وهذه المسألة ستكون في النوع الأول، وهو دلالتها على مدّة محددة النهاية، وهذه المدة تراوحت ما بين الجزء من اليوم واللييلة، والأيام دون السنة، والسنوات التي تصل إلى المئات، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

أولاً: دلالتها على يوم وليلة أو جزء من أحدهما

١- دلالتها على يوم وليلة: دلت (ثم) على التراخي لمدة يوم وليلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[البقرة: ٥٥-٥٦]، حيث أمارت الله بني إسرائيل الذين ذهبوا مع نبيه موسى للميقات عندما طلبوا رؤيته جهرة لمدة يوم وليلة، ثم بعثهم من الموت بعد ذلك، قال الزمخشري: ((وَالصَّاعِقَةُ مَا صَعَقَهُمْ، أَيِ أَمَاتَهُمْ. قِيلَ: نَارٌ وَقَعَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ. وَقِيلَ: صَيْحَةٌ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ. وَقِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ جُنُودًا سَمِعُوا بِخَسْفِهَا صَعَقِينَ مَيِّتِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً))^(٤)، وقال الرازي: ((خَرَوْا صَعَقِينَ مَيِّتِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً))^(٥).

٢- دلالتها على يوم أو جزء منه: دلت على يوم تام في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالصيام يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فمدته يوم تام. ودلت على جزء من اليوم في قوله تعالى: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ ثُمَّ لَا صَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]، فقطع فرعون أيدي السحرة وأرجلهم لما آمنوا ثم صلبهم في النهار بعد شروق الشمس وقبل غروبها، قال ابن عطية: ((وقال ابن عباس وغيره فيهم: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء))^(٦)، وحدد ابن عاشور هذه المدة

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ١/١٤٢.

(٥) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي (المتوفى: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، طبعة دار التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ٣/٥٢١.

(٦) ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، ٢/٤٤٠.

بزمن قصير من النهار، وهو مدة كيّ مكان القطع واندماله، قال: ((«ثم» دالة على الترتيب والمهلة، ولعل المهلة قصد منها مدة كي واندمال موضع القطع، وهذا هو المناسب لظاهر قوله: أجمعين المفيد أن الصلب ينالهم كلهم))^(٧).

٣- دلالتها على ليلة أو جزء منها وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (١٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴿ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]، وقبل توضيح المدة الزمانية لـ(ثم) في هذه الآية لابد من الإشارة إلى اختلاف أهل التأويل في المأمورين بالإفاضة، وما هي الإفاضة المقصودة، فذهبت طائفة إلى أنهم هم قريش ومن ولدتهم، وأن الإفاضة المقصودة هي الإفاضة الأولى من عرفة إلى مزدلفة في مساء يوم عرفة؛ وذلك لأنهم كانوا يفيضون مع الناس من عرفة، قال الطبري: ((قال بعضهم: المعني بقوله: (ثم أفيضوا)، قريش ومن ولدته قريش، الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحُمس، أمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات، وهي التي أفاض منها سائر الناس غير الحُمس. وذلك أن قريشاً ومن ولدته قريش، كانوا يقولون: لا نخرج من الحرم. فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم، فأمرهم الله بالوقوف معهم))^(٨)، وذهب آخرون إلى أن المقصودين هم كافة الناس، وأن الإفاضة هي الإفاضة الثانية من منطقة جمع بمزدلفة إلى منى في فجر يوم العيد؛ لأنها جاءت بعد الذكر عند المشعر الحرام، والمشعر الحرام بمزدلفة، قال أبو حيان: ((هذه الإفاضة من جمع إلى منى، والمخاطبون بقوله ثم أفيضوا جميع المسلمين، وقد

(٧) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، طبعة الدار التونسية للنشر بتونس ١٩٨٤هـ، ٥٥/٩.

(٨) الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٨٤/٤.

قال بهذا: الضحاك، وقوم معه، ورجحه الطبري، وهو يقتضيه ظاهر القرآن^(٩). وعلى القول الثاني - وهو الراجح - (ثم) على أصلها في الدلالة على الترتيب في الزمان، ومدة زمانها ليلة أو جزءاً منها؛ لأن الذكر غير مقيد بزمن محدد، حيث يبدأ زمنه بجمع صلاتي المغرب والعشاء ويستمر إلى ما بعد صلاة الفجر، ثم يتجهز المسلمون بعد ذلك ويفيضون إلى منى. ودلالاتها على جزء من الليلة في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝﴾ [النجم: ٥-٩]، قيل شديد القوى جبريل، وقد حصل الدنو والتدلي منه في المعراج وكان في جزء يسير من الليل. قال البيضاوي: ((ثُمَّ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَتَدَلَّى فَتَعَلَّقَ بِهِ وَهُوَ تَمَثَّلَ لِعُرْوِهِ بِالرَّسُولِ. وَقِيلَ ثُمَّ تَدَلَّى مِنَ الْأُفُقِ الْأَعْلَى فَدَنَا مِنَ الرَّسُولِ فَيَكُونُ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ عَرَجَ بِهِ غَيْرَ مُنْفَصِلٍ عَنْ مَحَلِّهِ تَقْرِيراً لَشِدَّةِ قُوَّتِهِ))^(١٠).

وأحياناً ترد (ثم) لتدل على وقت محدد يجوز أن يكون جزءاً من الليل أو النهار، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّصِرُ مِنْهُ جُلُودٌ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۝﴾ [الزمر: ٢٣]، أي أن الجلود ترجع إلى حالة اللين بعد القشعريرة، وهذا وما قبله يحدث في جزء يسير من اليوم أو الليلة أو منهما، قال ابن عاشور: ((وأما لين الجلود عقب تلك القشعريرة فهو رجوع الجلود إلى حالتها السابقة قبل اقشعرارها، وذلك قد يحصل عن تناس أو تشاغل بعد تلك

(٩) أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار

الفكر بيروت ١٤٢٠هـ، ٣٠١/٢.

(١٠) البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد

الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٥٧/٥.

الروعة، فعطف عليه لين القلوب ليعلم أنه لين خاص ناشئ عن اطمئنان القلوب بالذكر كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وليس مجرد رجوع الجلود إلى حالتها التي كانت قبل القشعريرة. ولم يكتف بذكر لين القلوب عن لين الجلود لأنه قصد أن لين القلوب أفعمها حتى ظهر أثره على ظاهر الجلود^(١١).

ثانياً: دلالتها على أيام أقل من السنة

جاءت (ثم) في القرآن دالة على أيام معدودة معلومة النهاية، بعضها أكثر من شهر وبعضها أقل منه، فأكثر من شهر قوله تعالى: ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥]، فتراخي العلقه عن النطفة أربعون يوماً، وتراخي المضغة عن العلقه أربعون يوماً أيضاً، وكذا تراخي التخليق، كما جاء في الحديث، قال القرطبي: ((وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح))^(١٢)، وأما الأجل المسمى قبل الولادة فيبدأ من ستة أشهر ويستمر إلى تسعة أشهر وتسعة أيام، فكل هذه الفترة صالحة لولادة الأطفال حين، فإذا (ثم) الأخيرة تدل على تراخ يتراوح من ستة أشهر إلى تسعة، قال الرازي: ((والأجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو آخر ستة

(١١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٩٠/٢٣.

(١٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفش، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، ٧/١٢.

أشهر، أو تسعة))^(١٣). وأقل من شهر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١] ، فقد اتخذوا العجل بعد عشرين يوماً من ذهاب موسى عليه السلام إلى الميعاد، قال الطبري: ((ثم اتخذتم في أيام مواعدة موسى العجل إلهاً، من بعد أن فارقكم موسى متوجهاً إلى الموعد ... وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوماً واليوم يوماً، فلما كان تمام العشرين، خرج لهم العجل. فلما رأوه قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فنسي. يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه. فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي))^(١٤).

ثالثاً: دلالتها على أكثر من سنة

جاءت (ثم) في القرآن دالة على مدة طويلة محددة النهاية، وتراوحت هذه المدة من سبع سنوات إلى تسع وثلاث مائة، وذلك في قوله: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ عَادَٰتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١١-١٢]، فمدة الضرب على آذانهم ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي وهو التاريخ الميلادي، وتسع وثلاثمائة بالتقويم القمري وهو التاريخ الهجري، وقد ورد تفصيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، فتراخي (ثم) ههنا ثلاثمائة سنة أو أكثر، ودلت على التراخي لمدة مائة عام في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ودلت على التراخي لمدة أربعين سنة أو ثمان وعشرين في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي

(١٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٣/٢٠٥.

(١٤) الطبري: جامع البيان، ٦٣/٢، ٦٥.

أَخَذْتُكَ فَقَوْلْ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَيَّ أُمِّكَ كَيْ نَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْتَ نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتْنَاكَ فَنُونًا فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَى ﴿طه: ٤٠﴾، فإن كان المقصود بالمجيء إلى الرسالة بعد إلقائه في اليمِّ فمدته أربعون سنة، وإن بعد مكثه في مدين بعد قتله القبطي فمدته ثمان وعشرون سنة؛ وذلك لأنه خرج من مصر وعمره اثنتا عشرة سنة، ومكث في مدين مع شعيب ثمانياً وعشرين سنة، قال الزمخشري: ((قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة))^(١٥)، وقال الثعلبي: ((قال وهب: لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر امرأته صفيرا بنت شعيب وثمانى عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له))^(١٦)، ودلت على التراخي لمدة سبع سنوات في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذُرُوهُ فِي سُبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾^(١٧) ثم بَاقِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ بِأَكْثَرِ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿يوسف: ٤٧-٤٨﴾.

وخلاصة هذه المسألة: أن دلالة (ثم) فيها على التراخي في الزمن ظاهرة، فهي على أصلها؛ فلذا لم يوجد فيها خلاف بين عند النحاة والمفسرين.

المسألة الثانية: دلالتها على مدة طويلة نهايتها مجهولة

وردت (ثم) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم لتدل على التراخي في الزمن، وهذا التراخي قد تكون مدته طويلة في الغالب تستغرق سنين كثيرة، لكنها مجهولة النهاية للبشر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا

(١٥) الزمخشري: الكشف، ٦٤/٣.

(١٦) الثعلبي، أحمد بن محمد، (المتوفى: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة: الأولى

فَأَخِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿البقرة: ٢٨﴾ ، فهذه الآية تتحدث عن حياتين وميتين كما قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَيْنِ﴾ [غافر: ١١] ، فالموتة الأولى هي التي تسبق نفخ الروح في الإنسان سواء كان في العدم أم في الرحم ، والثانية فهي التي تحصل لكل إنسان في الحياة الدنيا ، وأما الحياتان فالأولى هي التي تحدث بنفخ الروح في الإنسان بعد الشهور الأولى من الحمل ، والثانية هي حياة البعث ليوم الحساب ، قال الألوسي: ((المروي عن ابن عباس ، وابن مسعود ، ومجاهد رضي الله تعالى عنهم أن المراد بالموت الأول العدم السابق ، والإحياء الأول الخلق ، والموت الثاني المعهود في الدار الدنيا ، والحياة الثانية البعث للقيامة ، واختاره بعض المحققين ... واختار آخرون أن كونهم أمواتاً هو من وقت استقرارهم نطفاً في الأرحام إلى تمام الأطوار بعدها ، وأن الحياة الأولى نفخ الروح بعد تلك الأطوار ، والإماتة - هي المعهودة - والإحياء بعدها - هو البعث - يوم ينفخ في الصور ولعله أقرب من الأول))^(١٧).

إذا نظرت إلى دلالة (ثم) الزمانية في هذه الآية تجدها تدل على زمان طويل ، وهو واضح في ورودها الأول والثاني ، ففي الأول (فَأَخِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) تدل على عمر الإنسان ، وعمر الإنسان قد يكون لحظة أو سنين طويلة ، والغالب فيه أن يكون سنين طويلة ؛ لأن أعمار الأمة المحمدية الغالب فيها أن تتراوح ما بين الستين والسبعين ، وهي أقصر الأمم أعماراً ، قال الرسول (ص): ((أعمار أمتي ما بين

(١٧) الألوسي، محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠): روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق علي

عبد البارئ عطية، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ٢١٥/١.

الستين إلى السبعين))^(١٨)، وعمر الإنسان في غيرها من الأمم أحياناً يزيد على ألف سنة. وفي الثاني (يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) تدل على فترة البرزخ التي تنتهي بالبعث للحساب، وهي الفترة التي تفصل حياة الدنيا عن حياة الآخرة، ولا يعرف نهايتها إلا الله، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَنَاءَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وهي فترة متفاوتة في الطول بين الميت الأول من البشر والأخير، على أن أقصرها أربعون سنة، وهي الفترة بين النفختين، نفخة الصور الأولى التي يموت بها جميع الأحياء من البشر، ثم الثانية التي يحيون بها، قال (ص): ((بين النفختين أربعون))^(١٩)، ذكرها من غير تمييز، بيد أن أصحابه كانوا يرون أنه سنة، قال الطبري: ((قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة))^(٢٠). وأما ورودها الثالث (يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فالفترة الزمانية فيه تحتاج إلى توضيح؛ لأن الرجوع إلى الله يحصل عقب البعث من دون تراخ، ولذلك خرجت هذه الآية على وجوه:

الأول: أن يكون الإحياء مقصوداً به حياة القبر للسؤال، والرجوع البعث للحساب، وهذان بينهما فاصل زمني طويل أقله أربعون سنة كما تقدم أنفاً، وعلى هذا تكون دلالة (ثم) على التراخي باقية من غير تأويل، قال الزمخشري: ((فإن قلت: ما المراد بالإحياء الثاني؟ قلت: يجوز أن يراد به الإحياء في القبر، وبالرجوع:

(١٨) الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٥م، الحديث رقم ٣٥٥٠، الجزء الخامس ص ٥٥٣.

(١٩) البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، طبعة دار طوق

النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الحديث رقم ٤٩٣٥، الجزء السادس ص ١٢٦.

(٢٠) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٤/٢١.

النشور))^(٢١)، وقال الرازي: ((فلقائل أن يقول: إن الله تعالى ذكر حياة القبر في هذه الآية. لأن قوله في يحييكم ليس هو الحياة الدائمة وإلا لم صح أن يقول: ثم إليه ترجعون لأن كلمة ثم تقتضي التراخي، والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة الدائمة من غير تراخ))^(٢٢).

الثاني: أن يكون الإحياء مقصوداً به حياة النشور كما تقدم في بداية المسألة، وأن الرجوع إلى الله مبني على حذف مضاف، والضمير في (إليه) راجع إلى الله تبارك وتعالى كالضمائر السابقة له، والتقدير: ترجعون إلى جزاء الله، قال أبو حيان: ((والظاهر في قوله تعالى: ثم إليه ترجعون أن الهاء عائدة على الله سبحانه وتعالى، لأن الضمائر السابقة عائدة عليه تعالى، ويكون ذلك على حذف مضاف، أي إلى جزائه من ثواب أو عقاب))^(٢٣). وعلى هذا تدل (ثم) على التراخي في الزمن لطول يوم الحساب، إذ مقداره خمسون ألف سنة، كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقد فسرت الآية على ذلك، قال الطبري: ((عن ابن عباس، في قوله: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)، فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة))^(٢٤). وذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في (إليه) عائد إلى الإحياء الأول، والمعنى أحياكم في الدنيا ابتداء ثم في النهاية ترجعون إليه في الآخرة كما بدأكم، قال أبو حيان: ((وقيل: عائدة على الإحياء المدلول عليه بقوله: فأحياكم. وشرح هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى، من

(٢١) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٢.

(٢٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢/٣٧٧.

(٢٣) أبو حيان: البحر المحيط، ١/٢١٣.

(٢٤) الطبري: جامع البيان ٢٣/٦٠٢.

كونكم لا تملكون لأنفسكم شيئاً))^(٢٥). ولابن عاشور توجيه قريب من هذا، وهو أن خلقهم ذهاب من عند الله، وحشرهم عودة إلى الله تعالى، قال: ((وقوله: ثم إليه ترجعون، أي يكون رجوعكم إليه، شبه الحضور للحساب برجوع السائر إلى منزله باعتبار أن الله خلق الخلق فكأنهم صدروا من حضرته، فإذا أحياهم بعد الموت فكأنهم أرجعهم إليه، وهذا إثبات للحشر والجزاء))^(٢٦). وعلى هذين التوجيهين دلالة (ثم) في التراخي لا تحتاج إلى تأويل؛ لأن الفاصل الزمني بين الحياتين طويل جداً أقله أربعون سنة كما تقدم.

الثالث: ذهب إليه المجسمة فجعلوا دلالة (ثم) مكانية، حيث يخرج الأموات من قبورهم في شتى أصقاع الأرض ثم يتجهون إلى المكان الذي يوجد فيه الله تعالى للحساب، قال الماوردي: ((وفي قوله: "ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" تأويلان: أحدهما: إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم. والثاني: إلى المجازاة على الأعمال))^(٢٧)، وكأنهم أيدوا توجيههم هذا بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة، قال الرازي: ((تَمَسَّكَ الْمُجَسِّمَةُ بقوله تعالى: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ على أنه تعالى في مكان وهذا ضعيف، والمراد أنهم إلى حكمه يرجعون))^(٢٨)، وقال أبو حيان: ((استدلَّت الْمُجَسِّمَةُ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، على أنه تعالى في مكان

(٢٥) أبو حيان: البحر المحيط، ٢١٣/١.

(٢٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٧٧/١.

(٢٧) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ): النكت والعيون، تحقيق السيد ابن

عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ٩٢/١.

(٢٨) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٧٨/٢.

ولا حجة لهم في ذلك))^(٢٩). فعلى توجيههم هذا - بالرغم من ضعفه - تدل (ثم) على التراخي في الأمكنة؛ لأن الأرض متسعة، وفي كل جزء منها أموات، وكل هؤلاء الأموات - مع بعد المسافات بينهم - سيجتمعون في مكان واحد بعد حياتهم الثانية عند الله تبارك وتعالى لأجل الحساب.

وخلاصة هذه المسألة: أن (ثم) دلت فيها على التراخي في الزمن في أرجح الأقوال، بل تراخ طويل في الغالب، ومتفاوت في المدة، وغير معروفة نهايته للبشر، وهي على خلاف الفاء السابقة لها في قوله: (وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ)، فإنها تدل على التعقيب من غير تراخ، قال الزمخشري: ((فإن قلت: لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء. والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت - إن أريد به النشور - تراخياً ظاهراً. وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضاً متراخ عن النشور))^(٣٠).

المسألة الثالثة: دلالتها على التراخي في الرتبة

وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقبل مناقشة دلالة (ثم) في هذه الآية فلا بد من الإجابة عن سؤالين؛ لأن دلالتها مرتبطة بالإجابة عنهما، والسؤالان هما: ما معنى الاستواء؟ وأيها أسبق في الخلق الأرض أم السماء؟

(٢٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٢١٣/١.

(٣٠) الزمخشري: الكشاف، ١٢٢/١.

فالاستواء له معانٍ كثيرة في اللغة، عدها بعضهم سبعة^(٣١)، أشهرها معنيان: القصد والعلو، قال الأخفش: ((وأما قوله (استوى إلى السماء) فإن ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لتحول، ولكنه يعني فعله كما تقول: "كان الخليفة في أهل العراق يوليهم ثم تحوّل إلى أهل الشام" إنما تريد تحوّل فعله))^(٣٢)، وقال الزجاج: ((قوله عز وجل: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)، فيه قولان: قال بعضهم: (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)، عمد وقصد إلى السماء. كما تقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه: قصد بالاستواء إليه، وقد قيل أيضاً استوى، أي صعد أمره إلى السماء. وهذا قول ابن عباس))^(٣٣). ومعنى القصد التحول من خلق الأرض إلى خلق السماء، وقد اختار الزمخشري هذا التوجيه، قال: ((قوله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)، أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر))^(٣٤)، وأما العلو فقد وجه على معنيين: الأول على حذف مضاف، أي علا أمره إلى السماء بعد الأرض، وهو على هذا مثل القصد في المعنى. والثاني أنه تعالى علا على السماوات بنفسه، أي إن عرشه فوق السماوات، كما في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]،

(٣١) أبو حيان: البحر المحيط، ٢١٧/١.

(٣٢) الأخفش، أبو الحسن الجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ): معاني القرآن، تحقيق الدكتور هدى محمود قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ، ٦٢/١.

(٣٣) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (المتوفى: ٣١١هـ): معاني القرآن وإعرابه، طبعة عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١٠٧/١.

(٣٤) الزمخشري: الكشاف، ١٢٣/١.

وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان: ٥٩] ، وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة: ٤] ، وقوله : ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١١ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١٢ ﴾ [فصلت: ٩ - ١١] ، وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الحديد: ٤]. فهذه الآيات كلها تدل على أن الاستواء كان بعد خلق السماوات والأرض ، وأنه كان على العرش. وقد اختار الطبري توجيه العلو ، قال : ((وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : "ثم استوى إلى السماء فسواهن" ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات))^(٣٥). وقال القرطبي : ((الاستواء في اللغة : الارتفاع والعلو على الشيء ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] ، وقال : ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [الزخرف: ١٣] ، وقال الشاعر :

فَأَوْرَدْتُهُمْ مَاءً بَفِيقَاءَ قَفْرَةٍ وَقَدْ خَلَقَ النَّجْمُ الْبِمَايُ فَاسْتَوَى

أي ارتفع وعلا ، واستوت الشمس على رأسي واستوت الطير على قمة رأسي ، بمعنى علا))^(٣٦).

وتفسير الاستواء مشكل لأنه يؤدي إلى تجسيد الله وتشبيهه بمخلوقاته -تعالى الله عن ذلك- ، والناس فيه على اختلاف ، قال القرطبي : ((هذه الآية من المشكلات ، والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه قال بعضهم : نقرؤها ونؤمن بها ولا

(٣٥) الطبري: جامع البيان ١/٤٣٠.

(٣٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٥٤.

نفسرها، وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلاً سأل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجلاً سوء! أخرجوه. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة. وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم: نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها))^(٣٧).

وأما السؤال الثاني ففي إجابته اختلاف على ثلاثة مذاهب:

أحدها: أن الأرض بما فيها خلقت قبل السماء، ودليله هذه الآية وآيات فصلت: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَسْأَلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت: ٩-١١]، فتقدم ذكر خلق الأرض وأقواتها على خلق السماء، وجملة الخلق في ستة أيام، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، حيث خلق الأرض في يومين، وخلق جبالها وأقواتها وبركتها في يومين آخرين، ثم خلق السماوات في يومين، قال الطبري: ((عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات). قال: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء. فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخاناً، فارتفع فوق الماء فسما عليه، فسماه سماء. ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين - في الأحد والاثنين، ... وخلق الجبال فيها، وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء

(٣٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٥٤.

والأربعاء، وذلك حين يقول: (أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) يقول: أنبت شجرها (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) يقول: أقواتها لأهلها (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٍ) يقول: قل لمن يسألك: هكذا الأمر (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين - في الخميس والجمعة ... فلما فرغ من خلق ما أحب، استوى على العرش))^(٣٨).

الثاني: أن السماء خلقت قبل الأرض، ودليله آيات سورة النازعات: ﴿ثُمَّ أَنشَأْتُ دُخَانًا مِمَّا أَسْمَاءُ بَنَّا ۖ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْتُهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ﴾^(٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠]، فأشارت إلى أن خلق الأرض بعد السماء، ففسروا (دحاها) بمعنى خلقها، فقد ذهب مقاتل إلى إن الاستواء على العرش كان قبل خلق السماء والأرض، وأن الله خلق السماء أولاً، ثم خلق الأرض ثانياً، قال: ((أما قوله: أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى قوله ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، ففيها تقديم: أي وكان استوى إلى السماء قبل ذلك. والسماء خلقت قبل الأرض، وذلك قوله: أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا، كلاهما كانتا ماء ففتقهما الله، فأبان بعضهما من بعض، وخرج البخار من الماء كشبه الدخان، فخلق سبع سموات منه في يومين قبل خلق الأرض، وكان موضع الكعبة زبدة على ظهر الماء، فخلق الأرض بعد ذلك فبسطها من تحت الكعبة، فذلك قوله:

(٣٨) الطبري: جامع البيان ١/ ٤٣٥، ٤٣٦.

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يَعْنِي بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ، دَحَاهَا يَعْنِي بَسَطَهَا مِنْ تَحْتَ الْكَعْبَةِ^(٣٩).

الثالث: أن جرم الأرض خلق قبل السماء، لكن دحوها تم بعد خلق السماء، ودليله مجموع الآيتين: (ثم استوى إلى السماء)، و(بعد ذلك دحاهها)، حيث أشارت الأولى إلى خلق السماء بعد الأرض، والثانية إلى دحو الأرض بعد خلق السماء، وفسر الدحو هنا بمعنى البسط، قال الزمخشري: ((جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء، وأما دحوها فمتأخر. وعن الحسن: خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها، ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، فذلك قوله: (كَانَتْ رُتُقًا)، وهو الالتزاق^(٤٠).

وأما دلالة (ثم) في هذه الآية ففيها أقوال وفاقاً للأقوال في تفسير الاستواء وخلق السماء والأرض، فقد خُرِّجَتْ على وجوه:

الأول: أنها تدل على المهلة في الرتبة، أي أن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، قال الزمخشري: ((ثم" ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت^(٤١)، وقال السمين الحلبي: ((أصل "ثم" أن

(٣٩) مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ): تفسير مقاتل، تحقيق عبد الله محمود شحاته، طبعة دار

إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ١/٥١٠.

(٤٠) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٤.

(٤١) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٣.

تقتضي تراخياً زمانياً، ولا زماناً هنا، فقليل: إشارةً إلى التراخي بين رتبتي خَلَقِ الأرض والسماء))^(٤٢).

الثاني: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب والمهلة في الزمان؛ لأن بين خلق السماء والأرض تم خلق الجبال والأقوات والبركة، قال أبو حيان: ((وقيل لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال من جعل الرواسي والبركة فيها وتقدير الأقوات عطف بـ(ثم)، إذ بين خلق الأرض والاستواء تراخ))^(٤٣). وهذا يوافق قول من جعل خلق الأرض ودحوها قبل خلق السماء.

الثالث: أنها تدل على التقديم، أي أن ما بعدها سابق لما قبلها، قال تاج القراء: ((ثم" يأتي مع الجملة، دالاً على التقديم، نحو قوله، : (ثُمَّ اهْتَدَى)، (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)، ويكون (ثم) متعلقاً بالإخبار، أي ثم أخبركم بأنه قبل ذلك استوى إلى السماء))^(٤٤). وهذا يوافق قول من جعل خلق السماء سابقاً لخلق الأرض، لكنه يخالف دلالة (ثم) عند جمهور النحاة.

الرابع: أنها تدل على الترتيب مع التعقيب من غير مهلة مثل الفاء، قال مكي: ((فإنما دخلت "ثم" في قوله: {ثُمَّ اسْتَوَى} بمعنى القصد لخلق ما أراد أن يخلق على ما تقدم في علمه قبل، بلا أمد))^(٤٥)، وقال الرازي: ((قوله: ثم استوى إلى السماء،

(٤٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق، ١/٢٤٢.

(٤٣) أبو حيان: البحر المحيط، ١/٢١٧، ٢١٦.

(٤٤) تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية بمجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، ٢/١٠٤٠.

(٤٥) مكي بن أبي طالب، (المتوفى: ٤٢٧هـ): الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث =العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د.: الشاهد البوشيخي، الناشر: جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ، ١/٢٠٩.

أي خلق بعد الأرض السماء، ولم يجعل بينهما زماناً ولم يقصد شيئاً آخر بعد خلقه (الأرض)^(٤٦). وهذا يوافق قول من فسر الاستواء بالقصد، لكنه أيضاً يخالف جمهور النحاة.

الخامس: أنها تدل على تعديد الأشياء، قال النيسابوري: ((يقال (ثم) ليس للترتيب ههنا، وإنما هو على جهة تعديد النعم. مثاله: أن تقول لغيرك: أأنت قد أعطيتك نعماً عظيمة، ثم رفعت قدرك، ثم دفعت عنك الخصوم؟ ولعل بعض ما أخرته في الذكر مقدم في الوقوع)^(٤٧). وهذا قريب من الوجه الأول.

السادس: أنها تدل على التراخي في المكان، أي أن ما بعدها متأخر في المكان عما قبلها، وهذا يوافق قول من فسر الاستواء بالعلو الحسي، حيث جعلوه العلو على العرش، وقد ورد في الحديث أن المسافة بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مثل ذلك، وبين السماء السابعة والعرش مثل ذلك كله، قال أبو الشيخ الأصبهاني: ((عن عبد الله رضي الله عنه، قال: «إن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، ونضد كل سماء - يعني غلظه - خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى فوق العرش)^(٤٨)، وقال السيوطي: ((عَنْ أَبِي دُرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خُمُسِمِائَةِ عَامٍ،

(٤٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٨٠/٢.

(٤٧) النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ٢١١/١.

(٤٨) أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد (المتوفى: ٣٦٩هـ): العظمة، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس، الناشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٥٦٥/٢.

كَذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، والأرضون مثل ذلك، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْعَرْشِ
مثل جميع ذلك))^(٤٩).

وخلاصة هذه المسألة: لعل الراجح من الوجوه السابقة الوجه الأول، وهو أن
(ثم) للتراخي في الرتبة؛ لأنه لا يتناقض مع خلق السماء قبل الأرض، أو خلق
الأرض وما فيها قبل السماء، وذلك لأن السماء إن كانت مخلوقة قبل الأرض فـ(ثم)
للتراخي الرتبي لا غير، وإن كانت الأرض مخلوقة قبل السماء، فإن (ثم) تدل على
التراخي الرتبي أيضاً مع دلالتها على التراخي الزمني، كما أنها على التوجيه نفسه
تستوعب معنى الاستواء إن كان للقصد أو للعلو. وللتراخي الرتبي في القرآن الكريم
أمثلة واضحة في توجيهها لا تحتاج إلى تأويل، منها قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾^(١١) وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ^(١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ^(١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ^(١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ^(١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا
مَتْرَبٍ^(١٦) تُرْكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا^(١٧) [البلد: ١١-١٧]، فعطف بـ(ثم) الإيمان على الأعمال
الصالحة من عتق وإطعام، وشرط قبول الأعمال الصالحة عند الله أن يسبقها إيمان
صاحبها، قال الرازي: ((فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات، ولا
مقتحماً للعقبة))^(٥٠)، وبناء على هذا فإن (ثم) في هذه الآية لا تدل على التراخي في
الزمن، وإنما تدل على التراخي في الرتبة، قال الزمخشري: ((ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
جاء بـثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت،
لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلا به))^(٥١). ومثل هذه

(٤٩) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، طبعة دار الفكر

بيروت، ١/١٠٨.

(٥٠) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣١/١٧٠.

(٥١) الزمخشري: الكشف ٤/٧٥٧.

الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، فالهداية سابقة للغفران؛ لأن الغفران لا يكون إلا للمهتدين، وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً خَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمرحلة الإنشاء -وهي نفخ الروح على أرجح الأقوال- تالية لما قبلها من غير تراخ، لكن عطفت بـ(ثم) للدلالة على فضلها وعظم رتبها على المراحل السابقة لها، قال الرازي: ((وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة في الأحوال الجسمية، وذلك يدل على أن الروح شيء مغاير للبدن))^(٥٢)، وقال ابن عاشور: ((وللإشارة إلى التفاوت الرتبي بين الخلقين عطف هذا الإنشاء بـ(ثم) الدالة على أصل الترتيب في عطف الجمل بـ"ثم")^(٥٣).

ويدخل في الترتيب الرتبي الآيات التي وردت مكررة بـ(ثم) مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٢ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، قال الزمخشري: ((و(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل))^(٥٤)، وقال البيضاوي: ((ثم كلاً سَوْفَ تَعْلَمُونَ تكرير للتأكيد، وفي (ثم) دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول))^(٥٥)، وقال ابن عاشور: ((أكد الزجر والوعيد بقوله: ثم كلا سوف تعلمون، فعطف عطفًا لفظياً بحرف التراخي للإشارة إلى تراخي رتبة هذا الزجر والوعيد عن رتبة الزجر والوعيد

(٥٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٠٤/٢١، ٤٠٥.

(٥٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٤/١٨.

(٥٤) الزمخشري: الكشاف، ٧٩٢/٤.

(٥٥) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٣٤/٥.

الذي قبله ، فهذا زجر ووعيد مماثل للأول لكن عطفه بحرف (ثم) اقتضى كونه أقوى من الأول لأنه أفاد تحقيق الأول وتهويله^(٥٦).

وقد أصل ابن عاشور في تفسيره لدلالة (ثم) على الترتيب الرُّتبي ، وذكر أنها تدل عليه إن كانت عاطفة لجملة على جملة ، وكانت الجملة الثانية مخبرة عما أخبرت عنه الجملة الأولى ، قال : ((وعظفت (ثم) جملة (استوى) على جملة خلق لكم. ولدلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة ، وهي مهلة تخيلية في الأصل تشير إلى أن المعطوف بـ(ثم) أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها حتى كأن العقل يتمهل في الوصول إليه بعد الكلام الأول فينتبه السامع لذلك كي لا يغفل عنه بما سمع من الكلام السابق ، وشاع هذا الاستعمال حتى صار كالحقيقة ، ويسمى ذلك بالترتيب الرتبي ويترتب الإخبار بكسر الهمزة^(٥٧))) ، ثم قال : ((واعلم أنني تتبععت هذا الاستعمال في مواضعه فرأيت أنه أكثر ما يرد فيما إذا كانت الجمل إخبارا عن مخبر عنه واحد بخلاف ما إذا اختلف المخبر عنه فإنَّ (ثم) تتعين للمهلة الزمنية كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] ، أي بعد أن أخذنا الميثاق بأزمان صرتم تقتلون أنفسكم ونحو قولك : مرت كتيبة الأنصار ثم مرت كتيبة المهاجرين^(٥٨) . ولم يشترط ابن عاشور في الجملة الثانية أن تكون أعظم رتبة من الجملة الأولى كما ذهب

(٥٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥٢١/٣٠.

(٥٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٨٢/١.

(٥٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٨٣/١ ، ٣٨٤.

الز مخشري وإنما اكتفى بأن تكون أعرق من الأولى في المعنى وهو تحديد غير واضح مثل تحديد الز مخشري وإن كان يتجه إلى ما ذكره الز مخشري .

المسألة الرابعة: دلالتها على الاستئناف

تأتي (ثم) للاستئناف، فتكون غير عاطفة للكلمة التي بعدها على الكلمة التي قبلها، ويكون ما بعدها كلاماً مستقلاً من الناحية الإعرابية عمّا قبلها، وهي عندئذ حرف ابتداء، قال المالقي: ((تكون حرف ابتداء على الاصطلاح، أي يكون بعدها المبتدأ والخبر))^(٥٩). ومما جاء على ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ يَصُرُواكُمْ إِلَّا أَذًى وَلِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]، فـ(ثم) ههنا حرف استئناف، ولو كانت عاطفة (لا ينصرون) على (يولوكم) لجاء مجزوماً مثله، أي لسقطت منه نون الرفع وقيل (ثم لا ينصروا)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، فسقطت النون من (لا يكونوا)؛ لأن (ثم) ههنا حرف عطف وليست حرف استئناف. قال الفراء: ((ثم لا يُنصَرُونَ مرفوع على الاستئناف، ولأن رؤوس الآيات بالنون))^(٦٠)، وقال الطبري: ((وإنما رفع قوله: (ثم لا ينصرون)، وقد جزم قوله: (يولوكم الأدبار)، على جواب الجزاء، استئنافاً للكلام، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون))^(٦١)، فعلا الاستئناف بأنه محافظة على سجع الآيات، وهو انتهؤها بحرف النون، وقد علله الز مخشري بالمعنى، وذكر أن في

(٥٩) المالقي، أحمد بن عبد النور (المتوفى: ٧٠٢هـ): رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد

الخرط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٧٥.

(٦٠) الفراء: معاني القرآن، ١/٢٢٩.

(٦١) الطبري: جامع البيان، ٧/١١٠.

هذا الاستئناف بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالنصر المطلق على اليهود مع كثرتهم ووفرة عتادهم، قال: ((فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله: (ثم لا يُنصرون)؟ قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداءً، كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فأبي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم، كتولية الأدبار، وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتفٍ عنهم النصر والقوة، لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر. وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر))^(٦٢).

و(ثم) وإن كانت حرف استئناف لا تخرج عن معنى العطف، بل تعطف الجملة المستأنفة على ما قبلها من الجمل، قال الزركشي: ((واعلم أنها وإن كانت حرف استئناف ففيها معنى العطف وهو عطف الخبر على جملة الشرط والجزاء كأنه قال أخبركم أنهم يقاتلونكم فيهزمون ثم أخبركم أنهم لا ينصرون))^(٦٣). والمعنى: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. وذهب الزمخشري إلى أنها عندئذ تفيد التراخي في الرتبة؛ وذلك لأن عدم نصرهم مطلقاً أعظم من هروبهم في بعض المعارك، قال: ((فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثم؟ قلت: التراخي في المرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولييتهم الأدبار))^(٦٤)، وذهب أبو حيان إلى

(٦٢) الزمخشري: الكشف ٤٠١/١.

(٦٣) الزركشي، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ، ٢٦٩/٤.

(٦٤) الزمخشري: الكشف ٤٠١/١.

أنها تفيد ترتيب الإخبار، قال: ((وثم هنا ليست للمهلة في الزمان، وإنما هي للتراخي في الإخبار. فالإخبار بتوليهم في القتال وخذلانهم والظفر بهم أبهج وأسر للنفس))^(٦٥). والمعنيان متقاربان، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في دلالتها على التراخي.

وذكر البيضاوي أن (لا ينصرون) قرئ مجزوماً بالعطف على (يولوكم)، وعندئذ يكون عدم نصر الكافرين مقيداً بقتال المؤمنين، و(ثم) للتراخي الرتبي أيضاً، قال: ((وقرئ «لا ينصروا» عطفاً على يولوا على أن (ثم) للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم))^(٦٦)، وذكر الألوسي أن بعضهم جوز أن تكون (ثم) للتراخي في الزمان على القراءتين، قال: ((وجوز بعضهم كونها للتراخي في الزمان على القراءتين بناء على اعتباره بين المعطوف عليه وآخر أجزاء المعطوف، وقراءة الرفع أبلغ لخلوها عن القيد))^(٦٧). والقراءتان توافقتان مذهب النحاة؛ لأن المعطوف على جواب الشرط يجوز جزمه على التبعية ورفع على الاستئناف، قال صاحب اللباب: ((قال ابن الخطيب: ههنا مسألة، وهي أن النحاة قالوا: يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع، تقول: إن تأتي آتاك فأخبرك بالجزم والرفع جميعاً))^(٦٨).

(٦٥) أبو حيان: البحر المحيط، ٣/٣٠٤.

(٦٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/٣٣.

(٦٧) الألوسي: روح المعاني، ٢/٢٤٥.

(٦٨) ابن عادل، سراج الدين، عمر بن علي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١٧/٤٧٣.

ومثل الآية السابقة في دلالة (ثم) على الاستئناف قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَلَدُ الْأَوَّلُ﴾ (١٦-١٧)، ف(ثم) على قراءة الرفع في (نتبعهم) - وهي قراءة الجمهور - تفيد الاستئناف، وعلى قراءة الجزم - وهي قراءة الأعرج عن أبي عمرو - تفيد العطف، قال الأخفش: ((وقال "ثُمَّ تُتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ" رفع لأنه قطعه من الكلام الأول وإن شئت جزمته إذا عطفته على "تُهْلِكُ") (٦٩)، وقال ابن عطية: ((قرأ جمهور القراء (ثم نتبعهم) بضم العين على استئناف الخبر، وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه (ثم نتبعهم) بجزم العين عطفًا على (تُهْلِكُ)، وهي قراءة الأعرج)) (٧٠). ف(الأولين) على الاستئناف هم من سبق قريش من الكافرين، و(الآخرين) هم قريش ومن تبعهم، وعلى الجزم كلاهما سابقان لكفار قريش، قال أبو حيان: ((فعلى الاستئناف يكون (الأولين) الأمام التي تقدمت قريشا أجمعا، ويكون (الآخرين) من تأخر من قريش وغيرهم. وعلى التشريك يكون (الأولين) قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن كان معهم، و(الآخرين) قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (٧١). وأبى العكبري الجزم على العطف، قال: ((وليس بمعطوف؛ لأن العطف يوجب أن يكون المعنى: أهلكنا المجرمين، ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك؛ وليس كذلك؛ لأن إهلاك الآخرين لم يقع بعد)) (٧٢).

والخلاصة: أن دلالة (ثم) على الاستئناف لا خلاف فيها بين النحاة.

(٦٩) الأخفش: معاني القرآن، ٥٦٢/٢.

(٧٠) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤١٨/٥.

(٧١) أبو حيان: البحر المحيط، ٣٧٦/١٠.

(٧٢) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (المتوفى: ٦١٦هـ): التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد

البجوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٢٦٣/٢، ١٢٦٤.

المسألة الخامسة: دلالتها على الاستبعاد

ومعنى الاستبعاد أن ما بعد (ثم) فعله مستبعد في العادات والطباع، وذلك كأن يتعري إنسان عاقل سوي أمام الناس دون مبالاة، فتقول له: ترى الناس ثم تتعري، فتعريه أمام الناس شيء مستبعد في العادات والطباع. وهذا المعنى أول من قال به الزمخشري، وتبعه فيه كثير ممن جاء بعده من المفسرين، وقد ورد مطرداً في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ آفَاقٍ أَنبِيَاءَ ۖ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ۚ كَانُوا يَسْمَعُهَا فَبَشِيرَةً يَعَذَابُ إِلِيمٍ﴾ [الحاثية: ٧-٨]، وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١-٢]، فقد ذهب الزمخشري إلى أن (ثم) في هذه الآيات تدل على الاستبعاد، فقال في (ثم) في آية السجدة: ((ثم" في قوله: (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز. ومنه "ثم" في بيت الحماسة:

لَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها)) (٧٣)، وفي الحاثية: ((فإن قلت: ما معنى ثم في قوله ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا؟ قلت: كمعناه في قول القائل:

(٧٣) الزمخشري: الكشف ٥١٥/٣.

يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وذلك أنَّ غمرات الموت حقيقة، بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها. وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها. فأمر مستبعد، فمعنى ثم: الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها، شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق، من تليت عليه وسمعها: كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها^(٧٤)، وفي آيتي الأنعام: ((فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك (ثم أنتم تَمْتَرُونَ) استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محيهم ومحيثهم وباعثهم^(٧٥)). وقد تبعه في ذلك جمع من المفسرين اللغويين، قال الرازي: ((فإن قيل: فما معنى (ثم)؟ قلنا: الفائدة فيه استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته والله أعلم^(٧٦)، وقال أيضا: ((فإن قالوا: ما معنى ثم في قوله ثم يصبر مستكبرا؟ قلنا نظيره قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، إِلَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، ومعناه أنه تعالى لما كان خالقاً للسموات والأرض كان من المستبعد جعل هذه الأصنام مساوية له في العبودية، كذا ههنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد أن يقابل بالإنكار والإعراض^(٧٧)، وقال البيضاوي: ((و(ثم) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً^(٧٨)، وقال أيضاً: ((ومعنى ثم: استبعاد عدولهم بعد هذا البيان^(٧٩)، وقال

(٧٤) الزمخشري: الكشف ٢٨٦/٤.

(٧٥) الزمخشري: الكشف ٧٥٧/٤.

(٧٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٧٩/١٢.

(٧٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٦٧٢/٢٧.

(٧٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢٢٢/٤.

السمين الحلبي: ((قوله: (ثم يُصِرُّ) قال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ: ما معنى (ثم) في قوله: (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)؟ قلت: كمعناه في قولِ الفائل: يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وذلك أَنَّ غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رأيها بنفسه ويطلب الفرار. فمعنى (ثم) الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعدما رآها وعانيتها شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق. فمن تليت عليه وسمعها كان مستبعداً في القول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها))^(٨٠). ولم يزد على قول الزمخشري شيئاً.

وذهب الطبري -وهو سابق للزمخشري- إلى أن (ثم) في قوله: (ثم يصِرُّ مستكبراً) تدل على الإقامة والمداومة، قال: ((يقول: يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه))^(٨١).

ومن الذين جاءوا بعد الزمخشري ولم يتابعوه نفر منهم: ابن عطية، فقد ذهب إلى أنها تدل على التوبيخ في هذه المواضع وما شابهها، قال: (("ثُمَّ" دالة على قبح فعل الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لأن المعنى أن خلقه السموات والأرض وغيرهما قد تقرر، وآياته قد سطعت، وأنعامه بذلك قد تبين ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم، فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنيت إليك ثم تشتمني، أي بعد مهلة من وقوع هذا كله، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ(ثُمَّ)، وقوله: (ثُمَّ أَنْتُمْ) على نحو قوله: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) في التوبيخ على سوء الفعل بعد

(٧٩) البضاوي: أنوار التنزيل، ١٥٣/٢.

(٨٠) السمين الحلبي: الدر المصون، ٩٦٢/٩، ٩٦٣.

(٨١) الطبري: جامع البيان ٦٣/٢٢.

مهلة من وضوح الحجج^(٨٢). والقرطبي، فقد ذهب إلى أنها تدل على التعجيب، قال: ((و(ثم) في قوله تعالى: (ثُمَّ يَطْمَعُ) ليست بـ(ثم) التي للنسق ولكنها تعجيب، وهي كقوله تعالى: (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، وذلك كما تقول: أَعْطَيْتُكَ ثُمَّ أَنْتَ تَجْفُونِي، كالمتعجب من ذلك))^(٨٣)، وبعضهم ذكر أنها تدل على بعد ما بين الرتبتين، أي التراخي الرتبي، قال ابن عادل الدمشقي: ((قوله: (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) هذه أبعد ما بين الرتبتين معنى))^(٨٤)، وقال ابن عاشور: ((عطفت جملة ثم الذين كفروا برهم يعدلون على جملة: الحمد لله الذي خلق السماوات. فـ(ثم) للتراخي الرتبي الدال على أن ما بعدها يتضمن معنى من نوع ما قبله، وهو أهم في بابه. وذلك شأن (ثم) إذا وردت عاطفة جملة على أخرى، فإن عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنه خالق الأشياء أمر غريب فيهم أعجب من علمهم بذلك))^(٨٥)، وقال أيضاً: ((وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) عطف على جملة: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ)، فحرف (ثم) للتراخي الرتبي كغالب وقوعها في عطف الجمل لانتقال من خبر إلى أعجب منه))^(٨٦)، وقال كذلك: ((و(ثم) للتراخي الرتبي لأن ذلك الإصرار بعد سماع مثل تلك الآيات أعظم وأعجب، فهو يصير عند سماع آيات الله وليس إصراره متأخراً عن سماع الآيات))^(٨٧). ولعل هذا لا يتوافق مع التراخي

(٨٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٨٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٧٢.

(٨٤) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ١٥/٤٨٩.

(٨٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٧/١٢٨.

(٨٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٧/١٣١.

(٨٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٥/٣٣٢.

الرتبي الذي تقدم في المسألة السابقة، إذ في التراخي الرتبي يكون الذي بعد (ثم) أعظم درجة من الذي قبلها.

وأما أبو حيان الأندلسي فمذهبه غير واضح في هذه المسألة، ففي بداية تفسيره عارض الزمخشري وابن عطية فيما ذهبوا إليه من دلالة (ثم) على الاستبعاد أو التوبيخ، وذكر أنها دالة على التراخي في الزمن من دون أن يحدد بداية الزمن الذي تدل عليه أو نهايته، فقال في الجزء الأول من تفسيره عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٣-٧٤]، ((قال الزمخشري، معنى ثم قست: استبعاد القسوة بعد ما ذكر ما يوجب لين القلوب ورقتها، ونحوه (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) انتهى. وهو يذكر عنه أن العطف بثم يقتضي الاستبعاد، ولذلك قيل عنه في قوله: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ). وهذا الاستبعاد لا يستفاد من العطف بثم، وإنما يستفاد من مجيء هذه الجملة ووقوعها بعد ما تقدم مما لا يقتضي وقوعها، ولأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر، فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب والإنابة إلى الله))^(٨٨)، وقال في الجزء الرابع عند تفسير قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ في سورة الأنعام: ((قال الزمخشري: فإن قلت: فما معنى (ثُمَّ)؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) استبعاد لأن تمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييه ومميتهم وباعثهم انتهى. وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من أن (ثُمَّ) للتوبيخ، والزمخشري من أن (ثُمَّ) للاستبعاد ليس بصحيح لأن (ثُمَّ) لم توضع لذلك، وإنما التوبيخ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول (ثُمَّ) ولا أعلم أحدا من النحويين ذكر ذلك، بل (ثُمَّ) هنا للمهلة في الزمان وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية، أخبر تعالى بأن

(٨٨) أبو حيان: البحر المحيط، ٤٢٢/١.

الحمد له ونبه على العلة المقتضية للحمد من جميع الناس وهي خلق السموات والأرض والظلمات والنور ثم أخبر أن الكافرين به يعدلون فلا يحمدونه^(٨٩)، ثم في آخر تفسيره سار على قول الزمخشري وقع الحافر بالحافر دون أن يزيد عليه كلمة واحدة أو أن ينتقصه، فقال في الجزء الثامن عند تفسير قوله: (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا)، من سورة السجدة: ((قال الزمخشري: (ثم) للاستبعاد، والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعادة، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز، ومنه (ثم) في بيت الشاعر:

وَلَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها^(٩٠)، وقال في الجزء التاسع عند تفسير قوله: (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)، من سورة الجاثية: ((قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى (ثم) في قوله: (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)؟ قلت: كمعناه في قول القائل:

يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وذلك بأن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها، وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها، فأمر مستبعد. فمعنى (ثم) الإيذان بأن فعل المقدم عليها، بعد ما رآها وعابنها، شيء يستبعد في العادة والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة القاطعة بالحق، من تليت عليه وسمعها، كان مستبعدا في العقول إصراره

(٨٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٤/٤٣٠.

(٩٠) أبو حيان: البحر المحيط، ٨/٤٣٩، ٤٤٠.

لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وخلاصة هذه المسألة: لعل مذهب الزمخشري فيها هو الأرجح ؛ لأنه متوافق مع جميع الآيات التي جاءت على هذا النمط ، ولارتضائه من كثير من المفسرين اللغويين الذين اتبعوه ، ولخلو هذه الآيات من الدلالة الزمانية ، كما أن من عارضه رجع في آخر أمره إلى ما ذهب إليه الزمخشري ، كما تقدم عند أبي حيان وابن عاشور ،

(٩٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١/٢٣٣، ٢٣٤.

وما قال به ابن عطية والقرطبي قريب من مذهبه ؛ لأن التوبيخ يكون على مخالفة شيء تستبعد مخالفته ، وكذا التعجب يكون في شيء يستبعد حدوثه في العادة.

المسألة السادسة: دلالتها على الدوام والاستمرار

تدلُّ (ثم) على الدوام والاستمرار إذا كان ما يليها متصلاً بما قبلها دون مهلة ، ويبقى مستمراً زمناً طويلاً بعده ، مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] ، فالاستقامة على توحيد الله تالية للإيمان به دون مهلة ، وتبقى مدة حياة الموحد ، وعلى ذلك بُشِّرَ المستقيمون بالجنة ، قال الطبري : ((عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال : "قد قالها الناس ، ثم كفر أكثرهم ، فمن مات عليها فهو ممن استقام"))^(٩٤) ، وقال الزمخشري : ((وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً . وعنه : أنه تلاها ثم قال : ما تقولون فيها؟ قالوا : لم يذنبوا. قال حملتم الأمر على أشده. قالوا : فما تقول؟ قال : لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان))^(٩٥) . وعليه فإن (ثم) لا تدل على أن الاستقامة حصلت بعد تراخٍ ومهلة من الإقرار بوحدانية الله ، بل دلت على أنها حصلت على الفور لكنها بقيت مستمرة مدة طويلة ، وإلى هذا المعنى ذهب القشيري ، قال : (("ثمَّ استقاموا" : (ثم) حرف يقتضي التراخي ، فهو لا يدل على أنهم في الحال لا يكونون مستقيمين ، ولكن معناه استقاموا في الحال ، ثم استقاموا في المال بأن استداموا إيمانهم إلى وقت خروجهم من الدنيا ، وهو آخر أحوال كونهم

(٩٤) الطبري: جامع البيان ٤٦٤/٢١ .

(٩٥) الزمخشري: الكشف ١٩٨/٤ ، ١٩٩ .

مكلفين))^(٩٦). وتبعه في ذلك ابن المنير الإسكندري، قال: ((ثم في أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان وبعد ما بينهما، والزمخشري يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما، حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية: وحاصله: أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة، وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها: وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه، فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن. ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقاءه وعليه حمل قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَقَامُوا)، أي داموا على الاستقامة دوماً متراخياً ممتد الأمد، وتلك الاستقامة هي المعتبرة، لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى والشهوات))^(٩٧).

وذهب الزمخشري إلى أن (ثم) في هذه الآية تدل على التراخي في المرتبة؛ لأن الاستقامة أشق من حصول الإيمان، فهي أعلى منه مرتبة لأنها تحتاج إلى تكرار ومراقبة، قال: ((ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة، وفضلها عليه؛ لأن الاستقامة لها الشأن كله. ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته))^(٩٨). وتبعه في ذلك ابن عاشور، قال: ((و(ثم) للتراخي الرُّبِّي لأن الاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد لأنها تشمله وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه، ولأن

(٩٦) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، الطبعة الثالثة، ٣/٣٢٧.

(٩٧) ابن المنير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ): الانتصاف من الكشاف، الكتاب مذيّل بحاشية الكشاف، ١/٣١١.

(٩٨) الزمخشري: الكشاف ٤/١٩٨.

الاستقامة دليل على أن قولهم: ربنا الله كان قولاً منبعثاً عن اعتقاد الضمير والمعرفة الحقيقية^(٩٩)، وقال أيضاً: ((ثم)) للتراخي الرتبي: وهو الارتقاء والتدرج، فإن مراعاة الاستقامة أشق من حصول الإيمان لاحتياجها إلى تكرار مراقبة النفس، فأما الإيمان فالنظر يقتضيه واعتقاده يحصل دفعة لا يحتاج إلى تجديد ملاحظة. فهذا وجه التراخي الرتبي من جهة، وإن كان الإيمان أرقى درجة من العمل من حيث إنه شرط في الاعتماد بالعمل^(١٠٠). ويلاحظ أن ابن عاشور ههنا تابع الزمخشري حتى في اشتراطه أن يكون المعطوف أعظم رتبة من المعطوف عليه، وكان من قبل - كما تقدم في دلالة (ثم) على الترتيب في الرتبة - لا يشترط في المعطوف ذلك، بل كان يشترط أن يكون العطف من عطف الجمل، وأن تكون الجملتان مرتبطتين في معنى واحد.

وذهب أبو حيان إلى أن (ثم) على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، قال: ((فقل لهم أجرهم عند ربهم، وعطف: بـ(ثم)، التي تقتضي المهلة، لأن من أنفق في سبيل الله ظاهراً لا يحصل منه غالباً المن والأذى، بل إذا كانت بنية غير وجه الله تعالى، لا يمن ولا يؤدي على الفور، فلذلك دخلت: ثم، مراعاة للغالب. وإن حكم المن والأذى المتعقبين للإنفاق، والمقارنين له حكم المتأخرين))^(١٠١). و(ثم) في هذه الآية تدل على البقاء والاستمرار؛ لأن الأجر لا يتحقق للمنان، بل يتحقق للمنفق من ساعة إنفاقه إذا لم يتبع إنفاقه مناً ولا أذى وبقي على ذلك إلى أن يلقى ربه، قال ابن

(٩٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٣/٢٤.

(١٠٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧/٢٦.

(١٠١) أبو حيان: البحر المحيط، ٦٦٠/٢.

المنير بعد حديثه عن قوله (ثم استقاموا) الذي مرّ قريباً: ((وكذلك قوله: (ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى)، أي يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان، ليسوا بتاركيه في أزمئة إلى الإذاية وتقليد المنن بسببه، ثم يتوبون))^(١٠٢).

وخلاصة هذه المسألة: لعل دلالتها على دوام المعطوف وبقائه إلى فترة طويلة بعد عقبه للمعطوف عليه من غير فاصل زمني هو الأكثر توافقاً مع معنى هذه الآية وأمثالها، خاصة أن أقوال المفسرين تتجه إلى ذلك، قال الزجاج: ((معنى (ثم استقاموا) أي أقاموا على توحيد الله وشرعية نبيه عليه السلام)^(١٠٣). وقال الزمخشري بعد أن ذكر أنها تفيد الترتيب الرُّتبي: ((وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غرضاً جديداً))^(١٠٤).

المسألة السابعة: مجيئها بمعنى هنالك

ذهب الطبري إلى أن (ثُمَّ) المضمومة الثاء تأتي بمعنى (هنالك)، والمعروف أن التي تأتي بمعنى (هنالك) هي (ثُمَّ) مفتوحة الثاء، وهذه ليست من حروف العطف وإنما هي من ظروف المكان، وهذا القول يتيم للطبري لم يسبقه إليه أحد، وخالفه فيه كثير من المفسرين واللغويين المشهورين الذين تلوه.

وقد جعل (ثم) بمعنى (هنالك) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ هَرَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامِنْتُمْ بِهِ ؕ ءَا كُنْ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ [يونس: ٥٠-٥١]، قال: ((ومعنى قوله: (أثم)، في هذا الموضع: أهنالك، وليست

(١٠٢) ابن المنير الإسكندري: الانتصاف من الكشاف، الكتاب مذيّل بحاشية الكشاف، ٣١١/١.

(١٠٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤/٤٤٢.

(١٠٤) الزمخشري: الكشاف ٣٧٧/٤.

((ثم)) هذه ههنا التي تأتي بمعنى العطف^(١٠٥)، والمعنى: أهناك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به؟ وتبعه في ذلك الثعلبي والقرطبي، قال الثعلبي: ((«أثم» هنالك وحينئذ، وليس بحرف عطف))^(١٠٦)، وقال القرطبي: ((وقيل: إِنَّ (ثم) ههنا بمعنى: (ثم) بفتح الثاء، فتكون ظرفاً، والمعنى: أهناك، وهو مذهب الطبري))^(١٠٧). وعلى الرغم من أن قراءة طلحة بن مُصَرِّف (أثم) بفتح الثاء، ومعناها: أهناك، تؤيد مذهبه هذا لم يسلم من نقد كثير من المفسرين، قال ابن عطية: ((وقرأ طلحة بن مصرف (أثم) بفتح الثاء، وقال الطبري في قوله (ثم) بضم الثاء، معناه هنالك، وقال: ليست «ثم» هذه التي تأتي بمعنى العطف. قال القاضي أبو محمد: والمعنى صحيح على أنها (ثم) المعروفة ولكن إطباقه على لفظ التنزيل هو كما قلنا، وما ادعاه الطبري غير معروف))^(١٠٨). وقال أبو حيان: ((وما قاله الطبري من أن (ثم) هنا ليست للعطف دعوى، وأما قوله: إن المعنى أهناك، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى، لا أن (ثم) المضمومة الثاء معناها معنى هنالك. وقرأ طلحة بن مصرف: (أثم) بفتح الثاء، وهذا يناسبه تفسير الطبري أهناك))^(١٠٩). وقال الزركشي: ((وقال الطبري في قوله: (أثم) إذا ما وقع آمنتم به)، معناه أهناك، وليست (ثم) العاطفة وهذا، وهم اشتبه عليه المضمومة بالفتوحة))^(١١٠).

(١٠٥) الطبري: جامع البيان ١٥/١٠١.

(١٠٦) الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٥/١٣٤.

(١٠٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٨/٣٥١.

(١٠٨) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٣/١٢٤.

(١٠٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٦/٧٠.

(١١٠) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٧٠.

وذكر الألوسي أن (ثم) في هذه الآية تدل على الاستبعاد؛ لأنه مستبعد جداً أن يؤمنوا بعد ما يقع العذاب بهم وينتفعوا بإيمانهم، قال: ((وجيء بـ(ثم) دلالة على زيادة الاستبعاد، وفيه أن هذا الثاني أبعد من الأول وأدخل في الإنكار))^(١١١).

وقد وجهه ابن عاشور (ثم) في هذه الآية على أنها حرف عطف يفيد الترتيب في الرتبة؛ لأنها عطفت جملة على جملة وفق منهجه في عطفها للجمل، حيث عطفت جملة (أثم إذا ما وقع) على جملة (قل رأيتم)، قال: ((وعطفت جملة: (أثم إذا ما وقع) بحرف المهلة للدلالة على التراخي الرتبي، كما هو شأن (ثم) في عطفها للجمل، لأن إيمانهم بالعذاب الذي كانوا ينكرون وقوعه حين وقوعه بهم أغرب وأهم من استعجالهم به. وهمزة الاستفهام مقدمة من تأخير كما هو استعمالها مع حروف العطف المفيدة للتشريك. والتقدير: ثم إذا ما وقع، وليس المراد الاستفهام عن المهلة))^(١١٢).

وقد جَوَّز الزمخشري أن تكون جملة (أثم إذا ما وقع) جواباً لجملة الشرط (إن أتاكم عذابه)، وأن يكون دخول همزة الاستفهام على (ثم) كدخولها على حرفي العطف الواو والفاء، قال: ((ويجوز أن يكون (أثم إذا ما وقعَ آمَنتمُ به) جواب الشرط، وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً. والمعنى: إن أتاكم عذابه آمَنتمُ به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، ودخول حرف الاستفهام على (ثم)، كدخوله على الواو والفاء في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الأعراف: ٩٨])^(١١٣)، وفي قوله هذا اضطراب؛ لأنه يفهم منه أن (ثم) حرف عطف، والجملة المعطوفة لا تقع جواباً للشرط إلا على تقدير زيادة العاطف (ثم)،

(١١١) الألوسي: روح المعاني، ٦/١٢٧.

(١١٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١/١٩٣.

(١١٣) الزمخشري: الكشاف، ٤/١٩٨.

وهو لم يصرَّح بزيادتها ههنا، وإن جعلها زائدة، فهذه الجملة أيضاً لا تصلح أن تكون جواباً للشرط؛ لأنها جملة استفهامية، والاستفهامية يشترط فيها عندما تكون جواباً للشرط أن تقترن بفاء الجواب، ولا يجوز حذف الفاء إلا في ضرورة، والقرآن ليس مكاناً للضرورة، قال الألوسي: ((وهذا الوجه مما جوزه الزمخشري تُعَقَّبُ بأنه في غاية البعد لأن (ثم) حرف عطف لم يسمع تصدير الجواب به، والجملة المصدرة بالاستفهام لا تقع جواباً بدون الفاء)). وذكر أبو حيان أن الزمخشري عطف جملة (ثم إذا ما وقع) على جملة محذوفة بعد الهمزة، قال: ((وخلاف الزمخشري للجماعة في دعواه أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف))^(١١٤)، وعلى قوله يكون المعنى: أكفرتم؟ ثم إذا ما وقع آمنتكم به. وما ذكره أبو حيان هذا غير موجود في كلام الزمخشري في كشفه عند تفسيره لهذه الآية في سورة يونس. وقد صرَّح الألوسي أنه مراد الزمخشري، وأنه أيضاً بعيد وفيه تكلف، قال: ((قيل: مراد الزمخشري أنه يدل على الجواب التقدير إن أتاكم عذابه آمنتكم به بعد وقوعه وما في النظم الكريم معطوف عليه للتأكيد، نحو: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿[التكاثر: ٣-٤]، وتعقب بأنه لا يخفى تكلفه، فإن عطف التأكيد بـ(ثم) مع حذف المؤكد مما لا ينبغي ارتكابه))^(١١٥).

وذهب مجموعة من المفسرين إلى أن (ثم) في هذه الآية حرف عطف، لكنهم لم يذكروا المعنى الذي تدل عليه، قال مكي: ((قال الطبري: (أثم) بمعنى (هنالك) إذا وقع العذاب بكم آمنتكم بالله عز وجل. وليست عنده (ثم) التي للعطف وهو غلط منه. وإنما التي تكون بمعنى (هنالك)، هي المفتوحة الثاء بمنزلة قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾

(١١٤) أبو حيان: البحر المحيط، ٦/٧٠.

(١١٥) الألوسي: روح المعاني، ٦/١٢٧.

[الإنسان: ٢٠]. والتقدير عند غيره أنها (ثم) التي للعطف^(١١٦)، وقال الرازي: ((وأما قوله: أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ فاعلم أن دخول حرف الاستفهام على (ثُمَّ) كدخوله على الواو والفاء في قوله: (أَوَامِنَ أَهْلُ الْقُرَى)، (أَفَأْمَنَ)، وهو يفيد التفریع والتوبيخ، ثم أخبر تعالى أن ذلك الإيمان غير واقع لهم بل يعيرون ويوبخون^(١١٧)، وهذا قريب من قول الزمخشري، وقال أبو حيان: ((و(ثُمَّ) حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [يوسف: ١٠٩]، وفي ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الروم: ٩])^(١١٨). وقال دراز: ((وكلمة "ثم" العاطفة دلت على المعطوف عليه المطوي بينها وبين همزة))^(١١٩).

وخلاصة هذه المسألة: أن الوجه الذي ذهب إليه الطبري يتسق مع معنى الآية، لكنه ليس على مذهب النحاة في (ثم)، وقد ذكر الطبري في تفسيره أن الكلام ينبغي أن يحمل على معناه من التأويل، ثم يلتبس له وجه من الإعراب لا العكس، قال: ((وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل، ويلتبس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج، لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل))^(١٢٠). خاصة

(١١٦) مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٢٧٩/٥.

(١١٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٧٠/٢٦٣.

(١١٨) أبو حيان: البحر المحیط، ٧٠/٦.

(١١٩) دراز، محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٧هـ): النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتمد به

أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١/١٧٥.

(١٢٠) الطبري: البيان، ٤٣٣/١٩، ٤٣٤.

أن دلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في هذه الآية غير واضحة بسبب تقدم همزة الاستفهام عليها، والهمزة تؤدي إلى إنكار تسبب ما بعد العاطف. قال ابن عاشور: ((إنكار الترتب والمهلة في قوله تعالى: (أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ)، وقول النَّابِغَةِ: أَتُمْ تَعْدَرَانِ إِلَيَّ مِنْهَا فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ))^(١٢١).

المسألة الثامنة: دلالتها على التقديم

وذلك أن يحدث ما بعدها قبل الذي قبلها بفاصل زمني، وهذا على عكس دلالتها في التراخي، إذ الأصل فيها أن يحدث الذي يليها بعد ما قبلها بفاصل زمني، وعلى هذا وجه قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]؛ وذلك لأن حواء -عليها السلام- سابقة في الخلق لولد آدم - عليه السلام - بفترة زمنية، فخلق الله تعالى آدم أولاً، ثم خلق حواء، وعاشا في الجنة، ثم هبطا إلى الأرض من الجنة، وبدأ خلق ذريتهما في الأرض من تناسلهما بعد ذلك، وما زال الخلق مستمراً. ولعل أول من ذهب إلى هذا التوجيه الفراء، قال: ((وربما جعلوا (ثم) فيما معناه التقديم ويجعلون (ثم) من خبر المتكلم. من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعت يومك هذا، ثم ما صنعت أمس أعجب))^(١٢٢)، وقال الزجاج: ((والنفس الواحدة يعني بها آدم - صلى الله عليه وسلم - وزوجها حواء. وإنما قوله (ثم) لمعنى خلقكم من نفس واحدة، أي خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم

(١٢١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٤/١١٢.

(١٢٢) الفراء: معاني القرآن، ٢/٤١٤.

جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا قَبْلَكُمْ»^(١٢٣)، وقال النيسابوري: ((وقيل: (ثم) قد يأتي مع الجملة دالاً على التقديم))^(١٢٤).

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويل هذه الآية، فوجهوا (ثم) على وجوه:
الأول: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، قال ابن عادل الدمشقي في وجوه ذكرها: ((إنها على بابها من الترتيب بمهلة؛ وذلك أنه يروى أنه تعالى أخرجنا من ظهر آدم كالذّرّ، ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان))^(١٢٥). وهذا قائم على ما جاء في السنة من أن الله تعالى عندما خلق آدم أخرج كل ذريته من ظهره كالذرّ، فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم^(١٢٦)، وأسكن آدم الجنة، ثم خلق من ضلعه حواء بعد ذلك، قال الطبري: ((إن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه))^(١٢٧).

الثاني: أنها على بابها أيضاً ولكن أن يعطف بها ما بعدها على المعنى المفهوم من قوله (وَاحِدَةً)، إذ التقدير من نفس وُحِدَتْ، أي انفردت ثم جعل منها زوجها، أو من نفس وحدها، قال السمين الحلبي ((إنها على بابها... وهو أن يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله: (واحدة) إذ التقدير: من نفس وحدث أي انفردت ثم جعل منها زوجها))^(١٢٨)، وقال الطبري: ((أن يكون خلقه الزوج مردوداً على

(١٢٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤/٣٤٥.

(١٢٤) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٦١٥.

(١٢٥) ابن عادل الدمشقي: الباب في علوم الكتاب، ١٦/٤٧٤.

(١٢٦) انظر الطبري: جامع البيان ١/٤٢٠.

(١٢٧) الطبري: جامع البيان ٢١/٢٥٥.

(١٢٨) السمين الحلبي: الدر المصون، ٩/٤٠٩.

واحدها، كأنه قيل : خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها، فيكون في واحدة معنى : خلقها وحدها^(١٢٩). وأيضاً يجوز أن يكون العطف على محذوف صفة لواحدة، التقدير: خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم جعل منها زوجها، ذكر ذلك البيضاوي، قال : ((و(ثم) للعطف على محذوف هو صفة نفسٍ مثل : خلقها))^(١٣٠).

الثالث : أنها تدل على التراخي في الرتبة، كما ذكر الزمخشري وابن عاشور، وعلى قول الزمخشري إن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، أي أن خلق حواء أعظم درجة من خلق ذريتها ؛ لأنه لم تجر عليه العادة ولم يتكرر، قال : ((فإن قلت : ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها، وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت : هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته : تشعيب هذا الخلق الفات للحواء من نفس آدم، وخلق حواء من قصيراه، إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ(ثم) على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيتها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود))^(١٣١)، وعلى قول ابن عاشور إن (ثم) متى ما عطفت جملة على جملة مرتبطة معها في المعنى فهي للترتيب الرتبي سواء كانت أعظم منها أم لم تكن، قال : ((عطف قوله : جعل منها زوجها بحرف (ثم) الدال على التراخي الرتبي ؛ لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى وخلق زوجته من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته. فعطف بحرف (ثم) الدال

(١٢٩) الطبري: جامع البيان ٢١/٢٥٥.

(١٣٠) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣٧/٥.

(١٣١) الزمخشري: الكشاف ٤/١١٣، ١١٤.

في عطف الجمل على التراخي الرُّثْبِي، إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة مثل الجملة المعطوفة هي عليها))^(١٣٢).

الرابع: أنها تدل على الترتيب في الإخبار، أي أن الخبر الذي يليها متأخر في الذكر عن الخبر الذي قبلها، قال النحاس: ((ثم" ههنا تدل على أن الإخبار الثاني بعد الأول، وقال قتادة: (ثم جعل منها زوجها) حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه))^(١٣٣)، وقال ابن عطية: ((إنما هي لترتيب الإخبار لا لترتيب المعاني. كأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها، وفي نحو هذا المعنى ينشد هذا البيت:

❖ قل لمن ساد ثم ساد أبوه ❖❖❖ ثم قد ساد قبل ذلك جده❖))^(١٣٤)، وقال الرازي: ((فإن قيل كيف جاز أن يقول: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها، والزوج مخلوق قبل خلقهم؟ أجابوا عنه من وجوه الأول: أن كلمة (ثم) كما تجيء لبيان كون إحدى الواقعتين متأخرة عن الثانية، فكذلك تجيء لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر، كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس كان أعجب، ويقول أيضا قد أعطيتك اليوم شيئا، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر الثاني: أن يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها زوجها الثالث: أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء))^(١٣٥).

(١٣٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٣١/٢٣.

(١٣٣) النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ): معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، الناشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٥٢/٦.

(١٣٤) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٥١٩/٤.

(١٣٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٢٣/٢٦، ٤٢٤.

الخامس: أنها لمطلق الجمع بين الخبرين من دون ترتيب مثل واو العطف، أي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، قال المرادي: ((وذهب الفراء، فيما حكاه عنه السيرافي، والأخفش، وقطرب، فيما حكاه أبو محمد عبد المنعم بن الفرس في مسائله (الخلافات) عنه، إلى أن ثم بمنزلة الواو، لا ترتب. ومنه عندهم "خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها"، ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا))^(١٣٦). ويؤيد توجيههم هذا آية سورة الأعراف حيث جاء العطف فيها بالواو بدلاً من (ثم) وهي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ^(٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ^(٩) [السجدة: ٧-٩]، ف(ثم) في (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) تدل على التقديم؛ لأن تسوية آدم ونفخ الروح فيه سابق لجعل نسله من ماء مهين بزمان طويل. وكذلك قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ إلى عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ^(١٠)، إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١١) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ^(١٢) [الأنعام: ١٥١-١٥٤]، فإيتاء موسى عليه السلام الكتاب سابق لمحمد صلى الله عليه وسلم وتلاوته على أمته بفترة طويلة.

وخلاصة المسألة فإن القول بدلالة (ثم) على التقديم يتوافق مع هذه الآيات من غير أن يحتاج إلى تأويل أو إلى تقدير محذوف، والأقوال الأخرى أقرب منه إلى مذاهب النحاة لكنها تحتاج إلى تأويل أو تقدير كما تقدم.

(١٣٦) المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٤٢٧.

المسألة التاسعة: دلالتها على معنى الواو

الفرق بين (ثم) و واو العطف في الدلالة أن الأصل في (ثم) أن تدل على الترتيب مع التراخي، فإن قلت: جاء زيد ثم عمرو، فيجب أن يكون مجيء زيد سابقاً لمجيء عمرو، وأما الواو فتدل على مطلق الجمع من غير ترتيب، فإن قلت: جاء زيد وعمرو، فهذا يدل على أن المجيء قد حصل منهما كليهما دون ترتيب، فيجوز أن يكون مجيء عمرو هو الأول أو مجيء زيد. قال الطبري: ((«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: قمت ثم قعدت، لا يكون (القعود) إذ عطف به بـ(ثم) على قوله: (قمت) إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: قمت وقعدت، فجائز أن يكون (القعود) في هذا الكلام قد كان قبل (القيام)؛ لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين، أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيها المتأخر))^(١٣٧).

وقد ذهب سيبويه إلى أن (ثم) تكون بمعنى الواو في القسم، قال: ((وتقول: وحياتي ثم حياتك لأفعلن، فـ(ثم) ههنا بمنزلة الواو. وتقول: والله ثم الله لأفعلن، وبالله ثم الله لأفعلن، وتالله ثم الله لأفعلن))^(١٣٨)، وتوسع في ذلك الفراء فوجهها على معنى الواو في غير القسم، وتبعه الأخفش وقطرب، قال المرادي: ((وذهب

(١٣٧) الطبري: جامع البيان، ٣٢١/١٢، ٣٢٢.

(١٣٨) المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٤٢٧.

الفراء، فيما حكاه عنه السيرافي، والأخفش، وقطرب فيما حكاه أبو محمد عبد المنعم بن الفرس في مسائله (الخلافيات) عنه، إلى أن ثم بمنزلة الواو، لا ترتب))^(١٣٩).

وقد وُجِّهَ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، فظاهر الآية يدل على أن الخلق سابق للتصوير، وأن خلقنا سابق لسجود الملائكة لآدم، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك، فقد خُلِقَ آدم أولاً، ثم أُمِرَتِ الملائكة بالسجود له، ثم جاء خَلَقْنَا من بعد ذلك، وكان تصوير آدم مقارناً لخلقها، وتصوير ذريته بعد خلقها بمدة، حيث يتبدى خلقها من نقطة ثم يتدرج إلى أن تكتمل صورة الإنسان، فدلالة (ثم) على التراخي الزمني في خلق آدم وفي سجود الملائكة إليه بعد خلقنا تحتاج إلى تأويل، فلذا جعلها الأخفش بمعنى الواو؛ لأن الواو لا تدل على الترتيب، ويكون المعنى على تقديره: ولقد خلقناكم وصورناكم وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم، قال: ((وقال (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ)؛ لَأَنَّ (ثُمَّ) في معنى الواو))^(١٤٠). وتبعه في ذلك بعض المفسرين، قال أبو حيان: ((والظاهر أن الخطاب عام لجميع بني آدم ويكون على قوله ثم قلنا إما أن تكون فيه ثم بمعنى الواو فلم ترتب ويكون الترتيب بين الخلق والتصوير أو تكون ثم في ثم قلنا للترتيب في الأخبار لا في الزمان وهذا أسهل محمل في الآية))^(١٤١)، وقال السمين الحلبي: ((قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا) اختلف الناس في «ثم» في هذين الموضعين: فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو فإنَّ خَلَقْنَا وتصويرنا بعد قوله تعالى للملائكة "اسجدوا")^(١٤٢). وقد خطأ آخرون، قال الزجاج: ((زعم

(١٣٩) سيبويه: الكتاب، ٥٠٢/٣.

(١٤٠) الأخفش: معاني القرآن، ٣٢١/١.

(١٤١) أبو حيان: البحر المحيط، ١٦/٥.

(١٤٢) السمين الحلبي: الدر المنصون، ٢٦٠/٥.

الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير))^(١٤٣)، وقال النحاس: ((قال الأخفش وهو أحد قول قطرب: (ثم) ههنا بمعنى الواو. وهذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ولا يجوز أن تكون (ثم) بمعنى الواو لاختلاف معنيهما))^(١٤٤).

وقد وُجّهت (ثم) في هذه الآية على غير الواو على أقوال:

الأول: أنها على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، وأن المقصود بـ(خلقناكم) و(صورناكم) آدم عليه السلام نفسه، أو أن الله خلقنا ثم صورنا في صلب آدم لأخذ الميثاق كما تقدم في (دلالة ثم على التقديم)، ثم بعد ذلك قال للملائكة اسجدوا لآدم، قال ابن عطية: ((المراد بقوله: ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه، وذلك لما كان سبب وجود بنيه بما فعل فيه صح مع تجوز أن يقال إنه فعل في بنيه، وقال: مجاهد: المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم في صلب آدم وفي وقت استخراج ذرية آدم من ظهره أمثال الذر في صورة البشر. قال القاضي أبو محمد: ويترتب في هذين القولين أن تكون ثم على بابها في الترتيب والمهلة))^(١٤٥).

الثاني: أنها على أصلها أيضاً، وذلك قائم على علم الله بما سيحدث، وإثباته لصورة كل شيء في اللوح المحفوظ قبل حدوثها، ثم بعد ذلك أحدث خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له، وهذا مذهب الرازي، قال: ((قوله: (خلقناكم) إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم، وقوله (صورناكم) إشارة إلى أنه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث إلى قيام الساعة على ما جاء

(١٤٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٢/٣٢١.

(١٤٤) النحاس: معاني القرآن، ١٢/٣.

(١٤٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢/٣٧٧، ٣٧٨.

في الخبر أنه تعالى قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فخلق الله عبارة عن حكمه ومشيبته والتصوير عبارة عن إثبات صور الأشياء في اللوح المحفوظ، ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له. وهذا التأويل عندي أقرب من سائر الوجوه^(١٤٦).

الثالث: أنها تدل على الترتيب في الإخبار أو الرتبة وهما متقاربان، قال الرازي: ((خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فهذا العطف يفيد ترتيب خبر على خبر ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر))^(١٤٧)، وقال ابن عاشور: ((وعطفت جملة صورناكم بحرف (ثم) الدالة على تراخي رتبة التصوير عن رتبة الخلق، لأن التصوير حالة كمال في الخلق بأن كان الإنسان على الصورة الإنسانية المتقنة حسناً وشرافاً، بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير، سواء كان التصوير مقارناً للخلق كما في خلق آدم، أم كان بعد الخلق بمدة، كما في تصوير الأجنة من عظام ولحم وعصب وعروق ومشاعر، كقوله تعالى: فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً))^(١٤٨).

الرابع: أنها تدل على التقديم. وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُفِقَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، قال النسفي: ((ثم مع الجملة تأتي بمعنى

(١٤٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٦/١٤.

(١٤٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٦/١٤.

(١٤٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٦/٨.

الواو كقوله: (ثم الله شهيد))^(١٤٩). فوجه (ثم) على معنى الواو لأن الله شهيد في الدنيا والآخرة، قال الزمخشري: ((فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟ قلت: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقرأ ابن أبي عبله: ثم، بالفتح، أي هنالك. ويجوز أن يراد: أن الله مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة، حين ينطق جلودهم وألستهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم))^(١٥٠)، فجعلها على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، ويجوز أيضاً أن توجه بمعنى (هنالك) لقراءتها بالفتح على مذهب الطبري في هذه الحالة، قال السمين الحلبي: ((وقرأ إبراهيم ابن أبي عبله (ثم) بفتح الثاء جعله ظرفاً لشهادة الله، فيكون (ثم) منصوباً بـ(شهيد)، أي: الله شهيدٌ عليهم في ذلك المكان، وهو مكانُ حشرهم. ويجوز أن يكونَ ظرفاً لمرجعهم أي: فالينا مرجعهم، يعني رجوعهم في ذلك المكان الذي يُثاب فيه المُحسن ويُعاقب فيه المسيء))^(١٥١). وأيضاً مثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١٧)، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ﴾^(١٨)، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١٩-١٧)، وذلك لأن بيان معاني القرآن ملازم لورود ألفاظه غير متأخر عنها، لذا وجهها بعضهم على أنها على معنى الواو؛ لأن الواو تفيد مطلق الجمع، قال الزركشي عن (ثم): ((وقيل: بمعنى واو العطف كقوله: (فالينا مرجعهم ثم الله شهيد)، أي هو شهيد، وقوله: "ثم إن علينا بيانه")^(١٥٢)، وقد وجهها ابن عاشور على أنها تفيد الترتيب في الرتبة، قال: ((وقد احتج بهذه الآية بعض علمائنا

(١٤٩) النسفي، عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٧١٠هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه:

يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١/٥٤٩.

(١٥٠) الزمخشري: الكشف، ٢/٣٥٠.

(١٥١) السمين الحلبي: الدر المصون، ٦/٢١٣.

(١٥٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٦٨.

الذين يرون جواز تأخير البيان عن المبين متمسكين بأن ثم للتراخي وهو متمسك ضعيف لأن التراخي الذي أفادته ثم إنما هو تراخ في الرتبة لا في الزمن، ولأن ثم قد عطفت مجموع الجملة ولم تعطف لفظ بيانه خاصة، فلو أريد الاحتجاج بالآية للزم أن يكون تأخير البيان حقاً لا يخلو عنه البيان وذلك غير صحيح^(١٥٣).

وخلاصة هذه المسألة: فإن أغلب المفسرين والنحاة قد رفضوا توجيه (ثم) على معنى الواو، بالرغم من ظهور المعنى على معناها دون الحاجة إلى تأويل، بل ذهب بعضهم إلى أن هذا حملاً للقرآن على الشاذ في كلام العرب، قال الطبري: ((فإن ظن ظاناً أن العرب، إذ كانت ربما نظقت بد(ثم) في موضع الواو في ضرورة شعره، كما قال بعضهم:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا أَبَا ثَمٍّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ؟

بمعنى: أبا وأما، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره، فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف^(١٥٤). وقبلوا أن تكون على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، وأولوا خلقنا وتصويرنا بخلق آدم وتصويره على طريقة العرب في خطاب الرجل الموجود بالأفعال والمقصود من ذلك سلفه المعدوم، كما قال تعالى مخاطباً اليهود الذين كانوا بين أظهر المؤمنين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، والمراد بذلك سلفهم المعدوم.

(١٥٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩/٣٥٠، ٣٥١.

(١٥٤) الطبري: جامع البيان، ١٢/٣٢٢.

المسألة العاشرة: زيادة ثم

ذهب أبو الحسن الأخفش إلى القول بزيادة (ثم) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴿ [التوبة: ١١٧ - ١١٨]، وتبعه في ذلك أبو علي الفارسي، والزائدة عندهما (ثم) الثانية في (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)؛ وذلك لوجود (إذا) الشرطية في أول الآية في (حَتَّى إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ)، وهي محتاجة إلى جواب، وجوابها غير مذكور، وبزيادة (ثم) يتحقق لها الجواب، ويكون المعنى: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض وضاعت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه تاب عليهم، فجواب (إذا) "تاب عليهم"، على توجيههما، قال الباقرلي: ((وقال أبو الحسن في قوله تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا): إن (ثم) زيادة. والمعنى على ما قال: لأن المعنى: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت تاب عليهم ليتوبوا. فجواب الجزاء، إن لم تقلد (ثم) زيادة، غير مذكور))^(١٥٥). وسيرد قول أبي علي لاحقاً في هذه المسألة.

وقد وُجِّهت (ثم) هذه على وجوه أخرى، ولكن قبل ذكرها لابد من توضيح ثلاث مسائل؛ لأن التوجيه يترتب على تحديد معانيها، وهي: عودة الضمير في

(١٥٥) الباقرلي، علي بن الحسين بن علي الأصفهاني (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ): إعراب القرآن المنسوب خطأ

للزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الإياري، الناشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتب اللبنانية ببيروت،

الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ، ١/١٠٣.

(عليهم) الأولى، والمقصود بتكرار التوبة ثلاث مرات، والمراد به (خُلفوا). أما الضمير في (عليهم) فقد اختلف في مرجعه، هل يعود على النبي ومن معه من المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين شاركوا في غزوة تبوك دون غيرهم، أو على كل المسلمين مع النبي من المهاجرين والأنصار الذين شاركوا والذين لم يشاركوا لعذر أو لأمر النبي لهم بالبقاء في المدينة أو لغيابهم عن حضور الغزوة لسفر أو موت؟ فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود به هو الفريق الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، ويؤيد ذلك قوله: (الذين اتبعوه في ساعة العسرة)، والعسرة هي غزوة تبوك، حيث خالط قلوب بعض مَنْ معه الشك بسبب هذه العسرة والمشقة في السفر إلى تبوك، قال الطبري: ((يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، ويشك في دينه ويرتاب، بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه، (ثم تاب عليهم)، يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم))^(١٥٦)، وذهب آخرون إلى أنه شامل لجميع المهاجرين والأنصار من شارك في تبوك ومن لم يشارك، قال ابن عاشور: ((وجملة (ثم تاب عليهم) عطف على جملة (لقد تاب الله)، أي تاب على غير هذا الفريق مطلقاً، وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ،... وجوز كثير من المفسرين أن تكون (ثم) للترتيب في الذكر، والجملة بعدها توكيدا لجملة (تاب الله)، فالضمير للمهاجرين والأنصار كلهم))^(١٥٧). وأما تكرار التوبة ثلاث مرات، فالأولى (لقد تاب الله)، فللنبي والمهاجرين والأنصار الذين شاركوا في غزوة تبوك خاصة، والثانية (ثم تاب عليهم) ففيها خلاف، هل هي لمن شارك في تبوك أو للجميع، فمن جعلها للمشاركين في تبوك

(١٥٦) الطبري: جامع البيان ٥٣٩/١٤.

(١٥٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥١/١١.

جعل (ثم) على أصلها في الدلالة على المهلة، وما بعدها للتوكيد، قال ابن عاشور: ((وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ، فتكون (ثم) على أصلها من المهلة، المعنى تاب عليهم فأهموا به وخرجوا فلقوا المشقة والعسر، فالضمير في قوله (عَلَيْهِمْ) للفريق))^(١٥٨)، أي تاب عليهم عندما هموا بالخروج إلى تبوك، ثم تاب عليهم مرة أخرى بعدما خرجوا ولقوا العسرة والمشقة في الزاد والظهر والماء وشدة الحر حتى كادت تميل قلوب بعضهم عن الحق وتشك وترتاب في الدين بسبب هذه المشقة، قال النيسابوري: ((التكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي أن التوبة اكتفت الذنب من جانبيه، وذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطبيياً لقلوبهم ثم ذكر الذنب، ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا: عفوت عنك ثم عفوت عنك))^(١٥٩)، ومن جعلها للجميع ف(ثم) عنده للترتيب في الذكر، قال ابن عاشور: ((وجوز كثير من المفسرين أن تكون (ثم) للترتيب في الذكر، والجملة بعدها توكيدا لجملة (تاب الله)، فالضمير للمهاجرين والأنصار كلهم))^(١٦٠)، والمعنى أنه ذكر لكم أنه تاب على الفريق من المهاجرين والأنصار الذي شارك مع النبي في غزوة تبوك، ثم ذكر لكم أيضاً أنه تاب على جميع المسلمين من المهاجرين والأنصار. وهذا كله يتعلق بـ(ثم) الأولى. وأما (ثم) الثانية في (ثم تاب عليهم ليتوبوا)، فالتوبة فيها موجهة للثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وهي المقصودة بالبحث هنا. والمسألة الثالثة: فما المقصود من تخلف الثلاثة؟ هل تخلفهم عن الغزو مع النبي في تبوك، أو تخلفهم عن قبول العذر منهم مع من اعتذر للرسول عند عودته من تبوك وقبوله لأعذارهم؟ في ذلك خلاف،

(١٥٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥١/١١.

(١٥٩) النيسابوري: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، ٥٤١/٣.

(١٦٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥١/١١.

قال الماوردي: ((قوله عز وجل: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا)، يعني وتاب على الثلاثة الذين خلفوا وفيه وجهان: أحدهما: خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، قاله الضحاك وأبو مالك. الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله عكرمة))^(١٦١)، والراجح أنهم خُلفوا عن قبول التوبة، بدليل ما ذكره الطبري عن كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة، قال: ((قال كعب: خُلفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه))^(١٦٢).

وأما الوجوه الأخرى التي وجهت عليها (ثم) في قوله (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِسُوءِ)

فهي:

الأول: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، وذلك قائم على ظاهر الآية، ومهمّل لجانب الصنعة اللغوية فيها، فظاهر الآية: أن العفو عن هؤلاء الثلاثة قد تم بعد خمسين يوماً^(١٦٣) من عودة النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، بينما نزل قوله تعالى: لقد تاب الله على النبي ... الآية، على النبي حين قفل راجعاً من تبوك ولم يجاوزها، قال الطبري: ((قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها، وأنزل الله: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في

(١٦١) الماوردي: النكت والعيون، ٢/٤١٣.

(١٦٢) الطبري: جامع البيان ١٤/٥٥٦.

(١٦٣) انظر، النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ٣/٥٤٢.

ساعة العسرة (الآية))^(١٦٤)، فإذا الفاصل الزمني بين الآية المعطوف عليها وهذه الآية المعطوفة طويل مدته أكثر من خمسين يوما، وعليه فإن (ثم) تدل على الترتيب بمهلة، قال الرازي: ((أنا متمسكون بظاهر قوله تعالى: ثم تاب عليهم، وكلمة (ثم) للتراخي، فمقتضى هذا اللفظ تأخير قبول التوبة))^(١٦٥). وأما جانب الصنعة: فقد أهمل هذا التوجيه وجود (إذا) الشرطية في هذه الآية، وسيوضح ذلك في الوجوه التالية.

الثاني: أنها على أصلها أيضاً، وذلك إما على أن تكون (إذا) زائدة، ويكون المعنى: حتى ضاقت عليهم الأرض ثم تاب عليهم، قال محي الدين درويش عن هذه الآية: ((تحدث عن إشكال ورد فيها، وهو جواب (إذا) وعطف (ثم تاب عليهم)، وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين أولهما أن تكون (إذا) زائدة، فلا تحتاج إلى جواب ويستقيم المعنى. والثاني أن تكون (ثم) زائدة، فتكون جملة تاب عليهم هي الجواب ولا يمكن حل الإشكال إلا بافتراض زيادة إحداهما))^(١٦٦)، أو تكون (إذا) للزمان فقط دون الشرط، وتكون بمعنى وقت، أي خلفوا إلى وقت ضاقت عليهم الأرض وأنفسهم ثم تاب عليهم، قال أبو حيان: ((ومن زعم أن (إذا) بعد (حتى) قد تجرد من الشرط وتبقى لمجرد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها وهو قوله: خلفوا أي: خلفوا إلى هذا الوقت، ثم تاب عليهم ليتوبوا، ثم رجع

(١٦٤) الطبري: جامع البيان ٥٤٧/١٤.

(١٦٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٦/١٦٦.

(١٦٦) درويش، محيي الدين بن أحمد (المتوفى: ١٤٠٣هـ): إعراب القرآن وبيانه، الناشر دار الإرشاد للشؤون

الجامعية، بسورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ، ١٨٧/٤.

عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا))^(١٦٧)، أي يوجد من زعم هذا.

الثالث: أنها على أصلها كذلك في الدلالة على الترتيب بمهلة، وأن (إذا) غير زائدة، لكن جوابها محذوف والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تنصلوا وتندموا ثم تاب الله عليهم، قال الباقرلي: ((وقال أبو علي في قوله تعالى (ثم تاب عليهم): (ثم) زائدة، وقد يجوز أن يكون جواب (إذا) محذوفاً، و(ثم تاب عليهم) معطوف على جملة الكلام، أي: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تنصلوا وتندموا، ثم تاب عليهم. و(إذا) بعد (حتى) للجزاء، وهي بمعنى: متى، أي: متى ضاقت عليهم الأرض))^(١٦٨).

الرابع: أنها تدل على الترتيب في الذكر، وهي وما بعدها تؤكد جملة محذوفة واقعة جواباً لـ(إذا) والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تاب عليهم ثم تاب عليهم ليتوبوا، ويكون الكلام شبيهاً بسابقه في ذكر التوبة مرتين، قال أبو حيان: ((و(إذا) إن كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره: تاب عليهم، ويكون قوله: ثم تاب عليهم، نظير قوله: ثم تاب عليهم، بعد قوله لقد تاب الله على النبي الآية. ودعوى أن (ثم) زائدة وجواب إذا ما بعد (ثم) بعيد جداً، وغير ثابت من لسان العرب زيادة "ثم")^(١٦٩).

ومثل الآية السابقة في زيادة (ثم) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ

(١٦٧) أبو حيان: البحر المحيط، ٥/٥٢٠.

(١٦٨) الباقرلي: إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، ١/١٠٤، ١٠٥.

(١٦٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٥/٥٢٠.

مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ، ففي هذه الآية أيضاً لم يذكر جواب (إذا) الواقعة بعد (حتى) ، وقد وجهها بعض النحاة على زيادة (ثم) ليكون المعنى : حتى إذا فشلتم وتنازعتهم وعصيتهم صرفكم عنهم ، أي صرف المسلمين عن قتل الكافرين في موقعة أحد للغنيمة ؛ مما مكن الكفار من ترتيب صفوفهم وهزيمة المسلمين ، ووجهها آخرون على غير الزيادة مثل الآية السابقة ، قال ابن عطية : ((اختلف النحاة في جواب (إذا) ، فذهبت فرقة إلى أن الجواب قوله (تَنَازَعْتُمْ) ، والواو زائدة ، وحكى المهدوي عن أبي علي أنه قال : الجواب قوله : صَرَفَكُمْ و(ثم) زائدة))^(١٧٠) . وقال القرطبي : ((وقال أبو علي : يجوز أن يكون الجواب " صرفكم عنهم " ، (ثم) زائدة ، والتقدير حتى إذا فشلتم وتنازعتهم وعصيتهم صرفكم عنهم. وقد أنشد بعض النحويين في زيادتها قول الشاعر :

أَرَانِي إِذَا مَا بَتُّ بَتُّ عَلَى هَوَى فَنُتْمَ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

وجوز الأخفش أن تكون زائدة ، كما في قوله تعالى : "حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم")^(١٧١) . وقال السمين الحلبي : (("إذا" على بابها من كونها شرطية ، وفي جوابها حينئذ ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه (وتنازعتهم) ، قال الفراء : (وتكون الواو زائدة). والثاني : أنه (ثم صرفكم) و(ثم) زائدة ، وهذا القولان ضعيفان جدا. والثالث وهو الصحيح : أنه محذوف ، واختلفت عبارتهم في تقديره ، فقدره ابن عطية : (انهزمتهم) ، وقدره الزمخشري : (منعكم نصره) ، وقدره أبو البقاء : (بان لكم أمركم) ... ، قوله : (ثم صرفكم) عطف على ما قبله ، والجملتان من قوله : (منكم من يريد الدنيا ومنكم

(١٧٠) ابن عطية: المحرر الوجيز، ١/ ٥٢٤.

(١٧١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢٣٦.

من يريد الآخرة) اعتراض بين المتعاطفين. وقال أبو البقاء: (ثم صرفكم) معطوف على الفعل المحذوف، يعني الذي قدره جواباً للشرط^(١٧٢).

وخلاصة هذه المسألة فإن القول بزيادة (ثم) عزيز، لعدم اطراده في كلام العرب، وكذا القول بزيادة (إذا)، ولعل الراجح ما ذهب إليه أبو علي الفارسي من جعل جواب (إذا) مقدراً، وعليه تكون (ثم) على أصلها في الدلالة على التراخي.

الخاتمة

قد توصل هذا البحث إلى أن (ثم) في القرآن الكريم عندما تكون عاطفة تؤدي المعاني التالية:

- ١- التراخي في الزمان، أي أن ما بعدها يحدث بعد ما قبلها، وهذا معناه المطرد عند جمهور النحاة، لكن هذا التراخي تراوح في القرآن ما بين لحظة يسيرة لا تتعدى الدقيقة وما بين آلاف السنين.
- ٢- التراخي في المكان، أي أن ما بعدها مكانه يبتعد عن مكان ما قبلها من حيث المسافة. وهذا المعنى لم يقع في القرآن إلا في موضع واحد وعلى رأي المجسمة.
- ٣- التراخي في الرتبة، وهو أن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، وفي هذه الحالة الترتيب الزمني غير لازم، فيجوز فيما بعدها أن يقع قبل ما قبلها أو معه أو بعده.

- ٤- الاستبعاد، وهو أن ما بعدها مستبعد حدوثه عقلياً لتوفر المعطيات التي تمنع حدوثه، فحدوثه أمر غريب مستبد، وأول من قال بهذا المعنى الزمخشري، وقد عبر عنه ابن عطية بالتوبيخ، بينما عبر عنه القرطبي بالتعجيب.

- ٥- الاستمرار، وهو أن يحدث ما بعدها مع ما قبلها في زمان واحد، لكن ما بعدها يستمر بعد الحدوث إلى فترة طويلة قد تصل سنين عديدة.
- ٦- التقديم، أي أن ما بعدها يقع قبل ما قبلها.
- ٧- مطلق الجمع، وهو أن ما بعدها يحصل مع ما قبلها في آن واحد من دون أن تكون له ميزة عليه، ومعناها في ذلك مثل معنى واو العطف.
- وكما توصل البحث أيضاً إلى أن (ثم) ترد أحياناً في القرآن غير دالة على العطف، وذلك عندما تدل على الاستئناف، أو تكون بمعنى (هنالك)، أو تكون زائدة.

وهذه المعاني جميعها فيها خلاف بين المفسرين، وقد حرص البحث على إيراد هذا الخلاف، وختم كل مسألة من مسائله بخاتمة صغيرة رجع فيها ما يخدم المعنى القرآني ولا يتعارض مع اللغة. وقد اكتفى البحث بنتائج هذه الخواتيم في مواضعها ولم يكررها مرة أخرى في هذه الخاتمة النهائية.

المراجع

- [١] ابن المنير الإسكندري (ت: ٦٨٣): الانتصاف من الكشف، الكتاب مذيّل بحاشية الكشف طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- [٢] ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- [٣] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، طبعة الدار التونسية للنشر بتونس ١٩٨٤هـ.
- [٤] ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ): *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية بيروت.
- [٥] ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ): *معني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.
- [٦] أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد (المتوفى: ٣٦٩هـ): *العظمة*، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس، الناشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- [٧] أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ.
- [٨] الأخفش، أبو الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط المتوفى: ٢١٥هـ): *معاني القرآن*، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- [٩] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ): *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، تحقيق علي عبد البارئ عطية، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.

- [١٠] الباقولي، علي بن الحسين بن علي الأصفهاني (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ):
إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الإياري،
الناشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتب اللبنانية ببيروت، الطبعة:
الرابعة ١٤٢٠هـ.
- [١١] البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦هـ): البخاري، تحقيق محمد زهير
الناصر، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- [١٢] البيضاوي عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار
التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي
ببيروت.
- [١٣] تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): غرائب التفسير
وعجائب التأويل، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية بمكة، ومؤسسة علوم
القرآن ببيروت.
- [١٤] الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق أحمد
محمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية
١٩٧٥م.
- [١٥] الثعلبي، أحمد بن محمد، (المتوفى: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير
القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير
الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة: الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- [١٦] دراز، محمد بن عبد الله (المتوفى : ١٣٧٧هـ): *النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- [١٧] درويش، محيي الدين بن أحمد (المتوفى : ١٤٠٣هـ): *إعراب القرآن وبيانه*، الناشر دار الإرشاد للشئون الجامعية، بسورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.
- [١٨] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي المتوفى: (٦٠٦هـ): *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، طبعة دار التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- [١٩] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (المتوفى : ٣١١هـ): *معاني القرآن وإعرابه*، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- [٢٠] الزركشي، محمد بن عبد الله (المتوفى : ٧٩٤هـ): *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- [٢١] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى : ٥٣٨هـ): *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- [٢٢] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى : ٧٥٦هـ): *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق.
- [٢٣] سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى : ١٨٠هـ) : *الكتاب*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- [٢٤] السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ): *الدر المنثور في التفسير بالأنثور*، طبعة دار الفكر ببيروت.
- [٢٥] الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٢١٠هـ): *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- [٢٦] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (المتوفى: ٦١٦هـ): *التبيان في إعراب القرآن*، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- [٢٧] الفراء، يحيى بن زياد الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ): *معاني القرآن*، تحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى.
- [٢٨] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: ٦٧١هـ): *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفش، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- [٢٩] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ): *لطائف الإشارات*، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، الطبعة الثالثة.
- [٣٠] المالقي، أحمد بن عبد النور (المتوفى: ٧٠٢هـ): *رصف المباني في شرح حروف المعاني*، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- [٣١] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادى (المتوفى: ٤٥٠هـ): *النكت والعيون*، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.

- [٣٢] المرادي، الحسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- [٣٣] مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ): *تفسير مقاتل*، تحقيق عبد الله محمود شحاته، طبعة دار إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- [٣٤] مكي بن أبي طالب، (المتوفى: ٤٢٧هـ): *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره*، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ.
- [٣٥] النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ): *معاني القرآن*، تحقيق محمد علي الصابوني، الناشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- [٣٦] النسفي، عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٧١٠هـ): *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- [٣٧] النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

"Then Semantics in Holly Quran"

Dr. Hassan Abd Elati Mohamed Omer

*Assistant professor, Arabic Language Department,
College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University*

ddhassan666@gmail.com

Abstract. The research is entitle "then semantics in Holly Quran", it concentrated mainly on meanings that "then" performance in Holly Quran, it indicates that "then" usually serves and performs eight different meanings in addition to the essential meaning "participating with arrangement an appointed time" that grammarians had determined.

The eight additional meanings include; slackness in order, exclusion, continuity, resumption, absolute composing, coordinating conjunction, the, and to be additional meaning.

There is a clear difference in all these meanings among the interpreters, which had been shown in the research with a brief summary to the ones that serve Quran meaning and never contract with language.

The research consists of forty-eight pages, and includes introduction, conclusion and relevant references of total thirty-eight references.

علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب

د. عبدالعزيز بن حميد الحميد

أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث. يأتي هذا البحث متناولاً علماً جديداً في اصطلاحه وتكوينه وهو علم اللغة الجغرافي ، فهو تسمية غربية حديثة للعلم الذي يتشارك في بحوثه علمان هما : علم اللغة وعلم الجغرافيا ، فقد تناول العرب بعض مسائل العلوم اللغوية – ومنها علم اللغة الجغرافي – وبذلوا فيها جهوداً كبيرة لكنّها نضجت عند غير العرب بعد تحضنتهم في العصر الحاضر.

يهدف البحث إلى إبراز جهود العرب وبيان سبقهم في ميدان علم اللغة الجغرافي.

وسأتناول في هذا البحث ما يلي :

- التعريف بعلم اللغة الجغرافي : مفهومه، علاقاته، وظيفته.
- أهمّ الدراسات حوله.
- أهمّ قضايا علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته في العصر الحديث :
 - o الأطالس اللغوية ولهجات والظواهر اللغوية .
 - o توزيع اللغات المختلفة في جميع أنحاء العالم ، وذكر الفصائل اللغوية المختلفة .
 - o الثنائية اللغوية وعلاقة اللغات ولهجات ببعضها .
 - ما يدخل تحت هذا العلم من جهود العرب لغويين وجغرافيين ، ومنها :
 - o الفصاحة وحدودها الجغرافية عند اللغويين العرب.
 - o الفروق بين اللهجات العربيّة القديمة في البلاد المختلفة، وأثر البيئة الجغرافية عليها.

o إشارات الجغرافیین والرحالة العرب إلى التغيرات الصوتية التي تصیب اللغة في البيئات الجغرافية المختلفة.

o إشارات الجغرافیین إلى تسميات أهل البلدان للأشياء:

o إشارات الجغرافیین اللغویة إلى اختلاف تسميات الأشياء من بلد إلى آخر:

o أحكام الجغرافیین على لغات البلدان:

• خاتمة تكشف عن أهم نتائج البحث.

توطئة

في الحديث عن علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته على اللغة العربية لا ننسى الجهود الغربيّة في نزوج هذا العلم واستقلاله وتأصيله، مع النظر إلى ما يدخل تحت هذا العلم من جهود علماء العرب من جغرافيين ولغويين بالتقدير والإشادة.

يأتي هذا البحث متناولاً علماً حديثاً في اصطلاحه وتكوينه وهو (علم اللغة الجغرافي)، فهو تسمية حديثة للعلم الذي يشترك في بحوثه علمان هما: اللغة والجغرافيا، وقد يسمّيه بعضهم بـ (اللغويات الجغرافيّة) وآخرون بـ (اللسانيات الجغرافيّة)، ولا عجب في كون العرب لغويين وجغرافيين لم يعرفوا هذا العلم؛ فالمعارف الإنسانية تراكميّة، والعرب مع سبقهم أغلب الأمم القديمة في دراساتهم اللغويّة وجهودهم الجغرافية التي شهد لها كبار علماء الغرب بتميّزها وتأثيرها في المعارف الإنسانية، لكنّ تأسيس هذا العلم يُحسب للغربيين، فالعرب تناولوا بعض مسائل العلوم اللغويّة - ومنها علم اللغة الجغرافي - وبذلوا فيها جهوداً كبيرة، لكنّها نضجت عند غير العرب بعد نهضتهم في العصر الحاضر فوضعوا أصولها ونظريّاتها وتشكّلت علوماً مستقلة.

تأتي اللغة والجغرافيا علمين منفصلين في ميدانين متباعين، فعلم اللغة يتعلق بلغة الإنسان وما يتصل به من فروع وقضايا، وعلم الجغرافيا يتعلق بالبلدان والمناطق وما يتصل بها من مسائل بعيدة عن اللغة، لكنّ هذين العلمين يتقاربان ليكونا علماً واحداً تبدو الصلة وثيقة بين هذين الجانبين فيه.

إنّ نقاط الالتقاء بين اللغة والجغرافيا تبدو عند التمعّن فيها مناطق واسعة يغفل عنها الباحثون؛ بسبب غفلة اللغويّ عن قضايا اللغة المتصلة بالجغرافيا، وغفلة الجغرافيّ عن قضايا الجغرافيا المتصلة باللغة، ولذا يحجم أكثر الباحثين عن الدراسات

المتصلة بهذا الميدان لما تحتاجه من اتساع نظرة من يخوض فيه ، وأكثر اللغويين يؤثر البحث فيما هو واضح من قضايا اللغة وموضوعاتها ، ولا يلتفت لما يحتاج إلى علم آخر.

تبدو نقاط التماس بين العلوم ميداناً خصباً لإقامة العديد من الدراسات الحيّة ، وهي في أغلبها قضايا وموضوعات تربط بين القديم والحديث ، ويخرج منها علوم حديثة في اصطلاحها وإن كان لبعضها أصول قديمة في كتب العلماء.

ولو أنا نظرنا إلى أسماء العلوم التالية لوجدنا لكل علم ميداناً مستقلاً :

علم اللغة

علم الجغرافيا

علم التاريخ

علم النفس

علم الاجتماع

علم الحاسوب ... وعلوم أخرى.

ولأنّ اللغة عنصرٌ فاعلٌ في حياة الإنسان ومركزٌ تدور حوله العديد من تلك العلوم فإنّها تتداخل معها ليخرج منها علوم جديدة تجمع بين اللغة وأحد تلك العلوم ، ولذا تُعرف الآن علومٌ حديثةٌ تحمل الأسماء التالية :

علم اللغة الجغرافي

علم اللغة التاريخي

علم اللغة النفسي

علم اللغة الاجتماعي

علم اللغة الحاسوبي

لست أعني من إشاراتي السابقة أنّ الصلة بين اللغة وتلك العلوم صلاتٌ مفتعلةٌ أو محدثةٌ، بل أعني إيضاح تلك الصلات وبيان مجيئها من علومٍ تبدو في ظاهرها متباعدة، كما أنّ هذه العلوم الحديثة في اصطلاحاتها ونضجها لها أصولٌ وردت في إشاراتٍ ووقفاتٍ قديمةٍ للعلماء، مما يدلّ على أنهم عرفوا موضوعات تلك العلوم وإن لم تستقلّ لديهم، فأكثر مسائل تلك العلوم وردت متناثرة لدى القدماء على أنّها جزء من دراساتهم حول اللغة.

لقد أدرك الجغرافيون العرب أهمية الموقع الجغرافي وأثره على اللغة، وكذلك أدرك اللغويون ذلك عند جمعهم اللغة فاعتنوا بتحديد الموقع الجغرافي للقبائل التي رويوا عنها، والتي رأوا عدم الرواية عنها لتأثر لغتها بمؤثرات خارجية، كما أنّ ملاحظات الجغرافيين والرحالة وأحكامهم اللغوية على ما يسمعون من لغات البلدان علامة جليّة على أهميّة الموقع الجغرافي وصلته باللغة.

ولا يشكّ المطلع على التراث العربيّ أنّه كان "عند العرب بذور علم اللغة الجغرافي الذي يدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها، وإن لم تكن على نحو علمي صارم، وتبدو في أخذهم رواية اللغة عن الأعراب في البوادي ووضع الحدود بين اللهجات وقبائلها"^(١).

في الصفحات التالية لهذا البحث سأكشف عن حداثة علم اللغة الجغرافي، وما يدخل تحته من مباحث جديدة، مع الكشف عن أعمال العرب التي تدخل تحته، سواء كانوا لغويين أم جغرافيين، ومحاولتي هذه هي لإبراز تكامل الجهود وإن كانت في لغاتٍ مختلفة وحضارات متعدّدة؛ وفي موضوعنا هذا يتجلّى النضج الحديث على أيدي

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربيّة - عبد الفتاح المصري - مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ١٣٥ و ١٣٦ تموز و آب ١٩٨٢

الغربيين لهذا العلم (علم اللغة الجغرافي)، مع أنّ علماء العرب كانوا أسبق في وضع موادّه والعناية بمفهومه مع أنّهم لم يعرفوه علماً مستقلاً كما هو في هذا العصر.

علم اللغة الجغرافي: مفهومه، علاقاته، وظيفته

تعددت تسميات هذا العلم مع الاختلاف بين الباحثين في المساواة بين تلك التسميات أو التفرقة بينها، وفيما يلي بيان أهمّ هذه التسميات:

• علم اللغة الجغرافي أو علم اللغة الإقليمي Area Linguistics: " فرع من فروع علم اللغة يبحث في تصنيف اللهجات واللغات على أساس جغرافي، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما وفي الفروق بين هذه اللهجات.

• يسمى هذا العلم أيضاً جغرافيا اللهجات أو الجغرافية اللغوية Linguistic

geography.

• يطلق مصطلح علم اللغة الإقليمي / الجغرافي أيضاً على دراسة اللغات أو اللهجات التي يتكلمها السكان في منطقة معينة. ومثال ذلك دراسة لغتين متجاورتين لمعرفة كيف تؤثر كل منهما في الأخرى فيما يتعلق بالنحو، والمفردات، والنطق، إلخ.

• ويطلق على علم اللغة الجغرافي مصطلح: Geographical Linguistics، وهو

فرع علم اللغة الذي يدرس التوزيع الإقليمي للهجات.

• ويُطلق أيضاً على علم اللغة الجغرافي: Geolinguistics ويعرفونه بأنه دراسة

اللغات من حيث توزيعها الجغرافي والسكاني، ومن حيث تأثير كل لغة في اللغات الأخرى.

ويهتم علم اللغة الجغرافي بدراسة اللغات في الحالة التي هي عليها الآن، مع الإشارة بصفة خاصة إلى عدد المتحدثين بكل لغة، والتوزيع الجغرافي، والأهمية الاقتصادية والعلمية والثقافية؛ وأيضاً التعرف عليها في أشكالها المنطوقة والمكتوبة^(٢)

• وعرفه بعضهم بأنه دراسة إقليم جغرافي معين دراسة جغرافية تاريخية واجتماعية في وحدة لغوية معينة^(٣).

ويتضح من المصطلحات المتعددة السابقة أنه في أغلبه تعدد في المصطلح لعلم واحد، وهو ما يعطي هذا العلم اتساعاً يصعب حصر قضاياه التي تدخل تحته، ولذا لا نعجب من اختلاف الكتب التي تتحدث عن هذا العلم فيما يدخل تحته من دراسات، وهو ما يعطينا اتساعاً في تطبيقاته على المسائل التي تتصل فيها اللغة بالجغرافيا.

(٢) ينظر عن مصطلحات هذا العلم بحث: المصطلح LINGUISTICS وفروعه في أهم المعاجم العربية والإنجليزية المتخصصة في علم اللغة - الدكتور/ أحمد شفيق الخطيب في كتابه (قراءات في علم اللغة ص ٤٢، ٥٣-٥٤)، وكتاب: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي لرونالد ل. برتون بترجمة هارولد ف. شفنر إلى الإنجليزية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحدي، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١هـ ص ٢٣

(٣) ينظر: (الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة) - رسالة دكتوراه أعدها أحمد عبد الله عبد ربه ياغي، بإشراف أ. د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ ١٩٩١م ص ٧

علاقات علم اللغة الجغرافي وأبعاده

لعلم اللغة الجغرافي علاقات بالعديد من العلوم والمعارف، وفيما يلي ذكر أبعاد علاقاته بالعديد من المعارف:

البعد المكاني: وهو ارتباط الظواهر اللغوية في هذا العلم بالمكان، وهذا الارتباط هو الصلة الوثيقة بين علمي اللغة والجغرافيا.

البعد المجتمعي: فعلم اللغة الجغرافي علمٌ مجتمعيٌّ لتركيزه على دراسة المجتمعات إجمالاً لا دراسة جزء منها، فهو علم يعتمد على علم اللغة السكاني باعتماده على الإحصاءات السكانية، وتحديد الأبعاد العرقية للانتشار اللغوي.

البعد الاقتصادي: ويكون اتصاله بوسائل الإعلام والمنتجات المرتبطة بالاستخدام اللغوي، ثم حياة اللغات وبقاؤها أو اندثارها اعتماداً على هذا الإطار المادي.

البعد الزمني: ويُعنى به التاريخ وصلته بالماضي والمستقبل، وتطور اللغات وانتشارها وحيويتها اعتماداً على التفاعل بين العامل التاريخي والعوامل الأخرى.

البعد السياسي: ويُقصد به ما تقوم به مؤسسات الدولة التي تؤثر في الاستعمال الاصطلاحي اللغوي بآلياتها الفكرية والثقافية والقضائية والتعليمية والصحفية، أي السياسات اللغوية.

البعد اللغوي: وهو الركيزة الرئيسة لعلم اللغة الجغرافي، ويُعنى به التكوّن اللغوي وتفرّع اللغة إلى لغات جديدة، والتطور اللغوي وما يتصل به، فعلم اللغة الجغرافي ينظر إلى اللغات في محيطاتها الحيوية^(٤).

(٤) ينظر عن أبعاد هذا العلم: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ١٧-٢٠

وظيفة علم اللغة الجغرافي

جعل اللغويّ ماريوباي من وظيفة علم اللغة الجغرافي أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات في مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميّتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية، وأن يدرس طرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض، وكيفية تأثير العامل اللغوي على تطور الثقافة والفكر الوطنيين^(٥)، ولا شك أن ما ذكره ماريوباي هي بعض وظائف هذا العلم، فهو علم واسع متجدّد يتناول مسائل كثيرة تلتقي فيها اللغة بالجغرافيا.

من أبرز الدراسات حول علم اللغة الجغرافي المكتوبة بالعربيّة أو المترجمة إليها

ورد ذكر هذا العلم باقتضاب في العديد من كتب علم اللغة، وفي أغلبها لا يعدو الحديثُ التعريف العامّ بالعلم والحديث المقتضب عنه، وفي حديثي عن هذا العلم أبدأ بالتعريف بأهم ما كُتب بالعربية أو تُرجم إليها حول هذا العلم، فأذكر دراستين عربيّتين، ثم أتبعهما بدراستين غربيّتين تناولت هذا العلم، وفيما يلي تعريفٌ بالدراسات الأربع:

• الأولى دراسة اعتنت بجمع ما اشتمل عليه التراث الجغرافي العربي من ملاحظات لغوية تدخل تحت علم اللغة الجغرافي، وهذه الدراسة تُعدّ تعريفاً بالجانب التطبيقي لهذا العلم لدى الجغرافيين العرب، وهي الدراسة التي أعدها الدكتور أحمد عبد الله عبد ربه ياغي لنيل درجة الدكتوراه، وعنوانها (الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة) بإشراف أ.د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م،

(٥) ينظر أسس علم اللغة - ماريوباي، ترجمه د. أحمد مختار عمر ص ٣٧.

وهي - فيما اطلعت عليه - أوسع عمل تناول التراث الجغرافي العربي لاستخراج ما فيه مما يدخل تحت علم اللغة الجغرافي من ملاحظات وأحكام حول اللغات ، فقد استعرض أغلب الكتب الجغرافية واستخرج الكثير مما يدخل تحت هذا العلم. ولأهمية هذه الدراسة أقدم سرداً بأقسامها مع العناوين لتقديم صورة تقريبية عنها :

الفصل الأول / التعريف ببعض مصادر المادة اللغوية.

الفصل الثاني / التبادلات الفنولوجية بين أصوات اللغة العربية.

الفصل الثالث / التداخل الصوتي ونقل الأصوات بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.

الفصل الرابع / تعريب الفونيمات الأجنبية.

الفصل الخامس / الأوزان والاشتقاق والنحت.

الفصل السادس / التذكير والتأنيث.

الفصل السابع / الإفراد والتثنية والجمع.

الفصل الثامن / النسب والتصغير.

الفصل التاسع / الجملة الاسمية.

الفصل العاشر / الجملة الفعلية.

الفصل الحادي عشر / الكلمات العربية ودلالاتها عند غير العرب.

الفصل الثاني عشر / الكلمات المعربة.

الفصل الثالث عشر / الكلمات العربية وتغير دلالاتها عند العرب.

الفصل الرابع عشر / الملامح العامة للتغير اللغوي الذي وصفه الجغرافيون

العرب.

نتائج البحث.

الخرائط الجغرافية اللغوية.

• وتأتي الدراسة الثانية عن التوزيع الجغرافي للعربية في العراق ، فهي تطبيق لأحد جوانب هذا العلم ، وهي كتاب (التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق) للدكتور إبراهيم السامرائي ، فهو نموذج على البحوث المتصلة بعلم اللغة الجغرافي ، وهو بحث يعتمد على الجانب التطبيقي في تطبيقه بعض أسس هذا العلم على الحالة اللغوية في العراق ، ولعلّ تقديم عرض موجز له يعطي صورة واضحة عنه :

بدأ الكتاب بعدة موضوعات عن جغرافية العراق والسكان ، والتاريخ القديم للعراق ، والتعريف بالأمم التي عاشت فيه ، ثم تحدث عن نشوء اللغة عند الإنسان القديم ، ثم تحدث عن اللغات السامية وخصائصها وأقسامها ، واللغات التي تدخل تحتها ، فتحدث عن كل لغة باختصار ، مثل الآشورية والآرامية .

ثم تحدث عن الألفاظ النصرانية التي ورثها العرب من العبرانيين والآراميين وغيرهم من الشعوب السامية ، وسرد ٣٩ لفظاً نصرانياً مع شرحها . ثم تحدث عن اللغة العربية ، ثم قسّم العربية في العراق تقسيماً جغرافياً يقوم على الحواضر المدنية ، وتحدث عن القبائل البدوية في العراق وبعض الخصائص اللهجية لها ، وسرد عدداً كبيراً من الألفاظ البدوية .

وتحدث بعدها عن التقسيم الجغرافي للعربية في العراق ، فقسمها ثلاثة أقسام :

١ - العربية الشمالية : ذكر حدودها الجغرافية وخصائصها اللهجية ، وسرد ألفاظاً كثيرةً من ألفاظ الموصل مرتبة على حروف المعجم .

٢ - العربية في المنطقة الوسطى (اللهجة البغدادية) : ذكر هذه اللهجة وعلاقتها بالفصحى ، وذكر خصائصها ، وأورد ما قاله القدماء كالجاحظ عن لغة العامة

ومظاهرها، وخصّ اللهجة البغدادية الحديثة فذكر العديد من خصائصها، ثم سرد كثيراً من الألفاظ مرتبة على الحروف مع الحديث عن كل لفظ وقربه أو بعده من الفصحى.

٣- العربية الجنوبية: تحدث عنها وذكر خصائصها المختلفة، ثم سرد عدداً من ألفاظهم.

وختم الكتاب بالإشارة إلى أن عمله هذا بداية، ولعله يستطيع وضع أطلس لغوي للعراق بعد استقرائه وقيامه بالمسح اللغوي للعربية في العراق.

ولا تخفى الصلة الوثيقة لما فعله المؤلف في كتابه بعلم اللغة الجغرافي.

أمّا الدراستان الأخريان فهما دراستان مترجمتان، فيما يلي تعريفٌ بهما:

• الأولى كتاب (اللهجات العربية الغربية القديمة - تشيم رابين Chaim Rabin)،

وقد جاءت عن اللهجات العربية الغربية القديمة، فهي تطبيق لأحد جوانب علم اللغة الجغرافي، مع الاستعانة بالخرائط الجغرافية لإبراز الظواهر اللغوية، فهي دراسة عميقة عن بعض اللهجات العربية، وقد خصصها للعربية الغربية لكنه تعرض للهجات عربية أخرى.

ولعمق الدراسة وصعوبة تقديم عرض سريع معبر عنها أذكر أهم موضوعاتها:

اللغويون العرب واللهجات: تحدث عن موقفهم من اللهجات ودراساتها

وتدوينها، ورسم خريطة عن (معارفنا عن اللهجات العربية) حدد فيها المناطق الجغرافية التي تتوفر موادها والمتوفرة نسبياً والقليلة أو النادرة.

آراء عن أصل العربية الفصحى: ذكر فيه الآراء المختلفة حول أصلها، وحدود

الفصحى ولغة القرآن.

اليمن: تحدث عن لغة اليمن وذكر خصائصها المتعددة، واستعرض عدداً من الألفاظ في اليمنية مع ذكر مقابلاتها في اللغات السامية الأخرى.

ورسم خريطة حدد فيها التوزيع الجغرافي لكل من (أعطى وأنطى).

حمير: تحدث عن الحميرية وخصائصها وآراء العلماء حولها، وبعض النقوش في الحميرية، ورسم خريطة للمناطق التي تكلمت الحميرية في عصر الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب (صفة جزيرة العرب) الذي عاش في القرن الرابع الهجري.

أزد: ذكر الأزدية وخصائصها، ورسم ثلاث خرائط جغرافية لمناطق اللاصقة (ه) للغائب المذكر، ولحركة حرف المضارعة، ولأخال وإخال.

اليمن الشمالي: ذكر اليمنية الشمالية والعديد من خصائصها اللهجية، ورسم خريطة لمناطق نصب وجر المثنى بالألف والنون، وأخرى لمناطق كيفية نطق حرف الجر (من) قبل (ال)، وثالثة لاستعمال اسم الإشارة بدون أداة تعريف بعده.

هذيل: ذكر لغة هذيل واستعرض العديد من خصائصها، وذكر العديد من مسائل لغوية ونحوية، ورسم خريطة لضعف النطق بالواو والياء في أول الكلام.

الحجاز: ذكر حدود الحجاز ولغته، ثم تحدث طويلاً عن الحركات في اللغة الحجازية، ثم رسم خريطة لتحول الفتحة الطويلة إلى ضمة نصف ضيقة، وأخرى لمناطق تقصير الكسرة الطويلة الأخيرة، ثم تحدث عن السواكن بعمق كبير، ورسم خريطة لمناطق ضعف السواكن البلعومية، وأخرى لمناطق إسقاط الهمزة، ثم تحدث عن الصرف وفصل فيه مسائل كثيرة، ورسم خريطة لصيغ الماضي المضعف، ثم تحدث عن النحو ومسائل كثيرة منه، ورسم خريطة للحالة الإعرابية لما بعد (منذ).

طیء: تحدث عن لغة طیء وخصائصها، ورسم خريطة لتحول الياء المفتوحة بعد كسرة إلى فتحة، وخريطة لمناطق تحول (إ ي ي إلى إ ج ج)، ويقصد بهذا التحول العجعة، وأخرى للصيغة القديمة لاسم الموصل^(٦).

• **والدراسة الثانية** دراسة قيمة عن العلم نفسه (علم اللغة الجغرافي) فهي دراسة منهجية دقيقة لمسائل هذا العلم، مع التمثيل عليها من الواقع اللغوي المعاصر، وهو من أبرز الكتب المترجمة وعنوانه (علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي لرونالد ل. بريتون، ثم ترجمه هارولد ف. شفمن إلى الإنجليزية بإضافات مفيدة على النسخة الأصلية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحمدی)، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١هـ.

وللأهمية الكبيرة لهذا الكتاب وكونه مصدراً متميزاً من المصادر المترجمة لهذا العلم أقدم عرضاً مختصراً لأهم موضوعات الكتاب ليتضح مفهوم هذا العلم لدى الغربيين:

القسم الأول: مشكلات علم اللغة الجغرافي العامة

الفصل الأول: (علم دراسة اللهجات وعلم اللغة الجغرافي)، وتحتة دراسات تمهيدية عن اللغة ومستويات دراستها، ثم عن دراسة اللهجات، والكثير عن قضايا علم اللغة الجغرافي.

الفصل الثاني: (الطبيعة العرقية للغة)، وتحتة مجموعة قضايا منها: اللغة الأم، الثنائية اللغوية، الازدواج اللغوي، اللغة والسلالة، اللغة والقبيلة، اللغة القومية

(٦) اللهجات العربية الغربية القديمة - تشيم رابين، ترجمه عبد الرحمن أيوب وطبعته جامعة الكويت عام ١٩٨٦م، وقد نُشر الكتاب بعنوان آخر هو: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية.

العرقية، اللغة والمواطنة، اللغة والانتماء الديني، الانتماء العرقي والمجموعات العرقية اللغوية.

الفصل الثالث: (السنن اللغوية)، وتحت: مراحل النمو والانتشار، حياة اللغات وموتها، التوطن الإقليمي للغات.

الفصل الرابع: (الطرق والمنهجية)، وتحت: ضرورة قياس الكمية، الإحصاءات اللغوية، المسوح اللغوية وإحصاءات وسائل إعلام الجماهير، الاستعمال الاصطلاحي الرسمي والاستعمال الاصطلاحي القانوني، التمثيل البياني: الخرائط، الرسوم البيانية والجداول البيانية.

القسم الثاني: توزع اللغات في العالم الحديث

الفصل الخامس: (الأسر اللغوية ونظم الكتابة)، وتحت: الأسر اللغوية المعاصرة، توزع نظم الكتابة.

الفصل السادس: (التوزع القاري والقومي للغات)، وتحت: أوروبا واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، العالم العربي والسامي، آسيا والجزر الأوقيانوسية، الأمريكتان، أفريقيا السوداء وجزر المحيط الهندي.

الفصل السابع: (الوضع العالمي)، وتحت: تفاوت المجموعات العرقية اللغوية، اللغات الدولية.

الفصل الثامن: (الخاتمة).

ويتضح من هذا العرض المختصر للكتاب شموله قضايا ومسائل كثيرة تدخل تحت علم اللغة الجغرافي، ولا شك أنه يُعدّ من المصادر المتأخرة لهذا العلم.

لعل فيما مضى من التعريف بالكتب الأربعة ما يكشف عن تنوع ميادين البحث في علم اللغة الجغرافي والسعة فيه، فهو ميدان واسع فيه الكثير من الدراسات المتنوعة، ولعل هذه الدراسات تعطي تمثيلاً صادقاً عنها.

أهم قضايا علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته في العصر الحديث

بما أن هذا العلم من العلوم الحديثة التي استوت ونضجت في هذا العصر، مع وجود أصول له في القديم، يحسن التعريف بأهم مسائله والجهود التي بُذلت فيها:

٥ الأطالس الجغرافية للهجات والظواهر اللغوية

تعدّ الأطالس اللغوية إحدى الطرق الحديثة التي جاد بها التقدم العلمي على الدراسات اللغوية، ففي الماضي كان الحديث النظري هو الغالب لإبراز ظاهرة لغوية متصلة بموقعها الجغرافي، وهي طريقة حديثة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر، ولا شك أن إبراز الظاهرة في موقعها الجغرافي على خريطة أبلغ وأوضح من الوصف الكتابي.

والأطالس اللغوية طريقة حديثة لم يعرفها العرب في تاريخهم، فمع ريادتهم بين الأمم في علم الجغرافيا ووصف البلدان لكنها ابتكرت في القرن التاسع عشر في أوروبا. ولا نلوم جغرافيين العرب لأنهم قصّروا في الوصول إليها؛ فالعلوم تنضج بين الأمم بالتراكم المعرفي، وكما سبق العرب الغرب في ميدان الجغرافيا في القديم، فقد استفاد علماء الغرب من إنجازات العرب في ميدان الجغرافيا وبنوا عليها، وجاءت الأطالس اللغوية إحدى مظاهر الابتكار الذي جادت به النهضة الحديثة.

وتُنسب فكرة الأطلس اللغوي إلى الألماني فنكر (Wenker)، والفرنسي جليرون (Gilliéron) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وقد قام كلٌّ منهما بعمل أطلس لبلاده.

وتطوّرت فكرة الأطلس اللغوي بعد ذلك فظهر أطلس لغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا، وأطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا، ثم أطلس لغوي للبلاد الألمانية والنمساوية، ثم مجموعة أطالس أخرى للعديد من بلاد أوروبا^(٧).

أمّا فيما يخصّ العالم العربي فمن المشهور ما قام به المستشرق الألماني برجشتراسر من صنع أطلس لغويّ لسوريا وفلسطين، بعد أن جمع الاختلافات اللهجيّة لسوريا وفلسطين في خرائط جغرافية، ثم نشره في ليبزج سنة ١٩١٥م^(٨)، كما صدر في سنة ١٩٨٦ أطلسان لغويان لمصر واليمن للألماني بينشتيد (P.BEHNSTED)^(٩). ومع أن النماذج السابقة كانت لتدوين اللهجات العربية المعاصرة على خرائط، لكنّ هذه الطريقة صالحة لخدمة الفصحى بإبراز مظاهر لهجاتها، وهي وسيلة يمكن استخدامها لأيّة لهجات كانت بأيّة لغة.

ولا يشكّ أيّ باحثٍ في حاجة اللغة العربيّة إلى أطلس يُبرز لهجاتها عبر التاريخ، وقد نَبّه إلى هذا العالم السويسري الأستاذ شتيجر Steiger، فذهب إلى أنّ الأطلس اللغوي للعربيّة سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات

(٧) ينظر للتفصيل: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية

عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩. ٣٨٤

(٨) ينظر عن التفصيل حول أطلس برجشتراسر: الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر - الدكتور رمضان عبد

التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩ - ١٢٤).

(٩) ينظر: الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي - الأستاذ إبراهيم محمد الخطابي (مجلة اللسان

العربي - العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨ هـ ديسمبر ١٩٩٧م).

السامية ؛ لأنه سيكمل الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية. وسيكشف عن تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة^(١٠).

أما عن طرق إعداد الأطلس اللغوي فقد اشتهر في الماضي طريقتان : ألمانية وفرنسية ، لكنهما أصبحتا قديمتين مع تقدّم الإمكانات الحاسوبية ، ولا شك أن تطوّر رسم الخرائط وتعيين المواضع الجغرافية عليها حاسوبياً سهّل من إعداد الأطلس اللغوي^(١١).

وقد قامت محاولات لرسم خرائط جغرافية مع وضع علامات للاختلافات اللهجية عليها ، فهي محاولات لرسم خرائط تُبرز بعض الظواهر اللغوية ، ويمكن أن نعدّ هذه المحاولات نماذج صغيرة لرسم أطلس لغويّ ، ويمكن أن نذكر منها محاولتين :

- أعدّ أحمد عبد الله عبد ربه ياغي خرائط جغرافية لغوية للتبادلات الصوتية التي ذكرها الجغرافيون عند ذكرهم الاختلافات الصوتية بين اللهجات المختلفة ، في رسالته للدكتوراه وعنوانها : (الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب : دراسة في ضوء علم اللغة).

والخرائط التي رسمها قسّمها إلى ثلاثة أنواع : الأول : خرائط خاصة بالتبادلات الصوتية الشائعة في المناطق العربية ، الثاني : خرائط خاصة بالتبادلات الصوتية غير الشائعة مع انحصارها في إقليم معين ، الثالث : خرائط تبين أشهر التبادلات الصوتية

(١٠) ينظر: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر، مجلة مجمع اللغة العربية ٧/ ٣٧٩ - ٣٨٤

(١١) ينظر عن طرق عمل الأطلس: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر، - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع ٧/ ٣٧٩ - ٣٨٤، جغرافيا اللغوية وأطلس برجستراسر - الدكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩ - ١٢٤).

للأصوات العربية في المناطق غير العربية، وقد بلغت الخرائط التي مثلت الأنواع الثلاثة اثنتي عشرة خريطة، ومع ما في محاولته من قصور في مراعاة الدقة في رسم الخرائط وإبراز التبادلات الصوتية عليها لكنّها محاولة قيّمة في استخدام الخرائط الجغرافية لإبراز ظواهر لغويّة^(١٢).

قام تشيم رابين Chaim Rabin في كتابه (اللهجات العربية الغربية القديمة) برسم عدد من الخرائط الجغرافية لإبراز ظواهر لغوية متعدّدة، وقد بلغت تلك الخرائط عشرين خريطة، وقد انطلق من نصّ للهمدانيّ عند حديثه عن لغات الجزيرة، وأبرز في خرائطه عدداً من الاختلافات اللهجيّة مثل إلزام المثني الألف في جميع حالاته، مع ذكر القبائل المختلفة التي تُسبّت إليها هذه اللهجة مع إبراز مواطنها الجغرافية على الخريطة، والاختلاف في حركة حرف المضارعة بين الفتح والكسر، كما أبرز مواطن اللغة الحميرية الخالصة، والحميرية المختلطة التي ذكرها الهمداني^(١٣).

■ توزيع اللغات المختلفة في جميع أنحاء العالم، وذكر الفصائل اللغوية

مّا عني به علم اللغة دراسة انتشار اللغات في العالم وتوزيعها إلى فصائل ومجموعات تجمع بينها خصائص معيّنة، بحسب الأسس التي يُبنى عليه ذلك التقسيم، وهذا العمل يدخل في ميدان علم اللغة الجغرافي.

ومع اختلاف اللغويين في تصنيف اللغات إلى مجموعات لكنّ تلك التصنيفات يتبعها تحديد المواطن الجغرافية لتلك المجموعات، وقد اختلفت تلك التقسيمات بين تقسيمات كبرى تضم كل فصيلة فيها مجموعات من اللغات، وتقسيمات صغرى يخصّ

(١٢) للاطلاع على جميع الخرائط وجميع أنواع التبادلات التي ذكرها بتفصيل ينظر: الملاحظات اللغوية للجغرافيين

العرب: دراسة في ضوء علم اللغة ص ٤٧٤-٤٩٠

(١٣) سبق التعريف باختصار بكتاب رابين (اللهجات العربية الغربية القديمة) عند ذكر أبرز الدراسات حول علم

اللغة الجغرافي، وسيأتي الحديث عن أحكام الهمداني على لغات الجزيرة في كتابه (صفة جزيرة العرب).

القسم الواحد عدداً أقلّ من اللغات، لكنّ تلك التقسيمات تعتمد على توزيع جغرافي للغة^(١٤).

والربط بين لغات في بيئتين جغرافيتين مختلفتين بسبب صلات قرابة بينها يدخل في هذا الميدان، ومن أشهر تصنيفات اللغات التصنيف القائم على اكتشاف صلات القرابة بينها، وتلك الصلات يؤكدها التشابه الجامع بين اللغات في الخصائص والسمات، ويمكن لنا تذكّر اكتشاف السير وليم جونز أن اللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، والإغريقية واللاتينية والجرمانية والكلتية تُمتّ بصلة قرابة بينها، فكلّها تنتمي إلى فصيلة واحدة عُرفت بعد ذلك بالهندية الأوروبية، وقد اكتشف هذه القرابة من ملاحظة التشابه في القواعد وجذور الأفعال وغيرها من خصائص^(١٥).

▪ دراسة اللهجات وعلاقة بعضها ببعض

اعتنى اللغويون المحدثون بدراسة اللهجات في جميع اللغات، وعدّوا دراسة اللهجات جزءاً من دراسة اللغات الأمّات لها؛ فدراسة اللهجة وربطها بلغتها الأمّ يمكن بها معرفة التغيّرات التي أصابت اللغة عند تفرّعها إلى لهجات، ومدى قرب اللهجة وبعدها من اللغة الأمّ.

(١٤) ينظر عن الأسر اللغوية المعاصرة بتفصيلات كثيرة: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ١٩٦ وما بعدها، لغات العالم: من يتكلم ماذا- برنارد كومري (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩٥٩ وما بعدها).

(١٥) ينظر: فصول في علم اللغة العام - ف. دي سوسير، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين ص ٤٨-٤٩، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥ م.

ولقد عدّ ف. دي سوسير كل ما يتعلق بالانتشار الجغرافي للغات والانقسامات اللهجية يخصّ علم اللغة الخارجي، ورأى أن الظاهرة الجغرافية مرتبطة تماماً بوجود أيّ لغة، والامتداد الجغرافي والانقسام اللهجيّ لا يختار النظام الداخلي للغة في العادة^(١٦). ولأهمية هذا الميدان جعله بعضهم علماً بمصطلح خاصّ به هو (علم جغرافيا اللهجة Dialect Geography) وتتصل به مسائل تفصيلية فرعية يصعب حصرها، منها: كيف تختلف لهجات اللغة الواحدة، وما العلاقات بينها؟ وما درجة استقلاليتها؟ وما حدود مناطق كلّ لهجة^(١٧).

وفي هذا الميدان تظهر لنا عناية الغربيين عناية كبيرة بدراسة لغاتهم ولهجاتها وحدودها الجغرافية، والتحوّلات التي تصيبها من تأثير بعضها على بعض^(١٨). وفي ميدان الدراسات التي تتناول اللهجات العربية وصلاتها، تأتي على مناهج مختلفة في تناول.

ويمكنني هنا سرد أسماء مجموعة من الأعمال التي تدخل في هذا الميدان مع اختلافها:

من كتب العرب عن اللهجات

- دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية - أحمد حسين شرف الدين، وهي دراسة قيمة مختصرة تجمع بين الظواهر اللهجية القديمة في لهجات الجزيرة واللهجات الحديثة.

(١٦) ينظر: اللغة كما تطورت: تتبع أشكالها وعائلاتها- ن. ي. كولنج (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٨٧٩ - ٨٨٠).

(١٧) ينظر: علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي ص ٣٤ وما بعدها

(١٨) ينظر: اللغة انتماء جغرافي- مارتن ديورل (الموسوعة اللغوية- تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩١٩ وما بعدها).

• معالم اللهجات العربية - د. عبد الحميد محمد أبو سكين ، وهي دراسة تتعلق بلهجات الفصحى.

• المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية - د. محمد سالم محيسن ، وهي دراسة تتناول لهجات الفصحى وظواهرها المختلفة وما ورد منها في القرآن الكريم.

• في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس ، ولهذا الكتاب قيمة كبيرة لتعلقه بلهجات الفصحى وظواهرها ، مع ربطها بالظواهر المعاصرة.

• المعجم الكامل في لهجات الفصحى - د. داود سلوم ، وهو معجم قيّم جمع فيه مؤلفه الظواهر التي ذكرها العلماء للهجات العربية المختلفة ، بذكر الظاهرة تحت اللفظ الذي وردت فيه ، وذكر مصادرها القديمة التي ذكرتها.

• معجم لغات القبائل والأصوار - د. جميل سعيد ، د. داود سلوم ، وهو معجم قيّم في ذكر اللفظ الذي ورد في اللغة أو في القرآن الكريم مع ذكر القبيلة التي تُنسب إليها.

ولا يخفى أنّ بعض دارسي العربية من غير العرب أكثر عناية بدراسة اللهجات من العرب ، وقد قامت دراسات متعدّدة أذكر منها دراستين ممّا تُرجم إلى العربية :
o اللهجات العربية الغربية القديمة - تشيم رابين ، ترجمه عبد الرحمن أيوب ، وقد قدّمت عنه عرضاً عند ذكر الدراسات التي تدخل في علم اللغة الجغرافي ، ولا شك أنّ دراسته تدخل في ميدان اللهجات.

• دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية - ت. م. جونسون ، ترجمه د. أحمد بن محمد الضبيب ، وهي دراسة حول لهجات الخليج العربي بدوله المتعددة ، ومع كونها تتعلق باللهجات العامية لكنّها تدلّ على جهد علمي جدير بالاهتمام ، وقد

استعان بعدد من الخرائط الجغرافية لتصوير مناطق توزيع اللهجات ، وإبراز بعض الظواهر اللهجية على المواقع الجغرافية.

ما يدخل تحت هذا العلم من جهود العرب السابقين لغويين وجغرافيين

ورد عن العرب لغويين وجغرافيين إشارات ووقفات تدخل في حقل اللغويات الجغرافية ، وهم وإن لم يعرفوا هذا العلم ومصطلحاته الحديثة لكنهم أدركوا الصلة الوثيقة بين اللغة والجغرافيا ، والحاجة إلى العلمين معاً في بعض المسائل ، فاللغوي في بعض المسائل اللغوية يربط بين اللغة والموقع الجغرافي ، والجغرافي عند حديثه عن بعض المواضع يشير إلى مسألة لغوية.

وفيما يلي أذكر بعض تلك المسائل عند اللغويين :

• الفصاحة وحدودها الجغرافية عند اللغويين العرب

من عناية علماء العربية وحرصهم على نقاء اللغة وسلامتها وضعهم حدوداً مكانية وزمانية للفصاحة ، مع اختلافهم في تلك الحدود نظرياً وتطبيقياً ، أما الحدود المكانية - وهي المتصلة بموضوعنا - ففي الجانب النظري وردت أقوال مختلفة أحياناً ومتناقضة أحياناً عن القبائل التي شهد العلماء لها بالفصاحة والقبائل التي رأوا أنّ لغتها لم تسلم من الفساد ، فجعلوا القبائل التي عاشت في وسط الجزيرة وابتعدت عن المؤثرات الخارجية فصيحة ، وذهبوا إلى أنّ قبائل أطراف الجزيرة لا يُستشهد بكلامهم بسبب اختلاطهم بالأعاجم ، أما في الجانب التطبيقي فالعلماء لم يلتزموا جميعاً بما اشتهر عنهم حول تلك القبائل فاستشهد بعضهم بكلام متحدثين من بعض تلك

القبائل التي لا يُستشهد بكلامها، لكن مع كل هذا فوضعُ العلماء حدوداً ومعايير مكانيةً للفصاحة دليل على ملاحظتهم ارتباط اللغة بالموضع الجغرافي^(١٩).

والمطلع على كتب اللغة يدرك عناية العرب بهذه المسألة، فحرصهم الكبير على العربية جعلهم يسعون إلى وضع معايير لمعرفة الفصح من البشر، ولا شك أن هذا العمل مما يدخل في ميدان علم اللغة الجغرافي باصطلاحه الحديث، فهي قضية لغوية لها صلة بالجغرافيا.

ومن أشهر الأقوال التي حملت تفصيلاً في ذكر القبائل الفصيحة قول أبي نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩هـ في أول كتابه المسمى (بالألفاظ والحروف)، فقد ذكر عدداً من القبائل التي يُحتجّ بها، فقال: "كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وإبانةً عما في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتُدي عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وقيس وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكلم في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"^(٢٠)، ثم ذكر القبائل التي لم يأخذوا منها لاختلاطها بالعجم بسبب مجاورة أكثرها لهم لوقوعها في أطراف الجزيرة.

ولا يخفى على قارئ هذا النصّ التفاصيل المرتبطة بالموقع الجغرافي للقبائل التي ذكرها مع كونه نصّاً لعالم لغوي يتحدث عن الفصاحة، مع أن تلك التفاصيل لم

(١٩) ينظر: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي - د. عبد العلي الودغيري (مجلة المعجمية ٥-٦/٢٢٠-٢٢٤).

(٢٠) ٢٢٤.

(٢٠) الاقتراح في علم أصول النحو - جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت،

١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، دار المعرفة الجامعية ص ١٠١-١٠٤

يُجمع عليها العلماء لكنّها مثالٌ واضحٌ للربط بين علمي اللغة والجغرافيا، كما أنّهم ربّما خالفوا أحياناً تلك الحدود فاستشهدوا بمن ذكروا أنّه لا يُستشهد بكلامه.

وفي نصّ لغويّ آخر نلاحظ اختلافات عمّا ورد في النصّ السابق، حول أسماء القبائل التي يستشهد بكلامها والتي لا يستشهد بكلامها، ولأهميّة النصّ لكونه عن الأصمعي تأتي أهميّته للدلالة على ارتباط قضية الفصاحة بالموقع الجغرافي، قال الأصمعي: "قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث (وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن): فأولها هذيل، وهي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة في السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزرد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد، وقال أبو عمرو أيضاً: أفصح الناس غلباً تميم وسفلى قيس، وقال أبو زيد: أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة، يعني عَجْزُ هوازن، قال: ولست أقول: قالت العرب إلا ما سمعت منهم، وإلا لم أقل: قالت العرب... وأهل العالية أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا منها، ولغتهم ليست بتلك عنده" (٢١).

وذكر المبرد قول الخليل بن أحمد: "أفصح الناس أزرد السراة" (٢٢).

وكذا قول أبي عمرو بن العلاء: "أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم، قال: وكنا نسمع أصحابنا يقولون: أفصح الناس تميم وقيس وأزرد السراة وبنو عذرة" (٢٣). وكما حاول العلماء تعيين القبائل الفصيحة مع ربطها بالموقع الجغرافي، جعلوا مجموعة من القبائل غير فصيحة بسبب مواقعها الجغرافية، ونكتفي بتكملة النصّ السابق للفارابي فبعد ذكره الفصحاء من القبائل ذكر من لم يأخذ العلماء عنهم، مثل:

(٢١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق ٨٨/١ - ٨٩

(٢٢) الفاضل - المبرد ص ١١٣

(٢٣) السابق ص ١١٣

الساکنین فی الحَضَر، وسکان البراری الساکنین فی أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذین حولهم، ومن هذه القبائل: لَحْم وجُدَام، لمجاورتهم أهل مصر والقبط، وقضاة وغسان وإیاد لمجاورتهم أهل الشام، لأن أكثرهم نصاری یقرأون فی صلاتهم بغير العربية، وتغلب والنمر لمجاورتهم اليونانيين، وبكر لمجاورتهم النبط والفرس، وعبد القيس ساكني البحرين لمخالطتهم الهند والفرس، وأزد عُمان لمخالطتهم الهند والفرس، وأهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة، وبنو حنیفة وسکان الیمامة وثقیف وسکان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، وحاضرة الحجاز لاختلاطهم بغيرهم من الأمم وفساد ألسنتهم^(٢٤).

وتکفي النصوص السابقة حول مواطن القبائل الفصيحة وما عداها من القبائل فی الدلالة على إدراك علماء العربية ارتباط الموقع الجغرافي باللغة.

• الفروق بین اللهجات العربية القديمة فی البلاد المختلفة، وأثر البيئة الجغرافية عليها.

عرف اللغويون اللهجات عند تدوين الفصحى ودراستها، ولا تخفى جهودهم الكبيرة فی تدوين لهجات القبائل عند تعييدهم اللغة لبيان اختلافهم فی قواعد النحو، أو الألفاظ ومعانيها، وهم مع ذلك يربطون بین اللهجة وأهلها وموطنهم الجغرافي، وهي مظاهر على الربط بین اللغة والجغرافيا.

(٢٤) ينظر: الاقتراح فی علم أصول النحو — جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت،

ولحظَ اللغويون انعكاس طبيعة الأرض وخصائص المناخ على طبيعة النطق وصفات الأصوات، وسكان الجبال أقسى نطقاً من سكان السهول، وساكنو الصحراء يؤثرون الأصوات المجهورة على المهموسة^(٢٥).

ومما يمكن التمثيل به هنا ما ذكره اللغويون من الفروق بين لغتي الحجازيين والتميميين في النحو والدلالة والأصوات، وكذلك لهجات القبائل الأخرى، وكتب علوم العربية لا تكاد تخلو من الإشارة إلى الاختلافات اللهجية بينها، سواء في كتب النحو والتصريف أو المعاجم أو الأصوات.

ولو أردت الإشارة السريعة إلى أثر الموقع الجغرافي على اللهجة فيمكنني ذكر أن لهجة تميم والقبائل التابعة لها تمثل اللغة البدوية لعيشهم في نجد، وأن لغة الحجاز تمثل لغة الحاضرة، ولذا لوحظ أن لغة تميم تلجأ إلى الأشدّ والأقوى من الأصوات والألفاظ تأثراً ببيئة الصحراء، وأن لغة الحجاز تلجأ إلى الأرقّ من الأصوات تأثراً ببيئة الحاضرة المحيطة بها، ومما يمكن التمثيل به هنا^(٢٦):

- نبر الهمزة وتسهيلها: فالتميميون والقبائل النجدية التابعة لها ينبرون الهمزة أي يحققونها وينطقون بها، والحجازيون يسهلونها.
- نطق التميميون ألفاظاً بالطاء ونطقها الحجازيون بالتاء، منها: أفلطني: وأفلتني، فحَصَطَ: فَحَصَّتْ، حِصْطَ: حِصَّتْ، والطاء أقوى من التاء في صفاته مع اتفاقهما في المخرج.

(٢٥) ينظر: في علم اللغة - د. غازي مختار طليمات ص ٤٠، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

(٢٦) للتوسع في الفروق بين اللهجات ينظر كتاب: في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م ص ٨١ وما بعدها، دراسات في فقه اللغة - د. صبحي الصالح ص ٧٧ وما بعدها.

- نطق التميميون ألفاظاً بالصاد ونطقها الحجازيون بالسين، مثل: الصاق: الساق، صماخ الأذن: سِماخ الأذن، والصاد أقوى من السين في الصفات مع اتحادهما في المخرج.
- نطق التميميون ألفاظاً بالقاف ونطقها الحجازيون بالكاف، مثل: قَشَطٌ: كَشَطٌ، والقاف أقوى من الكاف في الصفات مع اتفاقهما في المخرج.
- يضمّ التميميون حروفاً يكسرهما الحجازيون، مثل: القُنُوة: القُنُوة، رُضْوَان: رِضْوَان، مُرْيَة: مَرْيَة، أُسُوة: إِسُوة، قُدُوة: قِدُوة، والضم أقوى وأشدّ من الكسر.
- اللذون عند تميم يقابله: الذين عند الحجازيين، وهو الاسم الموصل لجمع المذكر.

ويتضح مما سبق أثر البيئة الجغرافية على خصائص كل لهجة

ومن علماء العرب الذي لحظوا تغيّر اللغات تأثراً بالبيئة الجغرافية ابن حزم الأندلسي، فقد قال في حديثه عن تبدّل اللغات وتغيّرها لتبدّل مواطن أهلها، وهو ما أدركه بالمشاهدة: "إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية، التي هي لغة مضر وربيع لا لغة حمير، لغة واحدة تبدّلت بتبدّل مساكن أهلها فحدث فيها جَرَشٌ^(٢٧) كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما، ونحن نجد مَنْ سمع لغة أهل فَحْص البَلُوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول: إنها لغة

(٢٧) الجَرَش: الحكّ، جَرَشَه: حَكَّه، ولعله أراد صوتاً شَبَّهه بصوت الحكّ ليبين الاختلافات التي وقعت بين تلك اللغات التي كانت لغة واحدة قبل تبدّل مساكن أهلها.

أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على مَنْ تأمله^(٢٨).

وإشارة ابن حزم تدلّ على نضج وفهم منه لتغيّر اللغات وتأثرها بالبيئة الجغرافية المحيطة بها، ولم يكتفِ بما يمكن أن يكون غيره سبقه إليه من ملاحظة، بل إنّه مثّل بأمثلة حيّة في زمنه، في اختلاف لغات الأندلس والقيروان وخراسان، وما يُسمع من الناطق بها حين يروم اللغة الأخرى، كما يلفت النظر ملاحظته اختلاف لغة فحَصّ البلوط كثيراً عن لغة قرطبة مع تقاربهما في المسافة؛ لاختلاف البيئة الجغرافية، وتأثرها بما يحيط بها.

ومثل جهود اللغويين تأتي جهود الجغرافيين وإشاراتهم التي تتصل بعلمي اللغة والجغرافيا، وفيما يلي أذكر بعض المسائل التي تدخل فيه:

• إشارات الجغرافيين والرحالة العرب إلى التغيرات الصوتية التي تصيب اللغة في البيئات الجغرافية المختلفة.

وهذا ميدان واسع يدخل تحته الكثير من ملاحظات الجغرافيين حول لغات البلدان في مستويات اللغة المختلفة من صوتية ونحوية ودلالية وصرفية، ومن الإشارات إلى التغيرات الصوتية ما يلي:

إبدال أهل المغرب اللام نوناً

ذكر الإدريسي (ت ٥٦٠هـ) أنهم يقولون لـ (قَلَّة الجبل): (قَنَّة الجبل).

وذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أن بعض أهل المغرب يقولون: تنمسان بدلاً من تلمسان^(٢٩).

(٢٨) الأحكام في أصول الأحكام - ابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر ١ / ٣١، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(٢٩) ينظر: الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة ص ١٣١-١٣٢

إبدال القاف همزة

نسبه العبدري (ت ٦٨٨هـ) إلى أهل القاهرة وقال: "اللكنة فيهم فاشية، وجمهورهم يجعل القاف والكاف همزة" (٣٠).

• إشارات الجغرافيين إلى تسميات أهل البلدان للأشياء:

كان الجغرافيون والرحالة عند حديثهم عن البلدان يذكرون تسميات أهلها للأشياء التي يرونها، وقد تكون هذه التسميات تختلف عما يعرفونه في بلاد أخرى. وأكثر الرحالة سلكوا هذا المسلك، ولا عجب من ذلك؛ فالإنسان مغرم بذكر ما يستغربه من مسميات أو أسمائها، وممن اعتنى بذكر تسميات البلدان المقدسي (ت ٣٩٠هـ تقريباً) وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ)، وفيما يلي أمثلة لهذه الظاهرة تدليلاً على عناية جغرافي العرب بهذا العلم:

ما ذكره المقدسي من تسميات بعض البلاد للأشياء

ذكر أبو عبد الله المقدسي في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) (٣١) بعضاً من الألفاظ التي يطلقها أهل الأقاليم على الأشياء، ومع كونها أسماء متفرقة لا تقع في موضوع واحد لكن جمعها وإيرادها يعطي نماذج عن تلك التسميات، ومن ذلك:

- تسمية أهل العراق العجم أهل فوق وأهل الغرب أهل أسفل. ص ٢٨
- تسمية أهل مكة المكرمة ما نزل عن المسجد الحرام المسفلة، وما ارتفع عنه المعلاة. ص ٧٥

• تسمية أهل مكة المكرمة حجر إسماعيل الخطيم. ص ٧٥

(٣٠) ينظر السابق ص ١٢٢

(٣١) اعتمدت على نشرة (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) التي نشرها د. محمد مخزوم، وطبعها دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م، ولاختصار الحواشي فإني وضعت رقم الصفحة أمام كل فقرة.

- تسمية أهل اليمن مدينة زَبِيد اليمنية ببغداد اليمن. ص ٨٤
 - تسمية أهل مكة المَنّ المعروف في جميع بلاد الإسلام الرطل. ص ٩٤
 - تسمية أهل العراق كل ما كان وراء الفرات شاماً. ص ١٣٤
 - تسمية أهل الأندلس الرستاق إقليمًا. ص ١٩٣ - ١٩٤
 - تسمية أهل المغرب نصف الدرهم القيراط، ونصف الثمن الخرنوبة. ص ١٩٨
 - تسمية أهل جرجان العالم معلماً. ص ٢٨٣
- ما ذكره ابن بطوطة من تسميات بعض الشعوب للأشياء
- اعتنى ابن بطوطة في رحلته^(٣٢) بأسماء الأشياء التي يراها ويصفها، وقد التفت إلى اختلاف تسميات تلك الأشياء في البلاد المختلفة، وفيما يلي بعض المواضع التي ذكر فيها تسميات الشعوب للأشياء وما يتصل بها^(٣٣):
- مما ذكره من تسميات العرب
- ♦ تسمية المغاربة أم الحُبَيْن بـ (حنيشة الجنة). ٧٩/٣
 - ♦ تسمية المغاربة أحد أنواع السمك بـ (تازّرت)، قال عن سمك شيرمَاهي: "وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتازّرت" ١٣٤/٢
 - ♦ تسمية التين بـ (الخَمَط)، قال عندما ذكر رباطاً للصوفية في مكة: "ومن عادتهم أن كل من له بستان من النخيل والعنب والفرسِك وهو الخوخ، والتين وهم يسمونه الخَمَط" ٣٩٢/١

(٣٢) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وقد اعتمدت على نشرة د. عبد الهادي التازي (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م)، ولاختصار الحواشي وضعت رقم الجزء والصفحة أمام كل فقرة.

(٣٣) لمزيد من الأمثلة ينظر: ابن بطوطة وجهوده اللغوية والجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أمودجاً - عبد العزيز الحميد ص ٢٧ وما بعدها، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار السويدي للنشر والتوزيع - أبو ظبي.

- ♦ تسمية أهل مرسى حاسك سمكهم بـ (اللَّخَم) ١٣٠/٢
- ♦ تسمية المصريين الفندق بـ (الخان) ٢٣٢/١
- ♦ تسمية أهل مكة القلال التي يوضع فيها ماء زمزم بـ (الدوارق) ٣٧٦/١
- ♦ تسمية أهل مكة القُفَّة بـ (المِكْتَل) ٣٨٧/١
- ♦ تسمية أهل جزيرة سواكن رئيس المركب بـ (الرُّبَّان) ١٠٠/٢
- ♦ تسمية أهل السودان الذئب بـ (وُجَّين) ٢٧٣/٤
- ♦ تسمية أهل بعلبك الصِّحاف بـ (الدُّسوت) ٢٩٧/١

مما ذكره من تسميات العجم

- ♦ تسمية الهنود المنج المطبوخ مع الأرز بـ (كُشَرِي). ٩٦/٣
- ♦ تسمية الهنود الجُلَّاب محلولاً بالماء بـ (الشربة). ٩٣/٣
- ♦ تسمية الهنود لقيمات القاضي بـ (الهاشمي) ٩١/٣
- ♦ تسمية الترك حليب الخيل بـ (القِمِز). ٢٢٠/٢
- ♦ تسمية أهل مدينة يَزْنِيك التركية القسطل بـ (قسطنة)، والجوز بـ (القوز).

٢٠٠/٢

- ♦ تسمية أهل جزائر ذبية المهل نوعاً من السمك بـ (قُلْب الماس). ٥٥/٤
- ♦ تسمية أهل خوارزم الخبز المعجون بالسمن بـ (الكليجا). ١٢/٣
- ♦ تسمية أحد أنواع السمك في الفارسية بـ (شِرْمَاهِي). ١٣٢/٢ - ١٣٤
- ♦ تسمية أهل الهند العجلة بـ (العربة) ٢١٨/٢
- ♦ تسمية أهل الهند زيت السمس بـ (السيراج) ٤٠/٣
- ♦ تسمية أهل الهند الباب بـ (دروازه) ١٠٥/٣
- ♦ تسمية أهل الهند القصر بـ (الكشك) ١٤٣/٣

♦ تسمية أهل الهند الطيفور طبقاً ٢٤١/٣

♦ تسمية الترك السرير الأعظم للسلطان ب (التخت) ٢٣٨/٢

♦ تسمية أهل إيدج الزاوية التي يكون فيها الطعام والشراب للضيوف بـ

(المدرسة) ٢٣/٢

♦ تسمية أهل جزيرة سيلان آدم ب (بابا)، وحواء ب (ماما) ٨٠/٤

♦ تسمية أهل بلاد المعبر الأخبية ب (الخيام) ٩٣/٤

• إشارات الجغرافيين اللغوية إلى اختلاف تسميات الأشياء من بلد إلى آخر:

كان الجغرافيون، وأكثرهم رحالة، يذكرون الحالة اللغوية للبلدان التي يتحدثون عنها، وربما يقابلون بين البلدان في تسمية الشيء الواحد، وهم بذلك يشيرون إلى ترادف الأسماء للدلالة على شيء واحد، وفيما يلي أورد أمثلة غزيرة لهذه الظاهرة من رحلة أبي عبد الله المقدسي، فهو من أبرز من اعتنى بذكر اختلاف البلدان في التسميات، بل إن له منهجاً فريداً سأذكره فيما يلي:

ما تختلف فيه الأقاليم عند المقدسي

من الإشارات اللغوية لدى الجغرافيين والرحالة ذكر ما تختلف فيه الأقاليم من التسميات، ومن أبرز من عني بهذا الجانب المقدسي الرحالة المشهور في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)^(٣٤)، فقد ذكر في بداية كتابه مجموعة من المترادفات التي يستخدم أحدها إقليم ويستخدم الآخر إقليم آخر، فذكر مائة وثمانين كلمة تنقسم إلى مجموعات من الألفاظ المترادفة، كل مجموعة لفظان أو ثلاثة أو أكثر، بل إنه سعى إلى استعمال تلك المترادفات عند حديثه عن كل إقليم؛ فيستخدم في حديثه عن الإقليم

(٣٤) نُشر عدة نشرات لكني اعتمدت على تحقيق د. محمد مخزوم وعنوان نشرته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م بيروت - لبنان، وأنه إلى أي وثقت ما نقلته من نصوص من هذه الطبعة مع وضع رقم الصفحة أمام النص لتقليل الحواشي.

الكلمة المرادفة الشائعة فيه، قال عن ذلك: "وستتکلم في كل إقليم بلسانهم ونناظر على طريقتهم، ونضرب من أمثالهم، لتُعرف لغتُهم ورسومُ فقهاءهم، فإن كنا في غير الأقاليم مثل هذه الأبواب تكلمنا بلغة الشام، لأنها إقليمي الذي به نشأت" ص ٣٩

أما عن الألفاظ التي ذكر المقدسي اختلاف الأقاليم فيها فسأذكر فيما يلي بعضها، لكنّه لم يشر عند سرده الألفاظ إلى أيّ البلاد ينتسب كل لفظ، وإنّما سعى إلى استعمال اللفظ في كلامه عند حديثه عن البلد الذي يشيع فيه ذلك اللفظ، كما أنّه لم يستعمل كلّ تلك الألفاظ المائة والثمانين، وإنّما استعمل بعضها، وفيما يلي أسرد بعض الكلمات سرداً كما ذكرها المقدسي (بين كل مجموعة خط مائل): [قطان، حلاج / ميزاب، مِرزاب، مِرزاب، مِثعب / باقلّی، فول / قدر، بُرمة / زنبيل، مِكتل، قَفّة / خادم، قِيم، مفرك، بلان / حصن، قلعة، قهندز، كلات / مخاصم، خصيم / حاكم، قاض / شيرج، سليط / زجاج، قواريري / صفع، صك / بقعة، موضع / قطّة، سنور، دمة، هرّة / معلم، خادم، أستاذ، شيخ، خصي / دبّاغ، صرام، أدمي، سختياني، جلودي / قرياتي، رستاقی، سوادي / زراع، فلاح، حراث / فندق، خان / زرنوق، دولاب، حنّانة / مسحاة، مجرّفة / مِعُول، فاس / مَلّاَح، نُوي] (٣٥).

وفيما يلي أمثّل بمجموعتين من تلك الألفاظ بذكر النصوص التي استعملها فيها المقدسي، وهما: (لحام جزار قصاب)، (كرسف عطب قطن):

١- (لحام، جزار، قصاب):

لحّام:

قال في حديثه عن القيروان في إقليم المغرب: "ولهم باب اللحامين" ص ١٨٧

جَزّار:

(٣٥) للاطلاع على جميع الألفاظ التي ذكرها المقدسي ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٩

قال عن اليمن في إقليم جزيرة العرب: "يقع عصبيات بين الحياطين وهم شيعة
والجزارين وهم سنة" ص ٩٦

وقال عن سجلماسة في إقليم المغرب: "لها باب القبلي باب الغربي باب غدير
الجزارين باب موقف زناتة وغيرها" ص ١٩١
قَصَاب:

قال عن شيراز في إقليم فارس: "كول: عامرة الجامع في البزازين والقصاين
والخبازين ومن الوجه الآخر ميدان شريهم من نهر" ص ٣٣٠
٢- (كرسف، عطب، قطن):

كرسف: لم يستعملها في كتابه.
عُطْب:

قال عن إقليم فارس: "كازرون: عامرة كبيرة هي دمياط الأعاجم وذلك أن
ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوي، وإن كانت من عُطْب تعمل بها
وتباع فيها إلا ما يعمل بتوز" ص ٣٣١
قُطْن:

• قال عن جزيرة العرب: "... أكثر ثيابهم القُطْن متعلين لا يقولون بالماطر ولا
ثلج لهم ولا جليد ولا فواكه في الشتاء ولا قديد إلا ما يجفف من ذبائح منى" ص ٩٠
• وقال عن التجارات في إقليم آقور: "ومن حران القبيط وعسل النحل في أدن
والقُطْن والموازين" ص ١٢٨

• وقال عن إقليم الشام: "والتجارات به مفيدة، يرتفع من فلسطين الزيت
والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والقوط. ومن بيت المقدس الجبن
والقطن" ص ١٥٤

وقد اكتفيت بهذه المواضيع الثلاثة أنموذجاً مع ورود اللفظ في مواضع كثيرة، وكثرة النصوص التي استعمل فيها (قطن) في أكثر الأقاليم دليل على شيوع الكلمة فيها، أما (عطب) فلم يستعملها إلا في إقليم فارس، مع مجيء كلمة (قطن) في إقليم فارس أيضاً، أما (كرسف) فلم ترد في كتابه.

• أحكام الجغرافيين على لغات البلدان:

أحكام الحسن بن أحمد الهمداني على لغات جزيرة العرب:

مع شهرة الهمداني - لسان اليمن كما لقّب نفسه - جغرافياً لكن عُرف عنه عنايته باللغة، وربما كان لتقدّم عصره (توفي بعد سنة ٣٤٤ هـ) أثرٌ في عنايته باللغة وتمييز أسلوبه بالجزالة، ومع أنّ كتابه (صفة جزيرة العرب) كتاب جغرافيّ تحدّث فيه عن الجزيرة ومواضعها، لكنّه لم ينسَ الحكم على لغاتها فأصدر مجموعة كثيرة من الأحكام جاءت متصلة في نصّ مترابط، ومع طوله أثرت أن أنقله بنصّه هنا لأهميّته ودلالته على أحد مظاهر الجغرافيا اللغوية، ومع غموض بعض كلماته وكثرة الأسماء التي أوردها للقبائل تبقى قيمة النصّ في الدلالة على عناية الجغرافيين في وقت مبكر بما يتصل من اللغة بالجغرافيا، وفيما يلي نصّ كلامه مقسماً على فقرات متوالية للمساعدة على فهم كل حكم وبيان من ينطبق عليهم:

قال الهمداني: (لغات أهل هذه الجزيرة:

أهل الشّحر والأسعاء ليسوا بفصحاء.

مَهْرَةُ عُتَمَ يُشَاكِلُونَ الْعَجَمَ.

حَضْرَمَوْتُ لَيْسُوا بِفُصَحَاءَ، وَرَبَّمَا كَانَ فِيهِمْ الْفُصَيْحُ، وَأَفْصَحُهُمْ كِنْدَةُ وَهْمَدَانُ

وبعض الصّدَفِ.

سَرُّوْ مَذْحِجٍ وَمَأْرَبُ وَيَحَانُ وَحَرِيبُ فَصْحَاءَ، وَرَدِيُّ اللُّغَةِ مِنْهُمْ قَلِيلٌ.
سَرُّوْ حَمِيرٍ وَجَعْدَةُ لَيْسُوا بِفَصْحَاءَ، وَفِي كَلَامِهِمْ شَيْءٌ مِنَ التَّحْمِيرِ وَيَجْرُونَ فِي كَلَامِهِمْ،
وَيَحْذِفُونَ فَيَقُولُونَ: يَابْنَ مَعَمَّ، فِي: يَابْنَ الْعَمَّ، وَ "سَمَعُ" فِي: "اسْمَعُ".

حَجُّ وَأَيْنُ وَدَثِينَةُ أَفْصَحَ.

وَالْعَامِرِيُّونَ مِنْ كِنْدَةَ وَالْأَوْدِيُّونَ أَفْصَحُهُمْ.

عَدَنُ لَعْنَتُهُمْ مُؤَلَّدَةٌ رَدِيَّةٌ، وَفِي بَعْضِهِمْ نُؤُكٌ وَحَمَاقَةٌ إِلَّا مِنْ تَأْدَبَ.

بَنُو مَحْيَدٍ وَبَنُو وَاقِدٍ وَالْأَشْعَرُ لَا بِأَسْ بَلْغَتِهِمْ.

سَافِلَةُ الْمَعَاوِرِ عُتْمٌ وَعَالِيَتُهَا أُمَثَلُ.

... ثم ختم كلامه بقوله: فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبويض
والتفنين^(٣٦).

والنصّ طويل وأحكامه على لغات الجزيرة غزيرة، ومع ما في أحكامه من
غموض وكثرة لكنه نصّ مهمّ لكونه في القرن الرابع الهجري، مع دلالاته على عناية
الهمداني بالجانب اللغوي من حديثه عن البلدان.

وقد وقف تشيم رابين Chaim Rabin عند نصّ الهمداني وقفة عميقة، وتساءل
في البداية عن المقياس الذي اتخذ الهمداني في الحكم على اللغات بال جيد أو الرديء؛
لأن أغلب اللهجات التي ذكرها لم تبق دون تغيير، وقد ذكر احتمال أن تكون حركة
التعريب قد أحدثت أثرها نتيجة لوفود عرب الصحراء من ناحية، ولحركة التعليم
الإسلامية التي ظلت حية طوال ثلاثة عشر قرناً.

وقدم صورة للوضع اللغوي ما بين القرنين الرابع - وهو زمن الهمداني -
والعاشر، فذكر أن العربية الصحيحة كانت تستعمل في المرتفعات الشرقية من

(٣٦) ينظر: صفة جزيرة العرب - لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ص ٢٤٨-٢٤٩

السرات ، وفي الجنوب والمناطق المجاورة للمرتفعات وهي المنحدرات الغربية للسرات ، وهي مواضع اللهجات التي وصفها الهمداني بأنها متوسطة أو خليط .
لقد بذل رابن جهداً مشكوراً في تفكيك نص الهمداني وبالأخص فيما يتعلق بالحميرية ، فقدم صورة مقبولة لمواقع الحميرية وعلاقتها بالعربية والتغيرات التي أصابتها في تفصيلات يصعب إيرادها هنا ، كما أنه رسم خارطة لمواقع الحميرية الخالصة والحميرية المختلطة^(٣٧) .

ومع أن نص الهمداني يحتاج إلى دراسة عميقة متأنية ليس هذا موضعها ، لكني لا أنسى الإشارة إلى غزارة أحكام الهمداني ودقتها ، ومنها وصفه لغات بعض القبائل بالفصاحة بدرجاتها المختلفة ، ولغات قبائل أخرى بالخليط من العربية والحميرية ، مع ذكره اللغات التي هي حميرية متعقدة أو أقرب إلى الحميرية^(٣٨) .

أحكام المقدسي على لغات الأقاليم وذكر خصائصها :

حوت رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أحكامه على لغات البلدان ووصفه لها بأوصاف مختلفة ، بين مدح وقبح ، ومع شهرته جغرافياً لكن أحكامه اللغوية جديرة بالدراسة ؛ لكونه عرف تلك البلدان ودخلها وسمع أهلها .
جمعت بعض أقوال المقدسي أحكاماً عدّة على عدد من لغات الأقاليم ، أعرض بعضها فيما يلي :

(٣٧) للتوسع في الاطلاع على آراء رابن حول ما ذكره الهمداني ينظر كتابه: اللهجات العربية الغربية القديمة ص ٩٠-٩١ .

(٣٨) اعتنى أ. د. حميد العواضي بنص الهمداني واستعرضه استعراضاً دقيقاً ، وحلل مصطلحاته اللغوية المتصلة بوصف لغات الجزيرة . ينظر: لهجات جزيرة العرب كما يصفها الهمداني - أ. د. حميد العواضي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء ، المجلد ٣٣ العدد (عدد خاص بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء ٢٠١٠) ص ٩٦-١٠٣

• قال في حديثٍ طويلٍ عن خصائص الأقاليم: "... ولا أحسنَ لساناً من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهرارة، ولا أصحَّ من لسان خراسان، ولا أحسن عجميةً من أهل بلخ والشاش، ولا أعفط من أهل البطائح، ولا أسلم صدوراً من أهل هيتل، ولا أخير قوماً من أهل غرج الشار" ص ٤٢

وقد نبّه إلى أنّ تلك العيوب التي ذكرها في الأقاليم هي لعوامّ الناس، أمّا رجال العلم والأدب فيُستثنون منهم، قال: "... وكلّما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمَعزِل، خاصّةً الفقهاء، لأنّي رأيت الفضل فيهم" ص ٤٣ وفيما يلي نماذج من أحكامه على لغة الإقليم الواحد:

إقليم جزيرة العرب

• أطلق المقدسي حكمه في بيان أفصح العرب بقوله: "جميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أنّ أصحّها لغة هُذَيْل، ثم النّجدين، ثم بقية الحجاز، إلا الأحقاف فإن لسانهم وحش". ص ٩١

• وصفه لسان الأحقاف بأنه وحش وصف سيتركّر في مواضع عدّة، وقد وصف أهل الأحقاف بعدم الإفصاح في موضع آخر فقال: "أهل الأحقاف نواصب غُثم" ص ٩٧، والغُثْمَةُ: العُجْمَةُ، والأغْثَمُ الذي لا يُفصح شيئاً والجمع **غُثم**. مختار الصحاح (غثم).

• ذكر المقدسي لغة أهل الجزيرة بقوله: "أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصّحار فإن نداءهم وكلامهم بالفارسيّة" ص ٩١، وهو هنا استثنى صحار العمانية لكون لغتهم الفارسيّة.

• خصّ عدَن وجدة بالحكم فقال عنهما: "أكثر أهل عدن وجدة فرس إلا أن

اللغة عربية" ص ٩١

• وذكر بعض ظواهر لغة عدن التي تخالف اللغة الفصحى، قال: "أهل عدن يقولون لرَجَلِيه: رَجَلِيه، وليدِيه: يَدِيه، وقسْ عليه، ويجعلون الجيمَ كافاً فيقولون لرَجَب: رَكَب، ولرَجَل: ركل" ص ٩١

إقليم العراق

• قال عن إقليم العراق بعامة: "لغاتهم مختلفة أصحّها الكوفية لقربهم من البادية وبُعدهم عن النَّبَط، ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة بخاصة بغداد، وأما البطائح فنَبَطٌ لا لسانَ ولا عقلَ" ص ١١٤، فهو قد ذكر فصاحة لغة الكوفة وأنها أصحّ لغات العراق، وذكر فساد لغة بغداد.

وذهب يوهان فوك إلى أن الظاهر أن مراده أنها حسنة الوقع في الأذن وإن لم تطابق قواعد النحو^(٣٩).

والمقدسي هنا يذمّ لغة بغداد لكثّة في موضع آخر أثنى على لسان بغداد فقال في حديثه عن خصائص الأقاليم في أحكامه العامة التي تميّز بها بعض الأقاليم: "... ولا أحسن لساناً من أهل بغداد" ص ٤٢، ويظهر أنه أراد بحسن لسان أهل بغداد وقعها في الأذن كما فسرّه يوهان فوك سابقاً.

وذكر في القول السابق عدم فصاحة كلام أهل البطائح في قوله: "ولا أعفط من أهل البطائح"، والعَفْط في الكلام اللكنة وعدم الفصاحة.

• في بداية الكتاب قال في بعض أحكامه على كلام بعض البلدان: "ألا ترى إلى بلاغتنا في إقليم المشرق لأنهم أصح الناس عربيّة لأنهم تكلفوها تكلفاً، وتعلّموها تلقّفاً. ثم إلى ركافة كلامنا في مصر والمغرب، وقبحه في ناحية البطائح، لأنه لسان القوم" ص ٣٩ - ٤٠، وهو هنا صريح في قبح كلام أهل البطائح.

(٣٩) العربية - يوهان فوك، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ص ٢٠٤

وعَلَّ يوهان فك قبح لسان البطائح بأنه نشأ من اختلاط السكان هناك بين قبائل عربية، وأنباط، وأخلاف السكان الآرميين القدماء، وأمشاج الزط الذين أسكنهم الحجاج هناك، مع العدد الذي لا يحصى من الزنج^(٤٠).

أحكام ابن بطوطة على لغة المتحدثين

اشتملت رحلة ابن بطوطة على الكثير من الإشارات اللغوية المختلفة، لكنّه لم يُعرِّ لغات الأقاليم اهتماماً للحكم عليها، ولعلّ الحكم على لغة يحتاج إلى معرفة عميقة باللغة، وهو ما يستطيعه عالم اللغة، ولذا لم يرد في رحلة ابن بطوطة إلا حكمان صريحان على لغتي بلدين أحدهما عربي والآخر أعجمي:

• ما قاله عن لغة مدينة قلّهات في عُمان: "وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب، وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا، فيقولون مثلاً: تأكل لا، تمشي لا، تفعل كذا لا" ١٣٦/٤

• وقوله عن أهل بلاد البرهّنكار، وهو بلد أعجمي: "ولهم كلام غريب لا يفقهه إلا من ساكنهم، وأكثر التردّد إليهم" ١٠٨/٤

الخاتمة

فيما مضى من صفحات البحث حاولت أمراً صعباً، هو إعطاء صورة متوازنة عن علم حديث له جذور قديمة لدى العرب، هو علم اللغة الجغرافي، وجاءت الصعوبة من كونه علماً حديثاً يحمل مفاهيم تُطبّق على ميادين جديدة للبحث، مع

(٤٠) ينظر المصدر السابق ص ٢٠٤، وذكر ابن منظور عن البطائح قوله: "والبطيحة ما بين واسط والبصرة وهو ماء مستنقع لا يرى طرفاه من سعته وهو مغيض ماء دجلة والفرات وكذلك مغيض ما بين بصرة والأهواز والطف ساحل البطيحة وهي البطائح والبطحان " لسان العرب (بطح).

دخول العديد من جهود علماء العرب تحت مظلتها، وهو ما يحتاج إلى موازنة بين الجديد فيه والقديم الذي ينضوي تحته.

حاولت في بحثي الجمع بين إعطاء صورة تقريبية للعلم في جانبه النظري، مع تقديم جوانب تطبيقية له، سواء في عالمنا المعاصر، أو في جهود العلماء السابقين.

لقد خرجت بنتائج إيجابية من عملي في هذا البحث، يمكن تقديم أهمها:

١- كثيرٌ من العلوم اللغوية التي تحمل اصطلاحات حديثة في تسميتها لها جذور راسخة في أعمال القدماء، ذلك أنَّ جهود علماء العرب شملت كلَّ جوانب اللغة، بل إنَّهم سعوا إلى التجديد في دراساتهم على مدى التاريخ، وإسهام غير اللغويِّ في الحديث عن اللغة حينما تتصل بتخصَّصه هو ممَّا يغني الدراسات اللغويَّة، وهو الذي حصل في دراسات هذا العلم (علم اللغة الجغرافي)؛ فقد كان لجهود الجغرافيين أثر كبير في نضج هذه الدراسات، فقد اجتهدوا في الكشف عن امتدادات اللغة واتصالها بالجغرافيا.

٢- مناطق التماس بين العلوم من أغنى الميادين للدراسة، مع انصراف كثير من الباحثين عنها لغفلتهم عن الصلة بين العلوم وإيثارهم المسائل الخالصة في تخصصاتهم، كما أنَّ البحث في هذه الميادين يحتاج إلى اجتهاد واطلاع وسعة أفق تجعله يخرج أحياناً من بعض ما اعتاد عليه في تخصَّصه.

٣- حاجة التراث العربيِّ إلى مزيد من العناية لاستخراج ما فيه من كنوز تسهم في تقريب العلوم الحديثة إلينا وتقبُّلنا لها؛ فشعورنا بأنَّ ما جدَّ في ميادين العلم من استقلال بعض العلوم له أصول في التراث العربي، أو إشارات متفرقة في تراثنا سيجعل الباحث العربي أكثر تفاعلاً مع هذه العلوم لأنَّ أسلافه سبقوا في الخوض فيها.

٤- تأتي كتب الرحلات من أغنى المصادر وأقدرها على تصوير لغات الأقاليم والتغيرات اللغوية التي تصيبها، وهي من أصدق المصادر في إعطاء الصورة الحقيقية عن الحالة اللغوية في البلدان التي تصفها.

أتمنى أن أكون وفقت في تقديم صورة تقريبية عن علم اللغة الجغرافي، وما يدخل تحته من جهود العرب السابقين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث

الكتب

- [١] ابن بطوطة وجهوده اللغوية والجغرافية: ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجاً - عبد العزيز الحميد، الطبعة الأولى ٢٠١١، دار السويدي للنشر والتوزيع - أبو ظبي.
- [٢] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - أبو عبد الله المقدسي، نشرها د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م.
- [٣] الأحكام في أصول الأحكام - ابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- [٤] أسس علم اللغة - ماريوباي، ترجمة د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب ط الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- [٥] الاقتراح في علم أصول النحو - جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦ م، دار المعرفة الجامعية.
- [٦] التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق للدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠٢ م

- [٧] دراسات في فقه اللغة - د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة عشرة ٢٠٠٥.
- [٨] رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق د. عبد الهادي التازي (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية).
- [٩] صفة جزيرة العرب - لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
- [١٠] العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - يوهان فك، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية - القاهرة ٢٠٠٦ م.
- [١١] علم اللغة الجغرافي: السنن اللغوية وعلم الجغرافيا العرقي اللغوي لرونالد ل. برتون بترجمة هارولد ف. شفنر إلى الإنجليزية، وترجمه إلى العربية د. عواد بن أحمد الأحمدى، نشر الجمعية الجغرافية السعودية ١٤٢١ هـ.
- [١٢] العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجليل - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.
- [١٣] الفاضل - أبو العباس المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٥ م.
- [١٤] فصول في علم اللغة العام - ف. دي سوسير، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥ م.
- [١٥] في علم اللغة - د. غازي مختار طليمات، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
- [١٦] قراءات في علم اللغة - تأليف وترجمة الدكتور أحمد شفيق الخطيب، دار النشر للجامعات - مصر ١٤٢٧ هـ.

[١٧] لسان العرب المحيط - ابن منظور - إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب - بيروت - لبنان.

[١٨] اللهجات العربية الغربية القديمة - تشيم رابين، ترجمه عبد الرحمن أيوب، طبعة جامعة الكويت ١٩٨٦م...، وقد نُشر الكتاب بعنوان آخر هو: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية - تشيم رابين، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية.

[١٩] المزمهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

[٢٠] معجم البلدان - ياقوت الحموي، دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[٢١] الملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب دراسة في ضوء علم اللغة - رسالة دكتوراه أعدها أحمد عبد الله عبد ربه ياغي، بإشراف أ. د. حلمي خليل، وقدمها إلى قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

البحوث

[٢٢] الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي - الأستاذ إبراهيم محمد الخطابي (مجلة اللسان العربي - العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨هـ ديسمبر ١٩٩٧م)

[٢٣] الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة الجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩ - ٣٨٤.

[٢٤] التفكير اللساني في الحضارة العربيّة - عبد الفتاح المصري - مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ١٣٥ و ١٣٦ تموز و آب ١٩٨٢.

[٢٥] الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر - الدكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩ - ١٢٤).

[٢٦] قضية الفصاحة في القاموس العربيّ التاريخي - د. عبد العلي الودغيري (مجلة المعجميّة ٥-٦/٢٢٠-٢٢٤).

[٢٧] لغات العالم: من يتكلم ماذا - برنارد كومري (الموسوعة اللغوية - تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩٥٩ وما بعدها).

[٢٨] اللغة انتماء جغرافي - مارتن ديورل (الموسوعة اللغوية - تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٩١٩ وما بعدها).

[٢٩] اللغة كما تطورت: تتبع أشكالها وعائلاتهما - ن. ي. كولنج (الموسوعة اللغوية - تحرير ن. ي. كولنج، ترجمة د. محيي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان ٣/ ٨٧٩ - ٨٨٠).

[٣٠] لهجات جزيرة العرب كما يصفها الحميداني - أ. د. حميد العواضي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء، المجلد ٣٣ العدد (عدد خاص بمناسبة

الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء ٢٠١٠) ص ٩٦-١٠٣

Geolinguistics between Being a New Field and its Basic Concepts Set by Arab Scholars

Dr. Abdulaziz Humaid Alhumaid

*Arabic language/Philology, Imam Muhammad bin Saud Islamic University,
Riyadh, Saudi Arabia.*

Abstract. This paper concerns itself with a new field called geolinguistics, which consists of two distinct realms, i.e., language and geography. Arab scholars were first to introduce this field, which was later developed by scholars of other nations in the modern time.

The issues to be included in this paper are tackled in three parts, as follows. Part I provides an overview of geolinguistics. Part II, on the other hand, puts forth a comprehensive review of the confronting issues equated with geolinguistics and its contemporary applications, such as atlases of dialogues, language phenomena, the distribution of languages throughout the world, language families, bilingualism, and the relationship between languages and dialogues.

Part III, surveys the contributions of Arab linguistics and geographers to the field of geolinguistics. These endeavors include (a) standard of Arabic (Fusha) and its geographical boarder; (b) the old dialogues of Arab tribes in various countries and the influence of geographic environment on them; (c) accounts of Arab geographers pertaining to phonological, morphological, and semantic changes that occur to language in different geographical areas; (d) linguistics accounts in geography books indicating different names given to various items in countries; and (e) geographers judgment on countries languages and how close or far such languages from standard Arabic.

أثر نون التوكيد في بنية الفعل العربي دراسة في المستوى الصوتي

د. ريم فرحان عودة المعاينة

أستاذ مشارك، قسم العلوم الإنسانية، كلية الهندسة التكنولوجية

جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث. ترمي الدراسة الموسومة بـ "أثر نون التوكيد في بنية الفعل العربي: دراسة في المستوى الصوتي" إلى بيان أثر نون التوكيد بنوعيتها الثقيلة والخفيفة في بنى الأفعال التي يجب أو يجوز أن تتصل بها، وتفسير ذلك الأثر في ضوء علم الأصوات الحديث، مقارنةً إياه بتفسير علماء اللغة القدامى. وتتوصل إلى أنّ لقانون السهولة والتيسير أثراً واضحاً في تفسير التغيرات في بنى هذه الأفعال، إذ قد يتغير ترتيب المقاطع عند إسناد نون التوكيد إليها، أو قد تظهر بعض المقاطع المرفوضة أو المكروهة في العربية؛ فيسعى الناطق إلى التخلص منها بطريقة ما، نحو تقصير الحركة الطويلة، أو قد يسبب إسنادها توالي الأمثال؛ فيتخلص الناطق من الصعوبة الناجمة عن نطق متماثلين أو أكثر إما بالحذف، وإما بالفصل من خلال تطويل حركة قصيرة.

توطئة

تعدّ نون التوكيد بنوعيهما الثقيلة والخفيفة من الحروف المختصة، إذ تتصل بأواخر بعض الأفعال كتابةً ونطقاً، فتؤثّر فيها معنوياً ولفظياً، أمّا معنوياً، فيكون بإعطاء الفعل معنىً بلاغياً هو التوكيد، وبإخلاصه للاستقبال بعد أن كان يصلح للحال والاستقبال [٢٨، ص ٣٧/٩]، وأمّا لفظياً فذلك ما سأتناوله بالتفصيل في هذا البحث.

ونون التوكيد الخفيفة نون واحدة ساكنة، أمّا الثّقيلة فنونان: الأولى ساكنة، والثانية متحرّكة بالفتح، والثّقيلة أشدّ توكيداً من الخفيفة، " فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد، وإذا جئت بالثّقيلة، فأنت أشدّ توكيداً " [٩، ص ٥٠٩/٣، وانظر: ٢٢ ص ١٢/٣، ١٩ و ١٦، ص ٤٦٣]، فتكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد [٢٨، ص ٣٧/٩]، فالعرب تؤكّد الفعل بتكريره مرّة أخرى، " وربما عدلتُ عن تكرير الفعل ثانياً إلى النون الخفيفة، فأقامتها مقام الفعل... وربما عدلتُ عن تكرير الفعل مرتين؛ فوضعتُ مكانهما النون الثّقيلة... فنابت الثّقيلة عن فعلين زيدا للتوكيد، ونابت الخفيفة عن فعل واحد زيد للتوكيد، وهذا يدلّك على أنّ الثّقيلة أشدّ وأبلغ توكيداً من الخفيفة، وقد جُمع بينهما في آية واحدة، فقال الله تعالى: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلَيْكُونَا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (سورة يوسف: ٣٢) " [٥، ص ١٧٣٧].

واستعمال الثّقيلة في اللغة العربيّة أكثر [٩، ص ٥١٢/٣، ٥٢٤]، يؤكّد ذلك أنّ الخفيفة لم تُستعمل في القرآن الكريم إلا في موضعين، هما قوله تعالى: ﴿وَلَيْكُونَا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (سورة يوسف: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (سورة العلق: ١٥)، في حين وردت الثّقيلة في مواضع كثيرة جداً.

لا يؤكد الفعل الماضي مطلقاً، وما ورد منه مؤكداً فضرورة شاذة، وفعل الأمر يجوز أن يؤكد على الإطلاق؛ لأن الأمر مستقبل دائماً، ونونا التوكيد لا تتصلان إلا بما يفيد الاستقبال، وأما المضارع فله ست حالات؛ فهو قد يدل على الماضي أو الحال أو المستقبل، وهي في معظمها تنحصر في الجواز؛ لوقوعه بعد أداة من أدوات الطلب، نحو: هل تقولن؟ هلا تقولن! أو لوقوعه بعد أداة الشرط، نحو: إما تأتيي آتاك، أو لوقوعه بعد نهي، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، أو لوقوعه بعد نفي، نحو: لا أدفعن عن ظالم، أو لوقوعه بعد ما الزائدة، نحو: "بجهد ما تبلغن". أما الوجوب فلا يكون إلا بوقوعه جواباً لقسم؛ لأنه مثبت يفيد الاستقبال، وغير مفصول عن لامة بفاصل، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَاصْكِيذَنَ أَصْنَعُكُمْ﴾ (سورة الأنبياء: ٥٧) [انظر تفصيل ذلك في: ٩، ص ٥٠٩/٣ - ٥١٨، و ٢٢، ص ١١/٣ و ٢٨، ص ٣٧/٩ - ٤٢ و ٢٧، ص ٣٩١/٢ - ٣٩٢ و ١٠، ص ٥٠٩/٢ - ٥١٢ و ١٣ ص ٣١٤/٣ - ٣١٨ و ٧، ص ٥٤ - ٥٧، و ١٩، ص ٨٨/١ - ٩٣]. أما إذا اتصل به ما يحضه للمضي فلا يجوز تأكيده، "كما إذا دخلت عليه (لم) وهي حرف قلب، أي: إنها تقلب زمن الفعل إلى الماضي". [١١، ص ٩٦].

ولدراسة أثر نون التوكيد بنوعيتها، الثقيلة والخفيفة، في بنية الفعل، لا بد من تقسيم البحث إلى قسمين: الأول يدرس بنى الفعل المضارع المؤكدة، والآخر يدرس بنى فعل الأمر المؤكدة على اختلاف صور إسنادها.

أ) توكيد الفعل المضارع

١- الفعل المضارع المسند إلى اسم ظاهر أو ضمير المفرد المذكر

يجب ضبط آخره بالفتحة عند اتصاله بنوني التوكيد، سواءً أكان مرفوعاً أم مجزوماً، فالمرفوع نحو: هل تَكْتُبُنَّ؟ وهل تَكْتُبِينَ؟ وحركة لامه في الأصل هي الضمة (تَكْتُبُ + نُنْ).

ويرى القدماء من علماء اللغة أنَّ دخول نون التوكيد على الفعل المضارع المرفوع يوجب التَّغيير من حالة الإعراب إلى حالة البناء؛ فيصبح الفعل مبنياً على الفتح لاتصاله بها [٩، ص ٥١٩/٣ و ٢٢، ص ١٩/٣ و ٥، ص ١٧٣٩]، ويجعل سبويه الدَّافِعَ لتغيير الحركة في هذه الحالة هو عدم حدوث اللبس، إذ يقول: "وإذا كان فعل الواحد مرفوعاً ثمَّ لحقته التَّون صيرت الحرف المرفوع مفتوحاً لئلا يلتبس الواحد بالجميع، وذلك قولك: هل تَفْعَلُنَ ذاك... [٩، ص ٥١٩/٣ وانظر: ٢٨، ٣٧/٩]. فلو بقي الفعلُ المضارع مرفوعاً (هل تَكْتُبُنَّ؟) لاختلط مع صورة الفعل المضارع المرفوع المسند إلى واو الجماعة، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه. ويرى الثَّمانيني أنَّ العربَ اختاروا بناء ما قبل نون التوكيد على الفتح؛ "لأنَّهم شَبَّهوها ببناء التَّأنيث من حيث كانت زائدة مثلها، فلمَّا كانت التَّاء يُفْتَح ما قبلها في نحو: طَلْحَة، وَحَمْرَة، فَتَحَت النونُ ما قبلها، فقالوا: (اضْرِبْنَ، وَأَكْرِمْنَ)" [٥، ص ١٧٣٩].

ويرى عبد الصَّبور شاهين أنَّ ما حدث هو سقوط الحركة الإعرابية لتحلَّ محلَّها حركة الوصل (الفتحة)، الَّتِي هي جزءٌ من عناصر نون التوكيد، فنون التوكيد الثَّقيلة تُكْتَبُ عناصرها على النَّحو الآتي: (أُنْ) والخفيفة (أُنْ)؛ لأنَّه لا يمكن أن تكون نون التوكيد الثَّقيلة على نحو (نُنْ)؛ لأنَّ هذا الشكل مرفوض أساساً في النَّظام المقطعيِّ لِلغة العربيَّة؛ إذ لا يجوز أن يتجاوز صامتان دون أن يفصل بينهما حركة أو صائت (ص

ص ح)، كما لم تعرف اللغة العربية مقطعاً يتكوّن من صوت صامت واحد كما في النّون الخفيفة؛ لذلك تُجتلب لكليهما همزة الوصل المفتوحة؛ لتيسير بدء النّطق بالسّاكن، فتحوّل بذلك هذه الهمزة النّون الثّقيلة، ذات المقطع المرفوض (ص ص ح) إلى مقطعين: أحدهما: ص ح ص (أنّ)، والآخر: ص ح (ن)، والنّون الخفيفة مقطعاً واحداً (أنّ) [١١، ص ٩٨ - ٩٩ وانظر: ٤، ص ٤٣، و ١٢، ص ١٠٠ - ١٠٥، و ١٤، ص ١٦]، ولعلّ في قول المبرّد عن الفتحة، التي يُبنى عليها الفعل عند اتّصاله بنون التّوكيد بنوعيهما: "وذلك أنّها والنّون كشيء واحد" [٢٢، ص ١٩/٣ - سبقاً لما ذكره عبد الصّبور شاهين من أنّها جزء من عناصر نون التّوكيد.

كما أنّ دخول نون التّوكيد الثّقيلة أدّى إلى إعادة تغيير ترتيب المقاطع (تَكْ / تُ / بُ / نُنْ)، فالمقطع الأخير (نُنْ) مرفوض في العربية؛ لذلك تُجتلب، كما ذكر سابقاً، همزة الوصل المفتوحة، فتصبح الكلمة: (تَكْ / تُ / بُ / نْ / نْ)، وهذا ثَقِيل لتوالي مقطعين قصيرين (تُ / بُ) ولوجود مقطع (نْ) المرفوض في العربية؛ إذ لا يوجد مقطع يبدأ بصائت في العربية [١٢، ص ١٠٠ - ١٠٣، ١٠٥ - ١٠٦]؛ لذا تسقط الضّمة التي على الباء ليندمج المقطعان (بُ / نْ) في مقطع واحد (بُنْ) والأمر نفسه حدث مع النّون الخفيفة، لكن دون تضييف للنّون، أي دون وجود المقطع الأخير (نْ) الذي مع الثّقيلة.

وقد يُقال: لماذا الفتح وليس الضّمّ أو الكسر؟ أقول ما قاله سيويوه من أنّ وضع الضّمّ يجعل هذه الحالة تلتبس مع حالة أخرى، هي الفعل المضارع المرفوع المسند إلى واو الجماعة المؤكّد بالنّون: تَكْتُبَنَّ (تَكْتُبَنَّ)، كما أنّ وضع الكسرة يليسها أيضاً بحالة الفعل المضارع المرفوع المسند إلى ياء المخاطبة المؤكّد بالنّون: تَكْتُبَنَّ (تَكْتُبَنَّ). ويقال في: هل تَمُدُّنَّ (تَمُدُّنَّ) أو تَمُدُّدَنَّ (تَمُدُّدَنَّ)؟ ما قيل في تَكْتُبَنَّ (تَكْتُبَنَّ)، ولكن

يجوز معه فك الإدغام، الذي يلزم تغيير ترتيب المقاطع بنقل ضمة الميم لتفصل بين المثلين (الدالين) على النحو الآتي: ت / مُد / دَد / ن ، أو تَم / د / دَد / ن .
 أما الفعل الأجوف: هل تقولن (تقولن) فيقال فيه أيضاً ما قيل في تَكْتُبْنَ ؛ لأنّ لام الفعل صحيحة. ويقال في الأفعال المعتلة الآخر نحو: تدعو، وتحمي ما قيل في تكتب، فتصبح: هل تَدْعُونَ وَتَحْمِيْنَ ؟ واتّصال نون التوكيد بهذه الأفعال يظهر الأصل المفترض لها، وأنها على زنة (تفعل). ويصبح الفعل ترضى: (تَرْضَيْنَ)، أي تغيير الألف بصرف النّظر عن أصلها إلى ياء ؛ لتحمل فتحة نون التوكيد ؛ لأنّ الألف لا يمكن أن تقبل الحركة ؛ فهي فتحة طويلة.

وإذا اتّصل بنون التوكيد الفعل المضارع الصّحيح الآخر المجزوم غير المسند إلى ضمائر، وجب ضبطه بالفتح منعاً لالتقاء الساكنين، كما يرى القدماء [انظر: ٩، ٥١٩/٣]، نحو:

لا تكتب + ن ← لا تَكْتُبْنَ ← لا تَكْتُبْنَ

ولعلّ ما حصل هو تشكّل المقطع (تُبْنَ) ص ح ص ص، وهذا مقطع مرفوض في العربيّة إلا في الوقف نحو (هَنْدُ)، ولا وقف فيه ؛ إذ يليه مقطع (نْ) ؛ لذا يتمّ التخلّص منه باجتلاب الفتحة، التي هي جزء من مكونات نون التوكيد ؛ لتفصل بين الصّامتين: الباء ونون التوكيد الأولى، فيصبح: (تَكُ / تُد / بُد / نْ)، أي يحدث تغيير لترتيب المقاطع لتصبح مقبولة نطقاً.

كما تعود اللام المحذوفة في الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم بـ " لا " النّاهية، غير المسند إلى ضمائر، إذا اتّصل بنون التوكيد، ووجب ضبطه بالفتحة، نحو: لا تَدْعُونَ (لا تَدْعُونَ)، ولا تَرْمِيْنَ (تَرْمِيْنَ)، وتعود الألف المحذوفة بقلبها ياءً فيما هو

نحو: ولا تَرْضَيْنَ (تَرْضَيْنَ) [٩، ٥٢٨/٣، و١٩، ص١/ ٩٥]، وهذا يدعم القول بالأصل الثلاثي المفترض لها.

٢- الفعل المضارع المسند إلى ضمير الجماعة المذكور الحركي (الواو) أو ضمير المخاطبة الحركي (الياء) المتصل بنون التوكيد

يرى معظم القدماء من علماء اللغة العربية^(١) أنَّ ما حدث في الفعل المضارع المذكور سابقاً المرفوع، هو حذف نون الرفع لتوالي الأمثال^(٢)، وحذف الضمير لالتقاء الساكنين، مع إبقاء ما قبل النون مضموماً؛ ليشعر بوجود واو محذوفة، أو مكسوراً؛ ليشعر بوجود ياء محذوفة، ويرى المبرد أنَّ نون الإعراب تحذف؛ لأنها نظير الفتحة في الواحد (هل أَكْتُبَنَّ؟)، ويؤكد ذلك أننا نقول للمخاطب: لن تضرب، ونقول للمخاطبة: لن تضربي، أمّا ضمير الياء والواو فيحذفان لالتقاء الساكنين [٢٢، ص٣/ ٢١- ٢٢]، ويرى الثماني أنَّ نون الإعراب أو الرفع في الأفعال الخمسة سقطت لبناء الفعل مع نون التوكيد [٥، ص٧٤٣، ٧٤٥، ٧٤٦].

ولعلَّ ما حدث هو حذف نون الرفع لتوالي الأمثال، الذي يؤدي إلى الثقل وزيادة الجهد المبذول عند نطق الأصوات المتماثلة، وتقصير واو الجماعة أو ياء

(١) انظر: سيبويه: الكتاب، ج ٣، ص ٥١٩-٥٢٠، والثماني: الفوائد والقواعد، ص ٧٤، ٧٤٥، والميداني: نزهة الطرف في علم الصرف، ص ٢٨٠، وابن عصفور الإشبيلي: المقرَّب، ص ٤٦٦، والأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ج ١، ص ٥٧، والسيوطي: همع الموامع، ج ٣، ص ٤٦٣، ومن تابعهم من المحدثين الغلاييني في جامع الدروس العربية، ج ١، ص ٩٤، والحملوي في شذا العرف، ص ٥٧.

(٢) يقصد بمصطلح توالي الأمثال عند القدماء اجتماع حرفين من جنس واحد أو تكرير الصوت الواحد في النطق مرتين متتاليتين أو أكثر أو التضعيف (انظر: سيبويه: الكتاب، ج ٤، ص ٣٩٣-٣٩٥، ٤٢٤، ج ٣، ص ٥١٩-٥٢٠، والمبرد: المقتضب، ج ١، ص ٢٤٦. ويرى بعض المحدثين أنَّ العربية اتخذت أربعة أساليب للتخلص من توالي الأمثال هي: الإبدال والحذف والفصل والإدغام (انظر: مرعي، عبد القادر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص ١٤٩-١٦١).

المخاطبة؛ لتشكّل المقطع الطّويل المغلق بصامت (ص ح ح ص) ^(٣) [٢٣، ص ١٥٩] إذا كان الفعل صحيح الآخر، أو معتلّ الآخر بالواو أو الياء؛ لهذا وجب ضبطه بالضّمة الباقية عن تقصير الواو (الضّمة الطّويلة) في حالة إسناده إلى واو الجماعة، أو بالكسرة الباقية عن تقصير الياء (الكسرة الطّويلة) في حالة إسناده إلى ياء المخاطبة [انظر ٢٣، ص ١٩٢ و ١٨، ص ١٩١ - ١٩٢ و ١١، ص ١٠١]، نحو:

هل تَكْتُبُونَ؟ ← تَكْتُبُونَ ← تَكْتُبُنْ.

وطرداً للباب على وتيرة واحدة، حصل الشّيء نفسه مع الثّقيلة [١٢، ص ١٢٧ - ١٢٨]، فالفعل: هل تَكْتُبُنْ؟ أصله: هل تكتبُونَ؟ فيحذف مقطع (نْ)؛ أي نون الإعراب مع حركتها لتوالي الأمثال، وسعياً للسهولة والتيسير؛ فتصبح: هل تكتبُونَ؟ عندها يتشكّل المقطع الطّويل المغلق بصامت: بونْ (ص ح ح ص) وهو مقطع مكروه على وجود مسوِّغ له، إذ ينتهي هذا المقطع بالصّامت نفسه الذي يبدأ به المقطع الذي يليه (نْ)؛ لذا تقصّر الواو (الضّمة الطّويلة) إلى ضمة قصيرة (يَكْتُبُنْ)، والأمر نفسه يحدث مع ما هو نحو: هل تقولون وتبيعون؟ لأنّهما صحيحا الآخر، إذ يُصباحان: هل تقولُنْ (تقولُنْ) و تبيعُنْ (تبيعُنْ)؟ وكذلك الأمر في: هل تَمُدُّونْ؟ مع فارق تغيير ترتيب المقاطع بسبب التّضعيف (تَمُدُّنْ).

(٣) والمقطع الطّويل المغلق بصامت (ص ح ح ص) هو المقطع الذي يُجدّد بصامتَيْن: الأوّل في بدايته، والثّاني في نهايته، وأمّا نواته، فتكون صوتاً صائتاً طويلاً وهو مرفوض في العربيّة، ولكن يكون مكروهاً إذا توافر فيه أحد الشرطين الآتيين:

أ- أن يأتي في الوقف، نحو: باب .

ب- أن ينتهي بصامت (حد) يبدأ به المقطع الذي يليه. (انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغويّة . ط ٥، دار الطّباعة الحديثة، مكتبة الأجلو المصريّة، ١٩٧٩م، ص ١٦٣-١٦٥، وعبد التّوّاب، رمضان: فصول في فقه العربيّة . ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٩٤، وعبابنة، يحيى: دراسات في فقه اللغة، ص ١٨-١٩) .

أما الأفعال المعتلة الآخر، نحو: هل تدعون و ترمون؟ فعند إسنادها إلى نونَي التوكيد، يحدث ما حدث في هل تكتبون؟ فنقول: هل تدعُنْ (تدعُنْ)، وترمُنْ (ترمُنْ)؟ كما أنَّ الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف المسند إلى ضمير الجماعة الحركي (الواو) نحو: هل ترَضُون؟ عند اتّصاله بنونَي التوكيد، تُحذف منه نون الإعراب لتوالي الأمثال، وتبقى واو الجماعة مع وجوب ضبطها بالضمة، وهي من جنس الواو، منعاً لالتقاء الساكنين (واو الجماعة والتون الأولى)، وذلك بعد حذف الألف (لام الفعل) ووضع الفتحة على عين الفعل؛ لتشعر بهذه الألف المحذوفة كما يرى القدماء^(٤) [انظر، ص ٥٢٠/٣ - ٥٢١ و ٢٢، ص ٢٢/٣].

ولعلّ ما حدث هو حذف نون الإعراب لتوالي الأمثال، ثمّ تشكّل المقطع (ص ح ص ص) فالواو هنا متحركة بالسكون، أي إنّها صوتٌ صامتٌ، وليست صوتاً صائتاً (ضمة طويلة)، وهذا المقطع مرفوض في العربية إلا في الوقف؛ لذا يتخلّص منه سعياً للسهولة والتيسير باجتلاب حركة من جنس الواو، هي الضمة، فتوضع على الواو، وذلك بعد تقصير الألف (لام الفعل) إلى فتحة قصيرة تبقى على عين الفعل، فتصبح: ترَضُون (ترَضُون) [انظر: ١١، ص ١٠١، و ١٩، ٩٤/١، و ٧، ص ٥٧].

ويحدث الأمر نفسه في الفعل المضارع المرفوع المسند إلى ياء المخاطبة عند توكيده بنونَي التوكيد، فالفعل (تَكْتُبِينَ) عند اتّصاله بنون التوكيد، تحذف منه نون الإعراب وحركتها (ن)؛ لتوالي الأمثال، فيصبح: هل تَكْتُبِينَ؟ فيتشكّل المقطع المكروه (ص ح ح ص)؛ بين؛ لذا تقصّر الياء ليصبح الفعل (تَكْتُبِينَ) مع الثقيلة،

(٤) ويرى الثماني في الفوائد والقواعد ص ٧٤٥، ٧٤٦، أنّ نون الإعراب التي هي للرفع في الأفعال الخمسة

لحذفت لبناء الفعل مع نون التوكيد.

و(تَكْتَبُنْ) مع الخفيفة، وكذلك الأمر في: هل تَمُدُّنْ، و تقولنْ، و تبيعنْ، و تَرْمِنْ، و تَدْعِنْ؟

والفعل المضارع المرفوع المعتل الآخر بالألف، المسند إلى ضمير المخاطبة الحركي (الياء)، المتصل بنون التوكيد، نحو: (هل تَرْضَيْنَ؟) تُحَدَفُ منه نون الإعراب وحركتها لتوالي الأمثال، وتبقى فيه ياء المخاطبة مع وجوب ضبطها بالكسرة، وهي من جنس الياء، منعاً لالتقاء الساكنين (ياء المخاطبة ونون التوكيد الأولى)، كما يرى القدماء، أو تَخْلَصاً من المقطع المرفوض (ص ح ص ص)، كما يرى المحدثون، وذلك بعد تقصير الألف، التي هي لام الفعل، فتبقى الفتحة القصيرة على عين الفعل [انظر: ١١، ص ١٠٢، و ٧، ص ٥٨]، نحو: تَرْضَيْنَ (تَرْضَيْنَ)، ويرى إسماعيل عمايرة أن الألف لا تحذف، وإنما تقصّر تجنباً لتجاوز صائتين طويلين [انظر ١٨، ص ١٩٣].

وثمة من يرى أن اللغة في الفعل الناقص آثرت أن تفرّ إلى الحركات المزدوجة^(٥)، فهي على الرغم من استئصالها، ليست مرفوضة إذا ما قيست بالمقاطع المرفوضة كالمقطع الطويل المغلق بصامت: (ص ح ح ص)، والمقطع القصير المغلق بصامتين (ص ح ص ص)، وذلك كما في المثال الآتي:

تَحْشَيْنَ ← تَحْشَيْنَ ← تَحْشَيْنَ ← تَحْشَيْنَ

الفعل في حالة الرفع بعد إلحاق نون التوكيد الثقيلة بعد إسقاط نون الرفع وحركتها بعد الفصل بين الياء و النون بالكسرة وتشكل المقطع (شَيْنَ)

(٥) يُقْصَدُ بالحركة المزدوجة: " اقتران الحركة بشبه الحركة في مقطع واحد "، انظر: الشايب، فوزي: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ٤٠٨، أو " تتابع حركة وشبه حركة أو شبه حركة و حركة في مقطع واحد، فإذا كان هذا التتابع في مقطعين مختلفين، فإننا لا نطلق على هذا الوضع الصوتي اسم حركة مزدوجة "، انظر: عبابنة، يحيى: دراسات في فقه اللغة، ص ١٣٢ .

إذ تخلّصت اللغة من نون الرفع وحركتها لاجتماع النونات ؛ فتشكّل فيها المقطع (شَيْنٌ) وهو مقطع مرفوض (ص ح ص ص) ؛ لهذا لجأت اللغة إلى إقحام الكسرة للمجانسة الصوتية ، فتشكّلت الحركة المزدوجة الصّاعدة (yi) فراراً من الحرج الذي سبّبه تشكّل المقطع المذكور [٢٠، ص ١٢٧ - ١٢٨].

وقد استثقلت بعض اللهجات الحركة المزدوجة الصّاعدة (yi) ؛ لذا نجدهم يفرّون منها أيضاً إلى ظاهرة الهمز بعد أن أسقطوا شبه الحركة (y) فالتقت الفتحة مع الكسرة ، وهذا وضع غير مقبول صوتياً Hiatus ؛ لهذا أقحموا الهمزة لتفصل بين الحركتين ، وقد حدث مثل هذا في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ (سورة مريم: ٢٦) فقد قرأ ابن الروميّ عن أبي عمرو^(٦) : تَرَيْنَ بالهمز [انظر: ٨، ص ٨٤، و ٢٠، ص ١٢٨] ، وقد ذكر ابن خالويه أنه عند أكثر النحويين لحن [٨، ص ٨٤].

ويحدث الأمر نفسه مع الفعل المضارع المجزوم بحذف نون الإعراب من آخره، المتصل بنون التوكيد نحو: ليكتُبَنَّ ولا تكتُبَنَّ، مستثنين المرحلة الأولى وهي حذف نون الإعراب لتوالي الأمثال، إذ تكون محذوفة للجزم.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة ضبط الأفعال المسندة إلى نوني التوكيد ؛ دفعاً للبس بين ما هو مسند إلى واو الجماعة وما هو مسند إلى ياء المخاطبة في الأفعال الصّحيحة الآخر والمعتلة الآخر من جانب ، ودفعاً للبس بين الأفعال الصّحيحة الآخر المسندة إلى

(٦) هذه الرواية ليست سبعية، فقد ذكر ابن جني: " وروي عن أبي عمرو: " تَرَيْنَ " ، بالهمز. قال أبو الفتح: الهمز هنا ضعيف ؛ وذلك لأنّ الياء مفتوح ما قبلها والكسرة فيها لالتقاء الساكنين؛ فليست محتسبة أصلاً، ولا يكثر مُسْتَقْفَلُهُ، وعليه قراءة الجماعة: " تَرَيْنَ " بالياء... غير أنّ الكوفيّين قد حكوا الهمز في نحو هذا، وأنشدوا: كَمْشَتَرِيءٍ بِالْحَمْدِ أَجْمَرَةً بُتْرَا " (المختضب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م، ج ٢، ص ٤٢).

واو الجماعة أو ياء المخاطبة، وبين الأفعال الصّحيحة الآخر في حالة عدم اتّصالها بشيء من الضّمائر من جانب آخر، فلولا الحركة على لام الفعل لاختلط الأمر مثلاً بين: تَكْتُبَنَّ وَتَكْتُبَنَّ وَتَكْتُبَنَّ، ولولا حركة الياء، لاختلط الأمر بين تَرْضَيْنَّ (تَرْضَيْنَّ) وَتَرْضَيْنَّ (تَرْضَيْنَّ)؛ لذا وجب التّمييز بضبط الياء مع أنّها في الزّوج الأوّل ياء المخاطبة، وفي الزّوج الثّاني أصليّة (لام الفعل).

٣- الفعل المضارع المرفوع المسند إلى ضمير التّشبيه الحركي (ألف الاثنين) المتصل بنون التوكيد الثّقيلة

نحو: هل يَكْتُبَانَّ ويقولَانَّ ويمدّانَّ ويدعوانَّ ويحميانَّ ويرضيانَّ؟ وفيها تحذف نون الرّفع مع حركتها لتوالي الأمثال (التّونّات): يكتبان+نَّ ← يكتبانَّ، وتبقى ألف التّشبيه، وقد عللّ سيبويه بقاءها " ولم تحذف الألف لسكون التّون؛ لأنّ الألف تكون قبل السّاكن المدغم"، ولعلّه يشير إلى ما أطلق عليه المحدثون مصطلح المقطع الطويل المغلق بصامت المكروه (ص ح ح ص)، الذي يُقبل عندما ينتهي بالصّامت نفسه الذي يبدأ به المقطع الذي يليه، وهذه هي العلّة الأولى عند سيبويه لإبقاء الألف، أمّا الثّانية، فهي اللبس، وهي علّة معنويّة، إذ يقول: "فلو أذهبتها لم يُعلم أنّك تريد الاثنين" [٩، ص ٥١٩/٣، وانظر ص ٥٢٣ - ٥٢٥]؛ أي لو حُذفت لأصبح الفعل: هل تفعلنَّ، فيلتبس بالفعل المضارع المفرد، والمراد المثني وليس المفرد. ويرى الثّماني أنّ لا يجوز حذف ألف الاثنين لالتقاء السّاكنين؛ "لأنّها ضمير الفاعل، فلو سقطت لبقي الفعل بلا فاعل" [٥، ص ١٧٤١]، وإذن تبقى الألف على الرّغم من تكوّن المقطع الطويل المغلق بصامت (بان)؛ لوجود مسوّغ له، وهو انتهاءه بالصّامت نفسه الذي يبدأ به المقطع الذي يليه (ص ح ح ص/ ص ح)، كما لا يمكن تقصير الألف لثلا يلتبس بتوكيد الفعل المسند إلى مفرد، ثمّ تضبط نون التّوكيد

بالكسرة؛ " لأنها بعد ألف، فهي كنون الاثنين، والنون الساكنة المدغمة فيها ليست بحاجز حصين لسكونها" [٢٢، ص ٢٣/٣ وانظر ١٩، ص ٩٣/١]، فكأن النون الساكنة الأولى فئت في الثانية نطقاً؛ فتوالى ثلاث فتحات في نهاية كلمة واحدة، فكسرت النون من باب المخالفة الصوتية [١١، ص ١٠٠ - ١٠١]، تسهياً للنطق، والأمر نفسه يحدث في جميع الأفعال المسندة إلى ألف الاثنين المتصلة بنون التوكيد الثقيلة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفعل لا يتصل بنون التوكيد الخفيفة؛ لتشكّل المقطع الطويل المغلق بصامت (بان) في: يكتبان، وهو مقطع مرفوض لعدم وجود مسوّغ له، فهو غير متبوع بمقطع يبدأ بالصّامت نفسه الذي ينتهي به (ن)، وإلى هذا الملح سيويه، إذ يقول: " ولم تكن الخفيفة ههنا لأنها ساكنة ليست مدغمة فلا تثبت مع الألف ولا يجوز حذف الألف فيلتبس بالواحد" [٩، ص ٥١٩/٣، وانظر ٩، ص ٥٢٥/٣].

كما ذكر ابن عصفور: " وإنما لم تدخل الخفيفة... لأن الألف لا يُجمع بينها وبين ساكن، إلا أن يكون مدغماً، نحو: دابة" [١٦، ص ٤٦٦، وانظر ١٠، ص ٥١٥/٢]، كما لا يجوز تحريك الألف تجنباً لالتقاء الساكنين؛ " لأن الألف إذا حُرّكت انقلبت همزة، والضّمائر لا يجوز أن تُهمز" [٥، ص ١٧٤١].

وقد تلتبس الأفعال السابقة الذكر، جميعها، مع الفعل المضارع المثبت المتصل بألف الاثنين ونون الإعراب، نحو: يكتبان، يقولان، يمدّان...؛ لذا يجب التمييز بضبط نون التوكيد بالشدة والكسرة، وضبط نون الإعراب بالكسرة فقط.

٤- الفعل المضارع المسند إلى نون النسوة

عند اتصال الفعل المضارع المسند إلى نون النسوة بنون التوكيد الثقيلة، وجب ضبط نون التوكيد الثقيلة بالكسرة، بعد التفريق بينها وبين نون النسوة بالألف الفارقة، نحو: ليكتبْنَ + ن، إذ تتوالى نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة، وللتخلّص من هذه

المشكلة تُلحق الألف ؛ لتفصل بينها، كما يرى علماء اللغة القدماء، فنون النسوة لا تحذف كنون الجمع؛ " كراهية أن يلتبس فعلهنّ وفعل الواحد " [٩]، ص ٥٢٦/٣ - ٥٢٧، وانظر: ١٦، ص ٤٦٦، و ١٠، ص ٥١٦/٢]، وتُكسر نون التوكيد؛ لأنها "بمنزلة نون الاثنين حيث كانت كذلك" [٩]، ص ٥٢٦/٣ - ٥٢٧، وانظر ٢٢ ص ٢٣/٣].

ولعلّ ما حدث هو إطالة فتحة نون النسوة لتصبح ألفاً (فتحة طويلة) تفصل بين التونات، ثمّ تكسر الأخيرة (لِيَكْتُبَنَّ) قياساً على ما حدث مع المثني، وكذلك الأمر في: لِيَقْلَنَّ، وَلِيَمْدُدَنَّ، وَيَدْعُونَنَّ، وَيَرْمِينَنَّ، وَتَسْعِينَنَّ [انظر: ١١، ص ١٠٢ - ١٠٤، و ١٩، ص ٩٥/١، و ٧، ص ٥٨].

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ نون التوكيد الخفيفة لا تقع بعد نون النسوة؛ لتشكّل المقطع المرفوض (ص ح ص) في: يَكُ / تُبُ / نُنُ، دون وجود مسوّغ له كما في حال اتّصاله بالثقيلة (يَكُ / تُبُ / نُنُ / نِ)، إذ ينتهي هذا المقطع بالصّامت نفسه الذي يبدأ به المقطع الذي يليه.

ب) توكيد فعل الأمر

يرى بعض علماء اللغة القدامى وجوب ضبط آخر فعل الأمر، غير المسند إلى الضّمائر، بالفتحة إذا اتّصل بنوني التوكيد، نحو: اذْهَبَنَّ (اذْهَبَنَّ) منعاً لالتقاء الساكنين، فالفعل اذهب مبنيّ على السكون ونون التوكيد الأولى في الثّقيلة ساكنة (اذْهَبَنَّ)، وكذلك الأمر في نون التوكيد الخفيفة (اذْهَبَنَّ). [٩] ج ٣ / ٥١٨ - ٥١٩، ٢٨: ج ٩ / ٣٧، ٢٦: ج ٤ / ١٠٩].

وممن خالفهم في ذلك المبرّد [٢٢]، ج ٣ / ١٩ - ٢١]، والثمانيني الذي يرى أنّ العربَ " اختاروا بناءً ما قبل نون التوكيد على الفتح لأنّهم شبّهوها ببناء التانيث من حيث كانت زائدة مثلها، فلمّا كانت التاء يُفتح ما قبلها في نحو: طلحة، وحمزة، فتحت النون ما قبلها، فقالوا: (اضربنّ، و أكرمّن). والذي يدلّ على أنّ ما قبل نون التوكيد من الفتح بناءً وليس لالتقاء الساكنين رجوع ما قبله من حروف العلة، وثباتها مع فتحة ما بعدها، وهي لا تثبت مع حركة التقاء الساكنين، ألا تراك تقول: (بع، وخف، وقُل) فتسقط الياء من (بيع)، والألف من (خاف) والواو من (قول) لسكونها وسكون ما بعدها. فإذا قلت: (بع الثوب، وقُل الحق، وخف الله) حرّكت لالتقاء الساكنين، وبقيت حروف العلة قبلها على حذفها، لأنّ حركة التقاء الساكنين لا يُعتدّ بها. فإذا جئت بنون التوكيد انفتح الساكن وأعاد ما كان سقط قبله، فقلت: (بيعنّ اليوم) و(قولنّ ما في نفسك) و(خافنّ ربك) فرجوع حرف العلة قبل هذا المفتوح يدلّ على أنّ فتحته ليست لالتقاء الساكنين " [٥]، ص ٧٣٩ - ١٧٤٠].

ويرى عبد الصبور شاهين - كما أشير سابقاً - أنّ حركة الفتح التي توضع على لام الفعل جزءٌ من عناصر نون التوكيد (أنن) الثقيلة و(أن) الخفيفة، ويقال فيه ما قيل في الفعل المضارع المجزوم غير المسند إلى ضمائر.

أمّا الفعل (رُدّ) فتدخل عليه نون التوكيد بسهولة؛ لأنّه مفتوح الآخر، ولا حاجة عندها لحركة الفتح التي هي حركة همزة الوصل لنون التوكيد: رُدّن(رُدّن)، ولا يُقال "ارْدُدّن" على قول من قال: (ارْدُد) ^(٧)؛ لأنّ الدالّ الثانية تلزمها الحركة "

(٧) وفكّ الإدغام لهجة معروفة منسوبة إلى أهل الحجاز، فقد كانوا لا يدغمون في المضاعف الساكن للجزم أو الوقف، وقد جاء القرآن الكريم غالباً موافقاً لهجتهم، نحو قوله تعالى: "إنّ يمسسكم قرح" (آل عمران: ١٤٠)، وقوله: "واغضض من صوتك" (لقمان: ١٩)، وقوله: "فليمدد بسبب إلى السماء" (الحج: ١٥)، انظر: سيبويه، الكتاب: ٣ / ٥٣٢ - ٥٣٥، والسيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد الحميد

[٢٢١، ص ٢٦/٣]. والفعالان (قولنّ) و(بيعنن) يعود فيهما عين الفعل لعدم وجود مسوّغٍ لحذفه، إذ بتحريك لام الفعل بالفتح لا يلتقي ساكنان كما يرى القدماء؛ أي لا يتشكّل المقطع الطّويل المغلق بصامت (ص ح ح ص): (قولن) و(بيعن)، كما يرى المحدثون.

والأمر من (نام) ثمّ، أي بحذف عين الفعل لالتقاء الساكنين (نام) كما يرى القدماء، أو بتقصير الفتحة الطّويلة؛ تخلصاً من المقطع الطّويل المغلق بصامت (ص ح ح ص) كما يرى المحدثون، وعند تأكيد فعل الأمر هذا بنون التّوكيد يعود الفعل إلى أصله، مع إعادة ترتيب المقاطع بسبب دخول النّون الثّقيلة: نا/مذّن، أو الخفيفة: نا/منّ [٢٠، ص ١٢٧]، وكذلك الأمر في: ادْعُونْ (ادْعُونْ)، واحْمِئْنِ (احْمِئْنِ)، إذ يُرَدّ المحذوف (لام الفعل) [١٦، ص ٤٦٧]، ويُفتح إن كان هذا المحذوف واواً أو ياءً، وإن كان المحذوف ألفاً يُقلب ياءً ويُفتح، كما في اَرْضَيْنِ (اَرْضَيْنِ). وقد ورد عن فَرارة أنّهم يقولون في اَحْمِئْنِ وابْكَيْنِ: اَحْمِئْنِ وابْكِنِ أي بحذف الياء المسبوقه بكسرة [١٠، ص ٥١٤/٢].

وإذا اتّصلت نونا التّوكيد الثّقيلة والخفيفة بفعل الأمر المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة، فيقال فيه ما قيل في الفعل المضارع المسند إليهما؛ أي وجب ضبطه بالضّمّة إن كان مسنداً إلى واو الجماعة، واتّصل بنون التّوكيد، وهذه الضّمّة ناجمة عن تقصير الواو في المقطع الطّويل المغلق بصامت، نحو: اذْهَبْنِ، ومُدُنْ، وقولْنِ، وادْعُنْ، وارْمُنْ، وارْضُونْ، وفي الفعل الأخير تبقى واو الجماعة مع وجوب ضبطها بالضّمّة، وتحذف لام الفعل (الألف)، ويُضبط ما قبل الواو بالفتحة.

=هنداوي، المكتبة التّوفيقية: ٣ / ٤٨٦، و أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربيّة، ط٣، مكتبة الأنجلو _

ووجب ضبط فعل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة بالكسرة إن اتّصل بنون التوكيد، وهذه الكسرة ناجمة عن تقصير الياء في المقطع الناتج (الطويل المغلق بصامت)، نحو: اذْهَبَنَّ، ومُدَّنَّ، وقولَنَّ، وادْعَنَّ، وارْمَنَّ، وارْضِيَنَّ، وفي الفعل الأخير تبقى ياء المخاطبة مع وجوب ضبطها بالكسرة مع حذف لام الفعل (الألف) وضبط ما قبل الياء بالفتح.

أمّا توكيد فعل الأمر المسند إلى ألف الاثنين، فيقال فيه أيضاً ما قيل في توكيد الفعل المضارع المسند إلى ألف الاثنين مع فارق المرحلة الأولى للمضارع، وهي حذف نون الإعراب لتوالي الأمثال، إذ يخلو منها فعل الأمر. كما يقال في توكيد فعل الأمر المسند إلى نون النسوة ما قيل في توكيد الفعل المضارع المسند إليها.

ج (حذف نون التوكيد الخفيفة والوقف عليها

تحذف نون التوكيد الخفيفة إذا جاء بعدها همزة الوصل، أي إذا وليها ساكن؛ فراراً من اجتماع ساكنين، كما يرى القدماء، نحو: اكْرِمَنَّ الكَرِيمَ، إذ تصبح: أَكْرِمَ الكَرِيمَ؛ لذا وجب ضبط الميم في (أكْرَمَ) بالفتح للدلالة على أنه مؤكّد بنون التوكيد الخفيفة، وللتمييز بينها وبين أَكْرِمَ الكَرِيمَ، بكسر الميم، غير المؤكّدة [انظر ٩، ص ٥٢٣/٣، ٥٢٧ و ٢٢، ص ١٨/٣ و ٢١، ص ١٤٢٠ و ١٩، ص ٩٥/١ - ٩٦ و ٧، ص ٥٨ - ٥٩]، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

لَا تُثْهِينَ الْفَقِيرَ، عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا، وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٨)

(٨) وهو الأَضْبَطُ بن قُرَيْب بن عوف بن كعب، انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٣ / ٣٤١ وقد ورد فيه: لَا تُخَقِّرَنَّ الْفَقِيرَ، عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

والأصل: لا تُهَيَّنْ لِنَظَرٍ: ٥، ص ٧٣٨، و٢٨، ص ٤٣/٩ - ٤٤، و٢٦، ص ١١١/٤.

وثمة من يرى أنَّ نون التوكيد الخفيفة حُذفت هنا لضعفها ونقصها عن قوَّة التنوين في الاسم وذلك لالتقاء الساكنين، ولم يَجْزْ تحريكها كما في الاسم الذي يُحرَّك عند التقاء الساكنين لقوَّته، فالتنوين الذي يختصُّ بالأسماء أقوى من النون التي تختصُّ بالأفعال؛ لهذا قُرئت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٩) [٥]، ص ٧٣٨، و٢٨، ص ٤٣/٩، "ومن أسقطه لالتقاء الساكنين شَبَّهه بحروف العلة، والأوَّل أقوى وأفصح" [٥]، ص ٧٣٨.

ولعلَّ ما حدث هو تشكُّل المقطع القصير المغلق بصامتين (ص ح ص ص) عند نطق الجملة: أَكْ / رِ / مِنْدُ / كَ / رِبَ / مَ، دون وجود مسوِّغ له؛ لذا تُحذف نون التوكيد الخفيفة للتخلُّص من هذا المقطع، وتبقى الميم مفتوحة كما كانت قبل حذف النون، فتصبح الجملة: أَكْ / رِ / مَدُ / كَ / رِبَ / مَ.

=وانظر أيضاً: الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط ٣: ٢٠٠٨م، ج ٩٣/١٨، وابن هشام، مغني اللبيب: ج ١، ص ١٥٥، وفيه: عَلَّكَ أَنْ تَزُكَّعَ، بضم العين.

وورد في لسان العرب في مادة (ركع) ج ٨، ص ١٣٣ ومادة (هون) ج ١٣، ص ٤٣٨.

(٩) يذكر مكي بن أبي طالب أنَّه "روي عن أبي عمرو حذف التنوين من "أحد" لسكونه وسكون اللام من "الله". وروي عنه أنَّه كان يقف على "أحد"، والذي قرأت به له، كالجماعة، بالوصل وكسر التنوين، لالتقاء الساكنين، والوقف على "أحد" حسن جيِّد..." (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدِّين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج ٣٩١/٢. وانظر أيضاً: الحجة للقراء السبعة، لأبي عليِّ الفارسي، وضع حواشيه وعلَّق عليه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج ١٥٣/٤-١٥٤.

وتثبت نون التوكيد الثقيلة في الخطّ، وفي الوقف والوصل، في حين تثبت الخفيفة في الوصل ولا تثبت في الوقف، كما أنّها لا تثبت في الخط [٧٣٨]. ويجوز قلب التّون الخفيفة، المسبوقه بفتحة، ألفاً عند الوقف؛ لأنّ التّون الخفيفة والتّنين من موضع واحد [٩]، ص ٥٢١/٣، وانظر: ٢٨، ص ٤٣/٩، و ١٠، ص ٥١٧/٢، ولأنّ التّون الخفيفة ساكنة والتّنين كذلك، فهما متشابهتان؛ لذا أجريت التّون الخفيفة مجرى التّنين في الوقف [٩]، ص ٥٢١/٣، و ٥، ص ٧٣٨، [٧٤٥]، ولأنّ الخفيفة في الفعل بمنزلة التّنين في الاسم [٢٢]، ص ١٧/٣، نحو قول المتنبي:

أَقْصِرْ، فَلَسْتُ بِمُقْصِرٍ، جُزْتُ الْمَدَى وَبَلَغْتُ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكُ، فَارْبَعَا
أي: اربعن، بمعنى توقّف وانتظر [١٧]، ص ٢٦٥/٢، وانظر ١٩، ص ٩٦/١.
ومن ذلك أيضاً قول الأعشى:

وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا^(١٠)

أراد: فاعبدن، فعوضوا عنها في الوقف ألفاً، كما عوضوا من التّنين في الاسم المنصوب، فقالوا: فاعبدا كما قالوا: لقيتُ زيدا [٩]، ص ٥١٠/٣، و ٥، ص ٧٣٨، و ٢٨، ص ٣٩/٩ - ٤٠، ومن ذلك أيضاً قول عمرو بن أحمَر الباهلي:
وسائلةٌ بظَهْرِ الْعَيْبِ عَنِّي أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا^(١١)

(١٠) الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٧ هـ / ٦٢٩ م): ديوانه، تحقيق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، القاهرة، ص ١٣٧، وفيه: وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا.

(١١) ورد البيت في شعره بالنص الآتي:

وَرَبَّتْ سَائِلٌ عَنِّي خَفِيٍّ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا

انظر: شعر عمرو بن أحمَر الباهلي، جمعه وحققه حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٧٦.

فقد ورد في لسان العرب: "... قال: أراد تعارَنُ، فوقف بالألف، ... والألف في آخر تعارا بدل من النون الخفيفة، أبدل منها ألفاً لما وقف عليها، ولهذا سلمت الألف التي بعد العين إذ لو لم يكن بعدها نون التوكيد لانحذفت، وكنت تقول لم تعر كما تقول لم تخف، وإذا ألحقت النون ثبتت الألف فقلت: لم تخافن لأن الفعل مع نون التوكيد مبني فلا يلحقه جزم" (٢٤، مادة(عور) ٤/٦١٣].

وإن وقعت النون الخفيفة بعد ضمة أو كسرة حذفت، ورد ما حذف في الوصل لأجلها، نحو: اكْتَبُنْ واكْتَبُنْ، فعند الوقف عليها تحذف نون التوكيد الخفيفة، لمشابتها للثنتين، وتعود واو الجماعة وياء المخاطبة لزوال علة حذفهما، فتصبح: اكتبوا واكتبي [٩، ص ٥٢١/٣ - ٥٢٣، ٥، ص ٧٤٤، ١٠، ص ٥١٦/٢].

وعند الوقف على الأفعال الخمسة المؤكدة بنون التوكيد الخفيفة تزول نون التوكيد من اللفظ وتعود نون الإعراب، فنقول في: هل تَضْرِبُنْ: هل تَضْرِبِينَ، وفي: هل تَرْضَيْنْ نقول: هل تَرْضَيْنْ، كما نقول في: هل تَضْرِبُنْ: هل تَضْرِبُونَ، وفي: هل تَرْضُونْ: هل تَرْضُونْ، وقد ذكر ذلك سيبويه، فقال: "وإذا وقفت عند النون الخفيفة في فعل مرتفع لجميع رددت النون التي تثبت في الرفع، وذلك قولك وأنت تريد الخفيفة: هل تَضْرِبِينَ، وهل تَضْرِبُونَ، وهل تَضْرِبَانِ" [٩، ص ٥٢٢/٣ وانظر: ٥، ص ٧٤٣ - ٧٤٦ و٢٨، ص ١٣/٩ و١٣، ص ٣٣٢/٣ - ٣٣٣]، كما ذكر سيبويه أن هذا الرأي للخليل، "وقول العرب على قول الخليل" [٩، ص ٥٢٢/٣].

الختام

توصلت هذه الدراسة إلى أن دخولَ نون التوكيد، بنوعيهما: الثقيلة والخفيفة، على أفعال الأمر وبعض أفعال المضارعة يؤثر في بنيتها، إذ قد يؤدي دخولها إلى سقوط حركة آخر الفعل وتغيير ترتيب المقاطع، كما في (هل تَكْتُبَنَّ؟)، وقد يؤدي دخولها أيضاً إلى ظهور بعض المقاطع المرفوضة أو المكروهة في العربية؛ وسعيًا للسهولة والتيسير في النطق تضطرّ نونُ التوكيد الناطق العربيّ إلى حلول يَعمد إليها للتخلص من هذه المقاطع أو تجويزها، نحو تقصير حركة طويلة كما في (هل تَكْتُبَنَّ و تَكْتُبَنَّ؟)، أو اجتلاب حركة للمجانسة كما في (تَرْضُونُ)، وقد يتسبب دخول نون التوكيد الثقيلة إلى تطويل الفتحة القصيرة تخلصاً من توالي الأمثال، نحو (لِيَكْتُبَنَّ).

ويتخلص الناطق العربيّ من توالي الأمثال أيضاً بحذف أحد المتماثلين، كما في توكيد الفعل المضارع المرفوع المسند إلى ضمير الجماعة المذكر الحركي (الواو)، والفعل المضارع المرفوع المسند إلى ضمير المخاطبة الحركي (الياء)، نحو (هل تَكْتُبَنَّ و تَكْتُبَنَّ؟) وغيرهما.

تُغيّر حركة نون التوكيد الثقيلة إلى الكسر من باب المخالفة الصوتية، كما في توكيد الفعل المضارع وفعل الأمر، المسندين إلى ضمير الشئ (ألف الاثنين) والمسندين إلى نون النسوة، نحو: هل يَكْتُبَنَّ؟ و اَكْتُبَنَّ و لِيَكْتُبَنَّ.

ويمكن تفسير ما حدث من إعادة ترتيب المقاطع، والتخلص من المقاطع المرفوضة والمقاطع المكروهة، أو تجويزها، والتخلص من توالي الأمثال بالحذف أو بالفصل، واجتلاب حركة ما للمجانسة - بأنه من باب السهولة والتيسير، فالناطق يريد تحقيق السهولة والانسجام في النطق.

إنَّ دخول نون التوكيد بنوعيتها إلى بعض الأفعال يعيدها إلى أصولها ؛ أي يعيد إليها ما حُذِفَ منها، فنقول: قولنَّ، وبيعنَّ، ونامنَّ، وادْعُونَّ، واحْمِينَّ، وارْضَيْنَّ، ونقول: لا تَدْعُونَّ، ولا تَرْمِينَّ، وهذا يثبت الأصل المفترض لمثل هذه الأفعال.

وحرِيَّ بنا أن نتبَّه إلى ضرورة ضبط الأفعال المتصلة بنوني التوكيد دفْعاً للبس، فلولا الحركة على لام الفعل لاختلط الأمر مثلاً بين: تَكْتُبُنَّ وتَكْتُبِينَ وتَكْتُبَنَّ، ولولا حركة الياء، لاختلط الأمر بين تَرْضَيْنَّ (تَرْضَيْنِ)، وتَرْضَيْنَّ (تَرْضَيْنِ) ؛ لذا وجب التمييز بضبط الياء، مع أنَّها في الزوج الأوَّل ياء المخاطبة، وفي الزوج الثاني لام الفعل، وقد يلتبس الفعل يَكْتُبَانَّ مع الفعل يَكْتُبَانِ ؛ لذا وجب التمييز بضبط نون التوكيد بالشدَّة والكسرة، وضبط نون الإعراب بالكسرة فقط.

المصادر والمراجع

- [١] الأزهريّ، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م): شرح التصريح على التوضيح. دار الفكر.
- [٢] الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٧ هـ / ٦٢٩ م): ديوانه، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، القاهرة.
- [٣] أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغويّة. ط ٥، دار الطّباعة الحديثّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٧٩م.
- [٤] بروكلمان، كارل: فقه اللغات السّاميّة. تعريب د. رمضان عبد التّوّاب، مطبوعات جامعة الرّياض، الرّياض، ١٩٧٧م.

- [٥] الثماني، عمر بن ثابت (ت ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م): *الفوائد والقواعد*. تحقيق: عبد الوهاب محمود الكحلة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- [٦] ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ): *اللمع في العربية*. تحقيق سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي للنشر - عمّان، ١٩٨٨ م.
- [٧] الحملاوي، أحمد، (ت ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)، *شذا العرف في فنّ الصّرف*. المكتبة الثقافية، بيروت.
- [٨] ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م): *مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع*. نشره: ج. برجستراسر، دار الهجرة.
- [٩] سيّويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م): *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت.
- [١٠] السيّوطي جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ): *معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع*، تحقيق أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة - بيروت.
- [١١] شاهين، عبد الصّبو: *المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة*، رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسسة الرسالة.
- [١٢] الشّايب، فوزي حسن، *أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربيّة*. الطّبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردنّ، ٢٠٠٤ م / ١٤٢٥ هـ.
- [١٣] الصّبّان، محمّد بن علي الشّافعيّ (ت ١٢٠٦ هـ): *حاشية الصّبّان على شرح الأشموني علي بن محمّد بن عيسى* (ت ٩١٨ هـ) على ألفيّة ابن مالك، ضبطه وصحّحه وخرّج شواهد إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة - بيروت.

[١٤] عبابنة، يحيى: دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، ط ١، دار الشروق، ٢٠٠٠م.

[١٥] عبد التّوّاب، رمضان: فصول في فقه العربيّة. ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧

[١٦] ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ت ٦٦٩ هـ) (هـ) للمقرب ومعه مُثُل المقرب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة - بيروت.

[١٧] العُكْبُري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م): التّبيان في شرح الدّيون (ديوان أبي الطّيب المتنبّي). ضبط وتصحيح: مصطفى السّقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

[١٨] عمّارة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغويّة. الطّبعة الأولى، دار وائل، عمّان، الأردنّ، ٢٠٠٠م،

[١٩] الغلاييني، مصطفى (ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م): جامع الدّروس العربيّة. ط ٣٦، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.

[٢٠] الكناعنة، عبد الله محمّد: أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربيّة، الطّبعة الأولى، وزارة الثّقافة، عمّان، ١٩٩٧م.

[٢١] ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: شرح الكافية الشّافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتّراث، مكة المكرمة، ١٩٨٢، ط ١.

[٢٢] المبرّد، أبو العبّاس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م): المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

[٢٣] مرعي، عبد القادر: *التشكيل الصوتي في اللغة العربية*: بحوث ودراسات. الطبعة الأولى، مطبعة البهجة، عمان، ٢٠٠٠ م.

[٢٤] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: *لسان العرب*. دار صادر - بيروت.

[٢٥] الميداني، أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م): *نزهة الطرف في علم الصرف*. تحقيق السيد محمد عبد المقصود درويش، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

[٢٦] ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م): *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب غدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك* تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت.

[٢٧] ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م): *معني اللبيب عن كتب الأعراب*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٩٥ م.

[٢٨] ابن يعيش، موفق الدين (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م): *شرح المفصل*. دار صادر - بيروت.

The Effect of “Assuring N sound (Noon Al Tawkeed) in the structure of the Arabic Verbs : A study in phonics level

Dr. Reem Farhan Al Ma’aita

*Primary science Department Faculty of Technological Engineering
Al Balqa Applied University /the Hashemite kingdom of Jordan*

Abstract. This study that is entitled” The effect of Noon Al Tawkeed on the Arabic verb structure: A study at phonics level, it aims at examining the effect of short and stressed “noon “on the verb structure which is permissible or must be connected to. And to intereprting of this effect in the light of modern phenology, while comparing it with the explanations of linguistic of old.

This study has revealed that simplicity law has a clear effect on explaining the changes in verbs structure, whereas the organization of syllables may change as a result of linking /N/to these verbs. Or same unfavored or rejected syllables may appear in Arabic which speaker is trying to get rid of them in one way or another. Toward the shortening of long sounds, N connection may lead to several similar duplicates that result from pronunciation of two similars or more, by omission or separation through lengthening of short sound.

من مظاهر لهجة طَيِّئ في اللهجة القصيمية المعاصرة

د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة

عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم

ملخص البحث. هذا البحث هو دراسة لغوية مقارنة بين لهجة من لهجات العربية الفصحى، هي لهجة قبيلة طَيِّئ، وهي إحدى القبائل العربية النجدية التي أمَّها اللغويون القدماء عندما أرادوا جمع اللغة في القرنين الأول والثاني الهجريين، وبين لهجة عربية نجدية حديثة، هي اللهجة القصيمية، تبين منه صواب ما أشارت إليه الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة في العصر الحديث، من اتصال قوي بين اللهجات العربية الحديثة والقديمة، وأن ملامح هذا الاتصال أكثر ظهوراً ونقاءً وأصالاً في لهجات عرب الجزيرة العربية، خاصة وسطها، أعني بلاد نجد التي تشغل منطقة القصيم التي تنسب إليها اللهجة القصيمية مساحة شاسعة من وسطها، ويعود سبب هذا إلى أن اللغة الفصحى التي جمعها اللغويون الأوائل مأخوذة في أغلبها عن القبائل التي كانت تسكن نجداً، وأن بقايا هذه القبائل هم أكثر أهلها إلى اليوم، يضاف إلى هذا أن منطقة نجد ظلت قروناً طويلة . قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم . معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة الأخرى.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، ثم أما بعد :

فإن المتأمل في اللهجات العربية الحديثة^(١) يرى فيها مظاهر لهجية مشتركة كثيرة، تنتمي إلى المستويات اللغوية ؛ الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي ، على الرغم من الظروف المختلفة التي تعيشها المجتمعات التي تتحدثها، بيئياً واجتماعياً وثقافياً ، وقد أثبتت الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة أن سبب ذلك يعود إلى أن هذه المظاهر المشتركة قد ورثتها اللهجات العربية الحديثة من لهجات عربية قديمة كانت في شبه الجزيرة العربية ، ثم انتقلت إلى الأقاليم العربية مع تلك القبائل التي انتقلت إليها من الجزيرة العربية إبّان الفتوح الإسلامية والعصور التي تلتها^(٢).

واللهجة القصصية المعاصرة واحدة من اللهجات العربية الحديثة التي نالت نصيباً كبيراً من ذلك الإرث ؛ فهي لهجة شائعة في منطقة القصيم ، التي هي إحدى مناطق وسط المملكة العربية السعودية ،^(٣) وإذا كان التأثير اللهجي للقبائل القديمة في الجزيرة العربية لا يزال ممتداً تُرى ملامحه واضحة في لهجات المتكلمين بالعربية في أنحاء الوطن العربي اليوم رغم ما حصل للعرب فيها من اختلاط بالأمم الأخرى قديماً وحديثاً ، فإن هذه الملامح ستكون أكثر ظهوراً ونقاءً وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية ؛ فهؤلاء العرب الذين يعيشون فيها اليوم هم في الغالب بقايا القبائل العربية

(١) سيأتي الحديث عن المراد بمصطلحي اللهجات العربية القديمة ، و اللهجات العربية الحديثة في التمهيد رقم ٢ ، بإذن الله.

(٢) ينظر لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٣١ - ٣٢.

(٣) سيأتي الحديث عن القصيم في التمهيد رقم ١ ، وعن المراد باللهجة القصصية تحديداً في التمهيد رقم ٢ ، بإذن الله.

القديمة التي ظلت في جزيرتها ولم تهاجر، ويزداد هذا النقاء والأصالة في لهجات سكان وسط الجزيرة، أعني منطقة نَجْد، التي يشغل القُصَيْم مساحة شاسعة منها، كما ستأتي الإشارة إلى أسباب ذلك بعد قليل.

إن من أهم ما حفزني للبحث في هذا الموضوع بالإضافة إلى حبي للغة العربية، وتعلقي بلهجاتها:

١- رغبتني في ألا نكرر ما وقع فيه اللغويون القداماء - وهم مجتهدون في هذا - من خطأ منهجي في تعاملهم مع العربية؛ حيث أهملوا رصد التطورات التي أصابتها في عصورها ومواطنها المختلفة بعد الحد الزمني الذي رأوا فيه نهاية لزمان الفصاحة، وهو ما أطلقوا عليه نهاية عصر الاحتجاج^(٤)، فقد حرموا دارسي العربية بهذا من الاطلاع على تطورات كثيرة مرت بها على كافة مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية عبر عصورها الإسلامية المختلفة، ففي المستوى الدلالي مثلاً - وهو من أهم مستويات اللغة التي ما كان ينبغي أن يُهْمَل ما يتتبعه من تطور مستمر - نجد معجماتنا العربية، على كثرتها واختلاف مدارسها وأزمته مؤلفيها تكاد تكون صوراً متشابهة فيما تحويه من ألفاظ ودلالات^(٥)، فمشكلتها الكبرى تكمن في جمودها عند حدود زمنية ارتضاها أئمة العربية الأوائل؛ فهي إنما تعطي صورة واقعية لزمان محدود من

(٤) يتفاوت اللغويون الأوائل في تحديد هذه النهاية، لكن جمهورهم على أن عصر الاحتجاج انتهى في حدود نهاية القرن الثاني الهجري تقريباً، وإن فرقوا في هذا بين الحواضر والبوادي، ينظر خزانة الأدب ٨/٥ - ١٩، وفي أصول النحو ١٩.

(٥) يتضح هذا الأمر للدارس عندما يقارن معجماً ألف في القرن الثاني الهجري، كالعين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، بمعجم ألف بعده بما يقرب من ألف سنة، هو تاج العروس للزبيدي (محمد بن المرتضى ت ١٢٠٥هـ)، بل إن هذا الأمر يُرى حتى في المعجمات العربية التي أُلِّفت في العصر الحديث، باستثناء محدود لبعضها، كالمعجم الوسيط ومعجم المرجع.

أزمة اللغة العربية، وعصر معين من عصور مستعملها، يبدأ قبل الإسلام بما يقرب من قرن من الزمن، وينتهي بوقت جمع اللغة الذي تمّ غالبه في القرنين الأول والثاني الهجريين، أما ما بعد ذلك مما مرت به العربية من أطوار في العصور الإسلامية المختلفة فلا نجد له صورة في هذه المعجمات، فهي لا تفيد دارس العربية في تتبع التطورات اللفظية والدلالية للعربية عبر عصورها المختلفة، ولذا كان من أهم المهمات المنوطة باللغويين في عصرنا محاولة إصلاح هذا الخلل، وسد شيء من هذه الثُلمة، وهو أمر ممكن، يستعان عليه باستقراء ما جاء في دواوين الأدب شعره ونثره، وكتب التاريخ والفن، وما أحدثه العلماء من مصطلحات علمية، وما رصده اللغويون في كتب لحن العامة في كل عصر من عصور العربية المختلفة، وتجميع كل ذلك، حتى يتسنى لنا استعادة شيء من الحلق الكثيرة المفقودة من سلسلة المراحل التطورية التي مرت بها العربية، منذ عصر جمع اللغة إلى يوم الناس هذا، ورصد مثل هذه التطورات من أهم ما يُعنى به صنّاع المعجمات في الأمم المتقدمة، ذلك أن مما يميز المعجمات الأجنبية، كالإنجليزية والفرنسية ميزة الإضافة المستمرة؛ فمع اهتمامها بالألفاظ والدلالات القديمة فإنها لا تهمل ما يستجد من الألفاظ والدلالات الجديدة الناتجة عن تطور الحياة بمختلف مرافقها؛ العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية، ولذا فإن أهمية أي معجم يظهر في عصر من عصور هذه اللغات تكمن فيما يحمله من الألفاظ الجديدة، وبما يرصده من التطورات التي تصيب دلالات الألفاظ القديمة المعروفة، بل إن هذا التحديث قد يوجد في كل طبعة جديدة لمعجم من معاجم تلك اللغات^(٦).

(٦) طال انتظار المهتمين بالعربية لمشروع عظيم، هو (المعجم التاريخي للغة العربية) الذي لم يزل المخلصون من المهتمين بالعربية من العلماء والمؤسسات العلمية يجاهدون في سبيل إقامته، ومن أواخر هذه الجهود الندوة الدولية التي كانت بعنوان: (المعجم التاريخي للغة العربية: قضايا النظرية والمنهجية والتطبيقية)، التي عقدت في مدينة فاس المغربية، بتنظيم من مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

٢- تعلق هذا البحث بالجزيرة العربية، وبوسطها خاصة، وهو منطقة نجد التي ظلت قروناً طويلة - قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم - معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية^(٧)، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة، خاصة في مستواها الدلالي، ثم الصوتي والصرفي.

٣- إن مما يزيد اللهجات النجدية المعاصرة أهمية، ويرشحها لمزيد من العناية والبحث أن منطقة نجد - بالإضافة إلى بوادي الحجاز - هي أهم البيئات العربية التي ذكر اللغويون الأوائل أنهم توجهوا إليها عندما أرادوا جمع اللغة، حيث صرحوا بأن: "الذين نُقِلت عنهم العربية، وبهم أُقْتلدي، وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم قَيْس وتَمِيم وأسَد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيْل وبعض كِنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم..."^(٨)، فاللغة مأخوذة في أغلبها عن القبائل المشار إليها في النص، وهذه القبائل - عدا هُذَيْل وكِنانة - هي التي كانت تسكن منطقة نجد في وقت جمع اللغة، ولا تزال بقاياها هم أكثر أهلها إلى يومنا هذا، ولذا لا عجب عندما نرى ارتباطاً قوياً بين ما سجله اللغويون في ذلك الوقت وبين اللهجات النجدية المعاصرة اليوم، وخاصة في الجانب الدلالي المعجمي.

= (مبدع) بالتعاون مع معهد الدراسات المصطلحية ومختبر الأبحاث والدراسات المصطلحية التابعين

لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وكان ذلك بتاريخ ٢٢-٢٤ / ٤ / ١٤٣١ هـ، الموافق ٨ - ١٠

٣ / ٢٠١٠ م، وكنت ممن شارك فيها بحمد الله.

(٧) سيأتي الحديث عن هذا عند الحديث عن اللهجة القصيمية في التمهيد رقم ٢، بإذن الله.

(٨) ينظر المزمهر ١ / ٢١٠ - ٢١١.

٤- أنه بعد الطفرة الاقتصادية والحضارية التي شهدتها المملكة العربية السعودية تسارعت بشكل كبير التغيرات اللهجية لسكان مناطقها - ومنهم أهل نجد - بسبب ظروف كثيرة، من أهمها: كثافة اتصالهم بغيرهم من العرب والشعوب الأخرى؛ فبلادهم بعد أن من الله عليها بالخيرات صارت قبلة لطالبي الرزق الذين يؤمنونها للعمل، ويخالطون سكانها لفترات طويلة، ومن هؤلاء من يؤدي دوراً تعليمياً وتربوياً، فيزداد تأثيره.

كما أن سكانها أيضاً ازدادت أسفارهم إلى بلاد العالم الأخرى، لظروف أملتها عليهم حياتهم، كالدراسة والتجارة والسياحة.

إضافة إلى التزايد الكبير جداً في أعداد الحجاج والمعتمرين القادمين إلى أراضيها، بسبب تيسر أمر السفر في هذا العصر، وبسبب ما تبذله حكومتها - وفقها الله - من جهود جبارة في خدمة حجاج بيت الله الحرام وزائري مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى إنه يصل إلى أراضيها ملايين البشر في كل عام، وهم في ازدياد مطرد.

ومنها الحياة المترفة والعيش الرغد الذي يتمتع به عامة سكانها، وهو أمر أحدث تبدلات جذرية في أساليب حياتهم؛ في منازلهم ومراكبهم وملابسهم ومآكلهم ومشاربهم وأدواتهم وطريقة عيشهم بالجملة، مما كان له أبلغ الأثر في لهجاتهم، فكان من الواجبات على اللغويين، وخاصة من أهل هذه البلاد العناية بهذه المظاهر وتقييدها، قبل أن يدركها الانقراض الذي نراه يسرع جاداً إليها؛ للأسباب التي سلفت.

أما منهجي في البحث فتبين معاملة النقاط التالية:

١- مهدت لهذا البحث بتمهيد طابعه الإيجاز، وقد جعلته أقساماً ثلاثة؛ أولها: عرّفت فيه بمنطقة القصيم التي تنسب إليها اللهجة التي يهدف البحث إلى بيان

أصالة بعض مظاهرها ؛ وهو تمهيد سيكون القراء الذين لا يعرفون مناطق المملكة العربية السعودية بحاجة شديدة إليه. والثاني : بينت فيه وحددت ما أقصده باللهجة القصيمية ؛ وفي ذلك إفادة للقارئ من جهة ، وضبطاً للبحث وصوناً له من جهة أخرى. والثالث : عرّفت فيه بقبيلة طَيِّئ ، فذكرت نسبها ومنازلها ولهجتها ، وعلاقتها باللهجة القصيمية.

٢- عمدت إلى ما وصلت إليه يدي مما كتبه اللغويون قديماً وحديثاً عن مظاهر لهجة طَيِّئ ؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وقارنتها بما أعرفه من اللهجة القصيمية المعاصرة^(٩) . وأنا ابن من أبنائها - فتبين لي توافق اللهجتين في مظاهر واضحة ومتنوعة ، كانت هي مادة هذا البحث ، وعليه فإن هذا البحث يسير في الأصل على المنهج المقارن ، ولكنه أيضاً يعتمد على المنهج الوصفي ؛ ومعروف عند الباحثين أن المنهج المقارن لا يقوم إلا متكئاً عليه ؛ فمقارنة الظاهرتين اللغويتين غير ممكنة إلا بعد توصيفهما توصيفاً دقيقاً.

٣- تناولت هذه المظاهر تبعاً للمستويات اللغوية التي تنتمي إليها ، مبتدئاً بالمظاهر الصوتية فالصرفية فالنحوية فالدلالية ، ومن المعلوم أن التفريق بين ما ينتمي إلى المستويين الصوتي والصرفي يعتمد كثيراً على اجتهادات الباحثين ، فلا يزال هناك خلط كبير بين منهج الدرس الصوتي والصرفي ؛ لأن دراسة الأصوات إذا كانت بحثاً في العناصر الأولى التي تتكون منها اللغة ، فإن كثيراً من الموضوعات التي يدور حولها الصرف إنما تبنى على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثير المتبادل بين الحروف عندما تتألف ويتصل بعضها ببعض^(١٠).

(٩) سيأتي الحديث عن المراد بهذه اللهجة تحديداً في التمهيد رقم ٢ ، بإذن الله.

(١٠) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٥٩ .

٤- قمت بتحليل بعض الظواهر اللهجية ، مع أن التحليل غير مقصود في البحث ؛ وإنما ألبأ إليه أحياناً للتوضيح إذا رأيت حاجة لذلك ، ولو قصدته لطال البحث وانحرف عن مساره ومنهجه ؛ فتحليل الظواهر اللغوية له بحوث خاصة.

٥- ليقيني بأن الشواهد تثري البحث اللغوي ، وتحلّي القضية المبحوثة ، وتكسر ملل القارئ ، وتسهم في إقناعه دعمت البحث بما أرى أنه يحقق الغرض من شواهد القرآن الكريم وقراءاته ، ومن كلام العرب شعره ونثره ، فذكرت شواهد اللهجة طيّ نص عليها اللغويون الأوائل ، وأخرى مستخرجة من دواوين شعرائها ، كما ذكرت بالمقابل شواهد اللهجة القصصيّة المعاصرة ، بعضها من الأمثال العامية التي يتداولها أهل القصيم ، وأكثرها من شعرهم العامي ، مما حوته ذاكرتي منه أو استخرجته من دواوينه المطبوعة ، والذي أوردته من هذا الشعر هو شعر الذين لم يدركوا هذه الطفرة الاقتصادية التي تعيشها بلادهم ، أو أدركوا طرفاً منها ، لكن لهجتهم تكونت ورسخت قبلها ، أما الذين عاشوا طفولتهم أو شبابهم فيها فلم أمثل واستشهد بشعرهم ؛ لأنه قد لا يكون صادق التمثيل للهجتهم ؛ فمنطقة القصيم أصبحت الآن بفعل ما تتمتع به من مقومات من مناطق الجذب السكاني في المملكة ، حيث استوطنت مدنها وقراها خلال الأربعين سنة الماضية أعداد كبيرة من الناس بادية وحاضرة لم يكونوا من أهلها في الأصل ، كما أنه يعمل فيها أيضاً عدد كبير من جنسيات عربية وغير عربية ، وهو أمر أدى إلى نشوب صراع لهجي بين لهجة أهلها الأصليين التي يخصها هذا البحث^(١١) واللهجات الأخرى المتعددة لمستوطنها الجدد ، فأثرت كل من هذه اللهجات المتصارعة وتأثرت بنسب متفاوتة ، يضاف إلى هذا

(١١) سيأتي الحديث عن المراد باللهجة القصصيّة تحديداً في التمهيد رقم ٢ ، بإذن الله.

انتشار التعليم في المملكة العربية السعودية وكثرة التواصل بين مناطقها مما أدى إلى تغير بعض معالم لهجاتها وذوبان الفروق بينها بشكل ملحوظ.

ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى أنني ذكرت هذه الشواهد العامية ، لا على سبيل الاحتفاء بها والدعوة إلى أساليبها ، بل لأنها في نظري خير نصوص يمكن التمثيل بها لهذه اللهجة ؛ فهي أمثلة محفوظة ، بل بعضها مطبوع متداول ، وهي لأناس معينين معروفين من أبناء القصيم ، فالتمثيل بها يمنح البحث مزيداً من الثقة لا توفره أمثلة من كلام العامة تُسَجَّل عن المجاهيل ، أو تبتدع ابتداً ، ولولا خشية أن تؤدي كثرة الشواهد بالبحث إلى الطول لتماذيت في إيرادها ؛ فعندي بحمد الله منها مزيد ومزيد.

٦- عمدت إلى ضبط ما ورد في البحث من شواهد وألفاظ ، وخاصة الألفاظ الدالة على أعلام غير مشهورة ؛ فما يخص لهجة طَيِّع ضبطته كما ضبطته المصادر القديمة التي أوردته ، وما يتصل باللهجة القصيمية - وخاصة الشواهد الشعرية العامية ؛ لارتباطها بالوزن - كتبته وضبطته على نحو يجعله مطابقاً لنطق أهلها ما أمكن ، وذلك على النحو التالي :

أ) لجأت إلى وضع سكون على الحرف الأول من بعض الصيغ والأدوات اللغوية ؛ لبيان أن العامة ينطقونه ساكناً ويتوصلون إلى نطقه بهمزة الوصل^(١٢) ، كقولهم : إِمَحَمَّدَ قام أو جَلَسَ ، في : مُحَمّد قام وَجَلَسَ ، فمثل هذا وأشباهه مما ينطق عندهم بهذه الطريقة أكتبه مضبوطاً هكذا : مُحَمّد قام وَجَلَسَ ، ولا أكتبه بهمزة الوصل حتى لا أُحْدِثُ خللاً في طريقة الإملاء المعروفة ، وعليه فإنني إذا ضبطت الحرف الأول الذي يبدأ به اللفظ بالسكون ، كالميم الأولى من (محمد) ، أو الميم من

(١٢) إسكان الحرف الأول من بعض الصيغ والأدوات اللغوية مظهر لهجي فاشٍ في اللهجات العربية المعاصرة في عموم الوطن العربي.

حرف الجر (من) ، ولو كان اللفظ على حرف واحد ، كواو العطف مثلاً ، فإن هذا الحرف ينطق في اللهجة القصيمية مسبقاً بهمزة وصل.

ب) من المعلوم أن اللهجات العربية الحديثة تخلصت من الإعراب ومالت إلى تسكين أواخر الألفاظ وصلاً ووقفاً ، واللهجة القصيمية مثلها في هذا في الجملة^(١٣) ، ويستثنى من ذلك غالباً الأسماء التي لم تدخل عليها (ال) وليست أعلاماً فإنها في حالة الوصل ينون آخرها غالباً بالكسر^(١٤) ، يقولون مثلاً: مُحَمَّدٌ رَجُلٌ كَرِيمٌ شِجَاعٌ.

ج) إمالة الفتحة نحو الكسرة تارة ونحو الضمة تارة أخرى مظهران صوتيان شائعان في هذه اللهجة حاولت إبرازهما في الضبط ، فالحرف الذي تُمال فتحته نحو الكسرة أضبطه بفتحة وكسرة في آن واحد ، كما في حرف الخاء من لفظ خَيْلٌ ، وكما في الحرف الذي يسبق تاء التانيث المربوطة في مثل لفظ فاطمة ، والحرف الذي تُمال فتحته نحو الضمة أضبطه بفتحة وضمة في آن واحد كذلك ، كما في حرف الياء من لفظ يَوْمٌ.

د) حذفت الهمزة التي لا ينطقونها ، فأكتب لفظ الأوَّل ، هكذا: الأوَّل ، وأكتب مثل قولهم: وأنا... ، المكون من واو العطف والضمير ، هكذا: وأنا... ، مبقياً الألف دلالة على الهمزة المحذوفة ، ولكيلاً أُحدث خللاً في طريقة الإملاء المعروفة ،

(١٣) وإن كان التخلص من التقاء الساكنين قد يوهم أحياناً بتحريك الأواخر بإحدى الحركات الثلاث ، وخاصة الفتحة والكسرة ، والشعر العامي عندما يُلقبه أهله العارفون به وبلُونه وأوزانه يلجئون كثيراً إلى هذا التخلص ، لكنني غالباً لم أراع هذا في ضبطه ، وإنما ضبطته على الأصل الغالب في كلام العامة ، وهو التسكين ، وهو ضبط لا يُخلّ بوزنه.

(١٤) وبعض بلدات القصيم وقراه الشمالية ، كعيون الجواء وأثال تجري هذا التنوين في الأعلام أيضاً ؛ فهذه البلدات لها بعض السمات اللهجية التي لا توجد في أنحاء القصيم الأخرى ، وسوف أشير إلى هذا في التمهيد رقم (٢).

مع أنهم ينطقونهما هكذا: الَوَّل^(١٥) ، وَنا... ، كما أكتب لفظ عشاء الممدود، هكذا: عَشا ، كما هو نطقهم له.

٧- قمت في الهوامش بتفسير ما رأيت أنه بحاجة إلى تفسير من الشواهد عموماً، ومن الشواهد العامة خصوصاً؛ حتى أعين القراء غير العارفين باللهجة النجدية، أو من هم من ناشئة أهلها على فهمها.

٨- رأيت أن أعرف بإيجاز بشعراء العامة الذين أستشهد بشعرهم، فهم أعلام يجهلهم في الغالب الباحثون الذين ليسوا من أهل هذه البلاد، ومعرفة القارئ بشيء من حالهم مما يزيده ثقة بالبحث وأمثله التي قامت عليها مسأله، ومن المعلوم أن مصادر تراجمهم قد لا تتوفر لكل أحد، أما أسماء الأمكنة فأكتفي بالنص على طبيعتها، فأشير مثلاً إلى أن الاسم لمدينة أو قرية، ثم أحيل إلى المصادر التي عرفت بها.

وأختم هذه المقدمة بالقول: إن دراسة اللهجات العامية - وإن توجس منها بعض الغيورين خيفة - فيها خدمة للعربية وللمتحدثين بها؛ فمن خدمتها للعربية تأصيل مظاهر كثيرة من تلك اللهجات تحسب على العامية وهي فصيحة صريحة، وخدمتها للمتكلمين تكمن في إثراء قواميسهم اللغوية الذهنية بالألفاظ والأساليب والعبارات والصور النطقية الفصيحة، فكثير من العلماء والمتقنين وسائر المتكلمين الذين يراعون الفصاحة في كلامهم الرسمي يعانون في أثناء هذا الكلام من قلة محفوظهم من الألفاظ التي يطمثون إلى فصاحتها، فتتأهبهم حالات من التردد والتباطؤ في التعبير عن المعاني المختلفة، مع أن أذهانهم تُعجّ بالفاظ وأساليب وعبارات كثيرة وصور نطقية اعتادوا عليها تناسب هذه المعاني، يتركونها ويرفعون عنها؛ يحسبونها عامية، وهي فصيحة معروفة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد.

(١٥) ينطقونه بحذف الهمزة وإلقاء حركتها - وهي الفتحة - على اللام التي قبلها.

التمهيد

- ١ - القصيم.
- ٢ - اللهجة القصيمية.
- ٣ - قبيلة طيّ ولهجتها.

١ - القصيم

القصيم الذي تنسب إليه هذه اللهجة التي ندرس بعض ظواهرها في هذا البحث إقليم كبير معروف، يقع في وسط نجد، واسمه قديم، ذكره الشعراء الجاهليون والمخضرمون والإسلاميون^(١٦)، وجرى ذكره في أمثال العرب^(١٧)، كما ذكره وحدده الجغرافيون القدماء^(١٨).

والأصل في تسميته أن القصيم والقصيمة اسم للرمل التي تُنبِت الغُصَا^(١٩)، وهو الشجر البري الذي يكثر نباته في هذا الإقليم^(٢٠).

(١٦) ينظر مثلاً: ديوان أبي دؤاد الإيادي ١٥٣، وشرح شعر زهير بن أبي سلمى ١٥٣، وديوان لبيد بن ربيعة ١٩١، وينظر معجم بلاد القصيم ١ / ٢٨، وما بعدها.

(١٧) ينظر مجمع الأمثال للميداني ١ / ٤٦٨، حيث أورد قول العرب: "سِرْحَانُ الْقَصِيمِ" وقال: إنه مثل قولهم: "ذُئِبَ الْغُصَا".

(١٨) ينظر مثلاً صفة جزيرة العرب ٢٨٩، ٣١١، ومعجم ما استعجم ٣ / ١٠٧٨، ومعجم البلدان ٤ / ٣٦٧.

(١٩) ينظر التهذيب ٨ / ٣٨٦، واللسان (قصر) ١٢ / ٤٨٦ والتاج (قصر) ٣٣ / ١٦٣، وقد ساق صاحب التهذيب قولاً آخر، وهو أنه اسم للرمل التي تنبت الغُصَا، ولكنه رجح القول الأول، وما رجحه هو الصواب، ولفظ الغُصَا لا شك محرف عن الغُصَا؛ لأن الغُصَا اسم يطلق على الشجر العظام ذي الشوك، كالأطْلَح وما أشبهه ينظر اللسان (عضه) ١٣ / ٥١٦، ومعلوم أن هذا النوع من الشجر لا ينبت في الرمل، وهو المشاهد اليوم في رمال منطقة القصيم، فهي تنبت الغُصَا، لا الغُصَا.

والقصيم قديم العمارة، ففيه أماكن يمتد تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام، ويظهر أنه كان كثير السكان في القرون التي تلت الإسلام^(٢١)، ومواضعه الكثيرة من أشهر منازل القبائل العربية في الجاهلية والإسلام، ومن أشهر القبائل التي سكنته قديماً بنو أسد وبنو تميم وبنو ضبة وبنو عبس وغطفان وباهلة وفزارة ومزينة^(٢٢)، كما سكنت بعض مواضعه قبيلة طَيِّئ التي نبحث الآن في أثار لهجتها في لهجة سكانه المعاصرين^(٢٣).

ومواضعه لا يزال كثير منها محتفظاً باسمه القديم، كأثال والجواء ورامة، وكذلك أسماء جباله، كأبائين وقطن، وأوديته، كالرمة والجُرير، ورماله، كاللوى، وكلها طالما ترددت في أشعار شعراء العربية، من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين^(٢٤)،

(٢٠) الغضا: شجر رملي دائم الخضرة، له هدب قريب من هدب الأرطى والأثل، وله خشب صلب، يستعمل وقوداً فيكون له جمر يبقى طويلاً، وهو من أجود الوقود عند العرب، وطالما ذكره الشعراء بهذا المعنى. ينظر ما جاء عنه في: النبات والشجر للأصمعي ٤٥، ٥١، والنبات لأبي حنيفة ١٥-١٦، والمنتخب ٤٦٢/٢، ٤٨٨. ومعجم النباتات والزراعة ٤٠٥/٢، والنباتات البرية في المملكة العربية السعودية ٢٩١.

(٢١) ينظر معجم بلاد القصيم ١/ ٥٢.

(٢٢) ينظر تفصيل لأسماء القبائل العربية التي سكنت القصيم قديماً وحديثاً في معجم بلاد القصيم ١/ ١٢٤ وما بعدها، ١٣٥ وما بعدها.

(٢٣) ينظر معجم بلاد القصيم ٦/ ٢٣٩٤، وستأتي الإشارة إلى هذا بعد قليل.

(٢٤) تنظر: أحاديث موسعة عن هذه المواضع وما قيل فيها من شعر ونثر في معجم بلاد القصيم ١/ ٢٨٤، ٧٥٢/٢، ٩٨١/٣، ٢٢١/١، ٢٠٦٤/٥، ٢٤٧٤/٦، ٧٢٨/٢، ٢١٦٠/٥، على الترتيب.

ومثلها في هذا أسماء أشجاره البرية ونباتاته، كالأرطى والغضا والشَّيح والعرار والقيصوم والنفل^(٢٥) وغيرها.

والقَصِيم اليوم منطقة كبيرة من المناطق الإدارية المهمة في المملكة العربية السعودية، تصل مساحتها إلى ما يقرب من مائة وعشرين ألف كيل مربع، وبهذا فهي تشكل ما يقرب من ٦٪ من مساحة المملكة العربية السعودية^(٢٦).

أكبر مدنه بُرَيْدَة، وهي عاصمة المنطقة، تليها مدينة عُثَيْزَة، فمدينة الرّس، ثم مدينة البُكَيْرِيَّة^(٢٧)، ويضم القَصِيم بالإضافة إلى هذه المدن عدداً كبيراً من البلدات والقرى والهجر^(٢٨).

ويبلغ عدد سكانه أكثر من مليون ومائتي ألف نسمة، يتركز ما يقرب من خمسمائة ألف منهم في مدينة بُرَيْدَة عاصمة المنطقة، ثم مدينة عُثَيْزَة التي يعيش فيها ما

(٢٥) ينظر ما جاء عن هذه النباتات في كتاب النباتات البرية في المملكة العربية السعودية ٦٠، ٢٩١، ٢٢٩، ٢٥٦، ٣٢٧، ٣٥٦، على الترتيب.

(٢٦) أكثر امتداد القَصِيم من الشرق إلى الغرب، إذ يبدأ شرقاً من الدهناء، وينتهي غرباً بحدود منطقة المدينة المنورة، على امتداد ما يقرب من ستمائة كيل، ويبدأ جنوباً بإقليم السّر، وينتهي شمالاً بحدود منطقة حائل، على امتداد ما يقرب من مائتي كيل في المتوسط، ينظر معجم بلاد القَصِيم ١ / ١٥.

(٢٧) تنظر أحاديث موسعة عن هذه المدن في معجم بلاد القَصِيم ٢ / ٤٥٦، ٤ / ١٦٣٨، ٣ / ١٠٢٣، ٢ / ٦٢٠، على الترتيب.

(٢٨) الهجر جمع هجرة، والهجرة في عرف أهل نجد اليوم: القرية التي سكانها من البادية، وهو عرف حديث نسبياً، ظهر بعد مشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز - رحمه الله - وكانت بدايته في حدود سنة ١٣٣٠هـ.

وقد ألف شيخنا معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي - متعه الله بالصحة والعافية - معجماً ضخماً يقع في ستة مجلدات للتعريف بمدن القَصِيم وهجره وقراه وجميع ماله اسم من مواضعه، سماه (معجم بلاد القَصِيم)، طبع أكثر من مرة، وكانت أولى طبعاته عام ١٣٩٩هـ.

يقرب من مائة وسبعين ألفاً، ويتوزع بقيتهم في مدنه وقراه وهجره، وعليه فسكانه يشكلون قرابة ٥٪ من سكان المملكة العربية السعودية^(٢٩).

ويشتهر القصيم بمخصوبة أرضه ووفرة مياهه الجوفية، وقد كان فيه إلى عهد قريب أدركت أنا طرفاً منه عيون جارية تسيح على الأرض بدون رافعات، ولكنها غارت بسبب الإكثار من حفر الآبار الإرتوازية؛ لسد حاجة التوسع الزراعي الذي تشهده المنطقة، فهي تعد من أهم المناطق الزراعية في المملكة، حيث يزرع فيها القمح وأنواع الخُضَر، وتشتهر بصفة خاصة بإنتاج التمر؛ فهي من أكبر مناطق إنتاجه في العالم^(٣٠)، وفيها من أنواعه ما لا يوجد مثله في أي بلد، ومن ذا الذي لم يسمع عن ثمره الذائع الصيت المسمى بالسُّكَّرِي^(٣١).

(٢٩) يبلغ سكان المملكة العربية السعودية حسب آخر إحصائية للسكان قامت بها الدولة - وكانت عام ١٤٣١ هـ - ٢٧١٣٦٩٧٧ نسمة، في حين يبلغ سكان منطقة القصيم ١٢١٥٨٥٨ نسمة. (المعلومات السابقة مأخوذة من الموقع الإلكتروني لمصلحة الإحصاءات العامة في المملكة العربية السعودية).

(٣٠) وصل عدد النخيل المنتجة في القصيم إلى خمسة ملايين نخلة، تنتج ما يقرب من مائة وخمسين ألف طن سنوياً، وهي أرقام تزداد كل سنة؛ بسبب إنتاج المزارع الجديدة، وقد أنشئ مؤخراً في مدينة بُرَيْدة قاعدة القصيم سوق كبير خاص بالتمر يسمى مدينة التمور، يعد أكبر سوق للتمر في العالم، افتتحت المرحلة الأولى منه في ١٥/٨/١٤٣٠ هـ، ويقع على مساحة قدرها مائة وخمسة وستون ألف متر مربع، وهناك توجه لزيادة المساحة لتصل إلى مائتين وستين ألف متر مربع، ومن مرافق هذا السوق: صالات عرض موسمية كبيرة، معارض مستمرة طوال العام لعرض أنواع التمر الطازجة والمبردة والمعلبة، مصانع خاصة بتعليب التمر، مكاتب لشركات التسويق والنقل، فندق راقٍ، مكتب اتصال وتنسيق لتبادل الخبرات مع كافة المهتمين بالنخيل وتسويق منتجاتها في العالم. ويقام في مدينة التمور في موسم إنتاج التمر مهرجان سنوي يسمى مهرجان بُرَيْدة للتمور، تصدر عنه مجلة باسم (تمور القصيم)، ومن الإحصائيات ذات الدلالة عن مهرجان سنة ١٤٣١ هـ الذي بدأ في ٢٦ شعبان منها: بيع فيه ٦٥٪ من إنتاج القصيم من التمر، الذي يبلغ - كما تقدم - ما يقرب من مائة وخمسين ألف طن، بلغ عدد سيارات النقل الصغيرة والكبيرة المحملة بالتمر التي دخلت إليه في بعض أيامه ألفين

٢- اللُّهْجَةُ الْقَصِيمِيَّةُ

تعد اللغة العربية في ماضيها وحاضرها من أشهر اللغات التي تشيع الفروق اللهجية المختلفة بين المتكلمين بها؛ وهو تعدد لهجي ضارب بجذوره في تاريخها القديم الممتد إلى ما قبل الميلاد بقرون طويلة، فبالإضافة إلى تفرع اللغة العربية القديمة إلى فرعين معروفين، هما العربية الجنوبية والعربية الشمالية، شهد هذان الفرعان انقسامات لهجية ظهرت جلية واضحة في النقوش الكثيرة التي خلفها المتكلمون بهما، حيث اتضح من خلالها للغويين في العصر الحديث أن للعربية الجنوبية عدداً من اللهجات، من أشهرها: المَعِينِيَّة والسَّبْيِيَّة والقَتَبَانِيَّة، وأن للعربية الشمالية لهجات أخرى، من أشهرها: التَّمُودِيَّة والصَّفَوِيَّة واللَّحْيَانِيَّة^(٣٢).

ولم تكن اللغة العربية الباقية - وهي العربية الفصحى التي كان يتكلم بها العرب وقت البعثة النبوية، وبها نزل القرآن الكريم، وبها جاءتنا آداب العرب من شعر ونثر - أقل في هذا التعدد من سابقتها، حيث حفلت متون اللغة التي دَوَّنَهَا جُمَاعُهَا الأوائل في القرنين الهجريين الأول والثاني بمظاهر كثيرة جداً تشير إلى هذا التعدد، منسوبة أحياناً إلى مواطن عربية، كَنَجْد والحِجَاز واليَمَن...، أو إلى قبائل عربية، كَقُرَيْش وتَمِيم وطَيِّئ...، وغير منسوبة في أحيان أكثر، وهو تعدد ظهرت آثاره واضحة في

= وخمسمائة سيارة، تصل مبيعات المهرجان أحياناً إلى ٢٥ مليون ريال في اليوم. (المعلومات السابقة مأخوذة من بيانات أمانة منطقة القصيم التي تنشر في وسائل الإعلام، ومنها المواقع الإلكترونية، كموقع: بُرَيْدَة سَتي، والقصيم نيوز، ومعكم، وغيرها).

(٣١) الواحدة منه سُكْرِيَّة، ينظر ما جاء عن هذا النوع وأنواع نخل القصيم الأخرى في معجم بلاد القصيم ١١٤ / ١، ومعجم النخلة ١٤٠.

(٣٢) ينظر دراسات في فقه اللغة ٥٢، وما بعدها، وفقه اللغة العربية ٩٩، وما بعدها.

القرآن الكريم وقراءاته، وفي الأحاديث النبوية والآثار المنقولة عن الصحابة، وفي ما رواه الرواة من آداب العرب شعراً ونثراً^(٣٣).

واللغويون في العصر الحديث عندما يطلقون مصطلح (اللهجات العربية القديمة) فإنهم قد يعنون به اللهجات العربية التي وجدت قبل الميلاد وعُرفت عن طريق النقوش، كما تقدم، لكنه أكثر ما ينصرف عندهم إلى لهجات العرب التي تحفل بها كتب التراث، مما رواه لنا اللغويون من لهجات القبائل العربية التي كانت تعيش في نواحي جزيرة العرب وعلى أطرافها، قبيل البعثة النبوية وبعدها، قبل أن تتفرق ويرتحل كثير منها من الجزيرة العربية، ليعيش في البلاد التي فتحها العرب المسلمون، بعد أن جاء الله بالإسلام ففتحت الفتوح ومُصرت الأمصار، كلهجة قبيلة تميم وطَيِّى وهذيل وأسَد وغيرها.

أما عندما يطلقون مصطلح (اللهجات العربية الحديثة) فإنهم يعنون به تلك اللهجات التي يتكلم بها العرب في عصورهم المتأخرة والحديثة، وهي لهجات بدأ تمايزها بتمايز الأقاليم العربية بعد الفتوح الإسلامية واستقرار كثير من المرتحلين، كلهجات جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وبلاد المغرب العربي وغيرها من المواطن العربية، وهي أقاليم أدت سعتها وتعدد القبائل العربية التي سكنتها، ومؤثرات لغوية خارجية تختلف من مكان إلى آخر، إلى شيوع مظاهر لهجية متعددة داخل الإقليم الواحد منها، كما هو معروف ومشاهد.

والمأمل في اللهجات العربية الحديثة يرى فيها مظاهر لهجية مشتركة كثيرة، تنتمي إلى المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، على الرغم من الظروف المختلفة التي تعيشها المجتمعات التي تتحدثها، بيئياً واجتماعياً وثقافياً، وقد أثبتت

(٣٣) ينظر اللهجات العربية في التراث ١ / ٥٥، وما بعدها، ١١٥، وما بعدها، ودراسات في فقه اللغة ٥٩، وما بعدها.

الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة أن سبب ذلك يعود إلى أن هذه المظاهر المشتركة قد انحدرت إلى هذه اللهجات العربية الحديثة من لهجات عربية قديمة كانت في شبه الجزيرة العربية ، ثم انتقلت إلى الأقاليم العربية مع تلك القبائل التي انتقلت إليها من الجزيرة العربية إبان الفتوح الإسلامية والعصور التي تلتها^(٣٤).

وإذا كان التأثير اللهجي للقبائل القديمة في الجزيرة العربية لا يزال ممتداً ترى ملامحه واضحة في لهجات المتكلمين بالعربية في أنحاء الوطن العربي اليوم ، رغم ما حصل للعرب فيها من اختلاط بالأمم الأخرى قديماً وحديثاً ، فإن هذه الملامح ستكون أكثر ظهوراً ونقاء وأصالة في لهجات عرب الجزيرة العربية اليوم ؛ فهؤلاء العرب في الغالب هم بقايا القبائل العربية القديمة التي ظلت في جزيرتها ولم تهاجر ، ويزداد هذا النقاء والأصالة في لهجات سكان وسط الجزيرة ، أعني منطقة نجد التي يشغل القصيم مساحة شاسعة من وسطها ؛ لأن هذه المنطقة ظلت قروناً طويلة - قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها المملكة العربية السعودية اليوم - معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية ؛ فطبيعتها الجافة الصحراوية ، وتدني مقوماتها الاقتصادية والجغرافية جعلها بمنأى عن المطامع الخارجية ، فعاش أهلها - إلا أفراداً منهم ، كالتجار وطلاب العلم والمسافرين للبحث عن العمل - عزلة عن العالم الخارجي ، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجاتهم ؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي ، لا نراه في غيرها من اللهجات العربية المعاصرة ، خاصة في مستواها الدلالي ، ثم الصوتي والصرفي ، يدرك ذلك من يستمع إليها ، ممن يكون على علم بالعربية الفصحى ولهجاتها التي رصدها قدماء اللغويين ، ولعلي لا أجنب الصواب عندما أقول : إنه يقل أن تجد مظهراً لهجياً فاشياً في اللهجات النجدية اليوم - والقصيمية واحدة منها -

(٣٤) ينظر لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٣١ - ٣٢.

خاصة في مستوياتها الثلاثة المشار إليها إلا وتجده أصلاً من لهجات القبائل العربية القديمة، ولئن أحدثت الطفرة الاقتصادية التي يعيشها المواطنون السعوديون اليوم - ومنهم أهل نجد - ما أحدثته من أثر واضح على لهجاتهم، فإن اللهجات النجدية لا تزال إلى يوم الناس هذا تتمتع بقسط وافر من أصالتها، خاصة في جانبها الدلالي المعجمي^(٣٥)؛ لأن المظاهر الدلالية في اللغات واللهجات أكثر قدرة من المظاهر الأخرى على مقاومة التغيرات المختلفة والتأثيرات الخارجية، ولذا تكون آخر معاقل اللغة أو اللهجة المهزومة سقوطاً في حالة الصراع اللغوي^(٣٦).

إن اللغة المحكية المعاصرة في نجد ليست على مستوى واحد، بل تشيع فيها مظاهر لهجية متنوعة؛ خاصة في المستويين الصوتي والصرفي، وهي مظاهر واضحة مميزة لأصحابها، يدركها عامة الناس بله اللغويين المتخصصين؛ فالحاضرة من أهل نجد لهم لهجات متباينة، تنسب إلى الأقاليم النجدية، فيقال مثلاً: لهجة أهل

(٣٥) ألف شيخنا معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي - متعه الله بالصحة والعافية - معجماً ضخماً يقع في ثلاثة عشر مجلداً، سماه (معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة)، صدرت أولى طبعاته في عام ١٤٣٠هـ.

(٣٦) عرف المهتمون هذه الميزة للهجات الجزيرة العربية؛ فجاء في الفقرة الثالثة من توصيات ندوة (ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية) التي عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض، في المدة من ٢٣- ٢٥ / ٥ / ١٤١٦هـ، الموافق ١٧- ١٩ / ١٩٩٥م - وكنت ممن شارك فيها - ما نصه: "التأكيد على أن الجزيرة العربية هي بيئة الفصحاء والبلغاء، وأنها لا تزال مرجعاً للاستيثاق من أصالة المفردات، وسلامة مخارج الحروف، وأن اللغة العامة فيها وإن أخطأت الفصح في التركيب، فإنها لا تخطئه في اللفظ المفرد، على أن يُربط ذلك كله بالأخذ بأسباب الريادة اللغوية".

الرياض، لهجة أهل القصيم، لهجة أهل سُدير^(٣٧)، بل إن بعض البلدات والقرى في الإقليم الواحد تشيع فيها أحياناً مظاهر لهجية تخالف اللهجة السائدة في بقية الإقليم، كما أن البوادي لهم لهجات متباينة أيضاً، تنسب عادة إلى القبائل، فيقال مثلاً: لهجة قبيلة الدَّوَّاسِر، لهجة قبيلة شَمَّر، لهجة قبيلة عُتَيْبَة^(٣٨)، وهذه اللهجات على وجه العموم تضرب بجذورها إلى اللهجات العربية القديمة، واختلافها امتداد لاختلاف لهجات القبائل العربية التي رصدها ودونها قدماء اللغويين، كما تقدم بيانه قبل قليل، ولا عجب في هذا؛ فبلاد نجد من أهم المواطن التي أمَّها جُماع اللغة الأوائل لتدوين الفصح^(٣٩)، وما أهلها اليوم إلا أبناء أهلها بالأمس.

وإذا كانت بلاد نجد هي قلب جزيرة العرب، فإن منطقة القصيم التي يعنى هذا البحث بربط بعض المظاهر اللهجية فيها بجذورها العربية القديمة تشغل مساحة شاسعة من وسط هذا القلب^(٤٠)، ولذا فاللهجة القصيمية المعاصرة سائرة على منوال بقية اللهجات النجدية مطبوعة بطوابعها؛ فالمتأمل في مظاهرها يجد كثيراً منها امتداداً للهجات نسبها اللغويون الأوائل إلى القبائل العربية، ففيها مثلاً مما نسبوه إلى تميم وإلى

(٣٧) سُدير: ينطقه أهل نجد اليوم: سُدير، بإسكان أوله مع همزة وصل مكسورة، وأكثرهم يُميل فتحة الدال نحو الكسرة - إقليم من أكبر أقاليم اليمامة، في وسط نجد، قاعدته مدينة المجمعة، ينظر ما جاء عنه في معجم اليمامة ١٨/٢.

(٣٨) ينظر تعريف بهذه القبائل في معجم قبائل المملكة العربية السعودية ٢٠٥/١، ٣٥٥، ٤٤٩/٢، على الترتيب. وعُتَيْبَة تُنطق اليوم: عُتَيْبَة، بإسكان أوله مع همزة وصل مكسورة، وبعض أفرادها يبدلون الياء ألفاً: عُتَابَة.

(٣٩) ينظر رواية اللغة ٨٣ - ٨٥.

(٤٠) سبق الحديث عن القصيم وموقعه في التمهيد رقم ١.

فَيَسَّ وإلى طَيِّ وغيرها^(٤١)، وبحثنا هذا منصب على أثر هذه الأخيرة، كما هو واضح من عنوانه.

إن اللهجة القصيمية المعاصرة التي أقصدها في هذا البحث، وأحاول ربط بعض المظاهر اللهجية الشائعة فيها بأصولها القديمة هي لهجة الحاضرة من أهل القصيم؛ فالقصيم في عمومها لا يشكل وحدة لهجية واحدة، بل تشيع في بعض أمكنته مظاهر لهجية لا تشاركها فيها أمكنته الأخرى؛ فهو إقليم من أكبر الأقاليم التجدية وأكثرها سكاناً^(٤٢)، ولزيت من التحديد أقول: إن هذا البحث منصب على وحدة لهجية واضحة معروفة، إذا أطلق اسم (اللهجة القصيمية) فإنه لا ينصرف إلا إليها حتى في أذهان العوام فضلاً عن ذوي الاهتمام، وهي وحدة لهجية تنتظم إلى حد كبير جداً مدنه الأربع الكبار على وجه الخصوص؛ بُرَيْدَة وَعُنَيْزَة والرَّس والبُكَيْرِيَّة^(٤٣)، وعموم البلدات والقرى التي يسكنها الحاضرة من أهله، كالبَدائع والخَبراء والشماسية والمذنب^(٤٤) وغيرها، لا أستثني من هذا إلا بعض بلداته وقراه الشمالية، في منطقة الجواء، كعُيُون الجواء وأثال^(٤٥)، أو الشمالية الشرقية في الأسياح، أعني عَيْن ابن

(٤١) تتبع آثار اللهجات العربية القديمة في اللهجة القصيمية المعاصرة، وسوف أنشرها في بحوث مستقلة بإذن الله.

(٤٢) سبق الحديث عن القصيم وموقعه ومساحته وعدد سكانه في التمهيد رقم ١.

(٤٣) تنظر: أحاديث موسعة عن هذه المدن في معجم بلاد القصيم ٤٥٦/٢، ١٦٣٨/٤، ١٠٢٣/٣، ١٠٢/٢، ٦٢٠، على الترتيب.

(٤٤) تنظر: أحاديث موسعة عنها في معجم بلاد القصيم ٤٤١/٢، ٨٦٣/٣، ١٢٧٢/٤، ٢٢٢٩/٦، على الترتيب.

(٤٥) تنظر: أحاديث موسعة عنها في معجم بلاد القصيم ١٧٨٣/٤، ٢٨٤/١، على الترتيب.

فُهَيْد وأبا الدُّود^(٤٦) وما بينهما من قرى الحاضرة ؛ ففي هذه البلدات والقرى تشيع بعض الظواهر اللهجية التي لا توجد في سائر مدن القصيم وقراه^(٤٧) ، وسوف أنبه على ما يعرض لي من هذا في ثانيا البحث.

أما لهجة بادية القصيم ممن يعيشون في براريه أو في هجره^(٤٨) أو استوطنوا حديثاً في مدنه فتختلف اختلافاً واضحاً عن لهجة حاضرتهم ، ثم إن البوادي في نجد لا تنضبط نسبتها إلى منطقة دون أخرى ؛ لأنها كانت إلى وقت غير بعيد غير مستوطنة ، بل تجوب مناطق نجد وغيره ، فهي لم تستقر في الحواضر والقرى إلا بأخرة^(٤٩) ، بعد أن أفاء الله على أهل البلاد السعودية ما أفاء من الازدهار الاقتصادي الذي غيّر في

(٤٦) تنظر : أحاديث موسعة عنها في معجم بلاد القصيم ١ / ٣١١ ، ٤ / ١ ، ١٧٧٢ / ٢٤٨ ، على الترتيب ، وقبل بضع سنوات رأى جماعة ممن يسكنون أبا الدود تغيير اسمه ليصبح أبا الوُرود ، وسعوا إلى الجهات الرسمية في هذا فتم لهم ، وإنما فعلوا هذا اعتقاداً منهم بقبح الاسم الأول ، لأن الدُّود في اللهجة المحلية اسم للرائحة الكريهة ، وفي نظري أنهم تسرعوا في هذا ؛ لتغييرهم اسم علم قديم معروف مرتبط بأحداث تاريخية للمنطقة نصت عليها كتب التاريخ ، ولأن معنى الدُّود المشار إليه معني لا وجود له في معاجم الفصحى ، فالدُّود فيها جمع دُودة ، وإنما أطلق العامة على الرائحة الكريهة دُوداً لأنه يغلب على ما يتولد فيه الدُّود من طعام وغيره أن تكون له رائحة كريهة ، وهذا الموضع إنما سمي بهذا الاسم لأن ماء المطر يطول لبثه فيه فيتولد عنه الدُّود ، واسمه القديم أبو الدّيدان ، ينظر معجم بلاد القصيم ١ / ٢٤٩ .

(٤٧) تنظر إشارات إلى هذا الاختلاف الذي تتميز به لهجة أهل منطقة الجواء في معجم بلاد القصيم ٢ / ٧٦١ .

(٤٨) الهجر جمع هجرة ، والهجرة في عرف أهل نجد اليوم : القرية التي سكانها من البادية ، وهو عرف حديث نسبياً ، ظهر بعد مشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز - رحمه الله - وكانت بدايته في حدود سنة ١٣٣٠هـ .

(٤٩) بدأ هذا الاستقرار بمشروع توطين البادية الذي قام به الملك عبد العزيز - رحمه الله - في حدود سنة ١٣٣٠هـ .

حياتهم وأساليب عيشهم وثقافتهم ما غير، يضاف إلى هذا أن البوادي التي استقرت في القصيم وغيره ليست على لهجة واحدة، بل بينها فوارق لهجية لا تخفى على سائر الناس، بله اللغوي الخبير، ولذا ينبغي عند تمييز لهجات البادية أو دراستها ألا يكون الضابط مبنياً على المكان، بل على القبيلة، كأن يقال مثلاً: لهجة قبيلة كذا، فإن كانت القبيلة كبيرة كثيرة العدد منتشرة في أكثر من منطقة، وليس لها وحدة لهجية، فلا بأس من المزوجة بين الضابطين، المكاني والقبلي النسبي، فيقال مثلاً: لهجة قبيلة حَرَب في القصيم، أو لهجة قبيلة حَرَب في الحجاز، وما شابه.

والقصيم الذي نعني الآن بدراسة لهجة حاضرتة أصبح بفعل ما يتمتع به من مقومات معيشية متنوعة، وما يعيشه من ازدهار اقتصادي من مناطق الجذب السكاني في المملكة العربية السعودية، حيث استوطنت مدنه وقراه خلال الأربعين سنة الماضية أعداد كبيرة من الناس بادية وحاضرة لم يكونوا من أهلها في الأصل، ويعمل فيها أيضاً عدد كبير من غير السعوديين من جنسيات عربية وغير عربية، وهو أمر أدى إلى نشوب صراع لهجي بين لهجة أهله الأصليين التي يخصها هذا البحث وبين اللهجات الأخرى المتعددة لمستوطنيه الجدد، فأثرت كل من هذه اللهجات المتصارعة وتأثرت بنسب متفاوتة، مما أدى إلى تغير بعض معالمها، يحدث هذا ضمن إطار حقيقة لغوية بدأت تشرق شمسها على اللهجات المحلية للبادية والحاضرة في المملكة العربية السعودية، حيث بدأت تهب على هذه اللهجات رياح تغيير قوية، تحركها ظروف عديدة، من أهمها التعليم والإعلام، وابتعاد الناس تبعاً لمصالحهم عن بيئاتهم الأصلية التي نشؤوا فيها، واختلاطهم في المدن الكبيرة، ونشأة أجيال جديدة في هذه المدن، مما جعل جليد الفوارق اللهجية يبدأ بالذوبان، وقلاعها التي تحرسها سيطرة البيئات الخاصة لا تصمد لجيوش التغيير، وكل ذلك مؤذن بحقبة امتزاج لهجي بدأنا

نراه واضحاً للعيان في خطاب الأجيال الشابة وكتابات غير الرسمية، مما يكتب على شبكة الإنترنت وغيرها، ويبدو لي أن هذا الأمر ليس مقصوراً على المملكة العربية السعودية، بل يمكن طرده على بقية دول الوطن العربي، وإن تفاوت في وضوحه من دولة إلى أخرى؛ تبعاً للظروف التي تحيط بالمجتمعات العربية في تلك الدول؛ فالمجتمع واللغة يتبادلان أثراً عكسياً.

٣- قبيلة طَيِّ نَسبها، منازلها، هُجَّتْها وعلاقتها باللهجة القَصِيْمِيَّة

طَيِّ قبيلة قحطانية كبيرة، فهم أولاد طَيِّ - وهذا لقبه، واسمه جُلْهُمة - بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُريْب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرَب بن قَحْطَان. وفي بعض أفراد هذه السلسلة النسبية خلاف بين المصادر إثباتاً وحذفاً وتقديماً وتأخيراً^(٥٠)، وفيها أيضاً خلاف في سبب تلقيب طَيِّ بهذا اللقب^(٥١).

وتتفرع طَيِّ إلى ثلاثة فروع رئيسة؛ هم: بنو فُطْرَة، وبنو العَوْث، وبنو الحارث، وتتفرع من هذه الفروع بطون وأفخاذ مستقصاة في كتب النسب، لا داعي للحديث عنها هنا^(٥٢).

أول مساكن طَيِّ هو اليَمَن^(٥٣)، فهي من القبائل اليمنية التي هاجرت من اليَمَن شمالاً بعد سيل العَرَم^(٥٤) وانهدام سَدِّ مَأْرَب قبل الإسلام بقرون^(٥٥)، فسكنت بلاد

(٥٠) يقارن بين ما جاء في جمهرة أنساب العرب ٣٩٨، ٤٧٦، ونهاية الأرب ٢٩٧، واللسان (طو) ١ / ١١٦، والتاج (طو) ١ / ٢٣٠.

(٥١) ينظر الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠، واللسان (طو) ١ / ١١٦، والتاج (طو) ١ / ٢٣٠، وقد استقصى المصدر الأخير أقوال العلماء في هذه المسألة.

(٥٢) ينظر جمهرة أنساب العرب ٣٩٨، ٤٧٦، ونهاية الأرب ٢٩٧، ومعجم قبائل العرب ٢ / ٦٨٩.

(٥٣) وكانت لهم فيه مواضع، مثل: الشَّحْر، والجَوْف، ينظر معجم البلدان ١ / ٩٤ - ٩٩، واللهجات العربية الغربية القديمة ٣٤٢.

الجَبَلَيْن - وهما أجا وسلَمَى - في شمالي نجد^(٥٦)، ويظهر أنها بعد خروجها من اليَمَن وفي طريقها إلى بلاد الجَبَلَيْن سكنت - هي أو بعض فروعها - مناطق أخرى في تهامة والحجاز ونَجْد، ولكنها لم تستقر بها^(٥٧)، ثم كان لفروع من طَيِّيّ هجرات من بلاد الجَبَلَيْن بعد الإسلام، فسكنوا العراق والشام ومصر والأندلس^(٥٨)، لكن بلاد الجَبَلَيْن هي موطن هذه القبيلة الذي عرفت به وعرف بها، حيث ارتبط اسم الجَبَلَيْن قديماً بها فعرفا بِجَبَلَي طَيِّيّ^(٥٩)، كما ارتبط اسمهما حديثاً بفرع كبير من فروعها، هو قبيلة شَمَر^(٦٠)، التي ظلت تسكن هذه البلاد حتى العصر الحديث، حيث أصبح الجبلان يعرفان عند العرب المحدثين بِجَبَلَي شَمَر أو بِجَبَل شَمَر^(٦١)، ولا تزال قبيلة شَمَر تسكن

= (٥٤) ينظر معجم البلدان ٩٤/١ - ٩٩.

(٥٥) ينظر ما جاء عن هذا السد واجتياح سيل العَرَم له في: تفسير الطبري ٧٨/٢٢، والبداية والنهاية ٢/١٥٨، والقاموس الإسلامي ٣/٢٨٣، والموسوعة العربية الميسرة ١/٩٧٤، وأطلس القرآن الكريم ١٤٧.

(٥٦) يخطئ بعض من يعرض للهجات من معاصري اللغويين عندما يحددون موقع الجبلين بأنه في الحجاز أو في شماليه ينظر مثلاً اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٢٧، أو يختارون في تحديده بين نجد والحجاز ينظر مثلاً لغة طَيِّيّ وأثرها في العربية ٢٩؛ وذلك لعدم رجوعهم إلى المراجع الجغرافية الحديثة المختصة، واعتمادهم فقط على أقوال بعض البلدانين القدماء ممن لم يعرفوا هذه الديار عن قرب.

(٥٧) ينظر معجم البلدان ٩٧/١، ومعجم بلاد القصيم ٢٣٩٢/٦.

(٥٨) ينظر جمهرة أنساب العرب ٣٩٨، ٤٠٤، ومعجم البلدان ٢/٢٠٧، ٤/١٧١، وسبائك الذهب ٢٤٧.

(٥٩) ينظر صفة جزيرة العرب ٥٨ - ٥٩، ومعجم ما استعجم ١/١٠٩، ٣/٧٥٠، ومعجم البلدان ٩٤/١.

(٦٠) ينظر معجم قبائل المملكة العربية السعودية ١/٣٥٥، وكنز الأنساب ١٦٧، وعشائر العراق ١/١٢٧، وموسوعة عشائر العراق ٢/٢٦ - ٢٧.

(٦١) على ثنائية المضاف أو على إفراده، والإفراد أكثر استعمالاً، ينظر قلب جزيرة العرب ١٢، والبلاد العربية السعودية ١٨٦، وشبه جزيرة العرب (نجد) ٧٥.

بلاد الجَبَلَيْن وتختص بأكثرها إلى يوم الناس هذا، وإن كانت فروع منها قد هاجرت في أوقات مختلفة من العصر الحديث وقبله واستقرت في الشام والعراق^(٦٢).
 وجَبَلَا طَيِّئٌ، جبل أجا وجبل سَلَمَى علما في شمال نَجْد، يعدان من أشهر جبال نجد، ومعروفان باسميهما قديماً وحديثاً، وقد تردد ذكرهما كثيراً في الشعر العربي الجاهلي منه والإسلامي^(٦٣)، ولقيا عناية من الجغرافيين العرب القدماء، فذكروهما، وحددُوهُما، وتحدثوا عن سكانهما^(٦٤)، كما لقيا أيضاً عناية من الباحثين المحدثين^(٦٥)، ومنطقتيهما التي كانت تعرف ببلاد الجَبَلَيْن، كما تقدم، تسمى اليوم منطقة حائل، وهي إحدى المناطق الكبيرة في المملكة العربية السعودية^(٦٦)، وهي المنطقة التي تشكل الجزء الشمالي من نَجْد، حيث يقع الجبلان في شمال مدينة حائل عاصمة المنطقة.

(٦٢) ينظر معجم قبائل العرب ٢ / ٦٠٩، وموسوعة عشائر العراق ٢ / ٢٧.

(٦٣) ينظر معجم ما استعجم ١ / ١٠٩، ٣ / ٧٥٠، ومعجم البلدان ١ / ٩٤ - ٩٩، وصحيح الأخبار ٣ / ١٣١ - ١٣٨، ومعجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر ١٢٢ - ١٢٨.

(٦٤) ينظر ما جاء عنهما في: معجم ما استعجم ١ / ١٠٩، ٣ / ٧٥٠، والأماكن ١ / ٤٩، ٥٤٤، ومعجم البلدان ١ / ٩٤، ٣ / ٢٣٨.

(٦٥) ينظر صحيح الأخبار ١ / ٩٣، ٣ / ١٣١، والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ١ / ٥٠، ٢ / ٦٨٢، ومعجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر ١٢٢ - ١٢٨.

(٦٦) حائل في الأصل اسم لواء من أودية جبلي طَيِّئ، وهو اليوم اسم لمدينة كبيرة سميت منطقتها كلها باسمها، نشأت في موضع الوادي المذكور فسميت باسمه، وكانت تسمى في بدء أمرها قرية حائل، ثم حذف المضاف، فصار اسمها مطابقاً لاسم الوادي، وهي اليوم عاصمة المنطقة، ونشأتها متأخرة بعد القرن الحادي عشر الهجري، وكانت عاصمة لإمارة آل رَشِيد، التي قامت عام ١٢٥١هـ، وانتهت عام ١٣٤٠هـ، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ١ / ٣٧٩ - ٣٩٤، وإمارة آل رَشِيد ٤٩، ١٨٩.

وأجا ليس جبلاً واحداً، كما قد يُتصور، بل سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقرب من مائة كيل في عرض خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين كيلاً، وتتخللها شعاب كثيرة، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون.

وسَلَمَى كذلك، سلسلة جبال تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي بما يقرب من ستين كيلاً وعرض ثلاثة عشر كيلاً، وفيها أودية واسعة ذات نخل، وتتخللها طرق للسيارات^(٦٧).

ومن مواضع بلاد الجَبَلين - منطقة حائل الآن - التي ذكرها القدماء، ولا تزال مأهولة معروفة بأسمائها إلى يومنا هذا، وتسكنها قبيلة شَمَر سليله قبيلة طَيِّى : الأَجْفَر وتُوَز وجَبّة وعُقْدَة وفَيْد ومَوْقَق، وغيرها^(٦٨).

ولا يتسع المقام هنا لتوصيف لهجة طَيِّى (لغتها)^(٦٩)، أو تتبع مظاهرها؛ فهو أمر يحتاج إلى دراسات خاصة تطول، ولكن الذي أحب أن أنبه عليه هنا أن هذه اللهجة قد حظيت بمكانة كبيرة عند علماء اللغة وجماعها الأوائل؛ فطَيِّى هي القبيلة القحطانية الوحيدة التي ذكرت في القبائل التي أخذت عنها اللغة؛ حيث نصوا على أن

(٦٧) ينظر ما جاء عن الجبلين في: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ٥٠/١، ٦٨٢/٢، ومعجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر ١٢٢ - ١٢٨.

(٦٨) ينظر ما جاء عنها في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ٥٤ / ١، ٢٦٥، ٣٠٨، ٩٢٤ / ٣، ١٠٤٧، ١٢٨٨، على الترتيب.

(٦٩) يستعمل مصطلح اللغات ومفرده لغة عند اللغويين القدماء للتعبير عن الفروق المختلفة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية داخل اللغة الواحدة، فيقولون مثلاً: لغة تَمِيم، لغة طَيِّى، لغات العرب، كما يستعملونه للتعبير عن اللغات المستقلة المختلفة، فيقولون مثلاً: لغة الفرس، لغة الروم، في حين يميل أكثر اللغويين المحدثين إلى التفريق في هذه المسألة؛ فيطلقون على الفروق المختلفة داخل اللغة الواحدة مصطلح اللهجات ومفرده لهجة، ويخصون مصطلح اللغات ومفرده لغة باللغات المستقلة.

"الذين عنهم نقلت العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قَيْسٌ وَتَمِيمٌ وَأَسَدٌ، فإن هؤلاء هم الذين أكثر ما أخذ عنهم ومعظمه، وعليهم اتُّكِلَ في الغريب والإعراب والتصريف، ثم هُذِلَ وبعض كِنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم" (٧٠).

وواضح من النص أن أخذ اللغة لم يشمل كل قبيلة طيِّية، ويبدو أن المستثنين من الأخذ هم فروع طيِّية الذين سكنوا الحواضر والقرى، مثل بني جُوَيْنَ وبني نُبَهاً (٧١)؛ لأن اللغويين صرحوا بأن اللغة لم تؤخذ عن حضري قط (٧٢).

ويصرح بعض اللغويين القدماء بفصاحة طيِّية والإعجاب بلهجاتها، من ذلك قول الجاحظ (عمرو بن عثمان ت ٢٥٥ هـ): "أخبرني بعض فصحاء طيِّية... " (٧٣)، وقول أبي عُبَيْد (القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ): "ويقال: إن طيِّية لا تأخذ من لغة، ويؤخذ من لغاتها" (٧٤).

ويمتد هذا الإعجاب إلى اللغويين المحدثين من عرب وغيرهم، ممن لهم عناية باللهجات العربية، فيخصها بعضهم بدراسة مستقلة، ومنهم المستشرق (تشيم رابن) الذي أفرد لها فصلاً في كتابه (اللهجات العربية الغربية القديمة) (٧٥)، ومنهم الدكتور رمضان عبد التواب الذي خصها ببحث مستقل يربو على ثلاثين صفحة، نشره ضمن

(٧٠) ينظر المزهري ١ / ٢١٠.

(٧١) ينظر لغة طيِّية وأثرها في العربية ٦٠ - ٦١.

(٧٢) ينظر المزهري ١ / ٢١١.

(٧٣) ينظر البيان والتبيين ٢ / ١٥٧ - ١٥٨.

(٧٤) ينظر غريب الحديث ٤ / ١٠ - ١١.

(٧٥) ترجمه الدكتور عبدالرحمن أيوب، وصدرت هذه الترجمة عن جامعة الكويت عام ١٩٨٦ م.

كتابه (بحوث ومقالات في اللغة)^(٧٦)، يقول في هذا البحث: "تعد طيّ عند اللغويين والنحاة العرب من القبائل الفصيحة التي تؤخذ عنها اللغة"^(٧٧) وأفضل ما اطلعت عليه مما كتبه المحدثون عن هذه اللهجة كتاب (لغة طيّ وأثرها في العربية) للدكتور عبدالفتاح محمد^(٧٨).

أما الذين أبدوا إعجابهم بها ولم يخصصوها ببحوث مستقلة فمنهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول: "وربما كان أشهر القبائل في رواية اللهجات قبائل ثلاث، هي: تميم وهذيل وطيّ، وكلها من القبائل التي نسب لها الرواة الفصاحة وإجادة القول، واحتجوا بأقوالهم، وأخذوا عنهم في روايات عصر تدوين اللغة"^(٧٩)، بل إن بعض الباحثين المحدثين يذهب إلى أن لهجة طيّ قد تكون اللغة الأم للهجات العربية^(٨٠).

ومع هذا كله فإن لهجة طيّ قد اتسمت ببعض الظواهر التي عدها بعض اللغويين من غير الفصح^(٨١).

إن علاقة منطقة القصيم بقبيلة طيّ علاقة وثيقة مغللة في القدم، فبعض مواضع القصيم كانت من مساكنها قديماً، بل إن أسماء بعض هذه المواضع يعتقد أنها منسوبة إلى بعض فروع طيّ، كالتبّهانية التي يقال: إنها منسوبة إلى تبّهان بن عمرو،

(٧٦) صدرت طبعته الأولى عن مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.

(٧٧) ينظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٢٩.

(٧٨) صدرت طبعته الأولى عن دار العصماء بدمشق، عام ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م.

(٧٩) ينظر في اللهجات العربية ١٤٠ - ١٤١.

(٨٠) ينظر تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ٢٠ - ٢١.

(٨١) ينظر لغة طيّ وأثرها في العربية ٦٥.

وهو أبو حَيٍّ من طَيِّئ^(٨٢) ، كما أن بلاد الجَبَلَيْن التي تسمى اليوم منطقة حائل - وهي بلاد طَيِّئ ، كما سبق - هي المنطقة التي تحد منطقة القصيم من جهة الشمال ، وبين المنطقتين تاريخ طويل مشترك ، وعلاقات متنوعة ضاربة بجذورها في أعماقه ؛ سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، وإن كانت العلاقات السياسية قد مرت في العصر الحديث - قبل توحيد البلاد الأخير على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله - بتقلبات سادها في الغالب العداء والتنافس السياسي ، وإن تخللتها أيضاً فترات اتسمت بالود والتحالف^(٨٣) .

كما أن بين المنطقتين هجرات سكانية متبادلة قديمة وحديثة ، أملتھا ظروف مختلفة ؛ فكثير من الأسر المتحضرة المستوطنة في مدن القصيم وبلداته وقراه تنتمي إلى قبيلة شَمَّر^(٨٤) التي هي أحد الفروع الكبيرة لقبيلة طَيِّئ ، وهو الفرع الذي ظل أكثره

(٨٢) وهي بلدة عامرة في غرب القصيم ، ينظر معجم بلاد القصيم ٢٣٩٢/٦ .

(٨٣) يبدو أن التنافس بدأ عندما غزا أمير بُرَيْدَة وعموم القصيم عدا عُيْزَة حُجَيْلان بن حَمَد (ت ١٢٣٤هـ) بلاد الجَبَلَيْن عام ١٢٠١هـ ، ونشر فيها الدعوة السلفية ، وذلك في عهد الدولة السعودية الأولى ، ينظر روضة الأفكار والأفهام ٢ / ٨٦٥ ، وعنوان المجد ١ / ٢٦٠ ، ثم استمر هذا التنافس طوال فترة إمارة آل رَشِيد في حائل ، التي بدأت عام ١٢٥١هـ و انتهت عام ١٣٤٠هـ ، وكان من نتائجه معارك طاحنة ، مثل معركة بَقْعاء عام ١٢٥٧هـ ، ومعركة المُلَيْدَاء عام ١٣٠٨هـ ، وإن تخللت هذه المدة فترات من التحالف والود ، ومن أشهرها التحالف الذي تم في حدود عام ١٢٩٣هـ ، واستمر إلى حدود عام ١٣٠٦هـ ، ينظر في كل هذه الأحداث أو بعضها عنوان المجد ٢ / ١٨٨ ، وتذكرة أولي النهى والعرفان ١ / ٢٢٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٨٥ ، والأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ١٢٢ ، ٢٣٤ - ٢٧٠ ، وإمارة آل رَشِيد ١٢١ .

(٨٤) ينظر مثلاً جمهرة الأسر المتحضرة في نجد ١ / ٢٩ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٨٠ ، ٢٢٥ ، ٣٨٢ ، ٤٦٨ / ٢ ، ٥٠٨ ، ٥٥٥ ، ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٧٤ ، ٧٧٢ ، ٨١٦ ، ٨٩٤ ، وكنز الأنساب ١٧٨ - ١٧٩ ، ومنهاج الطلب ٦٧ - ٦٨ .

يسكن بلاد الجبَلين إلى يوم الناس هذا، كما تقدم بيانه، وبعض هذه الأسر تنتمي إلى فروع طائية أخرى، وخاصة بني لام الذين من فروعهم آل فَضْل وآل كَثِير وآل مُعَيَّرَة^(٨٥).

لهذا وذاك فلا عجب أن تنشب بين لهجتي المنطقتين صراعات لهجية، ينتج عنها تأثيرات متبادلة، وبحشي هذا إنما يعالج جانباً منها، فهو يرصد مظاهر لهجية معروفة في اللهجة القصيمية المعاصرة، يُعتقد أنها انتقلت إليها من لهجة طَيِّع السائدة قديماً في بلاد الجبلين.

المبحث الأول: المظاهر الصوتية

تعد المظاهر والفروق اللهجية التي ترجع إلى هذا المستوى من أهم ما يميز بين اللهجات العربية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، وقد نسب اللغويون لطَيِّع مظاهر لهجية وافقتها فيها اللهجة القصيمية تنتمي إلى الظواهر الصوتية التالية:

١- الإبدال

الإبدال مصدر للفعل أَبْدَلَ بمعنى غَيَّرَ، والمقصود به تغيير صوت من أصوات اللفظ بصوت آخر، سواء كان صوتاً صحيحاً أم معتلاً^(٨٦)، ولذا عَرَفَه القدماء بأنه إقامة حرف مكان حرف آخر^(٨٧).

(٨٥) ينظر مثلاً كنز الأنساب ١٨٨ - ١٨٩، ٢١١، ومنهاج الطلب ٥٩، ٩٥ - ٩٨، وجمهرة الأسر المتحضرة في نجد ١ / ١٢٥، ١٧٥، ٣٨١ - ٣٨٢، ٤٢١، ٤٢٤، ٥٢٠ / ٢، ٥٨٩، ٦٤٦، ٦٨٥، ٧٨٧، ٧٥٩، ٦٩٣.

(٨٦) ينظر معجم الصوتيات ١٣.

(٨٧) ينظر شرح الفصل لابن يعيش ٧ / ١٠، وشرح الشافية للرضي ١٩٧ / ٣.

ويفرق اللغويون بين نوعين منه، هما: الإبدال اللغوي الذي يكون بسبب التطور الصوتي أو اختلاف اللهجات^(٨٨)، ولا يُحدّ بحروف معينة^(٨٩)، والإبدال الصرفي الذي هو ضرورة تصريفية، يُلجأ إليها بغية تيسير اللفظ وتسهيله، أو الوصول به إلى الصورة التي يشيع استعمالها، ويكون في حروف معلومة^(٩٠)، كقولنا: اضطرب، والأصل: اضطرب^(٩١).

واللغوي يُعرّف بأنه اتفاق كلمتين في جميع الحروف عدا واحد مع تناسب المعنى بين اللفظين، كقولهم: مدّح ومدّه، وأرقت الماء وهرقته^(٩٢) وهو ظاهرة سماعية ليس لها أقيسة تضبطها، كما هو حال الصرفي، ومع اتفاق اللغويين على وجوده في اللغة العربية، فقد ذهب جمهورهم إلى تحققه بوجود لفظين متفقين في دلاليتهما وفي حروفهما عدا حرف واحد، في حين اشترط بعضهم لتسميته بالإبدال شروطاً^(٩٣)، يعيننا منها هنا شرط واحد، هو أن يستعمل اللفظان في بيئة لهجية واحدة، فلا يكونان أثراً من آثار اختلاف اللهجات العربية، ومن هؤلاء أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي رفض أن يكون هناك إبدال بين (كَشَط) و (قَشَط)؛ لأن الأولى لهجة قریش، والثانية لهجة تميم وقيس^(٩٤).

(٨٨) ينظر ظاهرة الإبدال اللغوي ٣١.

(٨٩) ينظر المزهري ٤٦١/١، ونشوء اللغة العربية ونموها واکتھالها ١٨.

(٩٠) وإن اختلف فيها العلماء زيادة ونقصاً؛ قارن بينها في كل من: كتاب سيبويه ٢٣٧/٤، والمفصل للزمخشري ٣٦٠، وشرح ألفية ابن مالك لابن النازم ٣٣٥.

(٩١) القاعدة الصرفية توجب إبدال تاء الافتعال طاء إذا وقعت بعد أحد الحروف المطبقة، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء.

(٩٢) ينظر ظاهرة الإبدال اللغوي ١١..

(٩٣) ينظر حديث مفصل عن هذه الشروط في ظاهرة الإبدال اللغوي ٣١.

(٩٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ٢٧٧/١.

والإبدال المروي عن طيّ وله وجود الآن في اللهجة القصيمية يمكن تقسيمه إلى

قسمين :

أ) إبدال يقع بين الصوامت

وهي الحروف عدا حروف المد، وقد وجدت منه ما يلي :

- إبدال الواو والياء المتحركتين بعد كسرة ألفاً :

المشهور في كلام العرب أن الواو والياء إذا تحركتا وكان ما قبلهما مفتوحاً تبدلان ألفين^(٩٥)؛ فأصل (رَمَى) هو (رَمَيَ)، و (قَفَا) هو (قَفَوَ)، فإن كان ما قبلهما مكسوراً أو مضموماً بقيتا على أصلهما، مثل: بَقِيَ، حَفِيَ، رَضِيَ، سَرَوَ، أي صار سَرِيّاً. وقد ذكر اللغويون عن طيّ أنها تجري هذا الإبدال حتى مع كون ما قبل الياء مكسوراً أو مضموماً، في الأفعال والأسماء؛ ففي الأفعال يقولون في بَقِيَ: (بَقَا)^(٩٦)، وفي فَنِيَ: (فَنَا)، وفي وَلِيَ: (وَلَى)، وفي لَقِيَ: (لَقَا)^(٩٧)، يبدلون الياء ألفاً في كل هذه الأفعال، فإذا أسندوها إلى المؤنث قالوا: (بَقَتْ وَلَقَتْ...) ^(٩٨)، بدل: بَقِيَتْ وَلَقِيَتْ، بحذف الياء؛ لأنه لا يمكن إبدالها ألفاً بسبب التاء الساكنة ^(٩٩)، وفي الأسماء

(٩٥) ينظر شرح الشافية للرضي ١١٠/٣، والمزهر ٣٨/٢.

(٩٦) ينظر الجمهرة ٥٢٢/١، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢٧٨/٢، والصحاح (بقي) ٢٢٨٤/٦، ومقاييس اللغة ٢٦٧/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٦٦/١، وشمس العلوم ١٧٨/١، وشرح المفصل ١١/٢، وشرح الشافية للرضي ١١١/٣، ١٦١، ١٦٨، وتفسير القرطبي ٣٧٠/٣ والمزهر ٢١٧/١، ٣٨/٢، واللهجات العربية في التراث ٩٥-٩٧، ٥٣٢/٢، وفيه أنها تنسب أيضاً إلى بني الحارث بن كعب، وبحوث ومقالات في اللغة ٢٣٧، ولغة طيّ وأثرها في العربية ٧٥.

(٩٧) ينظر شرح شعر زهير بن أبي سلمى لثعلب ٥٩ - ٦٠، الجمهرة ٥٢٢/١، والمحكم ٥٠٥/٦، واللسان (فني) ١٦٤/١٥، والتاج (لقي) ٢٣٧-٢٣٦.

(٩٨) ينظر تفسير الطبري ٩٧/١١، والصحاح (بقي) ٢٢٨٤/٦.

(٩٩) ينظر تفسير الطبري ٩٧/١١.

يقولون في تَرْقُوةٍ وَعَرْقُوةٍ: (تَرْقَاةٌ وَعَرْقَاةٌ)^(١٠٠)، وقد اشتهرت نسبة هذه اللهجة إلى طَبَّيٍّ، ورواها عنها كثير من اللغويين، وإن ورد ما يشير إلى أن قبائل أخرى كانت تأخذ بها أيضاً^(١٠١).

ولهذه اللهجة شواهد من القراءات القرآنية، فقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٠٢)، قرئ في الشواذ: (وما بقا)^(١٠٣). ولها أيضاً شواهد من الشعر، منها قول زيد الخيل الطائي^(١٠٤):
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْعُلُكَ مَا بَقَا عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا
وقوله أيضاً^(١٠٥):

(١٠٠) ينظر تفسير الطبري ٩٧/١١، وما يجوز للشاعر في الضرورة ١٢٩، وبحوث ومقالات في اللغة ٢٣٧، ولغة طَبَّيٍّ وأثرها في العربية ١٦٨. والتَرْقُوةُ: عظم مشرف بين ثغرة النحر والعاتق، والعَرْقُوةُ: خشبة معترضة على أخرى، تكونان على فم الدلو يربط بهما الحبل، ينظر اللسان (ترق) ١٠/٣٢، و (عرق) ١٠/٢٤٨.

(١٠١) ينظر بالإضافة إلى المصادر التي وردت في الهوامش السابقة: شرح شعر شرح شعر زهير بن أبي سُلمى لثعلب ٥٩ - ٦٠، واللهجات العربية في التراث ٢/ ٥٣٤ - ٥٣٥، وبحوث ومقالات في اللغة ٢٤٠.

(١٠٢) البقرة ٢٧٨.

(١٠٣) قرأ بها الحسن البصري، ينظر تفسير القرطبي ٣/٣٧٠، والبحر المحيط ٧١٢/٢ والدر المصون ٦٣٧/٢، والشاهد في هذه القراءة استعمال الفعل بَقَا بدل بَقِيَ.

(١٠٤) ينظر شعر زيد الخيل ١١٦، وينظر منسوباً إلى الشاعر في النوار في اللغة ٢٧٩، وقوله: التَّصْعُلُكَ، أي الفقر، قَيْسِي: رجل من قَيْس، الأباغر: جمع بعير، يقول: لا أخشى عل نفسي الفقر مادام عند رجل من أعدائي القَيْسِيِّين إبل؛ لأنني أغير عليهم وأستولي عليها.

(١٠٥) ينظر شعر زيد الخيل ٦٧، وقوله: قاذعْتُ، أي هاجيته، وكان بين زيد وزهير بن أبي سُلمى ودٌّ، وبينه وبين ابنه كعب بن زهير بغضٌ، فهو يقول: لولا زهير لهجوت كعباً ما بقينا.

ولولا زهيرٌ أن أكَدَّرَ نِعْمَةً لَقَادَعْتُ كَعْبًا مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقَا

يريد: ما بقي.

وقول حَرِيٍّ بن عامر الطائي^(١٠٦):

وَأَسْمَرَ مَرَبُوعَ رَضَاهُ ابْنُ عَاذِبٍ فَأَعْطَى وَلَمْ يَنْظُرْ بَيْعِ جَلالٍ

يريد: رَضِيهِ.

وقول زهير بن أبي سلمى^(١٠٧):

تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا فَنَا الدُّحْلَانُ عَنْهُ وَالْإِضَاءُ

يريد: فَتَيَّ.

وقول الشاعر^(١٠٨):

لَمْ تَلْقَ خَيْلٌ مِثْلَهَا مَا قَدْ لَقَتْ مِنْ غِبِّ هَاجِرَةٍ وَسَيْرٍ مُسَادٍ

يريد: ما قد لَقِيت.

واللهجة القصصية المعاصرة تنحو في بعض الأفعال نحو هذا الإبدال؛ حتى لا يكاد يُنطق على الأصل، مثل الفعل لَقِيَ الذي ينطقه أهل القصيم (لَقَا)، وأكثر ما يستعملونه مضمناً معنى الفعل وَجَدَ، كقولهم: لَقَا الْوَلَدُ الدَّفْترَ، وقد يستعملونه

(١٠٦) ينظر النوادر في اللغة ٢٩٩، وشعر طَيِّع ٣٧٧/٢، وقوله: أَسْمَرَ مَرَبُوعَ، هو الرمح، جلال، هي جمع حَلَّة، اسم للبيوت المتجاورة.

(١٠٧) ينظر شرح شعر زهير بن أبي سلمى لثعلب ٥٩، وقوله: تَرَبَّعَ: أي لبث فصل الربيع، صارة: اسم موضع، الدُّحْلَانُ: جمع دَحْلٍ، وهو هُوَّة في الأرض يكون فيها الماء، وغالباً ما تكون ضيقة الأعلى متسعة الأسفل، الإِضَاءُ: الغُدران، والبيت يتحدث عن حمار وحشي.

(١٠٨) لم أجد من سماه، والبيت من غير نسبة في المحكم ٥٠٥/٦، و اللسان (سأد) و (لقى) ٣ / ٢٠١، ١٥ / ٢٥٤، على الترتيب، والتاج (سأد) ٨ / ٩٦، وقوله: مُسَادٍ، أي دَوْوب، يقال: أسَادَ السَّيرَ، أي أدأبه.

بدلالته المعروفة، وهي المقابلة، فيقولون: لَقَا الرَّجُلُ الضَّيْفَ، أي لَقِيَهُ، لكن الكثير عندهم إذا أرادوا به هذه الدلالة أن يأتوا به على صيغة فاعَل، فيقولون: لَاقَى الرَّجُلُ الضَّيْفَ.

في حين تزواج في أفعال أخرى بين الإبدال وعدمه، كما في الأفعال نَسِيَ، بَقِيَ، رَضِيَ، حيث ينطقها بعض أهل القصيم على أصلها دون إبدال، فيقولون: نَسِيَ الْوَلَدُ، وَنَسَيْتُ الْبَنْتَ، وَبَقِيَ طَالِبٌ، وَبَقَيْتُ طَالِبَةً، رَضِيَ الْوَالِدُ، وَرَضَيْتُ الْوَالِدَةَ، في حين ينطقها بعضهم على البدل، نَسَا وَنَسَتْ، وَبَقَا وَبَقَتْ، رِضَا وَرِضَتْ، لكن ينبغي التنبيه إلى أن أهل القصيم يكسرون أوائل هذه الأفعال - كما هو واضح من ضبطي لها - أو يميلونها نحو الكسر؛ وكأنهم يفعلون هذا فراراً من الثقل الناشئ من توالي الفتح، إذ الحرف الأول مفتوح من الأصل، والثاني فُتِحَ بسبب سبقه للألف التي جاءت بدلاً، والألف ما هي إلا فتحة طويلة، فتوالت ثلاث فتحات، والفعل المسند إلى المؤنث وإن لم يحدث فيه هذا التوالي بسبب الحذف الذي أشارت إليه قبل قليل فهو متأثر بالأصل، وهو المسند إلى المذكر، وهذا الكسر لم يذكره اللغويون الذين نسبوا هذا المظهر اللهجي إلى طيئ.

ونلاحظ كذلك أن اللهجة القصيمية لا تقف موقفاً واحداً في هذا الإبدال بالنسبة إلى الأفعال المبدوءة بحروف الحلق الستة، فهي تتركه في الأفعال المبدوءة باثنين منها، هي: الحاء والعين، فلا تنطق فيها إلا على الأصل، سواء كانت مسندة إلى المذكر أم إلى المؤنث، مثل الفعلين: حَمِيَ - بمعنى زادت حرارته - وَحَمَيْتُ، وَعَمِيَ وَعَمَيْتُ، اللذين ينطقهما أهل القصيم: حَمِيَ وَحَمَيْتُ^(١٠٩)، وَعَمِيَ وَعَمَيْتُ.

(١٠٩) أفادني الزميلان: د. عبد العزيز الخويطر و د. فريد الزامل السليم - وهما من أهل عُنَيْزَة - بأن أهل عُنَيْزَة لا يستعملون صيغة حَمِيَ، بل صيغة حَمَيْتُ، يقولون عن المذكر: حَمَيْتُ، وعن المؤنث:

أما الأفعال المبدوءة بالحرفين الثالث والرابع ، وهما الحاء والغين فتزواج فيها بين الإبدال وعدمه ، فالفعلان: خَفِيَ وخَفِيَتْ ، وغَلِيَ - بمعنى زاد ثمنه أو زادت الرغبة فيه - وغَلِيَتْ ، ينطقهما بعض أهل القصيم دون إبدال ، فيقولون: خَفِيَ وخَفِيَتْ ، وغَلِيَ وغَلِيَتْ ، في حين ينطقهما بعضهم على البدل ، فيقولون: خَفَا وخَفَتْ ، وغَلَا وغَلَتْ^(١١٠) ، لكن يجب التنبيه إلى أن المصادر اللغوية التي تحت يدي لم تذكر في الفعل الأخير إلا الصيغة المبدلة غَلَا^(١١١).

أما الأفعال المبدوءة بحرف الحلق الخامس ، وهو الهاء ، فيجري فيها في هذه اللهجة الإبدال فقط ، مثل الفعل: هَوِيَ - بمعنى أَحَبَّ - وهَوِيَتْ ، الذي ينطق فيها: هَوَى وهَوَتْ^(١١٢). ولا يحضرنى فعل شائع في هذه اللهجة مبدوء بالحرف السادس - وهو الهمزة - وآخره ياء أو واو مكسور ما قبلهما ، حتى يمكن التعرف على موقفها منه ، ويلحظ أن أهل القصيم لا يكسرون أوائل هذه الأفعال المبدوءة بحروف الحلق

=إِحْتَمَيْتَ ، في حين أفادني الزميلان ؛ د. محمد بن إبراهيم السَّيْف و د. زكريا التَّيْمِي - وهما من أهل الرُّس - بأن الوجهين شائعان في الرُّس ، و أفادني الزميل د. رُشود السُّلَمِي - وهو من أهل البُكَيْرِيَّة - بأنهما شائعان في البُكَيْرِيَّة أيضاً ، أما عندنا في بُرَيْدة فالوجهان شائعان ، و صيغة جَمِي أكثر.

(١١٠) أفادني الزميلان ؛ د. عبد العزيز الخُوَيْطَر و د. فريد الزامل السُّلَيْم - وهما من أهل عُنَيْزة - بأن أهل عُنَيْزة وخاصة الكبار منهم يلزمون الإبدال فلا يقولون إلا: خَفَا وخَفَتْ ، وغَلَا وغَلَتْ ، في حين أفادني الزميلان ؛ د. محمد السَّيْف و د. زكريا التَّيْمِي - وهما من أهل الرُّس - بأن الوجهين شائعان في الرُّس ، والإبدال أكثر ، و أفادني الزميل د. رُشود السُّلَمِي - وهو من أهل البُكَيْرِيَّة - بأنهما شائعان في البُكَيْرِيَّة ، والإبدال فيها أكثر أيضاً ، أما عندنا في بُرَيْدة فالوجهان شائعان بكثرة ، ويظهر لي أن عدم الإبدال أكثر.

(١١١) ينظر مثلاً: الأفعال ٢ / ٤٠ ، و اللسان (غلا) ١٥ / ١٣١ ، والتاج (غلا) ٣٩ / ٨٥.

(١١٢) لم تذكر كتب اللغة التي تحت يدي الصيغة التي حدث فيها الإبدال: هَوَى ، بل صيغة هَوِيَ فقط ، ينظر مثلاً: اللسان (هوا) ١٥ / ٣٧٢ ، والتاج (هوا) ٤٠ / ١٥٣.

عندما يُجرون فيها الإبدال كما يفعلون ذلك ببقية الأفعال ، كما تقدم ذلك قبل قليل ، بل يبقونها - كما هو واضح من ضبطي لها - مفتوحة على الأصل.

ومن شواهد هذا الإبدال من شعر العامة في القصيم قول محمد بن عبدالله العُوني^(١١٣):

قَضَيْتُ مَنْ المَخْلُوقَ مَا خُدِّ بِقَالِي إَلَّا أَنْتَ يَا إِلَهِي مَا يَخْلِي عَمِيلَهُ

(١١٣) هو محمد بن عبدالله العُوني ، شاعر فحل من شعراء العامية ، يعد أشهر شعراء نجد ، بل الجزيرة العربية كلها في زمانه ، وخاصة في الشعر السياسي ، فشعره وثيقة تاريخية لتاريخ نجد خاصة وجزيرة العرب عامة في وقته ، ومن هنا سمي الأديب فهد المارك كتابه الذي ألفه عنه ولا يزال مخطوطاً (تاريخ جيل وحياة رجل) ، ولد العُوني في الرُّبَيْعَةِ - وهي إحدى القرى التابعة لمدينة بُرَيْدَة - في حدود عام ١٢٨٥ هـ ، ولما شب واشتهر يقول الشعر أصبح له شأن عظيم عند زعماء وقته داخل الجزيرة العربية وخارجها ، تنقلت به أهواؤه السياسية فمدح ورفع ، وهجا ووضع ، ولكنه بقي مخلصاً شديد الإخلاص لوطنه القصيم ، وخاصة مدينة بُرَيْدَة ، أدى به تقلب هواه السياسي إلى السجن ؛ حيث أدخله الملك عبد العزيز سجن الأحساء في منتصف عام ١٣٤١ هـ ؛ لما أحس بخطر ما يقوله من شعر على وحدة البلاد ، فلبث فيه إلى أن توفي عام ١٣٤٣ هـ ، للعُوني قصائد مشهورة سارت بها الركبان ، وسميت بأسماء صارت بمثابة الأعلام ، منها قصائده : الخُلُوج ، والمُسْتَحِيطَة ، والتَّوْبَة ، والألفية وغيرها ، وله ديوان طبع أكثر من مرة ، ولكنه لا يضم إلا نزراً قليلاً من شعره ، فكثير من شعره يرويه الناس في نجد رواية ، ولكنه مع الأسف بدأ يضيع ويفقد بموت رواة ، تنظر : ترجمته في : تاريخ جيل وحياة رجل ، وهو كتاب خاص عن الشاعر ، كما تقدم ، وكتاب الشاعر محمد العُوني ص ٣ ، ومن شعراء بُرَيْدَة ١ / ٦٥ ، و معجم أسر بُرَيْدَة ١٦ / ٢٧٨ ، وخيار ما يلتقط من شعر النَّبَط ٢ / ٢٧١ .

والبيتان من قصيدته المشهورة عند المهتمين بالشعر العامي ، وهي المعروفة بالتوبة ، ينظر ديوانه ٤٤ ، ومعجم أسر بُرَيْدَة ١٦ / ٣٣٩ ، وقوله : قَضَيْتُ ، أي انتهيت ، عَمِيلُهُ : مُعَامِلُهُ ، والأصل في دلالة لفظ العَمِيل في اللهجة النجدية أنه المشتري الذي يعامل بائعاً أو صانعاً معيئاً ، لا يشتري إلا منه ، عادون : فعل أصله عاداني ، ثم اتصلت به واو الجماعة فحذفت الألف منه لالتقاء الساكنين ، وحذفت منه ياء المتكلم ، وحذفها مظهر لهجي فصيح لا يزال شائعاً في اللهجة القصيمية ، دَرَى : الدَّرَى هو ما تنقي به الشمس والرياح والمطر ، واستعماله هنا مجازي ، نَلْتَجِي له : نلتجئ إليه .

عَادُونُ كُلِّ الْخَلْقِ شَرْقُ وَ شِمَالِ وَلَا بَقَا غَيْرُكَ ذَرِّي نَلْتَجِي لَه

يريد: ما أَحَدٌ بَقِيَ لِي... وَلَا بَقِيَ غَيْرُكَ.

وقوله^(١١٤):

ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ مَا خَفَا بَيْنَهُنَّهْ وَالْخَيْلُ تَكْظُمُ بَيْنَنَا بِالْأَعْنَهْ

يريد: ما خَفِيَ.

وقول محمد القاضي^(١١٥):

(١١٤) ينظر الشاعر محمد العُوني ٨٢، ومعجم أسر بُريدة ١٦ / ٣١٠، والبيت من قصيدة طويلة تسمى المُستحيطة، وهي عبارة عن وثيقة سجلت بالتفصيل أحداث بدايات توحيد المملكة، وقوله: ثلاثة أشهر يشير إلى المدة التي سبقت معركة الشَّنانة، في عام ١٣٢٢هـ، حيث ظل الجيشان جيش الملك عبدالعزيز وجيش خصمه عبدالعزيز بن رشيد متقابلين مدة ثلاثة أشهر لا يحدث بينهما إلا مناوشات، ينظر تذكرة أولي النهى والعرفان ٢ / ٢٥، ما خفا بينهما: غير خاف ما حصل فيها، تَكْظُمُ... بالأعنه: تصبر بأعنتها، لا تفك عنها.

(١١٥) هو محمد بن عبدالله القاضي، من أسرة القاضي الأسرة التميمية المعروفة، شاعر فحل من شعراء العامية، ولد في مدينة عُنَيْزة عام ١٢٢٤هـ، يعد من أشهر شعراء نجد في وقته، ومع أن أكثر شعره في الغزل فله قصائد في أغراض أخرى اشتهرت وطارت بها الركبان، ورواها الناس في نجد، حتى إنه يندر أن تجد أحداً في نجد ممن له اهتمام بالشعر العامي إلا ويحفظ أطرافاً منها، ومن أشهر قصائده قصيدته في وصف القهوة، وقصيدته في وصف بلده عُنَيْزة، وقصيدته في الأنواء والنجوم، وله ديوان طبع مراراً، توفي في عُنَيْزة عام ١٢٨٥هـ، تنظر: ترجمته في: شاعر نجد الكبير محمد عبدالله القاضي، وهو أفضل كتاب ضم ديوانه وتكلم عن حياته، ومقدمة ديوانه الذي أخرجه الأستاذ عبدالله الحاتم، وخيار ما يلتقط من شعر النَّبْط ٢ / ١٤١، ومعجم الشعراء الشعبيين ٣٢٢.

والبيت من قصيدة رثى بها طلال بن رشيد، وعرج فيها على مدح عبدالله وسعود ابني الإمام فيصل بن تركي، ينظر شاعر نجد الكبير محمد بن عبد الله القاضي ٤٤٥، وجاء في المتن: هيبه سعود، وقد أثبت الرواية التي ساقها المحقق في الحاشية: لأنها - كما صرح هو - الأفضل، كما أن لفظ بقا رسم بالألف التي على صورة الياء، فأثبتته بالألف القائمة، كما كان اللغويون القدماء يفعلون في مثل هذه الحالة،

يَقَا مَا يَقَا النَّجْمُ الْيَمَانِيَّ عَلَى الْبَقَا بُهَيْبَةً سَعُودٍ يَأْمَنُ الْمَرْغَدَ الْغَافِيَّ

يريد: بَقِي ما بَقِيَ... على الْبَقَاء ، أي بَقِيَ الممدوح مدة بقاء هذا النجم.
وقوله أيضاً^(١١٦):

إِلَى اصْفَرَ لُؤْنُهُ ثُمَّ بَشَّتْ بِالْأَعْرَاقِ وَيَقَتْ كَمَا الْيَاقُوتُ يَطْرَبُ لَهُ الْمَوْقُ

يريد: بَقِيَتْ.

ومن شواهد عدم الإبدال قول سليمان بن شُرَيْم^(١١٧):

رَخِصَ الْحِصَانُ وَرَخِصُوا الطَّيِّينَ وَغَلِيَ الْحِمَارُ وَمَا إِشْتَبَهَ لَهُ مِنَ النَّاسِ

=ولأنه أوضح ؛ لبعده عن الإلباس ، وقوله : النَّجْمُ الْيَمَانِي ، هو سهيل ، على الْبَقَا : على الْبَقَاء ، يَأْمَنُ : يَأْمَنُ.

(١١٦) البيت من قصيدته المشهورة التي وصف بها إعداد القهوة ، وهو في ديوانه الذي أخرجه عبد الله الحاتم ص ٢٥ ، وقد حرف فيه لفظ بقت إلى بقيت ، وينظر اللفظ كما أثبتته في ديوانه ضمن الأزهار النادية ٢١/٦ ، لكنه جاء فيه بتشديد القاف ، وهو لا شك خطأ ، أما ديوانه المسمى شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي ص ٢٠١ ، فروايتة : صَفَرَا كَمَا الْيَاقُوتُ يَطْرَبُ لَهُ الْمَوْقُ... ، وسوف يرد هذا البيت مع آخر مشروحين عند الحديث عن حذف ألف الضمير (ها).

(١١٧) سليمان بن ناصر بن شُرَيْم - كذا ينطقونه ، وأصله : شُرَيْم - ، شاعر فحل من شعراء العامة ، أصله من أهل منطقة السَّر - وهي التي تحد الْقَصِيم من الجنوب - ثم نزح إلى الْقَصِيم ، فاستوطن في بدء ذلك مدينة عُثَيْرَة ، ثم غادرها واستقر في مدينة بُرَيْدَة إلى توفي فيها عام ١٣٦٣هـ ، نظم ابن شريم في معظم فنون الشعر المعروفة ، وكان صاحب بديهة ، فصارت له شهرة فيما يسمى بشعر الرَّد أو المساجلة ، له ديوان مطبوع ، لكنه لا يتضمن كل شعره ، ولا أكثره. ترجمته في : شعراء عُثَيْرَة الشعبيون ١ / ١٧٠ ، ومن شعراء بُرَيْدَة ١ / ١٢٥ ، ومعجم أسر بُرَيْدَة ١١ / ٢١٠ ، ومعجم الشعراء الشعبيين ١٦٩ .
والبيت من قصيدة معروفة له تنظر في شعراء عُثَيْرَة الشعبيون ١ / ١٧٠ ، وينظر ومعه آخر في معجم أسر بُرَيْدَة ١١ / ٢١٣ ، وقد ساق لهما قصة ، لكنهما وقعا فيه محرفين.

حيث قال: غِلي ، ولم يقل: غَلا ، وقد تقدم أنهما وجهان مستعملان في اللهجة القصيمية.

ويجري هذا الإبدال عند أهل القصيم أيضاً في بعض الأسماء ذات الأصل الواوي ، حيث يبدلون واوها ألفاً ، فيقولون: تَرْقاة ، عِرْقاة ، ثُنْداة ، في: تَرْقُوة وعِرْقُوة وثُنْدُوة^(١١٨) ، وهذا موافق لما روي عن طَيِّى ، كما تقدم ، إلا أنهم ينطقونها بكسر الأول ، ومن شواهد قولهم في أمثالهم العامية: "أَعَجَزُ مِنْ قَمَلَةِ التَّرْقاة"^(١١٩) ، وكثيراً ما سمعت الكبار من العامة عندنا في مدينة بُرَيْدة يقولون إذا أرادوا شطب شيء مكتوب أو إلغائه: "حِطَّ عَلَيْهِ عِرْقاة" ، يقصدون: ضَع عليه عِرْقاة ، والمعنى: أَلْغِه بوضع علامة (X) دلالة على ذلك ؛ سموا هذه العلامة بهذا الاسم لأنها تشبه عِرْقُوة الدُّلو التي ينطقونها: عِرْقاة ، كما تقدم.

أما الأسماء ذات الأصل اليائي التي روي فيها الإبدال عن طَيِّى فيبقون الياء فيها على أصلها ، يقولون: ناحِيَّة ، بادِيَّة ، ناصِيَّة ، في: ناحِيَّة ، بادِيَّة ، ناصِيَّة ، مع أن اللغويين رَووا عن طَيِّى أنها تبدل في مثل هذه الألفاظ ، فتقول: ناحاة ، باداة ، ناصاة^(١٢٠) ، لكن يشيع في لهجة الكبار من أهل القصيم و بعض أهل نجد قولهم في

(١١٨) سبق تفسير التَرْقُوة والعِرْقُوة قبل قليل ، أما الثُنْدُوة فهي اللحم الذي حول الثدي ، أو هي للرجل بمثابة الثدي للمرأة ، ينظر اللسان (ثند) ١٠٦ / ٣ .

(١١٩) أَعَجَزَ اسم تفضيل مأخوذ من الْعَجَز ، الذي من معانيه عندهم الكسل ، و يضرب لمن يسبب له كسله ضرراً ؛ لأن القملة إذا ظلت في التَّرْقاة - وهي أسفل الرقبة من الإنسان - وهي خالية من الشَّعر ، ولم تصعد إلى الرأس ، اهتدى إليها الإنسان فقتلها ، ينظر الأمثال العامية في نجد ١ / ١١١ .

(١٢٠) ينظر المخصص ٦٨ / ١ ، ٥٧ / ١٢ ، واللسان (نصا) ٣٢٧ / ١٥ ، والتاج (نصا) ٤٢ / ٤٠ .

لفظ وَصِيَّة: وَصَاة، أصلها: وَصَاة، وهي صيغة مروية^(١٢١) وموافقة لمذهب طيِّ في مثل هذه الأسماء، وإن لم أجد أحداً من اللغويين نسبها إليها، ومن شواهدا من شعر العامة قول حسين العواجي^(١٢٢):

تَرَايَ اَنَا يَا بُوكَ هُوَ جَسْتُ أَوْصِيكَ تَنْفَعُكَ مَا لَكَ مِنْ وَصَاتِي مَضَرَّةٌ
مِنْ وَصَاتِي: مِنْ وَصِيَّتِي.

- الإبدال في المضعف:

والمقصود به التخلص من أحد الصوتين المتماثلين بإبداله حرفاً آخر، ومن ذلك إبدال أحد الصوتين في الفعل المضعف ياء، مثل: أَغْضَيْتُ، دَسَيْتُ، في أَغْضَضْتُ وَدَسَّسْتُ، ويترجح أن طيِّاً تأخذ بهذا؛ فهو منتشر في أشعار شعرائها^(١٢٣)، ومن ذلك قول حُرَيْث بن عَنَاب الطائي^(١٢٤):

دَفَعْتُ إِلَيْهِ رِسْلَ كَوْمَاءَ جَلْدَةٍ وَأَغْضَيْتُ عَنْهُ الطَّرْفَ حَتَّى تَضَلَّعَا

(١٢١) ينظر اللسان (وصي) ٣٩٤/١٥، والتاج (وصي) ٩٧/٤٠. والملاحظ أن العامة لا يستعملون وَصَاة بمعنى ما يوصي به الميِّت، وإنما بمعاني الوصية الأخرى، كنقل خبر أو إسداء نصيح وما شابه، أما ما يوصي به الميِّت فيسمونه الوصية فقط، ويظهر أن للشرع أثراً في هذا التخصيص؛ لأن الفقهاء يستعملون لفظ وَصِيَّة، ولا يستعملون وَصَاة، مع أن مصادر اللغة لم تفرق بينهما في الدلالة.

(١٢٢) حُسَيْن بن عبدالله العواجي - ينطقونه: حُسَيْن العواجي - من شعراء مدينة الرُّس، ولد فيها سنة ١٣٣٦هـ، ولم أعثر على تاريخ وفاته، ينظر شعراء من الرُّس ١٩٦، ٢٠٠، وقوله: تَرَايَ، أي تَرَانِي، انا يَا بُوكَ: انا يَا أَبُوكَ، والبيت من قصيدة يوصي بها أبناءه، هُوَ جَسْتُ: فَكَّرْتُ، أصله بفتح الهاء، وينطقونه بإمالة الفتحة نحو الضم، تَنْفَعُكَ على حذف الموصوف، أصله: وَصَاة تَنْفَعُكَ.

(١٢٣) ينظر لغة طيِّ وأثرها في العربية ١١٩ - ١٢٠.

(١٢٤) ينظر ديوانه ضمن شعر طيِّ وأخبارها ٥٧٨/٢، وقوله: رِسْلَ كَوْمَاءَ، أي حليب ناقة سمينة، تَضَلَّعَا: شرب حتى رَوِي.

يريد أغَضَضْتُ.

ولهجة أهل القصيم المعاصرة لا تكاد تخالف هذا، فهم يقولون: حَسَيْتُ يَأْتِعَاشْ، أي أَحَسَسْتُ، وَدَسَيْتُ الشَّيْ تَحَتَ^(١٢٥) الباب، أي دَسَسْتَهُ، وَعَضَّيْتُ الشَّيْ، أي عَضَضْتُ الشَّيْءَ، وَظَنَيْتُ فُلَانًا، وَغَضَّيْتُ عَنْهُ الطَّرْفَ، أي ظَنَنْتُ بِهِ، وَغَضَضْتُ عَنْهُ، ويقولون: خَصَّيْتُ فُلَانًا بِالْدَّعْوَةِ، وَحَجَّيْتُ يَبْنَءَ اللَّهِ، أي: خَصَصْتُهُ...، وَحَجَجْتُ...، وَأَفْعَالٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ، مِثْلُ: مَلَّيْتُ، أَسْرَيْتُ، دَقَّيْتُ، حَنَيْتُ، حَدَّيْتُ، بَلَّيْتُ، دَلَّيْتُ^(١٢٦)، بِمَعْنَى: مَلَلْتُ، أَسْرَرْتُ، دَقَقْتُ، حَنَنْتُ، حَدَدْتُ، بَلَلْتُ، دَلَلْتُ، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ مِنْ شَعْرِ الْعَامَةِ فِي الْقَصِيمِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَوْنِيِّ^(١٢٧):

أَدْعُوْكَ بِأَسْمَاكَ الْعِظَامِ الْجَزَالِ وَبِحَقِّ مَا خَصَّيْتُ لَكَ مِنْ فَضِيلَةٍ

يريد: مَا خَصَّصْتُ.

وقول سالم الشارخ^(١٢٨):

أَسْرَيْتُ لِرَبِّ الْعِبَادِ شِكِيَّةً جِزَيْلَ الثَّوَابِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

يريد: أَسْرَرْتُ.

(١٢٥) الشَّيْ: الشَّيْءُ، وَتَحَتَ: أَصْلُهَا تَحَتَ، وَقَدْ بَدَأَتْ تَعُودُ إِلَى أَصْلِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاشِئَةِ.

(١٢٦) يَنْطَقُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ - أَعْنِي: حَسَيْتُ وَدَسَيْتُ وَعَضَّيْتُ وَغَضَّيْتُ... - بِإِمَالَةٍ فَتَحَةُ الْحَرْفِ الثَّانِي الْمَشْدَدِ نَحْوَ الْكُسْرَةِ.

(١٢٧) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَ الْمُهْتَمِينَ بِالشَّعْرِ الْعَامِيِّ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالتَّوْبَةِ يَنْظُرُ دِيَوَانَهُ ٤٦، وَقَوْلُهُ: بِأَسْمَاكَ، أَيِ بِأَسْمَائِكَ.

(١٢٨) سَالِمُ بْنُ فَوْزَانَ - يَنْطَقُونَهُ: فَوْزَانُ، بِإِمَالَةٍ الْفَتْحَةِ نَحْوَ الضَّمَّةِ - الشَّارِخُ، مِنْ شُعْرَاءِ مَدِينَةِ الرَّسِّ، وَلَدَ فِيهَا سَنَةَ ١٢٧٣ هـ، وَتَوَفَّى فِيهَا أَيْضًا بَعْدَمَا عُمِّرَ طَوِيلًا سَنَةَ ١٣٩٨ هـ، يَنْظُرُ شُعْرَاءَ مِنَ الرَّسِّ ٩٨، ١٠٠، وَقَوْلُهُ: الْعِبَادُ: الْعِبَادُ، شِكِيَّةٌ، أَيِ شَكْوَى.

وقول حمّد العَمَّار^(١٢٩):

دَقِيَّتْهَا مِنْ ضَيْقَتِي بَاعْتَجَالِي نَجْرَهُ يَصِيحُ لِرَاعِي الْكِيفُ جَدَابُ
صَيِّتْهَا يُومُ اسْتَوَتْ لِلْكِمَالِي مِنْ خُوفٍ يَلْحَقُهَا مِنَ النَّارِ لَهَابُ
دَقِيَّتْهَا: دَقَقْتُهَا... صَيِّتْهَا^(١٣٠): صَبَّيْتُهَا.

ويقع هذا الإبدال في الأسماء ، ومنه أن الطائيين يُسمّون الطَّسَّ الطَّسْتُ بإبدال السين الثانية تاء^(١٣١) ، وأهل القصيم على هذا ، إلا أن اللفظ عندهم بالشين (طسّت) ، والشين لهجة فيه نص عليها اللغويون^(١٣٢) ، والغريب أن اللهجة القصيميّة في هذا اللفظ أقرب إلى اللهجة الطائية من اللهجة المعاصرة لقبيلة شمرّ التي هي سليله

(١٢٩) حمّد بن إبراهيم العَمَّار، من شعراء مدينة الرّس ، ولد فيها سنة ١٢٩٥ ، لم أعر على تاريخ وفاته ، لكنه كان حيّاً سنة ١٣٢٢هـ ، ينظر شعراء من الرّس ٧٦ ، ٩١ ، وقوله: دَقِيَّتْهَا: طَحْنَتْهَا بدقها بالهاوّن ، يعني حَبَّات القهوة ، مِنْ ضَيْقَتِي: بسبب ضَيْقَتِي ، والمقصود ضَيْقُ صدري ، باعْتَجَالِي: بعَجَلَة ، أي سريعاً ، نَجْرُهُ: نَجْرُهَا ، على حذف الألف ، ينظر ما يأتي بعد قليل من حديث عن حذف ألف الضمير (ها) ، والنّجّر اسم عند أهل نجد للهاوّن المصنوع من النحاس خاصة ، يصيْحُ لِرَاعِي الْكِيفُ: يصدر دقه صوتاً ، يجذب صاحب الكيف ، وهو المُغْرَمُ بشرب القهوة ، ومعنى البيت الثاني: بادرت بصبها للضيوف عندما استوت كاملة ، والمقصود عندما تم إعدادها ، مخافة أن تمكث على النار طويلاً فيفسد طعمها.

(١٣٠) ينطقون لفظ صَيِّت بتفخيم الباء وإمالة فتححتها نحو الكسرة.

(١٣١) ينظر اللسان (طست) ٥٨/٢ و (طسس) ١٢٣/٦ ، والمصباح المنير (طست) ١٤١ ، والمُعَرَّب ٢٢١ ، ولغة طَبَّي وأثرها في العربية ١٦٨.

والطَّسّ: إناء كبير مستدير من نحاس أو غيره ، يغسل فيه ، وهو مُعَرَّب عن الفارسية ، وأصله (تَسْت) ، ينظر المُعَرَّب ٢٢١ ، والمعجم الوسيط (طسس) ٥٥٧ ، والفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ١٣٥ ، ٢٣٤.

(١٣٢) ينظر القاموس المحيط (طست) ١٩٩.

قبيلة طييء، حيث ينطق أفرادها هذا اللفظ الآن هكذا: طُرَشَتْ، وهو لفظ لم تذكره مصادر اللغة^(١٣٣).

– إبدال الهمزة الواقعة فاء واوًا:

روى اللغويون عن طييء أنهم يقولون في مثل آسَيْت، آخَيْت، يُؤَاخِذ: واسَيْت، واخَيْت، يُؤَاخِذ^(١٣٤)، كما نسبوا ذلك إلى أهل اليمن أيضًا^(١٣٥)، ولا غرابة في هذا؛ فطييء قبيلة يمنية في الأصل، ويرجح أن هذا الإبدال مُطْرِد في لهجتها في مثل هذه الأفعال، لجريانه في أفعال كثيرة نصت عليها كتب اللغة^(١٣٦).

وقد تَنَقَّص بعض اللغويين هذه اللهجة، فابن فارس (أبو الحسين أحمد) ٣٩٥ هـ) يصفها بأنها قبيحة^(١٣٧)، والجوهري (إسماعيل بن حماد) في حدود ٤٠٠ هـ) يصفها بأنها ضعيفة، وبأنها لغة العامة^(١٣٨)، ولا أدري كيف ساغ لهما إطلاق مثل هذه الأحكام؛ مع أن لهذه اللهجة شواهد من القراءات المتواترة، فقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾^(١٣٩)، وقوله: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ﴾^(١٤٠)، وقوله:

(١٣٣) ينظر غريب لغة قبيلة شَمَّر حائل وما حولها ١٥٠.

(١٣٤) ينظر العين ٣١٩/٤، وتهذيب اللغة ٦٢٣/٧، واللسان (أخا) ٢٢/١٤، وبحوث ومقالات في اللغة ٢٣٢، ولهجة طييء وأثرها في العربية ١٢٩.

(١٣٥) ينظر المصباح المنير (أخذ) ٣.

(١٣٦) ينظر تهذيب اللغة ٤١٨/٦، ومقاييس اللغة ٥١/١، والصحاح (أسا) ٢٢٦٨/٦، ولهجة طييء وأثرها في العربية ١٣٠.

(١٣٧) ينظر مقاييس اللغة ٥١/١.

(١٣٨) الصحاح (أسا) ٢٢٦٨/٦، و (أخا) ٢٢٦٤/٦، على الترتيب.

(١٣٩) البقرة ٢٢٥.

(١٤٠) البقرة ٢٨٣.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾^(١٤١)، وقوله: ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾^(١٤٢)، وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٤٣)، قرئت في بعض القراءات العشر: (يُؤَاخِذُكُمْ)، (فَلْيُودَ)، (تُؤَاخِذْنَا)، (يُؤَدِّهِ)، (يُؤَخِّرُكُمْ)^(١٤٤).

واللهجة القصصية بل غالب اللهجات النجدية اليوم على هذا، يقولون: يُؤَاكِل، يُؤَاسِي، يُؤَخِّر، يُؤَاخِذ، يُؤَدِّي^(١٤٥)، وَدَّنَا، وَدَّيْتُ، وَخَّرَ، وَخَّرْتُ، يريدون: يُؤَاكِل، يُؤَاسِي، يُؤَخِّر، يُؤَاخِذ، يُؤَدِّي، أَدَّنَا، أَدَّيْتُ أَخَّرَ، أَخَّرْتُ، ومن شواهد ذلك من شعر العامة في القصيم قول محمد العُوني^(١٤٦):

الطُّفْ وَنَاطِرِيَا الْوَلِي فِي سُوَالِي لَا تُؤَاخِذْنِي فِيمَا مَضَى مِنْ فَعِيلَةٍ

يريد: لَا تُؤَاخِذْنِي، وقد حذف ياء المتكلم، وهو حذف شائع في اللهجة القصصية.

(١٤١) البقرة ٢٨٦.

(١٤٢) آل عمران ٧٥.

(١٤٣) إبراهيم ١٠.

(١٤٤) بها أبو جعفر، وهي رواية عن عاصم، ينظر المبسوط في القراءات العشر ٩٨.

(١٤٥) إسكان أوائل كثير من الصيغ الصرفية والتوصل إلى نطقها بهمزة وصل مكسورة - كما هو الحال هنا - مظهر لهجي فاش في كثير من اللهجات العربية الحديثة، وإن اختلفت تطبيقاته من لهجة إلى أخرى.

(١٤٦) من قصيدة له مشهورة عند المهتمين بالشعر العامي، تسمى التوبة، ينظر ديوانه ٤٤، والبيت دعاء لله تعالى، وقوله: تُؤَاخِذْنِي، أصله تُؤَاخِذْنِي، سهلت الهمزة، مع إسكان الأول والتوصل إلى نطقه بهمزة وصل مكسورة، كما حذف ياء المتكلم، وهو حذف شائع في اللهجة القصصية، فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة، والمعنى: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا بَمَاضِي فَعَلِي.

وكذلك قوله^(١٤٧):

غَلَامِينَ أَفْهَمُوا سَدَّاجِيئَهُ فَهَاسَدِي تَوَدُّونَهُ وَكَافِي
يريد: تَوَدُّونَهُ.

وقول محمد بن عبد الله القاضي^(١٤٨):

بِرَايٍ وَتَدْيِيرٍ وَعَقْلٍ وَصُمَالَةٍ وَصَبْرٍ وَتَقْدِيمٍ وَتَوَخُّيرٍ وَاقْبَالٍ
يريد: يَصْبِرُ وَتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ....

وقول محمد بن صالح القاضي^(١٤٩):

مُودُّكَ مَحْمَلْنَا جَوَابٍ بَتَفْصِيلٍ يَقُولُ وَدُّوا كَاغْدِي لَهْ يَفْلَهْ
يريد: أَدُّوا كَاغْدِي ، أَي قِرْطَاسِي ، وَالْمَقْصُودُ رِسَالَتِي.

. إبدال ألف الفعل (مَحَا) ياء عند إسناده إلى ضمائر المتكلم أو المخاطب:

(١٤٧) ينظر معجم أسر بُرَيْدَة ٣٤٧/١٦ ، والشاعر محمد العُوني ٢٥ ، وقوله: غلامين ، هو جمع غلام ، والمقصود بهم هنا الشباب من الرجال ، سَدَّ: سَرَّ ، أجبيه: أجىء به ، فهاسدي: فهذا سري ، تَوَدُّونَهُ: تَوَدُّونَهُ ، أَي تَوَصَّلُونَهُ.

(١٤٨) البيت من قصيدته في وصف بلدة عُنَيْزَة ، يمدح فيه رجالها ، ويذكر تفانيهم في حمايتها ورفع شأنها ، وأن ذلك الأمر يتم منهم برأي وتديير... ، ينظر شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي ١٧٥ ، وقوله: صُمَالَة ، أَي جَدَّ ، والرَّجُلُ الصَّامِلُ هو الجاد الذي يعتمد عليه ، كأنهم أخذوا ذلك من لفظ الصَّيْل - ينطقونه: الصَّيْل - وهو اسم فصيح للسقاء.

(١٤٩) هو محمد بن صالح القاضي ، من أسرة القاضي الأسرة التميمية المعروفة في مدينة عُنَيْزَة ، وهو ابن عم الشاعر المشهور محمد بن عبد الله القاضي (ت عام ١٢٨٥هـ) ومعاصر له ، ولكنه أكبر منه ، توفي شاباً في الثلاثين ، وتاريخ وفاته غير محفوظ ، ينظر شعراء عُنَيْزَة الشعبيون ١/ ٢٤ ، ٢٩ ، وقوله: مُودُّكَ: مُجَبِّكَ ، جَوَابٍ بَتَفْصِيلٍ: رسالة مفصلة ، يَفْلَهْ: يَفْتَحُه ، والمقصود يقرؤه.

نصت مصادر اللغة على أنه يقال: مَحَا الرَّجُلُ الشَّيْءَ يَمْحُوهُ وَيَمْحَاهُ مَحْوًا وَمَحِيًّا^(١٥٠)، كما ذكرت أيضًا أن للعرب في هذا الفعل عندما يسند إلى ضمائر المتكلم أو المخاطب لهجتين؛ قلب ألفه واوًا، فيقال: مَحَوْتُ، مَحَوْتُ، مَحَوْنَا، مَحَوْتُمْ، وقلبها ياء، فيقال: مَحَيْتُ، مَحَيْتُ، مَحَيْنَا، مَحَيْتُمْ^(١٥١)، والوجه الأول هو المشهور، وبه جاء القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ الْبَيْتِ﴾^(١٥٢)، وقد نسبته اللغويون إلى مُضَرَّ^(١٥٣)، في حين نسبوا الثاني - وهو قلبها ياء - إلى طَيْئ^(١٥٤)، كما نسبوه إلى ربيعة أيضًا^(١٥٥).

واللهجة القصصية واللهجات النجدية المعاصرة عمومًا على الوجه الثاني، وهو القلب ياء، يقولون: مَحَيْنَا الْخَطَّ نَمْحَاهُ^(١٥٦) مَحِيٍّ، أي: مَحَوْنَا الْخَطَّ نَمْحُوهُ مَحْوًا، وَمَحَيْتُ اسْمَكَ مِنَ الدَّفْتَرِ، واسمك مَمَحِيٍّ، أي مَحَوْتُ اسْمَكَ مِنَ الدَّفْتَرِ، واسمك مَمَحُوٌّ.

- ثبات ألف الفعل (قَلا) وعدم إبدالها في صيغة المضارع:

الفعل (قَلا) في كلام العرب من المشترك اللفظي؛ فهو يأتي بدالتين؛ بمعنى أَبْغَضَ، وبمعنى أَنْضَجَ على المقلاة، ومضارعه بالدلالة الأولى تَقْلِبُ أَلْفَهُ ياء، فيقال:

(١٥٠) اللسان (محا) ٢٧١/١٥.

(١٥١) ينظر تهذيب اللغة ٢٧٧/٥، واللسان (محا) ٢٧١/١٥.

(١٥٢) الإسراء ١٢.

(١٥٣) ينظر تفسير الطبري ١٧٢/١٣.

(١٥٤) ينظر تهذيب اللغة ٢٧٧/٥، واللسان (محا) ٢٧١/١٥، والتاج (محا) ٢٥٥/٣٩، ولغة طيئ وأثرها في العربية ١٥٣ - ١٥٤.

(١٥٥) ينظر تفسير الطبري ١٧٢/١٣.

(١٥٦) يقولون: نَمْحِيهِ، وهي مرويّة في المصادر، ينظر اللسان (محا) ٢٧١/١٥، ومعروفة الآن في بعض اللهجات النجدية.

يَقْلِي، أما الدلالة الثانية فالأكثر أن تقلب ألفه ياء، وروي أيضاً أنها تقلب واوًا، فيقال فيه: يَقْلِي وَيَقْلُو، وقد روى اللغويون عن طَيِّ ثبات الألف في حالة الدلالة الأولى، فيقولون: يَقْلَا، أي يُبْغِض، أما الدلالة الثانية فلم يذكروا عن طَيِّ فيها شيئاً^(١٥٧). والفعل السابق لا يُعرف في اللهجة القصيمية بدلالته الأولى مطلقاً، أما الدلالة الثانية فهو معروف بها مشهور الآن، لكنه مختص بالإنضاج بالزيت المغلي على النار، ويظهر لي أنه لم يعرف بها في هذه اللهجة إلا في زمن متأخر، بعد أن أفاء الله على هذه البلاد من الغنى وصنوف النعم ما أفاء؛ فهو لم يربى في الشعر العامي القديم لأهلها، على كثرة ما سمعت منه وقرأت، ومضارع هذا الفعل بهذه الدلالة يشيع فيه الآن الوجهان؛ ثبات الألف مع تفخيم اللام: يَقْلَا، وقلبها ياء: يَقْلِي، فالأول أكثر شيوعاً على السنة كبار السن من أهلها، والثاني أكثر شيوعاً على السنة الناشئة والشباب.

– الوقف على تاء التانيث بالتاء:

المشهور في اللغة العربية أن تاء المفردة المؤنثة، في مثل: جارية، طالبة، معلمة، ناقة، رحمة، نعمة... تنطق تاء في الوصل وهاء في الوقف^(١٥٨)، لكن روي عن طَيِّ أنها تجري الوقف مجرى الوصل في مثل هذا، فيقفون بالتاء، يقولون: هذه جاريتٌ...^(١٥٩)، كما روي ذلك أيضاً عن قبيلة حَمِير^(١٦٠).

(١٥٧) ينظر اللسان (قلا) ١٥ / ١٩٨، والتاج (قلا) ٣٩ / ١٦٩.

(١٥٨) ينظر المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني ٣٧، والمذكر والمؤنث للمبرد ٨٣، والمخصص ١٦ / ٨٣، وشرح المفصل ٥ / ٨٨.

(١٥٩) ينظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٢٣ / ١، والصحاح (ها) ٢٥٥٩ / ٦، واللسان (ها) ٤٧٩ / ١٥، واللهجات العربية الغربية القديمة ٣٦٠، واللهجات العربية في التراث ٥٠١ / ٢، وفي اللهجات العربية لأنيس ١٣٧، ولغة طَيِّ وأثرها في العربية ٢٢٨، ٢٨١.

وقد اختلف اللغويون القدماء في أي الوجهين هو الأصل، فذهب بعضهم إلى أصالة الوجه المشهور، وهو الوقف بالهاء، وذهب أكثرهم إلى أصالة الوقف بالتاء^(١٦١)، وأيد هذا بعض اللغويين المحدثين، الذين يرون أن الوقف بالتاء هو الطور القديم، ثم تطور عنه الوقف بالهاء^(١٦٢).

ومن النصوص المروية التي تمثل هذه اللهجة قول حاتم الطائي^(١٦٣):
ولا يُنْزِلُ المرءُ الكريمُ عِيَالَهُ وَأَضْيَافَهُ مَا سَاقَ مَالاً يَضُرَّتْ
يريد بَضْرَةً، أي شِدَّةً.

وقول أبي النَّجْمِ العَجَلِي^(١٦٤):
صَارَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغُلْصَمَتِ وَكَادَتْ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أُمْتُ
يريد: الْغُلْصَمَةَ... أُمَّةً.

ومثله قول بعض العرب: "عليه السلام والرحمت" ^(١٦٥).

(١٦٠) ينظر الصحاح (وثب) ٢٣١/١، وقد ذكر سيبويه هذه اللهجة ولم ينسبها لأحد، ينظر كتابه ١٦٧/٤، وكذلك فعل ابن يعيش في شرح المفصل ٨٩/٥، ٨١/٩.

(١٦١) ينظر شرح الشافية ٢٨٨/٢ - ٢٨٩، وشرح المفصل ٨٩/٥، ونسب المصدر الأخير القول بأصالة التاء إلى البصريين، والقول بأصالة الهاء إلى الكوفيين.

(١٦٢) ينظر في اللهجات العربية ١٣٦، واللهجات العربية في التراث ٥٠٢/٢، ولغة طيئ وأثرها في العربية ٢٨٢.

(١٦٣) ينظر ديوانه ٣٢، وقوله: ما ساق مالا، أي ما ملك مالا، عبر بالسَّوْق لأن أغلب أموال العرب في ذلك الوقت الماشية، بَضُرَّتْ: بَضْرَةً، أي شدة، والمعنى: أن الكريم إذا وجد المال لم يبخل به على أولاده وضيوفه.

(١٦٤) ينظر ديوانه ٤٧، وينظر البيت غير منسوب في شرح المفصل ٨٩/٥، ٨١/٩.

(١٦٥) ينظر شرح المفصل ٨١/٩.

كما أن لهذه اللهجة صدًى واضحاً في قراءات القرآن الكريم؛ فالقراء السبعة والعشرة مختلفون في الوقوف على مثل هذه الألفاظ بين التاء والهاء^(١٦٦)، وبناء على هذا صرح بعض اللغويين بجواز الوجهين، يقول أبو بكر بن الأنباري (محمد بن القاسم ت ٣٢٨هـ): "اعلم أن كل هاء دخلت للتأنيث، فالوقف عليها بالهاء وبالتاء جائز، ألا ترى أنهم كتبوا في المصحف بعضها بالتاء، وبعضها بالهاء"^(١٦٧)، وهو يشير إلى كلمات من هذا النوع كتبت في المصحف تارة بالتاء المربوطة، وتارة بالتاء المفتوحة، مثل كلمتي: النعمة والرحمة، كتبها هكذا: ﴿نِعْمَةُ اللَّهِ﴾^(١٦٨) و﴿مِنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةً﴾^(١٦٩)، وتارة هكذا: ﴿نِعِمَّتَ اللَّهُ﴾^(١٧٠) و﴿رَحِمَتَ اللَّهُ﴾^(١٧١).

وهذا المظهر اللهجي كما وصفه اللغويون فاش بكثرة في بعض البلدات والقرى التي في شمالي القصيم، كعيون الجواء وأثال، وفي شمالي نجد عموماً، كما في لهجة أهل منطقة حائل، ومعروف أن كثيراً من سكان الأخيرة من قبيلة شَمَر التي هي امتداد لطَيِّى^(١٧٢).

أما سائر أهل القصيم وأكثر أهل نجد فلا تظهر هذه اللهجة عندهم إلا في ألفاظ خاصة، وهي التي يكون قبل التاء فيها ألف، مثل: الصَّلَاة، الرِّكَاة، الدَّوَاة،

(١٦٦) ينظر النشر ١٢٩/٢ - ١٣٠، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء ٨، وإتحاف فضلاء البشر ١٠٣، وقد صرح المصدر الأخير بأن الوقف بالتاء لغة طَيِّى.

(١٦٧) ينظر إيضاح الوقف ١٨١/١.

(١٦٨) البقرة ٢١١.

(١٦٩) البقرة ١٥٧.

(١٧٠) البقرة ٢٣١.

(١٧١) البقرة ٢١٨.

(١٧٢) ينظر غريب لغة قبيلة شَمَر حائل وما حولها ٥.

الحصاة، الشاة، القطاة، حيث ينطقونها في الوصل والوقف هكذا: الصَّلات، الزَّكات...، ومن شواهد ذلك من شعر العامة في القصيم قول محمد بن حُصَيْص^(١٧٣):
 الْمُطَوَّعُ لَوْ يَشُوفُ خَدِيدَ سَارَةَ طَبَّقَ الْمُصْحَفَ وَعَجَّلَ بِالصَّلَاتِ
 يريد: بالصَّلاة.

وقول صالح الرِّيس^(١٧٤):
 أَبُو دَلِيْقٍ فُوقَ مَتْنِهِ يُقَضُّ مَا هُوَ بِمُعْطِيْنِي وَلَا شِفَتْ مَجْفَاتُ
 يريد: مَجْفَاةً، أي جفاء.

وما أكثر ما نسمع عوامَّ المؤذنين في القصيم وسائر بلدان نجد وهم ينادون
 للصلاة فيقفون بالتاء، ويقولون: حَيَّ عَلَى الصَّلَاتِ.

ب) إبدال يقع بين الصَّوائت

وأقصد بها هنا الحركات، وهذا النوع من الإبدال يمكن أن يسمى تعاقب
 الحركات، وقد وجدت منه ما يلي:

(١٧٣) هو محمد بن فهاد القحطاني، المعروف بابن حُصَيْص - كذا ينطقونه، وأصله: حُصَيْص - شاعر
 عامي، سكن مدينة بُرَيْدة وعاش فيها، ولم يكن من أهلها في الأصل، وتوفي فيها عام ١٣٥٤هـ،
 تنظر: ترجمته في من شعراء بُرَيْدة ١/١٠٣.

والشاهد من قصيدة له تائية مشهورة عند المهتمين بالشعر العامي، تنظر في: من شعراء بُرَيْدة ١/١١١،
 وديوان السامري والهجيني ١٤٣، وبين المصدرين بعض الاختلاف في الرواية، وما أثبتته للأول
 منهما، وقوله: الْمُطَوَّعُ، هو الرجل المتدين، ويطلقونه أيضاً على من يؤم المصلين، خَدِيد: أصله
 خُدَيْد تصغير خَدَّ، على التوصل إلى نطق بعض الصيغ الصرفية بهمزة وصل مكسورة.

(١٧٤) صالح بن محمد الرِّيس، من شعراء مدينة الرِّس، ولد فيها سنة ١٣٥٧هـ، ينظر شعراء من الرِّس
 ٢٨٤، ٢٨٩، وقوله: أَبُو دَلِيْقٍ، أي صاحب دَلِيْقٍ، يعني محبوبه، وأبو تستعمل في اللهجة
 القصيمية بمعنى صاحب، والدَلِيْق هو الشَّعر المسترسل الذي نُقِضت ضفائره، يُقَضُّ: أصله:،
 يُقَضُّ، أي يُنْقَضُ، ومعنى الشطر الثاني: لم يَصِلْني ولم أر منه جفاء، فهو بَيْنَ بَيْنَ.

- ضم الهاء في الضمائر:

للعرب في الضمير الهاء إذا وقع بعد الياء الساكنة - سواء كان لمفرد أم لمتنّى أم لجمع - لهجتان؛ كسره، فيقال: عَلَيْهِ، إِلَيْهِ، إِلَيْهِنَّ، إِلَيْهِمْ، عَلَيْهِمَا، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِنَّ، يَرْمِيهِنَّ، وَضَمّه، فيقال: عَلَيْهِ، إِلَيْه، إِلَيْهِنَّ، عَلَيْهِمَا، إِلَيْهِنَّ، عَلَيْهِنَّ، يَرْمِيهِنَّ، يَرْمِيهِنَّ...، وقد نسب اللغويون الكسر إلى أهل نجد من تميم وقيس وأسد، في حين نسبوا الضم إلى قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم من فصحاء اليَمَن^(١٧٥)، ونص بعض اللغويين على أن الضم هو لغة النبي صلى الله عليه وسلم^(١٧٦)، والضم هو الوجه الذي يرجح أن طيّاً كانت عليه^(١٧٧).

واللهجتان شائعتان في قراءات القرآن الكريم، فالقراء العشرة مختلفون في الهاءات التي في مثل: (عَلَيْهِمْ) و (عَلَيْهِنَّ) و (عَلَيْهِمَا) و (عَلَيْهِنَّ) و (إِلَيْهِمْ) و (إِلَيْهِنَّ) و (فِيهِمْ) و (لَدَيْهِمْ)، فجمهورهم يكسرها، وبعضهم يضمها^(١٧٨)، وكذلك في مثل قوله تعالى^(١٧٩) ﴿يَجْتَنِبْهُمْ﴾، ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾^(١٨٠).

واللهجة القصيمية على الوجه الثاني - وهو الضم - يقولون مثلاً: الرُّجَالُ فِيهِمْ خَيْرٌ، لَكِنْ عَلَيْهِمْ دَيْنٌ. ويستثنى من ذلك ما يلي:

(١٧٥) نصّ على هذا أبو حيان في ارتشاف الضَّرَب ٤/٦٧، وتنظر: نسبة اللهجتين إلى هذه القبائل أو بعضها في كتاب سيبويه ٤/١٩٥، ومعاني القرآن للأخفش ١/٢٦، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٣.

(١٧٦) هو ابن خالويه في كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٣٢.

(١٧٧) ينظر لغة طيّ وأثرها في العربية ١٥٦ - ١٥٧.

(١٧٨) ينظر المبسوط في القراءات العشر ٨٤، والنشر ١/٢٧٢.

(١٧٩) سبأ ١٦. وينظر النشر ١/٢٧٢.

(١٨٠) الأحزاب ٢٦. وينظر النشر ١/٢٧٢.

- ضمير المفرد، في مثل: (عَلَيْهِ، إِلَيْهِ...)؛ فبسبب وقوعه طرفاً لا ينطق إلا ساكناً؛ وتسكين الأواخر صفة شائعة في اللهجات العربية المعاصرة، ومنها واللهجة القصيمية.

- ضمير المثنى، مثل: (عَلَيْهِمَا، إِلَيْهِمَا...)؛ فهذه اللهجة - كما هو حال اللهجات العربية المعاصرة - لا يستعمل فيها ضمير المثنى، بل يستعاض عنه بضمير الجمع، فهم مثلاً يقولون: فلانٌ وُفْلانٌ فِيهِمْ خَيْرٌ، لَكِنْ عَلَيْهِمْ دَيْنٌ. - ما قصد به جمع الإناث، مثل: (عَلَيْهِنَّ، إِلَيْهِنَّ...)، فينطق في هذه اللهجة مكسوراً، لكنه غير مشدد النون بل ساكنها، يقولون: الْبَنَاتُ فِيهِنَّ خَيْرٌ، وَوَعَلَيْهِنَّ مَسْئُولِيَّاتٌ.

- كسر فاء الفعل الماضي الأجوف عندما يسند إلى ضمائر المتكلم أو المخاطب:

للعرب في الفعل الماضي الأجوف المسند إلى ضمائر المتكلم أو المخاطب لهجتان؛ ضم فائه وكسرها، فمثلاً الأفعال: (مُتَّ، دُمْتُ، خُفْتُ، صُرْتُ، طُبْتُ) تقال بضم الأول وكسره، والضم هو الأصل، وهو الذي يعضده القياس^(١٨١)، والوجهان موضع خلاف بين القراء في قراءة قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾^(١٨٢)، حيث قرأ بالضم ستة من القراء العشرة، في حين قرأ بالكسر أربعة^(١٨٣)،

(١٨١) ينظر الحجة للقراء السبعة ٩٢/٣، والكشف عن وجوه القراءات ٣٦٢/١، والدر المصون ٤٥٨/٣

(١٨٢) آل عمران ١٥٧.

(١٨٣) ينظر المبسوط في القراءات العشر ١٤٨.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾^(١٨٤)، قرأ بالضم خمسة من القراء العشرة، وقرأ بالكسر أربعة، واختلف رواية العاشر بين الضم والكسر^(١٨٥).

وهما أيضاً موضع خلاف في قراءة قول الله تعالى: ﴿إِلَامَادُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(١٨٦)، لكن القراء العشرة مجمعون على الضم في هذا الفعل، والكسر قراءة شاذة^(١٨٧).

وقد روي عن طَيِّى أنها ممن يأخذ بالكسر^(١٨٨)، كما عَزِي الكسر أيضاً إلى تميم وأهل الحجاز، في حين عَزِي الضم إلى سُفْلَى مُضَر^(١٨٩)، وبعض المصادر عزت الضم إلى تميم أيضاً^(١٩٠).

واللهجة القصيمية وأكثر اللهجات النجدية المعاصرة على الكسر في مثل هذا، ومن شواهد من شعر العامة في القصيم قول عبد الله بن لُويحان^(١٩١):

(١٨٤) مريم ٢٣.

(١٨٥) المقصود عاصم، روى عنه الضم شعبة، والكسر حفص، ينظر القراءات العشر المتواترة (على هامش القرآن الكريم) سورة مريم الآية السابقة.

(١٨٦) آل عمران ٧٥.

(١٨٧) قرأ بها جماعة، منهم أبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن وثاب والأعمش وغيرهم، ينظر البحر المحيط ٢٢٣/٣.

(١٨٨) ينظر الجمهرة ٣/١٣٠٧ - ١٣٠٨، ولغة طَيِّى وأثرها في العربية ١٤٩.

(١٨٩) ينظر البحر المحيط ٢٢٣/٣، ٤٠٦.

(١٩٠) ينظر اللهجات العربية في التراث ٥٨٨/٢.

(١٩١) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن لُويحان - كذا ينطقونه، وأصله: لُويحان - شاعر من كبار شعراء العامة، وخاصة في شِعْر المساجلة الذي يسمونه شِعْر الرَّد، ولد في بلدة نفي في جنوب غرب القصيم عام ١٣١٢هـ، ثم نزع منها مع والده إلى مدينة بُرَيْدة وعاش فيها سنين، ثم انتقل منها إلى الحجاز، وكان مقرباً من الملك فيصل بن عبد العزيز، وله معه مساجلات، وتوفي في الرياض عام ١٤٠٢هـ، تنظر: ترجمته في: معجم أسر بُرَيْدة ٣٧٣/١٨، ومن شعراء بُرَيْدة ١٩٠/١، والقصيدة التي منها البيت مشهورة مدونة في عدد من مواقع الإنترنت المهتمة بالشعر العامي، وقد نشرت أيضاً في صحيفة

إِنْ مِتْ فِي شَارِعْ فُؤَادِ إِدْفُنُونِي يَاطَا عَلَى قَبْرِي بَنَاتِ مِزَايِينْ

- كسر كاف لفظ (كَلِمَة) وتسكين لامه:

للعرب في هذا اللفظ لهجتان ؛ فتح الكاف وكسر اللام ، وهي اللهجة المشهورة ، وتنسب إلى أهل الحجاز ، وكسر الكاف وسكون اللام ، وهي لهجة نص العلماء على فصاحتها^(١٩٢) ونسبوها إلى تميم^(١٩٣) ، ويرجح أن الطائيين يأخذون بها^(١٩٤).

والقراء العشرة مجمعون على فتح الكاف وكسر اللام في قراءة هذا اللفظ من القرآن الكريم ، في مثل قول الله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾^(١٩٥) ، لكن كسر الكاف وسكون اللام وجه مقروء به في الشواذ في جميع القرآن^(١٩٦) ، واللهجة القصصية وكثير من اللهجات النجدية والعربية المعاصرة عليه^(١٩٧) ، ومن شواهد من أمثال العامة في

=الرياض السعودية في عددها رقم ١٤٢٨٢ الصادر في ١٨/٧/١٤٢٨ هـ في صفحة خزامى الصحارى ، وقد قالها الشاعر مبدئياً إعجابه بجمال فتيات مصر عندما زارها لأول مرة في حدود عام ١٣٦٦ هـ ، وقوله : شارع فُؤاد ، هو الشارع المعروف في القاهرة ، يَاطَا : يَاطَا ، مِزَايِينْ : أصله بفتح الميم ، وهو في لهجتهم جمع مَزْيُونَة ، وهي الجميلة.

(١٩٢) ينظر تفسير القرطبي ٧٦/٤ ، والبحر المحيط ١٣١/٣ ، والدر المصون ١٥٧/٣ .

(١٩٣) ينظر اللسان (كلم) ٥٢٣/١٢ .

(١٩٤) ينظر لغة طَبَّيٍّ وأثرها في العربية ١٧٧ - ١٧٨ .

(١٩٥) آل عمران ٣٩ .

(١٩٦) قرأ به أبو السَّمالِ العدوي ، ينظر تفسير القرطبي ٧٦/٤ ، والبحر المحيط ١٣١/٣ ، والدر المصون ١٥٧/٣ .

(١٩٧) تختلف اللهجات النجدية اليوم في نطق كاف هذا اللفظ ، فينطق في بعضها بصورته الأصلية ، وفي أخرى - ومنها اللهجة القصصية - بإبداله صوتاً مشوباً من صوتي التاء والسين ، هكذا : تَسْلَمَة ، ونطق الكاف بهذه الصورة قريب من نطق كاف خطاب المؤنث فيما سمي عند اللغويين بالكَسْكَسَة ،

القَصِيم قولهم: " الكَلِمَة اللَّي تَسْتَحِي مِنْهُ بَدَّة " (١٩٨) ، أي ابدأ بها كلامك ، يضربونه للحث على المبادرة بقول الكلمة المفيدة أو كلمة الحق وعدم الاستحياء منها ، ولو كانت تجرح الآخرين أو تغضبهم. ومن شواهد من شعرهم قول محمد العُوني (١٩٩):
قَوْمُوا بِرَأْيِ اللَّهِ ثُمَّ رَأْيِ أَبُو ثَامِرٍ أَبُو كَلِمَةٍ يَافِي بِهَا حِينَ قَالَهَا
- كسر راء لفظ (رُغوة):

=وهي صفة لهجية منسوبة إلى عدد من القبائل ، منها تميم وهوازن ، ينظر اللهجات العربية في التراث ٣٦٣ / ١ ، والكسكسة بهذا الوصف شائعة بكثرة في أكثر اللهجات النجدية ، ومنها اللهجة القصبية أيضاً ، لكن هذه اللهجات تجاوزت كاف خطاب المؤنث إلى كافات أخرى ، ومن اللافت للنظر أن هذا الإبدال عندما يجاوز كاف خطاب المؤنث لا يكون مطرداً فيها ، بل في بعض الألفاظ دون بعض ، بل إن بعض هذه الألفاظ التي يتفاوت فيها من مادة لغوية واحدة ، فهو يحدث في لفظ كلمة ، كما سبق ، وفي مثل: كَثِير ، كَبِير ، مَكَان ، التي تنطق هكذا: تَسْثِير ، تَسِير ، مِتْسَان ، في حين ينطق حرف الكاف بصورته المعروفة فقط في ألفاظ أخرى ، مثل: كَلَام ، أَكْثَر ، أَكْبَر ، أَمَاكِن ، كَافِر ، كَاس ، رُكْن ، بَرَك ، بَكْرَة ، مَكْسَب .

(١٩٨) ينظر الأمثال العامية في نجد ٣ / ١٠٥٧ ، وهو فيه بلفظ: " الكَلِمَة اللَّي تَسْتَحِي مِنْهَا بَدَّهَا هِي الْأَوَّلَة " ، واللفظ الذي أوردته هو المعروف في القَصِيم ، وقولهم: اللَّي ، أي التي ، بَدَّ: ابدأ بها ، ويلحظ أن اللهجة القصبية حذفت الألف من ضمير المؤنث في: مَنَّهُ ، التي أصلها مِنْهَا ، مع إسكان الميم والتوصل إلي نطقه بهزمة وصل مكسورة ، وكذلك في قولهم: بَدَّه ، والأصل: بَدَّهَا ، ينظر ما يأتي بعد قليل عن حذف ألف الضمير (ها).

(١٩٩) البيت من قصيدة له مشهورة عند المهتمين بالشعر العامي ، وهي المعروفة بالخلُوج ، ينظر ديوانه ٢٨ ، وخيار ما يلتقط ٢٧٥ / ٢ ، وقوله: بُرَاي ، أي برأي ، والمعنى: انهضوا مهتدين بهدي الله ، آخذين بمشورة أبي ثامر ، وهي كنية سُعدُون باشا بن منصور السُعدُون ، شيخ المُتَنَفِّق في العراق (ت ١٣٣٠هـ) أَبُو: أَبُو ، وهي هنا بمعنى صاحب ، وهذا من استعمالاتها المعروفة في اللهجة النجدية ، يَافِي: يَقي .

للعرب في هذا اللفظ ثلاث لهجات ؛ ضم الراء وكسرها وفتحها ، والضم هو المشهور^(٢٠٠) ، ويرجح أن الطائيين يأخذون بالكسر^(٢٠١) ، والكسر والضم شائعان في اللهجة القصيمية.

٢- الحذف

والمقصود به حذف بعض الأصوات من اللفظ طلباً للخفة ، وما روي عن طيئ من هذا وله وجود في اللهجة القصيمية المعاصرة :

- حذف ألف الضمير (ها) :

المعروف في العربية أن ضمير الغائب يكون بألف إن كان للمؤنث أو لجمع غير العقلاء ، وبدونه إن كان للمذكر ، يقال : المرأة كَلَّمْتُهَا ، الزُّجَاجَةُ كَسَرْتُهَا ، الأعواد كَسَرْتُهَا ، العُودُ كَسَرْتُه ، الرَّجُلُ كَلَّمْتُهُ . لكن اللغويين ذكروا عن طيئ حذف هذا الألف من ضمير المؤنث وجمع غير العقلاء وفتح ما قبله ؛ روي عنهم قولهم عن الأنثى : " كِدْتُ أَضْرِبُهُ " ^(٢٠٢) ، " وَأَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِهِ " ، يعنون الكرامة ^(٢٠٣) ، يريدون : أَضْرِبُهَا ، بها . كما نسبتها بعض المصادر أيضا إلى قبيلة لَحْم ^(٢٠٤) ، وعلى هذه اللهجة جاء قول عامر بن جُوَيْنٍ الطائي ^(٢٠٥) :

(٢٠٠) ينظر اللسان (رغا) ١٤ / ٣٣٠.

(٢٠١) ينظر لغة طيئ وأثرها في العربية ١٧٧ - ١٧٨.

(٢٠٢) ينظر الجُمهرة ١ / ٢٨٩ ، والحجة للقراء السبعة ١ / ١٣٩ ، وشرح الأشموني ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢٠٣) ينظر شرح الأشموني ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، و شرح التصريح على التوضيح ١ / ١٣٨ ، اللهجات العربية في التراث ١ / ١٤٢ ، ٢ / ٥٠٧ - ٥٠٨ ، ولغة طيئ وأثرها في العربية ١٨٩ ، ٢٣٢ ، ٣٠٠.

(٢٠٤) ينظر الإنصاف ٢ / ٥٦٨.

(٢٠٥) ينظر ديوانه ضمن شعر طيئ ٢ / ٤٢٩ ، وكتاب سيبويه ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ والجُمهرة ١ / ٢٨٩ ، واللسان (خبس) ٦ / ٦٢ ، وجاء فيه أن البيت لعمر بن جُوَيْنٍ أو لامرئ القيس ، كما جاء في الإنصاف ٢ / ٥٦٠ - ٥٦١ أنه لعامر بن الطفيل ، والصحيح أنه لعامر بن جُوَيْنٍ ؛ فهو من قصيدة له معروفة

فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا خُبَاسَةً وَاحِدٍ وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلُهُ

يريد: أَفْعَلُهَا.

وقول الشاعر^(٢٠٦):

فَلِإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بِدَارِ قَوْمِي نَوَائِبَ كُنْتُ فِي لَحْمٍ أَخَافُهُ

يريد: أَخَافُهَا.

كما حُمِلت عليها بعض القراءات الشاذة، فقوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾^(٢٠٧)، قرئ في الشواذ بفتح الضمير الهاء: (ابْنَه)، على أن المقصود ابنها، ثم حذف الألف، أي ابن امرأته^(٢٠٨)، ومعلوم أن المفسرين اختلفوا في الابن الذي ناداه نوح عليه السلام؛ فقال بعضهم: إنه ابنه لصلبه، وقال آخرون: إنه ربيه ابن امرأته^(٢٠٩).

وقد استمرت هذه اللهجة حية في بعض البيئات اللهجية في العصور الإسلامية؛ حيث نصّ اللغويون على أن أهل بغداد كانوا عليها زمن الكِسائي (علي بن حمزة ت ١٨٩هـ) والفرّاء (يحيى بن زياد ٢٠٧هـ)، أي في القرنين الثاني والثالث^(٢١٠).

=مذكورة في ديوانه الموضع السابق. وما وقع في اللسان من تسميته بعمر و تحريف. والخباسة: الغنيمة، ونهنت نفسي: زجرتها.

(٢٠٦) لم أعر على اسمه، و البيت في الإنصاف ٥٦٨/٢، وشطره الثاني فقط في شرح الأشموني ٤/ ٢١١.

(٢٠٧) هود ٤٢.

(٢٠٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٨٤/٢، والبحر المحيط ٦/ ١٥٧، ونسبها المصدر الأخير إلى جماعة، منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين.

(٢٠٩) ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٤٩ - ٥٠.

(٢١٠) ينظر الحجة للقراء السبعة ١/ ١٣٩.

وهذا المظهر اللهجي هو الشائع في لهجة أهل القصيم ، ومن شواهد من شعر

عوامهم قول محمد بن عبد الله القاضي^(٢١١) :

احْمَسْ ثَلَاثِ يَا نَدِيمِي عَلَى سَاقٍ رِيحَهُ عَلَى جَمَرِ الْعَصَا يَفْضَحُ السُّوقُ
إِلَى اشْقَرِ لَوْنُهُ ثُمَّ بَشَّتْ بِالْإِعْرَاقِ وَبَقَتْ كَمَا يَلِاقُوتُ يَطْرَبُ لَهُ الْمُوقُ

يريد : رِيحها... لَوْنُها... لَهَا... .

وقوله أيضاً^(٢١٢) :

دَارِ لَنَا وَادِي الرُّمَّةِ هُوَ شِمَالُهُ غَرِيْبُهُ الضَّاحِي وَ شَرْقِيَّةُ الْجَالِ

يريد : شَمَالُهَا... غَرِيْبُهَا... شَرْقِيَّتُهَا....

وقول شاعر من أهل بلدة الشَّماس^(٢١٣) :

(٢١١) البيتان من قصيدة له مشهورة عند المهتمين بالشعر العامي ، وصف بها القهوة ، ينظر ديوانه الذي أخرجه عبد الله الحاتم ٢٥ ، وشاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي ٢٠١ ، وفي المصدر الثاني بعض اختلاف في الرواية. وقوله : احمس ثلاث ، أي حَمَّص من حب القهوة ثلاث مرات ، والمقصود ثلاث دفعات ، والْحَمْسُ بمعنى القَلْبِي فصيح ، على ساق : متواليات ، وكانوا لا يستحبون حَمْس كمية كبيرة من القهوة دفعة واحدة ، وإنما يجزئونها مرتين أو ثلاثاً ضماناً لجودة الحمس وشموله جميع حباتها ، يفضح السوق : السوق هو الشارع ، بلهجة أهل القصيم ، والمعنى مجازي ، يراد منه تصوير شدة انتشار رائحة القهوة وتجاوزها البيت ، حتى يعلم بها من في الشارع ، وهو مأخوذ من الفضيحة التي سرعان ما تشيع بين الناس ، بَشَّتْ بِالْإِعْرَاقِ : الأصل الإِعْرَاق ، وهو خروج العَرَق ، والمقصود نَدِيت من الحرارة ، جعل ما يخرج من حبات القهوة بسبب الحرارة بمثابة العَرَق ، المُوق : العيون ، ويلحظ استعماله بقت ، يريد بقيت ، ينظر ماسبق من حديث عن إبدال الواو والياء المتحركتين بعد كسرة ألفاً.

(٢١٢) البيت من قصيدته في وصف بلدة عُثَيَّة و بيان حدودها ، ينظر ديوانه الذي أخرجه عبد الله الحاتم ص ١٠ ، وشاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي ١٧٣ ، وفي رواية الأخير بعض الاختلاف اليسير ، وقوله : الضَّاحِي ، هو الرمل الواسع ، الجال : الجانب القائم من الجبل.

لِي دِيرَةٍ عَنْهُ الْمَوَازِينُ قَبْلَةً شَرْقِيَّةَ الْمَرْقَبِ وَمَجْرَى الْفَوَاجِرِ
يَا مَا دَخَلْنَا غِيَبَةَ الْمَوْتِ دُونَهُ وَيَا مَا ضَرَبْنَا بِالسَّيُوفِ الْبَوَاتِرِ
يريد: عَنْهَا... شَرْقِيَّهَا... دُونَهَا....

ويشيع هذا المظهر أيضاً فيما يلي القصيم من شمالي نجد، كمنطقة حائل، وهذا طبعي؛ وقد تقدم، أنها قديماً مساكن طَبْي، وحديثاً مساكن فرعها الكبير قبيلة شَمَر، ومن شواهد من شعر العامة هناك قول عبيد بن رَشِيد^(٢١٤):

= (٢١٣) لم أعر على اسمه، وهو يحدد في البيتين موقع بلدته، ينظر معجم بلاد القصيم ١٢٦٧/٣ - ١٢٦٨. وقوله: دِيرَة، أي بلدة، المَوَازِين: اسم لبساتين كانت تقع إلى الشمال الغربي من بلدة الشَّماس، المَرْقَب: بُرْج المراقبة، وهو برج بلدة الشَّماس المشهور بارتفاعه، وقد ظل صامداً إلى عهد قريب، أدركت أنا جماعات من الكبار الذين أدركوه ووصفوه، الفَوَاجِر: جمع فاجرة، و الفاجرة وادٍ معروف ذو فرعين، ولذا عبَّر عنه بالجمع، يا ما: تركيب معناه ما أكثر. وبلدة الشَّماس - وينطقونها الشَّماس - بلدة قديمة مندثرة الآن، تعد من أقدم بلدان القصيم في وسط نجد عمراتاً، مسماة باسم شِماس - وينطقه العامة بإسكانه والتوصل إليه بهمزة وصل مكسورة: شَماس - بن غانم بن ناصر الودعاني الدُّوسري، حيث أسسها في حدود القرن التاسع الهجري، وسكنها هو وذريته، وظلت مزدهرة حتى خربت عام ١١٩٦ هـ، وقد دخلت بقاياها الآن في مدينة بُرَيْدة قاعدة القصيم، وأصبحت حياً من أحيائها، وكان موقع الشَّماس إلى الشمال الغربي منها، ينظر ما جاء عنها في معجم بلاد القصيم الموضع السابق.

(٢١٤) هو الأمير الفارس عُبَيْد - وينطقه أهل نجد: عُبَيْد بن رَشِيد، وأهل الشمال منهم يفخمون الباء - بن علي آل رَشِيد الشَّمري، الأخ الأصغر والساعد الأيمن لعبدالله بن علي آل رَشِيد مؤسس إمارة آل رَشِيد في حائل - قامت عام ١٢٥١ هـ، وانتهت عام ١٣٤٠ هـ - وفاته في حدود عام ١٢٨٢ هـ، ترجمته في: خيار ما يلتقط ٩٥/٢، والأزهار النادية ٢٧/٣، ومعجم الشعراء الشعبيين ٢٣٧.

والبيت من قصيدة له تنتظر: في الأزهار النادية ١٠٢/٣، وخيار ما يلتقط ١٠٧/٢، وبين المصدرين بعض الاختلاف في الرواية، وما أثبتته هو رواية الأول، وقوله: حُدْب، جمع أحذب، وهي السيوف؛ لأن الغالب في السيوف التقويس، المصاقيل: جمع مصقول، مطارق: جمع مطرق، وهو في اللهجة

بَايْمَانِنَا حُدْبُ السُّيُوفِ الْمَصَاقِيلِ وَ مِطَارِقٍ مَا يَنْتَدَاوِي صَوَابَهُ
يريد: صَوَابُهَا.

بل ذكر بعض الباحثين أنه شائع في عموم قبيلة شَمَّر^(٢١٥).
وهذا المظهر بلغ من الفُشُو والكثرة في لهجة أهل القصيم قدراً لا يحتاج معه إلى
استشهاد، لكن ينبغي التنبيه إلى أن الشعراء من أهل القصيم قد يتركونه ويعودون إلى
الأصل فيثبتون الألف عندما تضطرهم الأوزان والقوافي، ومن أمثلة القصائد العامة
القصيمية التي شاع فيها هذا الإثبات بكثرة بسبب القافية قصيدة الخُلُوج^(٢١٦) لمحمد بن
عبد الله العُوني، ومنها قوله^(٢١٧):

=النجدية اسم لكل عصا طويلة لينة الاهتزاز، والمقصود به هنا قناة الرمح، ما يَنْتَدَاوِي: لا يُدَاوِي،
صَوَابُهُ: الصَّوَابُ في اللهجة النجدية اسم للجُرْح الناجم عن السلاح في المعركة.

(٢١٥) ينظر اللهجات العربية القديمة ٣٥٧.

(٢١٦) الخُلُوج في لهجتهم وصف توصف به الناقة التي فقدت حوارها، فهي تحن إليه ونبحث عنه وتدعوه
بصوت خاص حزين يعرفه أهل الإبل، وإنما سميت هذه القصيدة بهذا الاسم لأن الشاعر وصف
حال هذه الناقة في أولها مشبهاً حاله بحالها.

(٢١٧) ينظر الشاعر محمد العُوني ٧٠، ومعجم أسر بُرَيْدة ٣٠٣/١٦، وبين المصدرين بعض اختلاف في
رواية البيتين، والبيتان في ذكر حدود منطقة القصيم، وقوله: نَشِينَا، أي نشأنا، حَشْمُ الرَّعْن: جبل
معروف يقع في شمال منطقة القصيم على الحدود بينها وبين منطقة حائل، ينظر معجم بلاد القصيم
٣/ ٩٠٥، طُعْسَيْنُ الْأَرَاخِم: طُعْسَيْن مثنى طُعْس، وهو كثيب الرمل، وهو في الفصحى دُعْص، و
الْأَرَاخِم: أصلها الْأَرَاخِم موضع معروف في شرق القصيم، ينظر، معجم بلاد القصيم ١/ ٣٠٨،
اللَّوَى: أصله اللَّوَى، وهو رمل معروف داخل في عداد صحراء الدهناء، يحُدُ الْقَصِيم من الشمال
الشرقي، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - شمال المملكة ١/ ١١٦٤، السَّر: منطقة
معروفة تحد القصيم من الجنوب، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - عالية نجد ٢/
٦٨١، سَهَالِهَا: جمع سَهْلَة، وهي الرَّمْلَة.

وَابْكِي عَلَى دَارِ نَشَيْنَا بُرْبَعَهَا مَعْلُومَةٍ خَشَمَ الرَّعْنُ مِنْ شِمَالِهَا
وَمِنْ شَرْقِ طُعَسَيْنِ الْأَرَاخِمِ تَجِدُهَا يَنْ لَوَى وَالسَّرُّ مَا أَطِيبَ سَهَالِهَا

وقد يجمع بين الإثبات والحذف في بيت واحد من هذه القصيدة، كقوله^(٢١٨) :
مِنْ كَثْرٍ مَا مَسَّهُ عَلَى السَّيْرِ وَالسَّرَى وَمِنْ كَثْرٍ مَا خَاضَتْ مَهَامَهُ سَهَالِهَا
فقال : مَسَّهُ ، وهو يريد : مَسَّهَا ؛ لأن الضمير يعود على الخيل والإبل ، وقد
قال : سَهَالِهَا ، ولم يقل : سَهَالَهُ.

ومثل ذلك قول محمد بن علي العرفج^(٢١٩) :

(٢١٨) ينظر ديوانه ٢٨ ، و الشاعر محمد العوني ٧١ ، ورواية الديوان وقع فيها بعض التحريف ، وقوله :
مِنْ كَثْرٍ ، أي من كثرة ، مَسَّهُ : مَسَّهَا ، أي حَمَلَهَا ، والمقصود الخيل والإبل ، مهامه : صحاري ،
سَهَالِهَا : رمالها .

(٢١٩) الأمير محمد بن علي العرفج من (آل أبو غليان) أمراء بُرَيْدة قديماً ، ولد في حدود عام ١١٩٠ هـ ،
وانتهت إمارته على بُرَيْدة عام ١٢٤٣ هـ ، وتوفي مقتولاً على يد أحد أفراد عشيرته في قضية ثأر
مشهورة عام ١٢٥٨ هـ ، يعد من فحول شعراء العامية ، له شعر كثير متعدد الأغراض ، طبع بعضه ولا
يزال كثير منه يروى رواية ، وما طبع منه مع الأسف مليء بالأخطاء ، كما هو حال طباعة كثير من
الشعر العامي ، لأن من يطبعونه لا يعرفون لهجته ، ينظر ما جاء عن الشاعر في : من شعراء بُرَيْدة ١ /
١٩ ، و معجم أسر بُرَيْدة ١ / ٢٢١ ، ١٥ / ١٤٢ ، وخيار ما يلتقط من شعر النَّبْط ٢ / ٢٣ ، و محمد
العلي العرفج حياته وشعره ٢٩ .

والبيت في وصف ناقه ، ينظر في خيار ما يلتقط من شعر النَّبْط ٢ / ٢٤ ، و محمد العلي العرفج حياته وشعره
٩٦ ، وهو يصفها بأنها من النجائب العُمانيات المشهورة ، فهي عُمانية من جهتي الأب والأم ،
وقوله : وسمها المَغْزَل على فخذة : الوَسْم هو إحداث علامة على الماشية ، خاصة الإبل والغنم بكيها
بالنار ، فلكل قبيلة أو عشيرة أو أسرة علامة خاصة يسمون بها ، تُمَيِّز ما يكون لهم مما هو لغيرهم ،
وأكثر ما يكون وُسْم الإبل على أعناقها وأفخاذها وقد توسم على وجوهها ، وهو يريد أن وسم
هذه الناقة على فخذها ، على هيئة المَغْزَل الذي هو آلة الغَزْل ، يتيم : مفرد ، والمعنى مجازي ،

أَصْلُ أَبُوْهَا مِنْ عُمَانٍ وَأُمُّهَا وَسَمَّهَا الْمَغْزَلُ عَلَى فِخْذِهِ يَتِيمٌ

فقال: فِخْذُهُ، وهو يريد: فِخْذُهَا؛ لأن الضمير يعود على الناقة، وقد قال: أَبُوْهَا... أُمُّهَا... وَسَمَّهَا، ولم يقل: أَبُوْهُ... أُمُّهُ... وَسَمَّهُ.

وكذلك قول سليمان النُقَيْدَانِ - وهو يصف مدينة بُرَيْدَةَ - (٢٢٠):

رَمْلُهُ ذَهَبٌ مَالُهُ مِثْلُ بِلَاقِطَارٍ يَا كَيْفَ أَعْدَّ أَوْصَافَهَا وَأَنْتُمْ أَدْرَى

فقال: رَمْلُهُ، وهو يريد: رَمْلُهَا؛ لأن الضمير يعود على مدينة بُرَيْدَةَ، وقد قال: أَوْصَافَهَا، ولم يقل: أَوْصَافُهُ.

المبحث الثاني: المظاهر الصَّرْفِيَّة

١ - فَعَلَ وَأَفْعَلَ

مما تختلف فيه لهجات العرب بناء بعض الأفعال على فَعَلَ وَأَفْعَلَ (٢٢١)، ومن ذلك قولهم: سَرَى وَأَسْرَى، لمن سار ليلاً، والمصدر من الأول السَّرَى، ومن الثاني الإسراء، والوجه الثاني هو الذي جاء في القرآن، وبه سميت سورة الإسراء، وأولها

= والمقصود: ليس على هذه الناقة إلا وسم واحد، هو وسم صاحبها، يريد أنها عزيزة لم يتداولها الناس بالبيع والشراء فيتعدد عليها الوَسْم.

(٢٢٠) سليمان بن محمد النُقَيْدَانِ - كذا ينطقونه، وأصله: النُقَيْدَانِ - شاعر عامي من أهل بُرَيْدَةَ، له اهتمام بأداب العامة، صدر له كتاب في جزأين سماه (من شعراء بُرَيْدَةَ)، وكان ينوي إصدار الجزء الثالث، وتوفي قبل عدة سنوات قبل أن يتحقق له ذلك، ينظر ما جاء عنه في معجم أسر بُرَيْدَةَ ٢٢ / ١٩٠.

والبيت من قصيدة له صَدَّرَ بها كتابه المذكور، ينظر ١٥ / ١. وقوله: يَا كَيْفَ: دخول يا على الاستفهام التعجبي في لهجتهم يراد منه المبالغة في إظهار التعجب، والمراد: كيف أعدد أوصافها وأنتم أدري مني بها.

(٢٢١) ينظر اللهجات العربية في التراث ٦١٣ / ٢.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(٢٢٢) ، وقد نسبته اللغويون إلى أهل الحجاز^(٢٢٣) ، في حين يرجح أن الطائيين يأخذون بالوجه الأول^(٢٢٤) ، وعليه جاء قول حاتم الطائي^(٢٢٥) :

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيئُهُمْ وَحَتَّى تَرَاهُمْ فَوْقَ أَغْبَرَ طَاسِمِ
حيث قال: سَرَيْتُ ، ولم يقل: أَسْرَيْتُ.

واللهجة القصيمية وجميع اللهجات النجدية المعاصرة على هذا الوجه ، ومن شواهد من شعر العامة في القصيم قول محمد بن عبد الله القاضي^(٢٢٦) :

بَرْقٍ شَعَقَ نُورُهُ سَرَى يَجْهَرُ الْخَلْقُ أَسْفَرُ وَضَاحٌ وَلَاخٌ مِنْ يَيْنِ الْآفَاقِ
وقول محمد بن عبد الله العوني^(٢٢٧) :

كَرِيمُ يَا بَرْقٍ سَرَى أَسْتَخِيلُهُ عَلَى الْحَفَرِ كُنْهُ سَوَاةُ الْعَنَايِرِ
وقوله أيضاً^(٢٢٨) :

(٢٢٢) الإسرائ ١.

(٢٢٣) ينظر الصحاح (سرى) ٢٣٧٦/٦ ، واللسان (سرى) ٣٨١/١٤.

(٢٢٤) ينظر لغة طيّ وأثرها في العربية ١٨٦.

(٢٢٥) ينظر ديوانه ٨٤ ، وقوله: أَغْبِر ، أي قَفَر أَغْبِر ، طاسم: ليس فيه معالم.

(٢٢٦) ينظر ديوانه الذي أخرجه عبد الله الحاتم ص ١٠٤ ، وفي ديوانه المسمى شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي: شَرَقَ يَسْحَرُ الْخَلْقُ ، وقوله: شَعَقَ ، أي سَطَعَ يَجْهَرُ الْخَلْقُ: أي يقع نوره على عيونهم فلا يستطيعون الإبصار ، ضاح: بدا نوره ، مأخوذ من ضَوَح النار ، وهو سناها عندهم ، لاح: ظهر.

(٢٢٧) ينظر معجم أسر بُرْدَة ٣٥٤/١٦ ، وقوله: أَسْتَخِيلُهُ ، أي أنظر إلى سحابه ، مأخوذ من الخيال ، وهو من أسماء السحاب عندهم ، الحَفَر: اسم موضع ، كُنْهُ: كأنه ، سَوَاة: أمثال ، الْعَنَايِر: كثران الرمل العالية المتراكمة ، وقد تطلق على الجبال ، مفردا غُنُقُور.

(٢٢٨) البيتان من قصيدة له مشهورة عند المهتمين بالشعر العامي ، وهي المعروفة بالخلُوج ، والثاني منهما سبق الاستشهاد به قبل قليل ، وهو ليس بعد الأول مباشرة ، فبينهما جملة من الأبيات ، ينظر

أَوْصِيكَ يَا مِرْسَالُ بِالسَّيْرِ وَالسَّرَى وَاحْذِرْكَ نُومَ اللَّيْلِ عَيْنِكَ يَنَالُهَا
مِنْ كَثْرٍ مَا مَسَّهُ عَلَى السَّيْرِ وَالسَّرَى وَمِنْ كَثْرٍ مَا خَاصَتْ مَهَامِهِ سَهَالُهَا
وقول عبدالعزيز الهاشيل (٢٢٩):

يَا مَا سَرَيْنَا بِالظَّلَامِي وَحَدْنَا وَمَشَيْتُ حَافِي مَعَ سَوَادِ الْحَزُومِي
وقول سليمان بن شَرِيم (٢٣٠):

سَرَى الْبَارِقِ اللَّيْلِ لَهُ زِمَانَيْنِ مَا سَرَى صُدُوقُ الْمَخَايِلِ بَارِقُهُ يَجْذِبُ
٢- افْتَعَلَ وَتَفَعَّلَ

= ديوانه ٢٧-٢٨ ، والشاعر محمد العُثُوي ٧١ ، ورواية الديوان وقع فيها بعض التحريف ، وقوله : مِنْ كَثْرٍ ، أي من كثرة ، مَسَّهُ ، أي حَمَلَهَا ، لأن الضمير يعود على الخيل والإبل ، وقد حذف ألف الضمير ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المظهر اللهجي في المظاهر الصوتية ، مَهَامِهِ : صحاري ، سَهَالُهَا : رمالها .

(٢٢٩) عبدالعزيز بن محمد الهاشيل المعروف بالنُّقَاطِي - كذا ينطقونه ، وأصله النُّقَاطِي - ، شاعر فكاهي من أهل بُرَيْدَة ، عاش فقيراً ، ولم يرزق بذرية ، وشعره مليء بالشكوى من الفقر والتملل من الحاجة ، مع أنه جرب أعمالاً عدة ، من أهمها الزراعة التي يحفل شعره بذكرها ، توفي عام ١٤٢٤هـ . ترجمته في : معجم أسر بُرَيْدَة ٧/٢٣ .

والبيت في ديوانه ١٠ ، وقوله : ياما : ما أكثر ، الظَّلَامِي : جمع ظُلْمَة ، الحَزُومِي : جمع حَزَم ، وهو الحَزَن ، الذي هو الأرض المرتفعة ذات الحجارة .

(٢٣٠) البيت مطلع قصيدة له ، تنظر : في درر الشعر الشعبي أو الشعبي ٣ / ٨٥٨ ، وقوله : البارق ، أي البرق ، و سَرَى : أي بَرَقَ ، واستعمال اللفظ هنا مجازي ؛ لأن البرق أكثر ما يرى واضحاً في الليل ، خاصة إذا كان بعيداً ، وإلا فالسحاب هو الذي يسير ، و البرق يسير بسيره ، اللي : الذي ، زِمَانَيْنِ : مثني زَمَان ، والمقصود عامين ، المَخَايِلِ : السُّحُب .

المعروف عند أكثر العرب قولهم عن الذي يبدي عُذراً: اعتذر، وقد روى بعض اللغويين عن طيّ قولهم في مثل هذا: تَعَذَّر^(٢٣١)، كما رووه أيضاً عن تميم وقيس^(٢٣٢)، وعليه جاء قول الشاعر^(٢٣٣):

وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي فِي الْحَقِّ مُسْتَحْيًى إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أَعْذَرَ

والعامة اليوم من أهل القصيم وأكثر أهل نجد الذين لم تتأثر لهجتهم بتعليم أو لهجة أخرى لا يقولون إلا: تَعَذَّرْتُ، ومن شواهد من شعرهم قول محمد بن عبد الله القاضي^(٢٣٤):

إِلَى أَفَكَّرْتُ بِالْذُّنْيَا تَكْدَرُ لِي الصَّافِي تَعَذَّرَ زَمَانِي مَا حَصَلَ صَاحِبِ صَافِي

تَعَذَّرَ زَمَانِي: اعتذر زَمَانِي.

وقول عبد الله الصويان^(٢٣٥):

بَالِكَ تَعَذَّرَ لَنَا وَتُبَّيْنِ الصَّلَةِ وَأَعْطَيْكَ مِيثَاقَ وَغُهُودٍ عَلَى حَالِي

بَالِكَ تَعَذَّرَ: احذر تَعَذَّرَ، أي تَعَتَّنِر.

(٢٣١) ينظر غريب الحديث للحري ٢٧٢/١، ولغة طيّ وأثرها في العربية ١٨٦.

(٢٣٢) ينظر اللسان (عذر) ٥٤٨ / ٤، ولغة تميم ٣٨٩.

(٢٣٣) هو تميم بن مقبل، ينظر ديوانه ١١١، وتهذيب اللغة ٣٤٦/٤.

(٢٣٤) ينظر شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي ٤٩٣، وقوله: إلى أَفَكَّرْتُ، أي إذا تَفَكَّرْتُ، وفي البيت مجاز، يتمثل في إقامة الشاعر للزمان مقام العاقل، فهو يقول: طلبت من زماني صاحباً مصافياً فاعتذر.

(٢٣٥) عبد الله بن إبراهيم الصويان (كذا ينطقونه، وأصله: الصويان، من أهل عُنَيْزَة، وفاته في ستينات القرن الرابع عشر الهجري)، ينظر شعراء عنيزة الشعبون ٢٠٨/٢، ٢١٣، وقوله: بَالِكَ، أي احذر، وأصلها أَلَقَ بَالِكَ، والبال عندهم اسم للعقل، تُبَيِّن: تُبْدي، الصَّلَة: الصُّدُود، حالي: نفسي.

ولكن الوجه الأول - وهو اعتذر - شاع وكثر بأخرة ؛ بسبب شيوع التعليم بين الناس ، وباختلاط الناس وتأثر لهجاتهم بعضها ببعض ، حتى تغلب على الثاني - وهو تعذر - خاصة على السنة المتعلمين والناشئة بالجملة.

ومثل ذلك أن المعروف عند أكثر العرب قولهم عن الذي يفعل حيلة : إحتال ، والمصدر من ذلك الاحتيال ، لكن روي عن بعض العرب قولهم في مثل هذا : تحيل ، والمصدر منه التحيل ، وقد نص اللغويون على أن الوجه الأخير لهجة^(٢٣٦) ، لكنهم - حسب علمي - لم ينسبوا إلى قوم معينين ، ولا يبعد عندي أن تكون لطيفي ؛ قياساً على الفعل تعذر ، الذي نسب إليهم صراحة ، كما سبق.

ولقد كان الفعل الماضي تحيل ، ومضارعهُ يُتحيل ، والأمر تحيل ، والمصدر الذي ينطقونه بكسر حروفه الثلاثة - هكذا : تحيل - تستعمل في القصيم وكثير من بلدان نجد جنباً إلى جنب مع الفعل المشهور إحتال ومشتقاته ، بل إنه أكثر منه دوراً على السنة العوام الذين لم يتأثروا بتعليم أو بلهجة أخرى ، ومن شواهد من شعرهم قول محمد العوني^(٢٣٧) :

تَحِيلُ كُودَ حِيَلَتِكَ تَيْبُ تَسَبُّبُ رُبُّمَا أَسْبَابِكَ تُؤَافِي

حيث جاء بالأمر تحيل ، ولم يقل : إحتل.

ومن شواهد أيضاً اسم أسطورة من أساطيرهم تحكي قصة امرأة محتالة ، أسموها (قصة المتحيلة)^(٢٣٨) ، على صيغة اسم الفاعل من الفعل تحيل ، لكن مركز

(٢٣٦) التاج (حول) ٢٨/٢١٣.

(٢٣٧) ينظر الشاعر محمد العوني ٢٥ ، وقوله : تحيل ، أي إحتل ، كُودَ : عسى ، حِيَلَتِكَ : جمع حيلة ، تَيْبُ : تُرجع ، أي تُرجع ما فات ، وقد تكون بمعنى تُفيد ، والمعنيان يؤولان إلى معنى واحد ، تَسَبُّبُ : أفعال الأسباب.

(٢٣٨) تنظر في معجم أسر بُرَيْدة ٨/٣٧٩.

هذا الفعل بدأ يتأخر كثيراً، فقل استعماله، خاصة على السنة الناشئة، وحل محله الفعل احتال.

المبحث الثالث: المظاهر النحوية

١ - مطابقة الفعل للفاعل و نائبه في الإفراد والتثنية والجمع

المعروف في العربية أن الفعل إذا أسند إلى فاعل ظاهر وجب إفراده سواء كان الفاعل مفرداً أم مثني أم جمعاً^(٢٣٩)، فيقال: قَدِمَ الضَّيْفُ، قَدِمَ الضَّيْفَانِ، قَدِمَ الضُّيُوفُ.

وكذلك الحال في نائبه، يقال: أُكْرِمَ الضَّيْفُ، أُكْرِمَ الضَّيْفَانِ، أُكْرِمَ الضُّيُوفُ. لكن اللغويين ذكروا عن طَيِّ وبعض القبائل العربية الأخرى، مثل أزد شنوءة وبنو الحارث بن كعب أنها تجعل الفعل يطابق الفاعل ونائبه^(٢٤٠)، فيقال على هذه اللهجة: قَدِمَ الضَّيْفُ، قَدِمَا الضَّيْفَانِ، قَدِمُوا الضُّيُوفُ. كما يقال: أُكْرِمَ الضَّيْفُ، أُكْرِمَا الضَّيْفَانِ، أُكْرِمُوا الضُّيُوفُ.

وقد أطلق اللغويون على هذا المظهر اللهجي (لغة أَكْلُونِي الْبَرَاغِيث)؛ لأنهم حكوا هذه الجملة عن بعض القبائل التي تتكلم بهذه اللهجة^(٢٤١).

وشواهد هذه اللهجة كثيرة ومتنوعة، حيث حمل عليها بعض اللغويين آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾^(٢٤٢)، على اعتبار أن (كثير) -

(٢٣٩) ينظر شواهد التوضيح والتصحيح ١٩١، وأوضح المسالك ٩٨/٢.

(٢٤٠) ينظر اللسان (عمد) ٣٠٣/٣، وأوضح المسالك ٩٨/٢، وشرح ابن عقيل ١/٤٦٨، وشرح

الأشموني ٤٨/٢، والتصريح على التوضيح ٨٦/١، ٢٧٥.

(٢٤١) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢٦٢/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٥/٢ - ١٩٦، وإعراب

القرآن للنحاس ٣٣/٢، و اللسان (عمد) ٣٠٣/٣، وشرح الأشموني ٤٧/٢.

وهو لفظ معبر عن الجمع - فاعل للفعل (عموا) المتصل بواو الجماعة^(٢٤٣). ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢٤٤)، على اعتبار أن (الذين) - وهو اسم موصول للجمع - فاعل للفعل (أسروا) المتصل بواو الجماعة^(٢٤٥). كما جاءت عليها بعض القراءات الشاذة، فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢٤٦)، قرئ في الشواذ: (قد أفلحوا المؤمنون)^(٢٤٧)، وقوله: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢٤٨)، قرئ في الشواذ: (وأدخلوا الذين آمنوا)^(٢٤٩). كما جاءت بعض الأحاديث النبوية والآثار بموافقتها أيضاً^(٢٥٠).

وروى اللغويون لها شواهد كثيرة من الشعر، منها قوله^(٢٥١):

= (٢٤٢) المائدة ٧١.

(٢٤٣) ينظر معاني القرآن للأخفش ١/٢٦٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/١٩٥ - ١٩٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٣٠٣، وقد أوردت هذه المصادر وجوهاً أخرى في إعراب هذه الآية.

(٢٤٤) الأنبياء ٣.

(٢٤٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٣٠٣، وقد أورد هذان المصانيد وجوهاً أخرى في إعراب هذه الآية.

(٢٤٦) المؤمنون ١.

(٢٤٧) قرأ بها طلحة بن مصرف، ينظر الكشف ٣/١٧٤، والبحر المحيط ٧/٥٤٦.

(٢٤٨) إبراهيم ٢٣.

(٢٤٩) قرأ بها الحسن وعمرو بن عبيد، ينظر مختصر في شواذ القراءات ٧٢.

(٢٥٠) ينظر شواهد التوضيح والتصحيح ١٩١ - ١٩٢، ووالنهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٩٧، وشرح الأشموني ٢/٤٧ - ٤٨.

(٢٥١) ينسب إلى أحيحة بن الجلاح، ينظر شرح شواهد المغني ٢/٧٨٣، كما ينسب إلى أمية بن أبي الصلت، ينظر التصريح ١/٢٧٦، وينظر من غير نسبة في معاني القرآن للفراء ١/٣١٦، و سر صناعة الإعراب ١/٦٢٩، وأمالي ابن الشجري ١/٣٠١، وأوضح المسالك ٢/١٠٠، و يروى آخر هذا

يَلُومُونَنِي فِي إِشْتِرَاءِ النَّخِي ——— لِ أَهْلِي فَكُلُّهُمْ أَلْوَمٌ

حيث قال: يَلُومُونَنِي ، ولم يقل: يَلُومُنِي.

وقوله^(٢٥٢):

نَصْرُوكَ قَوْمِي فَاعْتَزَزْتَ بَنَصْرِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ خَذَلُوكَ كُنْتَ ذَلِيلًا

حيث قال: نَصْرُوكَ ، ولم يقل: نَصْرَكَ.

وقد استمرت هذه الظاهرة صامدة عبر العصور بعد عصر الاحتجاج؛ حيث وردت في أشعار الشعراء الطائيين وغيرهم، من أمثال أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣٠ هـ)، والمتنبي (أحمد بن الحسين الجعفي ت ٣٥٤ هـ)، وأبي فراس الحمداني (الحارث بن سعيد ٣٥٧ هـ)^(٢٥٣)، كما كانت موجودة في كلام العامة في القرنين الخامس والسادس الهجريين؛ فالحريري (القاسم بن علي ت ٥١٦ هـ) يذكرها في كلام العامة في زمانه^(٢٥٤)، وهي شائعة في أكثر اللهجات العربية إلى يوم الناس هذا^(٢٥٥).

واللهجة القصيمية واللهجات النجدية اليوم، بل ولهجات شبه الجزيرة العربية عموماً من اللهجات العربية التي لا تزال محتفظة بهذا المظهر اللهجي، ومن شواهدنا من شعر العامة في القصيم قول محمد بن عبد الله العُوني^(٢٥٦):

=البيت في بعض المصادر بلفظ (يَعْلُزْ)، ينظر شرح الأشموني ٤٧/٢، وقد أشار المصدر الأول إلى هذه الرواية.

(٢٥٢) لم أعثر على قائله، وينظر في شرح الأشموني ٤٧/٢.

(٢٥٣) ينظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١ - ٢٥٢، ولغة طَبَّي وأثرها في العربية ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢٥٤) ينظر درة الغواص ١٢٨.

(٢٥٥) ينظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٧٠، ولغة طَبَّي وأثرها في العربية ٢٥٣.

(٢٥٦) البيت من قصيدته التي تسمى الخُلُوج، ينظر ديوانه ٢٩، والشاعر محمد العُوني ٧١، ومعجم أسر بُرَيْدة ٣٠٤/١٦. وهو يتحدث عن بلدته بُرَيْدة قبل توحيد المملكة، عندما استولى عليها آل رشيد،

لَعَبُوا بِهَا الْأَجْنَابَ لَا رَجِمَ حَيِّكُمْ وَالْبَيْضُ بِالْبِلْدَانِ شَتَّتْ لِحَالَهَا

حيث وصل الفعل (لعب) بواو الجماعة ؛ لأن الفاعل جماعة، وهم الأجانب، جمع أجنبيّ، في لهجتهم.
وقوله (٢٥٧):

ذُبَحُوا الْعَبْدَ اللَّهِ شَيْوْخَ ضَحَى اللَّقَا مُصَايِخُ ظَلَمًا بِالْدِّجَى يَنْعَى لَهَا

حيث وصل الفعل المبني للمجهول (ذبح) بواو الجماعة ؛ لأن نائب الفاعل جماعة، وهم آل عبدالله.
٢. تعدية الفعل (دَخَلَ) بالباء:

المعروف أن الفعل دَخَلَ وما تصرف منه قد يتعدى بحرف الجر (إلى)، أو بحرف الجر (في)، يقال: دَخَلْتُ إِلَى الدار، وفي الدار، وأَدْخَلْتُ فَلَانًا إِلَى الدار، وفي الدار.

=أمراء حائل، ويستحث رجالها - وكان كثير منهم قد تركوها إلى الشام والعراق وغيرها - على العودة إليها وتحريرها، وقد حدث ذلك فتحررت عام ١٣٢٢هـ، وقوله: الأجانب، جمع أجنبي - على حذف الهمزة - وهم الغرباء، لا رَجِمَ: أصله على البناء للمجهول رَجِمَ، البيض: النساء، شَتَّتْ: قضت فصل الشتاء، لِحَالَهَا: وحدها، وكان من عادة أهل نجد قديماً عندما يسافرون للعمل والتجارة في الشام والعراق وغيرها أن يعودوا إلى بلدانهم ويقضون فيها فصل الشتاء، والذين يخاطبهم الشاعر لم يفعلوا هذا؛ بسبب استيلاء أعدائهم على بلادهم، وقد يكون معنى شَتَّتْ: تَشَتَّتْ، والأول عندي أظهر.

(٢٥٧) البيت من قصيدته التي تسمى الخُلُوج، ينظر ديوانه ٢٩، والمجموعة البهية ٨٥. وقوله: ذُبَحُوا، أي قَتِلُوا، فعل مبني للمجهول أصله: ذُبَحُوا، العبدالله: أصلها آل عبدالله، هكذا ينطق لفظ آل في حال إضافته عند عامة أهل نجد، بحذف إحدى همزتيه، يقولون: المحمد، يريدون: آل محمد، والمقصود بالعبدالله آل عبدالله السُعْدُون، من شيوخ الْمُتَنَبِّئ في العراق، يَنْعَى لها: تُقَصِّد في طلب الحاجات، مأخوذ من العناء، ومراده أنهم يستحقون ما يبذل من عناء في الوصول إليهم.

وقد يحذف حرف الجر فيقال: دَخَلْتُ الدارَ، وأَدْخَلْتُهُ الدارَ^(٢٥٨)، لكن روي عن طَيِّى تعديته بالباء؛ روي عنهم قولهم: "أَدْخَلَكَ اللهُ بِالْجَنَّةِ"^(٢٥٩).

والتعدي بالباء، وكذلك حذف حرف الجر أسلوبان مستعملان في اللهجة القصيمية المعاصرة، يقولون: دَخَلْتُ بِالْدارِ، وَاَدْخَلْتُهُ بِالْدارِ - وباء الجر في هذه اللهجة مفتوحة، في حين هي في الفصحى مكسورة - كما يقولون: دَخَلْتُ الدَّارَ، وَاَدْخَلْتُهُ الدَّارَ.

ومن شواهد التعدي بالباء من شعر العامة في القصيم قول إبراهيم الطويان^(٢٦٠):

مِنْ وَرْدِيَّتِهِ مَا دَخَلَ بِقَرَّاشٍ وَلَا مَرَّتُهُوْهُ الْعَلِيمِيَّةُ

ما دَخَلَ بِقَرَّاشٍ: أي ما دَخَلَ قَرَّاشًا^(٢٦١).

(٢٥٨) ينظر اللسان (دخل) ٢٣٩/١١.

(٢٥٩) ينظر تذكرة النحاة ٣٤، ولهجة طَيِّى وأثرها في العربية ٢٥٩.

(٢٦٠) إبراهيم بن عبد المحسن الطويان (كذا ينطقونه، وأصله: الطويان، من أهل بُرَيْدة، وفاته عام ١٣٧٤هـ)، ينظر من شعراء بريدة ١ / ١٦٦، وهو يمدح في هذا البيت سيارة من نوع يسمونه العَتَر، وقوله: مِنْ وَرْدِيَّتِهِ، أي من وقت تَوْرِيده أي استيراده، والمقصود منذ أن كان جديداً، مَرَّتُهُ: أجروا له التمرين، وهو قيادة السيارة الجديدة، الْعَلِيمِيَّة: جمع عَلِيمِي - أصله بضم العين - وهو عندهم الذي لم يتقن قيادة السيارة تمام الإتقان.

(٢٦١) الْقَرَّاش - وينطقونه بسكون القاف - لفظ دخيل يطلق على مكان وقوف السيارات لإصلاحها أو تخزينها، والدلالة الأولى هي التي يقصدها الشاعر؛ لأنه يمدح هذه السيارة بالجودة وأنها لم تحتاج إلى من يصلحها، وأصل اللفظ فرنسي، ينظر معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة ٢ / ١٨٠، وقد كان معروفاً بالدلاتين إلى عهد قريب، لكن دلالتيه على مكان إصلاح السيارات اندثرت الآن أو كادت، ولم يبق له إلا الدلالة الثانية، لكن الناس وسعوها فصار اللفظ يطلق على المكان الذي

ومنه كذلك جملة جرت عندهم مجرى الحكمة أو المثل ، وهي قولهم عندما يبرد الجو قبيل الشتاء ، في فصل الخريف الذي يسمى عندهم الصُفْرِي : " إِدْخُلُوا بِالْصَّفَافِ وَخُودُوا الْمَهَافَ " (٢٦٢).

المبحث الرابع: المظاهر الدلالية

تميزت بعض لهجات القبائل العربية باستعمال ألفاظ ذات دلالات خاصة لا تستعمل عند غيرهم ، ومما روي عن طيئ من هذا ولا يزال مستعملاً في اللهجة القصيمية المعاصرة :

١- الرُمَخ

إذا سقط ثمر النخل وهو أخضر قبل اكتمال نموه وصلاحه فله في العربية أسماء منها: الجدال والخلال ، والسدى والسداء والسراء ، السياب ، والسياب ، وروي عن طيئ أنهم يسمونه الرُمَخ (٢٦٣) ، كما نسبت هذه التسمية أيضاً لأهل اليمن (٢٦٤) - وهذا

=توقف فيه السيارة وله باب يغلق في البيوت وغيرها ، للتخزين وغيره ، وصار بعض الناس ينطقونه الآن: كَراج.

(٢٦٢) الصَّفَاف: أصله بكسر الصاد ، جمع صُفَّة ، وهي الغرفة ، والمَهَاف: جمع مَهْفَة ، وهي المروحة اليدوية ، ومقصودهم أن الهواء يبرد في هذا الفصل ، والأجسام تتضرر منه ؛ لأنها لم تعتد عليه بعد ، فينبغي ألا ينام الناس في العراء ، كما كانوا يفعلون في الصيف ، بل عليهم أن يناموا في الغرف ، وإن اضطروا إلى استعمال المراوح فيها.

(٢٦٣) ينظر مجالس ثعلب ٤٨٣/٢ ، والجمهرة ١/ ٥٩٢ ، والتهذيب ٧/ ٣٨٦ ، واللسان (رمخ) ٣/ ١٩ ، وقد ضبط اللفظ بضم الراء في المصدرين الثاني والرابع ، وبكسرها في الثالث ، وأضاف الثاني أن في الميم الفتح والسكون ، وفي التاج (رمخ) ٧/ ١٤٧ ضبط الراء بالضم والكسر ، ولم يذكر في الميم إلا السكون ، ولم يضبط اللفظ في المصدر الأول. والواحدة منه رُمَخَة ، ضبط بضم الراء وفتح الميم في

غير مستغرب ؛ فطَيَّ من أهل اليمَن في الأصل - وعلى هذا جاء قول عباس بن التَّيْحان الطائي^(٢٦٥) :

تَحْتَ أَفَانَيْنِ وَدِي مُرْمَخٌ

وهذا اللفظ يستعمل في اللهجة القصيمية المعاصرة بهذه الدلالة ، فثمر النخل عندما يسقط وهو بُسْر صغار أخضر لم يكتمل ، ويكون ذلك عادة بسبب آفة تعترضه يُلِّين معها قوامه ، يسميه أهل القصيم وكثير من أهل نَجْد رُمَخ ، ويسمون الواحدة منه رُمَخَةً^(٢٦٦) ، يقولون : رَمَخَ البُسْرُ يَرْمَخُ ، وَهُوَ مَرْمَخٌ ، وكانوا قديماً قبل الرخاء الذي مَنَّ الله به عليهم يأكلونه ، بل كانوا عندما يَقِلُّ الطعام عندهم يعمدون إلى البُسْرِ - وهو أخضر في قنيانه لم يسقط ولم يكتمل نموه - فيأخذونه ويضعونه في مكان دافئ ، في كيس وما أشبهه حتى يصير رُمَخًا ، ثم يأكلونه.

٢ - الحَوَيَّ

=اللسان ، وضبط في التهذيب بكسرها وفتح الميم ، وفي الجمهرة بضم الراء وسكون الميم ، والوجهان الأخيران في التاج.

(٢٦٤) ينظر الجمهرة ١ / ٥٩٢ ، هامش الصفحة.

(٢٦٥) كذا جاء نسبته في التكملة ٢ / ١٤٥ ، ونسب في التهذيب ٧ / ٣٨٦ لبعض الطائيين ، وفي اللسان (رمخ) ٣ / ١٩ قدّم له بقوله : " قال الطائي " ، وعباس بن التَّيْحان الحَشْرَمي البُلْواني الطائي ، ورد اسمه دون ترجمة في كتاب معجم الشعراء للمرزباني ١٣٨ - ١٣٩ ، ونسب إليه في هذا الكتاب أربعة أبيات ليس منها هذا الشاهد ، وإن كانت على وزنه وقافيته ، كما ورد اسمه في كتاب شعر طَيِّ وأخبارها ٢ / ٧٥٩ ، ضمن مجاهيل الطائيين ، ونسب إليه في هذا الكتاب ستة أبيات ، منها الأربعة السابقة ، وليس منها هذا الشاهد أيضاً. والودِّي في البيت هو النخل الصغار.

(٢٦٦) ينظر معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة ٥ / ٣٢٨ ، ومعجم النخلة في المأثور الشعبي ١٢٨ ، وفصيح العامي في شمال نجد ٣٦٤.

ذكر اللغويون أن الطائيين يستعملون لفظ الحَوِيَّ بمعنى الثابت^(٢٦٧)، وهذا اللفظ يستعمل بكثرة في عموم اللهجات النجدية المعاصرة ومنها اللهجة القصيمية، وله فيها ثلاث دلالات؛ أولاها: استعماله بمعنى الصديق المصافي الثابت الود، وهذه الدلالة هي أشهرها وأكثرها دوراً، والثانية: استعماله بمعنى رفيق السفر، والثالثة: استعماله بمعنى مرافق الأمير الذي يخدمه ويأتمر بأمره، وكان قبل وقت ليس بالبعيد يؤدي دور الشرطي في تنفيذ أوامر الأمير، وبعض أهل نجد يسميه خادم الأمير، والذي يظهر لي أن الدلالة الأولى تطور دلالي للمعنى الذي روي عن طي، من باب تخصيص العام، أما الثانية والثالثة فهما استعمالان مجازيان، فالثانية على اعتبار أن رفيق السفر بمثابة الصديق المصافي، أو أنهم سموه بهذا تفاعلاً بكونه كذلك، والثالثة فراراً من لفظ الخادم. ومن الشواهد من شعر العامة في القصيم على استعمال اللفظ بدلالة رفيق السفر قول محمد بن ريس^(٢٦٨):

خَوَيْتَنَا مَا نَصْلِبُهُ بِالْمَصَالِبِ وَلَا يَشْتِكِي مَنَا ذُرُوبَ الْعَزَارِي

(٢٦٧) ينظر اللسان (خوا) ١٤ / ٢٤٧.

(٢٦٨) محمد بن منصور بن ريس التميمي، من أهل الرّس (كان حياً عام ١٢٨٠هـ)، ينظر: من شيم العرب ٤ / ٢٥٠، وشعراء من الرّس ٣٢، وفي المصدر الأخير أنه عاش في القرن الثاني عشر، وسماه: محمد بن منصور بن ريس الضّلّعان، وقوله: نَصْلِبُهُ، أي نربطه، المصاليب: جمع مصّلاب، وهي عصي رُحْل البعير - ويسمون الرُّحْل الشّداد -، وهي أربعة عصي متقاطعة، ذُرُوب: طُرُق، العزاري: المشاقّ، والبيت من قصيدة مشهورة عند العامة، ولها قصة توضح معناها، مفادها أن الشاعر كان في قافلة عائدة من الحج، فأصيب أحد أفرادها بمرض قد يتأخر برؤيه - قيل: إنه الجدري - ولا يتمكن معه من ركوب الراحلة ومواصلة الرحلة، فاقترح رئيس القافلة أن يُربط المريض على الرُّحْل؛ حتى لا يسقط، فلم يستسغ الشاعر هذا الإجراء الذي فيه كُلفه ومشقة عظيمة على المريض، فاقترح أن يتخلف مع المريض في موضعه، يقوم بشأنه وتتابع القافلة سيرها، ويقال: إنه لبث مغه ثلاثة أشهر حتى شُفي ثم عاداً معاً.

وكما تقدم فإن استعمال هذا اللفظ ليس مقتصرًا على اللهجة القصصية، بل هو معروف في عموم اللهجات النجدية المعاصرة، شائع في شعر العامة من شعرائها، يقول خَلَف أَبُو زُوَيْدٍ^(٢٦٩):

أَحْشِمُ خَوَيْكَ عَنْ دُرُوبِ الرِّزَالَةِ تَرَى الْخَوِيَّ عِنْدَ الْأَجَاوِيدِ لَهُ حَالٌ
وَالْفُظُّ فِي الْبَيْتِ وَإِنْ كَانَ صَالِحًا لِلتَّفْسِيرِ بِدَلَالَةِ الْفَرِيقِ وَالْبَدَلَةِ الصَّدِيقِ،
إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ قَصَدَ بِهِ الصَّدِيقَ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ تَتَبُعِ الْقَصِيدَةِ^(٢٧٠).

٣- قَعَّ

روى اللغويون عن بعض طيِّع قولهم: قَعَّ فُلَانٌ فُلَانًا يَقَعُّهُ قَعًّا، إِذَا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ
بِالْكَلَامِ^(٢٧١).

واللفظ بهذه الدلالة مستعمل في اللهجة القصصية، فطالما سمعته من كبار السن
في مدينة بُرَيْدَة، ولكنه الآن قلَّ أَنْ يَسْمَعَ، فهو في حكم المندثر، خاصة بالنسبة
لِلنَّاشِئَةِ^(٢٧٢).

(٢٦٩) خَلَفَ أَبُو زُوَيْدٍ - كَذَا يَنْطَقُونَهُ، وَأَصْلُهُ: زُوَيْدٌ - السَّنْجَارِيُّ الشَّمْرِيُّ، مِنْ شُعْرَاءِ الْعَامَةِ الْمَجِيدِينَ،
خَاصَّةً فِي وَصْفِ النِّجَاطِ وَالْحَيْلِ، وَلَهُ أَيْضًا قِصَائِدٌ غَزَلِيَّةٌ رَقِيقَةٌ، تُوْفِيَ فِي مَدِينَةِ حَائِلٍ عَامَ ١٣٦١هـ -
بَعْدَ أَنْ عُمِّرَ طَوِيلًا وَأَنَافَ عَلَى الْمِائَةِ، تَرَجَمَتْهُ فِي: مِنْ شُعْرَاءِ الْجَبَلِ الْعَامِيِّينَ ٩ / ٢، وَمَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ
الشَّعْبِيِّينَ ٩٦.

وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ مَعْرُوفَةٍ لَهُ يُوَصِّي بِهَا ابْنَهُ، تَنْظُرُ: فِي مِنْ شُعْرَاءِ الْجَبَلِ الْعَامِيِّينَ ٤٨ / ٢، وَالْأَزْهَارُ النَّادِيَّةُ
١٧٠ / ٣، وَقَوْلُهُ: أَحْشِمُ، أَيُّ أَكْرَمَ خَوَيْكَ: صَدِيقَكَ، دُرُوبُ: طَرِيقُ، الرِّزَالَةُ: الْبَخْلُ أَوْ اللَّؤْمُ
عَمُومًا، الْأَجَاوِيدُ: أَصْلُهُ الْأَجَوَادُ، وَهِيَ الْأَجْوَادُ، حَالٌ: قَدَّرَ.

(٢٧٠) وَهِيَ قَصِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الْعَامَةِ يُوَصِّي بِهَا الشَّاعِرُ ابْنَهُ.

(٢٧١) يَنْظُرُ اللَّسَانُ (قَعَّعَ) ٨ / ٢٨٦، وَالتَّاجُ (قَعَّعَ) ٢٢ / ٢٨.

(٢٧٢) هَذَا الْفُظُّ بِدَلَالَتِهِ هَذِهِ مِمَّا فَاتَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الْعَبُودِيِّ فِي كِتَابِيهِ: مَعْجَمُ الْأَصُولِ الْفَصِيحَةِ
لِلْأَلْفَاظِ الدَّارِجَةِ، وَكَلِمَاتُ قَضَتْ، عَلَى اسْتِقْصَائِهِ فِيهِمَا.

خاتمة

أختم هذا البحث بالتأكيد على مايلي :

١ - هذا البحث يدعم مآقرته الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة في العصر الحديث ، من اتصال قوي بين اللهجات العربية الحديثة والقديمة ، وأن ملامح هذا الاتصال أكثر ظهوراً ونقاء وأصالاً في لهجات عرب الجزيرة العربية ، وخاصة وسطها ، ولا عجب في هذا ؛ فاللغة الفصحى التي جمعها اللغويون الأوائل مأخوذة في أغلبها عن القبائل التي كانت تسكن منطقة نجد - والقصيم في وسطها - ، ولا تزال بقاياها هم أكثر أهلها إلى اليوم ، يضاف إلى هذا أن منطقة نجد ظلت قروناً طويلة - قبل الطفرة الاقتصادية التي تعيشها اليوم - معزولة إلى حد كبير عن التأثيرات الخارجية ، وهو أمر انعكس إيجاباً على لهجات أهلها ؛ فظلت محتفظة بأصالتها بشكل واضح جلي ، لا نراه في اللهجات العربية المعاصرة ، فهناك ارتباط قوي بين ما سجله اللغويون في ذلك الوقت و اللهجات النجدية المعاصرة اليوم.

٢ - أنه بعد الطفرة الاقتصادية والحضارية التي شهدتها المملكة العربية السعودية ، وبعد وسائل التواصل الحديثة التي قربت بين شعوب الأرض ، تسارعت بشكل كبير التغيرات اللهجية لسكان مناطقها - ومنهم أهل القصيم - بسبب ظروف كثيرة أشرت إلى أهمها في التمهيد ، ولذا يرى دارس لهجات هذه المناطق بوناً واضحاً بين لهجة الكبار من أهلها ولهجة ناشئتهم ، فكثير من المظاهر الأصلية التي تضرب بجذورها إلى عصور الفصحاة بدأت بالانقراض ، وقد عرضت في ثنايا هذا البحث أطرافاً من ذلك ، ولذا فإنني أهيب بالدارسين وخاصة من أهلها إلى سرعة تدوينها ودراستها والإفادة منها في الحفاظ على كيان لغتنا العربية الفصحى.

٣ - أكد على ماقلته سابقاً من أن دراسة اللهجات العامية الحديثة - وإن توجس منها بعض الغيورين خيفة - فيها خدمة للعربية وللمتحدثين بها ؛ فخدمتها للعربية تكمن في تأصيل مظاهر كثيرة من تلك اللهجات تحسب على العامية وهي فصيحة صريحة ، وخدمتها للمتكلمين تكمن في إثراء قواميسهم اللغوية الذهنية بالألفاظ والأساليب والعبارات والصور النطقية الفصيحة ، فكثير من العلماء والمثقفين وسائر المتكلمين الذين يراعون الفصاحة في كلامهم الرسمى يعانون في أثناء هذا الكلام من قلة محفوظهم من الألفاظ والأساليب اللغوية التي يطمئنون إلى فصاحتها، فتتألم حالات من التردد والتباطؤ في التعبير عن المعاني المختلفة، مع أن أذهانهم تعج بألفاظ وأساليب وعبارات كثيرة وصور نطقية اعتادوا عليها تناسب هذه المعاني، يتركونها ويترفعون عنها ؛ يحسبونها عامية، وهي فصيحة معروفة.

المصادر والمراجع

- [١] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: أحمد الدمياطي البناء، وضع حواشيه الشيخ حسن مهرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط (١)، ١٤١٩هـ.
- [٢] الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية : د. محمد ابن عبدالله السلطان، المطابع الوطنية بعُتْزَة، ط (١)، ١٤٠٧هـ.
- [٣] ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، ت/ د. مصطفى النماس، مطبعة المدني بالقاهرة، ط (١)، ١٤٠٨ هـ.
- [٤] الأزهار النادية من أشعار البادية رقم ٦: يحتوي على ديوان محمد بن عبدالله القاضي، مكتبة المعارف بالطائف.

- [٥] الاشتقاق: ابن دريد، ت / عبد السلام هارون، دار الجليل ببيروت، ط (١)، ١٤١١هـ.
- [٦] أطلس القرآن الكريم: د. شوقي أبو خليل، دار الفكر بدمشق، ط (٢)، ١٤٢٣هـ.
- [٧] إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ابن خالوية، عالم الكتب ببيروت، ١٤٠٦هـ.
- [٨] إعراب القرآن: النحاس: ت / زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة ببيروت، ط (١)، ١٤٠٥هـ.
- [٩] الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ببيروت، ط (٦)، ١٩٨٤م.
- [١٠] إمارة آل رشيد في حائل: محمد الزعاري، بيسان للنشر والتوزيع، ط (١) ١٩٩٧م.
- [١١] الأماكن: الحازمي، ت / الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ١٤١٥هـ.
- [١٢] أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي الحسيني، ت / د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- [١٣] الأمثال العامة في نجد: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار اليمامة بالرياض، ط (١) ١٣٩٩هـ.
- [١٤] الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات بن الأنباري، ت / محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ببيروت، ١٤٠٧هـ.
- [١٥] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، ت / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل ببيروت، ط (٥)، ١٣٩٩هـ.
- [١٦] إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: أبو بكر بن الأنباري، ت محيي الدين رمضان، دمشق ١٩٧١م.
- [١٧] البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ت / عرفان العش حسونه، المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

- [١٨] بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- [١٩] البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، دار المعرف ببيروت.
- [٢٠] البلاد العربية السعودية: فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، ط (٢)، ١٣٨٨هـ.
- [٢١] البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات بن الأنباري، ت / طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- [٢٢] البيان والتبيين: الجاحظ، ت / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- [٢٣] تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة: د. هاشم الطعان، بغداد ١٩٦٨م.
- [٢٤] تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، اعتنى به ووضع حواشيه د. عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١) ١٤٢٧هـ.
- [٢٥] تاريخ جيل وحياة رجل: فهد المارك، مطبوع على الآلة الكاتبة.
- [٢٦] تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (٢) ١٤٠٨هـ.
- [٢٧] تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان: الشيخ إبراهيم بن عبيد، مؤسسة النور بالرياض، ط (١).
- [٢٨] تذكرة النحاة. لأبي حيان الأندلسي: ت / د. عاطف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- [٢٩] تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- [٣٠] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.

- [٣١] التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية: الحسن بن محمد الصاغاني، ت / عبد العليم الطحاوي وآخرين، القاهرة ١٩٧٠م.
- [٣٢] تهذيب اللغة: الأزهري: ت / عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا، ١٣٨٤ هـ.
- [٣٣] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، دار الفكر بيروت.
- [٣٤] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ت / أحمد عبد العليم البرودني، دار الكتب المصرية، ١٣٧٣ هـ.
- [٣٥] جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد: الشيخ حمد الجاسر، دار الإمامة بالرياض، ط (٢)، ١٤٠٩ هـ.
- [٣٦] جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، دار الكتب العلمية بيروت، ط (١)، ١٤٠٣ هـ.
- [٣٧] جمهرة اللغة: ابن دريد، ت / د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ط (١)، ١٩٨٧م.
- [٣٨] الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، ت / بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث بدمشق، ط (١)، ١٤٠٤ هـ.
- [٣٩] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، ت / عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب، ط (٢)، ١٩٧٩م.
- [٤٠] خيار ما يلتقط من شعر النبط: عبدالله الحاتم، مكتبة ذات السلاسل بالكويت، ط (٣) ١٩٨١م.
- [٤١] دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت، ط (١)، ١٩٨٣م.

- [٤٢] *درة الغواص في أوهام الخواص*: الحريري، ت / عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط (١)، ١٤١٨هـ.
- [٤٣] *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*: السَّمين الحلبي، ت / أحمد الخراط، دار القلم بدمشق، ط (١)، ١٤٠٦هـ.
- [٤٤] *ديوان امرئ القيس*: ت / حنا الفاخوري، دار الجليل بيروت، ط (١)، ١٤٠٩هـ.
- [٤٥] *ديوان حاتم الطائي*: دار صادر بيروت، ١٤٠١هـ.
- [٤٦] *ديوان أبي دؤاد الإيادي*: ت / د. أحمد السامرائي، أنوار محمود الصالح، دار العصماء بدمشق، ط (١) ١٤٣١هـ.
- [٤٧] *ديوان زهير بن أبي سلمى* = شرح شعر زهير بن أبي سلمى.
- [٤٨] *ديوان السامريّ والهَجَنِيّ*: إعداد محمد بن عبدالله الحمدان، دار قيس للنشر والتوزيع بالرياض، ط (٣) ١٤١٤هـ.
- [٤٩] *ديوان محمد عبدالله العُوني*: جمعه عبدالله الحاتم، ط (١) ١٤٠٤هـ.
- [٥٠] *ديوان محمد عبدالله القاضي*: جمعه عبدالله الحاتم، ط (١)، ١٤٠٤هـ.
- [٥١] *ديوان ابن مقبل*: ت / د. عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت، ١٤١٦هـ.
- [٥٢] *ديوان لبيد بن ربيعة بشرح الطوسي*: ت / حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي بيروت، ط (١) ١٤١٤هـ.
- [٥٣] *ديوان أبي النجم العجلي*: ت / د. سجيح الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط (١)، ١٩٩٨م.
- [٥٤] *رواية اللغة*: د. عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف بالقاهرة.
- [٥٥] *روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام*: حسين بن غنام، اعتنى بإخراجه سليمان الخراشي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ.

- [٥٦] *سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب*: محمد أمين البغدادي المعروف بالسويدي، بيروت، ١٩٨٦م.
- [٥٧] *سر صناعة الإعراب*: ابن جني، ت/ د. حسن هندراوي، دار القلم بدمشق، ط (١)، ١٤٠٥ هـ.
- [٥٨] *الشاعر محمد العُوني*: إبراهيم المسلم، الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، ط (١)، ١٤٢٢ هـ.
- [٥٩] *شاعر نجد الكبير محمد العبدالله القاضي*: ت/ عبد العزيز القاضي، ط (١)، ١٤٢٩ هـ.
- [٦٠] *شبه جزيرة العرب (نجد)*: محمود شاكر، المكتب الإسلامي ببيروت، ط (١)، ١٣٩٦ هـ.
- [٦١] *شرح أبيات سيويه*: ابن السيرافي، ت/ د. محمد علي سلطاني، دار المأمون بدمشق، ١٩٧٩م.
- [٦٢] *شرح الأشموني لألفية لابن مالك*: الأشموني، مطبوع مع حاشية الصبان عليه، دار الفكر ببيروت.
- [٦٣] *شرح ألفية ابن مالك*: ابن الناظم، ت/ محمد سليم اللبائدي، طهران.
- [٦٤] *شرح التصريح على التوضيح*: خالد الأزهرى، دار الفكر ببيروت.
- [٦٥] *شرح ديوان الحماسة*: المرزوقي، ت/ أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧ هـ.
- [٦٦] *شرح شافية ابن الحاجب*: رضي الدين الإستراباذي، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٢ هـ.

- [٦٧] شرح شعز هيرين أبي سلمى: أحمد بن يحيى ثعلب، ت / د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ببيروت، ط (١)، ١٤٠٢ هـ.
- [٦٨] شرح شواهد المغني: السيوطي، دار مكتبة الحياة ببيروت.
- [٦٩] شرح المفصل: ابن يعيش، عالم الكتب ببيروت.
- [٧٠] شعراء عُتَيْرَة الشعبيون: عبد الرحمن العقيل و سليمان الهطلاني، المطابع الوطنية للأوفست بعُتَيْرَة، ط (١) ١٤١٤ هـ.
- [٧١] شعراء من الرّس: فهد بن منيع الرّشيد، ط (٥) ١٤١٢ هـ.
- [٧٢] شعز زيد الخيل الطائي: ت / د. أحمد مختار البرزة، دار المأمون بدمشق، ط (١)، ١٤٠٨ هـ.
- [٧٣] شعز طَيِّع وأخبارها في الجاهلية والإسلام: د. وفاء السنديوني، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، ط (١) ١٤٠٣ هـ.
- [٧٤] شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ابن مالك، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب ببيروت، ط (٣)، ١٤٠٣ هـ.
- [٧٥] الصحابي: ابن فارس: ت / السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة.
- [٧٦] الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهري، ت / أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ببيروت، ط (٣)، ١٤٠٤ هـ.
- [٧٧] صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار: محمد بن بليهد، دار عبد العزيز آل حسين للطباعة بالرياض، ط (٣)، ١٤١٨ هـ.
- [٧٨] صفة جزيرة العرب: الهمداني، ت / محمد الأكوع، دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٤ هـ.
- [٧٩] ظاهرة الإبدال اللغوي: د. علي البواب، دار العلوم بالرياض، ط (١)، ١٤٠٤ هـ.

- [٨٠] عشائر العراق: عباس العزاوي، مكتبة الصفا، لندن.
- [٨١] عنوان المجد في تاريخ نجد: ابن بشر، ت/ عبدالرحمن آل الشيخ، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ط (٤)، ١٤٠٢هـ.
- [٨٢] العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت/ د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط (١)، ١٤٠٨هـ.
- [٨٣] غريب الحديث: إبراهيم الحربي، ت/ د. سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٥هـ.
- [٨٤] غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام، طبعة مصورة من طبعة حيدر آباد، دار الكتاب بيروت، ١٣٩٦هـ.
- [٨٥] غريب لغة قبيلة شمر حائل وما حولها: هزاع الشمري، مطبعة سفير بالرياض، ط (١)، ١٤٢٧هـ.
- [٨٦] فصحح العامي في شمال نجد: عبدالرحمن السويداء، دار السويداء بالرياض، ط (١)، ١٤٠٧هـ.
- [٨٧] في أصول النحو: سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٧هـ.
- [٨٨] فقه اللغة العربية: د. كاصد الزبيدي، مطبوعات جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ.
- [٨٩] في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط (٦)، ١٩٨٤م.
- [٩٠] القاموس الإسلامي: أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٣٨٣هـ.
- [٩١] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط (٢)، ١٤٠٧هـ.
- [٩٢] القراءات العشر المتواترة (على هامش القرآن الكريم): إعداد الشيخين محمد كريم راجح ومحمد فهد خاروف، فكرة ونشر علوي بن محمد بلفقيه، دار المهاجر بالمدينة المنورة.

- [٩٣] قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل: المحبي، ت / د. عثمان الصيني، مكتبة التوبة بالرياض، ط (١)، ١٤١٥ هـ.
- [٩٤] قلب جزيرة العرب: فؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط (٢)، ١٤٣٠ هـ.
- [٩٥] الكتاب: سيويه، ت / عبد السلام هارون، عالم الكتب ببيروت، ط (٣)، ١٤٠٣ هـ.
- [٩٦] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب، ت / محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط (٤)، ١٤٠٧ هـ.
- [٩٧] كنز الأنساب ومجمع الآداب: حمد الحقييل، مطابع الجاسر بالرياض ط (١٢)، ١٤١٣ هـ.
- [٩٨] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر ببيروت.
- [٩٩] لغة طَيِّئ وأثرها في العربية: د. عبدالفتاح محمد، دار العصماء بدمشق، ط (١)، ١٤٢٩ هـ.
- [١٠٠] اللهجات العربية الغربية القديمة: المستشرق تشيم رابين، ترجمه د. عبدالرحمن أيوب، جامعة الكويت، عام ١٩٨٦ م.
- [١٠١] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر: د. عيد محمد الطيب، مصر ١٤١٥ هـ.
- [١٠٢] اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي: الدار العربية للكتاب بليبيا، ١٩٨٣ م.
- [١٠٣] اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٩٥ م.

- [١٠٤] ما يجوز للشاعر في الضرورة: محمد بن جعفر القزاز القيرواني، ت / المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر.
- [١٠٥] /المبسوط في القراءات العشر: ابن مهران الأصبهاني، ت / سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ط (٢)، ١٤٠٨ هـ.
- [١٠٦] مجالس ثعلب: أحمد بن يحيى ثعلب، ت / عبد السلام هارون دار المعرف بالقاهرة، ط (٣).
- [١٠٧] مجمع الأمثال: الميداني، مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٨٥ م.
- [١٠٨] /المجموعة البهية من الأشعار النبطية: جمع وترتيب عبد المحسن بن عثمان أبا بطين، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ط (٣)، ١٣٩٨ هـ.
- [١٠٩] /المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني: ت / د. عبد الحليم النجار وآخرين، دار سزكين للطباعة، ط (١)، ١٤٠٦ هـ.
- [١١٠] محمد العلي العرفج حياته وشعره: محمد بن عبدالعزيز بن عبد الكريم، دار الكتاب السعودي بالرياض، ط (١) ١٤١١ هـ.
- [١١١] /مختصر في شواذ القرآن: ابن خالوية، مكتبة المتنبي بالقاهرة.
- [١١٢] /المخصص: ابن سيده، دار الكتب العلمية ببيروت.
- [١١٣] /المذكر والمؤنث: ابن الأنباري، ت / د. طارق الجناحي، دار الرائد العربي ببيروت، ط (٢)، ١٤٠٦ هـ.
- [١١٤] /المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، المكتبة العصرية ببيروت، ١٩٨٦ م.
- [١١٥] /مشكل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب، ت / حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط (٤)، ١٤٠٨ هـ.

- [١١٦] /المصباح المنير: الفيومي، مكتبة لبنان ببيروت، ١٩٨٧م.
- [١١٧] معاني القرآن: الأخفش، ت / د. فائز فارس، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر، ط (٢)، ١٤٠١ هـ.
- [١١٨] معاني القرآن: الفراء، ت / أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور بيروت.
- [١١٩] معاني القرآن وإعرابه: الزَّجَّاج، ت / د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب بيروت، ط (١)، ١٤٠١ هـ.
- [١٢٠] معجم أسْرُ بَرِيْدَة: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار الثلوثة بالرياض، ط (١)، ١٤٣١ هـ.
- [١٢١] معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط (١)، ١٤٣٠ هـ.
- [١٢٢] معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر: سعد بن جنيْد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط (١)، ١٤١١ هـ.
- [١٢٣] معجم بلاد القَصيم: الشيخ محمد بن ناصر العبودي: مطابع الفرزدق بالرياض، ط (٢)، ١٤١٠ هـ.
- [١٢٤] معجم البلدان: ياقوت الحموي، ت / فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، ط (١)، ١٤١٠ هـ.
- [١٢٥] /المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: ومن أقسامه:
- المقدمة: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (١)، ١٤١٣ هـ.
 - عالية نجد: سعد بن جنيْد، دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٨ هـ.
 - المنطقة الشرقية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (١)، ١٣٩٩ هـ.

- المنطقة الشمالية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض.
- معجم بلاد القصيم: الشيخ محمد بن ناصر العبودي = معجم بلاد القصيم.
- معجم اليمامة: عبد الله بن خميس = معجم اليمامة.
- [١٢٦] معجم الشعراء: المرزباني: ت / د. فاروق اسليم، دار صادر ببيروت، ط (١)، ١٤٢٥هـ.
- [١٢٧] معجم الشعراء الشعيين: أحمد فهد العريفي، مطابع الفرزدق بالرياض، ط (١)، ١٤٢٥هـ.
- [١٢٨] معجم قبائل المملكة العربية السعودية: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض، ط (١)، ١٤٠٠هـ.
- [١٢٩] معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر كحالة، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط (٥)، ١٤٠٥هـ.
- [١٣٠] معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط (١)، ١٤٢٦هـ.
- [١٣١] معجم النباتات والزراعة: محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الهلال ببيروت، ط (٢)، ٢٠٠٠م.
- [١٣٢] معجم النخلة في المأثور الشعبي: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، دار الثلوثية بالرياض، ط (١)، ١٤٣١هـ.
- [١٣٣] المعجم الوسيط: مجموعة من الأساتذة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- [١٣٤] معجم اليمامة: عبد الله بن خميس، مطابع الفرزدق بالرياض، ط (٢)، ١٤٠٠هـ.

- [١٣٥] معجم الصوتيات: د. رشيد العبيدي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالعراق ، ط (١) ١٤٢٨هـ.
- [١٣٦] المُعَرَّب من الكلام/الأعجمي: الجواليقي ، ت / أحمد شاكر، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط (١)، ١٣٦١هـ.
- [١٣٧] المفصل في الألفاظ الفارسية المُعرَّبة: د. صلاح الدين المنجد، إيران، عام ١٣٩٨هـ.
- [١٣٨] المفصل في علم العربية: الزمخشري، دار الجيل ببيروت، ط (٢).
- [١٣٩] مقاييس اللغة: ابن فارس، ت / عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت، ط (١)، ١٤١١هـ.
- [١٤٠] المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء: زكريا الأنصاري، دار المصحف بدمشق، ط (٢) ١٤٠٥هـ.
- [١٤١] المنتخب من غريب كلام العرب: كراع النمل، ت / د. محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط (١)، ١٤٠٩هـ.
- [١٤٢] من شعراء بُرَيْدة: سليمان النقيدان، مطابع المنار بالقصيم، ط (١)، ١٤٠٩هـ.
- [١٤٣] من شعراء الجبل العاميين: عبدالرحمن السويداء، دار السويداء بالرياض، ط (١)، ١٤٠٨هـ.
- [١٤٤] من شيم العرب: فهد المارك، (ط)، ١٩٦٣م.
- [١٤٥] منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب: محمد بن عثمان القاضي، المطابع الوطنية بَعْنِيزَة، ط (٢) ١٤٠٨هـ.
- [١٤٦] الموسوعة العربية الميسرة: دار الجيل ببلن، ١٤١٦هـ.
- [١٤٧] موسوعة عشائر العراق: عبدعون الروضان، الأهلية للنشر والتوزيع بالأردن، ط (٢)، ٢٠٠٨م.

- [١٤٨] *النبات*: أبو حنيفة الدينوري، ت/ برنهارد لفين، يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م.
- [١٤٩] *النباتات البرية في المملكة العربية السعودية*: عائش الحارثي، مؤسسة الجريسي للتوزيع بالرياض، ١٤١٨هـ.
- [١٥٠] *النبات والشجر: الأصمعي*: ضمن مجموع بعنوان: (البلغة في شذور اللغة)، نشره د. أوغست هفتر بيروت، عام ١٩١٤م.
- [١٥١] *النشر في القراءات العشر*: ابن الجزري، ت/ علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي ببيروت.
- [١٥٢] *نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها*: الأب أنستاس ماري الكرمللي، مكتبة الثقافة الدينية بمصر.
- [١٥٣] *نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب*: القلقشندي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط (١)، ١٤٠٥هـ.
- [١٥٤] *النهاية في غريب الحديث والأثر*: ابن الأثير، ت/ طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- [١٥٥] *النوادر في اللغة*: أبو زيد الأنصاري، ت/ د. محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق ببيروت، ط (١)، ١٤٠١هـ.

One of the aspects of Tai's dialect in contemporary Qassimi dialects

Dr. Khaled Mohammad Al-Jum'ah

Faculty Member at Al-Qassim University,

Arabic language & Social Studies College, Department of Arabic Language & its Arts

Abstract. This paper is on a linguistic comparing study of one of the classical Arabic dialects. It is the dialect of Tai tribe which is one of the Arabic tribes in Najd. The said tribe was a destination for old linguists as they wanted to write down and keep the language in the first and second Hijri centuries.

This paper includes a comparison between this dialect and a new Arabic dialect in Najd called Qassimi dialect which showed the validity of what the comparative historical linguistic studies in the recent ages such as a close tie between the modern and ancient Arabian dialects. This close tie features are more visible within the Arabian Peninsula especially the mid-region (Najd) which occupies Al-Qassim region to which Qassimi dialect is affiliated and this is because that the classical language which has been written down (kept) by the earlier linguistics is taken from the tribes which lived in Najd and most of its population are the majority now.

In addition this region of Najd remained largely isolated from the outside impacts for long centuries before the economic prosperity nowadays and this has been reflected positively on the dialect of its population, so it has kept its originality in an obvious way which is not available within the other recent Arabian dialects.

الروح الدينية تجسّد الحملة الصليبية الأولى

د. عبد المعز بني عيسى

قسم التاريخ ، جامعة اليرموك

ملخص البحث. هدفت هذه الدراسة إلى تناول أثر الروح الدينية في قيام الحملة الصليبية الأولى، وتوضيح الدور الذي قامت به البابوية في استغلال عواطف المسيحيين الأوروبيين، وتأليب مشاعرهم المملوءة بالحققد والكراهية تجاه المسلمين على شكل حرب صليبية منظمة دعت إليها البابوية، وذلك من خلال استخدام مسألة الغفران من الذنوب والخطايا التي انبثقت عنها فكرة عسكرة الحج إلى الأراضي المقدسة، كوسيلة لإذكاء النار الصليبية داخل المجتمع الأوروبي المسيحي. واستغلال البابوية أيضا للظروف السيئة التي أحاطت بالإمبراطورية البيزنطية على إثر الهزيمة التي تعرضت لها في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م. وتشير الدراسة إلى صورة مسيحيي الشرق في أوروبا خلال العصور الوسطى، وأثرها في تجهيز العواطف الأوروبية، واستغلالها في انبعاث الحملة الصليبية الأولى.

المقدمة

تعرضت أوروبا في الفترة التي سبقت قيام الحروب الصليبية إلى سلسلة من الأحداث تراكت عبر السنين، وأثرت سلبا على مجرى التاريخ الأوروبي، في الوقت الذي سلكت فيه الامبراطورية البيزنطية طريقا مسدودا نحو إقامة علاقات مع البابوية وأباطرة وملوك الغرب الأوروبي لانشغالهم بالحروب جراء النظام الاقطاعي الذي قوّض أركان المجتمع الأوروبي، ونشر فيه الفقر والبطالة والجهل. ولم يسمح للمسيحيين الذهاب إلى المدارس، واقتصرت التعليم على أبناء النبلاء ورجال الدين، كما خلّف نظام الإقطاع ظلما اجتماعيا اكتوى بناره الفلاح الأوروبي.

وقد تمخض عن النظام الاقطاعي الأوروبي بيئة خصبة من سوء الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، استغلتها البابوية في إثارة الوازع الديني بين الفلاحين الأوروبيين، ثم عسكرتهم، وأشبعتهم بالأحقاد الدينية ضد العروبة والإسلام وحضارته، لتحقيق فكرة تداولتها البابوية تمثلت بتزعمها العالم المسيحي والقضاء على الاسلام والمسلمين، وإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود فقد دعت إلى الإعداد للحروب الصليبية معتمدة في ذلك على الأحقاد الدينية التي غرستها في نفوس أبناء الغرب.

وقد استفادت الكنيسة الكاثوليكية من حالة الفوضى والهوان التي وصل إليها العالم الغربي جراء سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وسيطرت على أباطرة وملوك وأمراء الغرب، وأصبحت الى جانب الدين قوة كبيرة أرعبت الأباطرة والملوك، وأنزلت أشد العقوبات عليهم إذا ما قاموا بمخالفة تعاليم الكنيسة.

وساعد انحطاط الحياة الاجتماعية في المجتمعات الغربية على تغلغل رجال الدين بين العامة رافعين شعار الرحلة إلى الشرق باعتباره مكان صلب المسيح وقيامته حسب

المعتقد المسيحي، ومنازة للعلم والمعرفة، وذلك الشعار الذي ترجم في الظاهر إلى فكرة الحج إلى الديار المقدسة، وإن كانت سابقة لفترة قيام الحملة الصليبية الأولى، على اعتبار أن المحرك الاساسي للبابوية والغرب كانت التقارير التي يرسلها حجاج بيت المقدس قبيل الحملة الصليبية الأولى، وعلى رأسهم تقارير بطرس الناسك. وفي الباطن بسط سيادتهم عليه واستغلال خيراتهم واستعباد أهلهم وتدنيس المقدسات الإسلامية ورفع شعار حرب الاسلام والمسلمين، وقد تطور الشعار الظاهر حتى تمخضت عنه الحرب المسيحية المقدسة تجسّدت بالحملة الشعبية والصليبية الأولى. وقد ساعد على قبول هذا الشعار عقول الغربيين. حيث كانوا مهئين لقبول الأفكار التي نادى بها الكنيسة الكاثوليكية، والتي تمثلت بغسل الذنوب والخطايا والتطهر منها بالذهاب إلى الشرق ومساعدة المسيحيين الشرقيين وتحريرهم من أيدي حكام المسلمين الذين صورتهم البابوية بأبشع الصور وسوء الحال في تعاملهم مع المسيحيين الشرقيين.

أوضاع الكنيسة الغربية قبيل الحملة الصليبية الأولى

تأثرت الكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بالنظام الإقطاعي الذي ساد في معظم بلدان أوروبا، وتحولت معظم ممتلكاتها الزراعية إلى إقطاعيات، سيطر عليها بعض رجال الدين الذين حققوا من خلالها مكاسب مادية دون الالتفات للأخذ بمبادئ الديانة المسيحية التي ركزت على نشر السلام بين الناس، وأخذ الأمراء الأوروبيون يتناحرون واحدهم مع الآخر في حروب لا تنقطع^(١)، وقد أدى ذلك إلى انتشار الفساد وقطاع الطرق والصوص، وانتشرت في أوروبا حالة من الفوضى والاضطراب، قلّصت من قدرة الحكام في السيطرة على البلاد، وإحلال

(١) الشارترى، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس؛ ترجمة: زياد جميل العسلي، دار الشروق، عمان، 1990، ص 31.

السلام. وقد أكد ذلك البابا أودو ((Otho De Lagery الملقب بأوروبان الثاني (Urban 1088 – 1099) (IIم) ^(٢) في خطبته المشهورة في مجمع كليرمونت (Conncil of Clermont) عام ١٠٩٥م ^(٣)، قائلا: "يا إخواني الأحباء إنكم رأيتم العالم وقد عاث فيه الشر فسادا لأمد طويل وخاصة في بعض نواحي مقاطعاتكم..كما قيل لنا ولربما سبب تقصيركم في إحقاق العدل أن لا يكاد يجرؤ أحد على السفر في الطرقات مؤملا السلامة خوفا من الخطف على يد قطاع الطرق في النهار، أو اللصوص في الليل، فهو معرض للعنف أو الاغتيال سواء كان في داخل المباني أو خارجها" ^(٤).

وهذا مخالف لمبادئ الديانة المسيحية وتعاليم المسيح، وما أكد عليه من نشر التسامح والعدل بين الناس ولذلك ذهب البابا أوروبان الثاني، إلى تعنيف الأساقفة، ولم يشأ تسميتهم بالأساقفة خوفاً من الإساءة إلى الدين، كونهم ارتكبوا حماقات في الحروب، وكانوا أكثر سفكاً للدماء المسيحية، في حين عهد البعض الآخر منهم إلى وكلاء للقيام بأداء الخدمة العسكرية الإقطاعية ^(٥).

(٢) البابا أوروبان الثاني، فرنسي الأصل، اسمه الأصلي (أودو)، ولد عام ١٠٣٥م، انتخب لمنصب البابوية في روما عام 1088م، واستمر حتى عام ١٠٩٩م وهو من طور الإصلاحات الكنسية التي بدأها البابا جريجوري السابع، وعقد مجلس كليرمونت سنة 1095م، وهو من أطلق الدعوة إلى الحروب الصليبية وعمل على تقوية البابوية ككيان سياسي. انظر: The International Union, U.S.A, 1979, Vol. 12, p. 198. أنظر: New Encyclopedia Britannica مجمع كليرمونت بجمع كنسي دعا إلى عقده البابا أوروبان الثاني سنة 1095م، للبحث في إصلاح الكنيسة. أنظر البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، مج2، ص 977.

(٤) الشارترى تاريخ الحملة، ص 35.

(٥) الشارترى، تاريخ الحملة، ص 31؛ ماستنك، توماس، السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي)؛ ترجمة: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص 29.

وكان أمراء الإقطاع قد تولوا مهمة تعيين الأساقفة داخل حدود الإقطاعات التابعة لهم، الأمر الذي أحدث ضرراً كبيراً بالوظيفة الروحية للكنيسة الكاثوليكية^(٦). ثم دخلت الكنيسة معهم في صراعات حول ما إذا كانت هي صاحبة الحق في تحديد استخدام أملاك الكنيسة، ولجأ البابا إلى معاقبة كل من تسوّّل له نفسه الاعتداء على الأساقفة بالضرب والتهديد والاختطاف، والاعتداء على الكنائس باللعنة والطرده من رحمة الكنيسة، والحرمان من دخولها^(٧).

وظلت هذه الصراعات قائمة بين الطرفين في الفترة ما بين القرنين السادس والحادي عشر الميلاديين، لذا طالب البابا أوربان الثاني صيانة حرية الكنيسة^(٨)، والحفاظ على شرائعها، وعدم السماح للمتاجرة بالدين حتى لا تنتشر بين المسيحيين شرائع جديدة؛ لأن الكنيسة واجهت ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي ظهور حركات الهرطقة^(٩) التي كانت بمثابة العدو الداخلي للكنيسة، مثل جماعة الكاثاري❖، (Cathari Groub) وأصحاب الهرطقة الألبيجينية

(٦) الشارتري، تاريخ الحملة، ص ٣١-٣٥؛ كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط، (قصة الحضارة، البداية والنهاية)؛ ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2002م، ج1، ص ٢٢١-٢٢٢؛ كينيث، سيتون، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: سعيد البيشاوي، بيت المقدس، 2004م، ص 31؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 29.

(٧) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 34.

(٨) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 33.

(٩) الهرطقة: مصطلح كنسي يشير إلى رأي أو فكرة مبتدعة، تتعارض مع معتقدات الكنيسة الكاثوليكية، وكانت الكنيسة تعاقب المهترقين بالنفي أو التعذيب أو حتى الموت. انتشرت في فرنسا وأخذت تدعو إلى الإيمان بوجود إلهين (إله الخير وإله الشر) وتأثرت بالفكر الفلسفي الإغريقي الذي وجد عند أفلاطون وأرسطو. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، ١٩٩٦م، ج 26، ص 95؛

(Eleginc Sophism).^(١٠) الأمر الذي دفع الكنيسة فيما بعد إلى إرسال حملات عسكرية مسلّحة للقضاء على تلك الجماعات، ولا شك أن إحساس الكنيسة بأنها مهددة ساهم في تصعيد حمى الحرب^(١١)، ودفع البابا أوربان الثاني إلى الطلب من رجال الدين مراعاة شؤون الكنيسة، "حتى لا تضرب مدافعات المتاجرة بالدين جذورها بينهم، فينقادوا تعساء إلى الهلاك الرباني"^(١٢)

ولم يكن خطاب أوربان إلّا نتاج تراكمات لرجال الدين، الذين ارتكبوا فضائح، ووجهوا الشرائع المسيحية لتحقيق مصالحهم، فعم الفساد الاجتماعي وتطاول السادة ورجال الدين على أتباعهم، وارتكبوا حماقات أعلنها البابا أوربان على الملأ أثناء خطابه في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م. فقد توفي البابا يوحنا الثاني عشر (955 – 963) (John XII)^(١٣) نتيجة إفراطه الجنسي، فاستشاط الأسقف الإيطالي رازاريوس (Rasarius) غضباً، ووبخ الكهنة ورجال الدين باقترافهم الزنا خروجاً

(١٠) ماستنك، السلام الصليبي، ص ١٧، ٤٤، ٥٣؛ المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ج 6 ص ١٢٤-١٢٦.

* الكاثاري : حركة شعبية ظهرت في أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي ، وتعد من أخطر الحركات في العصر الوسيط على الإطلاق ،ومن أهدافها الإصرار على إصلاح مفاسد الكنيسة ومبازلتها. انظر: عوض، رمسيس، الحركات في الغرب، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٤-١٠٥.

(١١) المسيري، موسوعة اليهود، ج 6، ص ١٢٦.

(١٢) الشارتر، تاريخ الحملة، ص 33.

(١٣) يوحنا الثاني عشر (John XII) : تولى منصب البابا في الفترة ما بين (٩٥٥-٩٦٤م) وهو الابن الوحيد للدوق البيرك الثاني في إيطاليا، ثم أصبح حاكماً لروما، وهو من أمر بالانتخابات عندما كان يبلغ في العمر ١٨ عاماً، اسمه الأصلي أو كنافيان، ثم غيّر إلى يوحنا، ولد عام ٩٣٧م وتوفي عام ٩٦٤م (تم خلعه فترة قصيرة من منصبه على يد الإمبراطور الروماني أوتو الأول. بعد أن اتهمه بجماعة مؤامرة ضد روما ، انظر :

على الشريعة المسيحية و القوانين الكنسية^(١٤)، ولم يختلف بقية رجال الدين عن البابوات، بسبب إهمالهم لواجباتهم، فقد وصفهم وليم الصوري (William Of Tyre): "كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح" إذ أصبح الزنا يمارس علانية، دونما حياء وكأنه عملٌ شرعي. فالرديلة تربعت على قمة هرم المجتمع الأوروبي، وعم الفساد البشرية^(١٥)، والمؤسسة البابوية بصفة خاصة، والكنيسة بصفة عامة، ولذلك فإن معظم البابوات ورجال الدين، لقوا حتفهم في الكثير من حوادث القتل والاغتيالات بسبب انخراطهم بالملذات، وترك واجباتهم الدينية. الأمر الذي يفسر مدى الضعف والهوان الذي وصلت إليه البابوية من جهة، وسعي أبناء النبلاء إلى اعتلاء عرش البابوية، لأسباب تتعلق بمصالح الأسرة وسياستها من جهة أخرى. كما لعبت المنافسة بين العائلات الأرستقراطية في الحصول على كرسي البابوية بالأموال وجعله وراثياً، دوراً كبيراً في إضعاف البابوية، وإضعاف سيطرتها على العالم المسيحي الكاثوليكي، لاسيما بعد أن أصبحت الوظائف الكنسية يتم شراؤها بالأموال، وأصبحت أحوال الكنيسة تبعث على الرثاء^(١٦).

ازدادت أحوال الكنيسة سوءاً بسبب قيام رجال الدين بنشر الخرافات وأخبار المعجزات والكرامات داخل المجتمع الأوروبي، فقد اعتبرت من أساطير الألفية التي تقضي بأن الدورة الكونية تستغرق ألف عام، وبذا فإن دعوة المسيح تكون في القرن الحادي عشر الميلادي^(١٧)، وقد عملت الكنيسة على نشرها، حيث سادت الفكرة

(١٤) ماستناك، السلام الصليبي، ص 29.

(١٥) الصوري، وليم تاريخ الحروب الصليبية، (تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)؛ ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1990، ج1، ص ١٥٦-١٥٧.

(١٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٥٧؛ كانتور، التاريخ الوسيط، ج1، ص ٣٠٣-٣٠٩.

(١٧) المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص 126.

بنزول المسيح للمرة الثانية على الأرض، وأن "نهاية العالم ستكون على رأس سنة ألف ميلادية"، وأن المسيح سيظهر للمؤمن به "الأمر الذي جعل الناس يتقربون من الله، ويعملون على مرضاته بالتكفير عن خطاياهم ومعاصيهم.^(١٨)

وقد ترتب على هذا الأمر هجرة أعداد كبيرة من عامة الناس في أوروبا إلى الشرق الإسلامي أملاً في التكفير عن خطاياهم بملاقاة السيد المسيح في الديار المقدسة، وقد أدرك حكام الدولة الفاطمية الأمر وما كان يرمي إليه رجال الدين في الغرب الأوروبي، وهو تهجير الناس من أوروبا إلى الأراضي المقدسة بهدف اجتياح واحتلال الأراضي المقدسة، ولذلك اتخذ الحاكم بأمر الله ❖ عدة تدابير قاسية بحق المسيحيين الشرقيين وكنائسهم بهدف الحد من فكرة ظهور المسيح، ونهاية العالم، ومنع هجرة الناس إلى الأراضي المقدسة، فهدم العديد من الكنائس وعلى رأسها كنيسة القيامة، ومنع بيع العنب والرطب كي لا يتمكن المسيحيون من صناعة الخمر، وخرّب الكروم، وأمر المسيحيون بلبس الصليبان الثقيلة في رقابهم، وأفرد لهم الحمامات الخاصة بهم.^(١٩) وشدّد عليهم في لباسهم، ومنعهم من ممارسة شعائرتهم الدينية،

(١٨) عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، ص 78؛ جوزيف، يوسف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 25؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص 31-32؛ ماستنك، ص 48-49؛ المسيري، موسوعة اليهود، ج6، ص 126.

(١٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء؛ تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ج15، ص 174؛ عاشور، جهاد المسلمين، ص 78؛ جوزيف، في تاريخ الحروب، ص 25؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص 31-32، 81-83؛ ماستنك، السلام الصليبي، ص 48-49؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط3، 1978م ج1، ص 21.

* الحاكم بأمر الله (370-411هـ / 980-1021م) : منصور ابن العزيز ابن المعز لدين الله العبيدي، من خلفاء الدولة الفاطمية في مصر، تولى الخلافة سنة 386هـ/996م، وأعلنت الدعوة الى تأليهه سنة

والاحتفال بأعيادهم، وصادر أموال الكنائس ورجال الدين، وكتب إلى عماله في البلاد أن يقوموا بنفس العمل مع النصارى في البلاد^(٢٠).

وقد أدى التقارب الذي حصل بين المسيحيين من رجال دولة الحاكم بأمر الله، المعتمد عليهم في إدارة الدولة، وبين رجال الدين في الغرب، الوصول إلى المناصب العليا في الدولة الفاطمية، وحياسة الأموال، فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم، ومكايدهم للمسلمين، هذه السياسة أثارت غضب الحاكم بأمر الله، فقبض على وزيره المسيحي عيسى بن نسطورس النصراني وكاتبه فهد بن إبراهيم النصراني عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م، وضرب عنقيهما^(٢١). وقد أدت إجراءات الحاكم بأمر الله إلى الحد من هجرة المسيحيين إلى الشرق الإسلامي، وقلّصت من سطوتهم في البلاد. غير أنها حركت الشعور الديني عند رجال الدين في الغرب، واستخدموها في إثارة المسيحيين، وتحريضهم للقضاء على العالم الإسلامي وحكامه من خلال الدعوة إلى حرب صليبية. استمر الفساد الكنسي الكاثوليكي في الغرب الأوروبي، حتى ظهر الإصلاح الكلوني^(٢٢). حيث دعا البابا للإصلاح والقضاء على الفساد، عن طريق رفض قبول الأراضي المشروطة بالخدمة العسكرية، وقد بدأ الإصلاح البابوي بتولي ليو التاسع (Leo IX) (1048/1054م) منصب البابوية، فقد سيطر على كافة الأمور داخل الكنيسة،

=٤٠٧هـ/١٠١٧م. انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م، ج٧، ص ٣٠٥.

(٢٠) المقرئ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٤، ص ٧٤-٧٥.

(٢١) الذهبي، أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ١٩٥؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ٧٥.

(٢٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٠-٢١؛ المسيري، موسوعة اليهود، ج ٦، ص ١٢٦، سميت، جوناثان رايلي، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ١٦.

وإصدار مجموعة من القرارات حارب من خلالها السيمونية^(٢٣)، وقضيا زواج رجال الدين، والعنف والانحلال الأخلاقي، وقام البابا ليو التاسع بإصدار مرسوم انتخابي يقضي بجعل مسألة اختيار البابا من مهام مجلس الكرادلة (The Sacred College of Cardinals) (٢٤) فقط.

وقد ساعدت الحرب التي قادها البابا ليو التاسع ضد النورمان في جنوب إيطاليا عام ١٠٥٣م، على زيادة سلطته داخل الكنيسة الكاثوليكية، وإرسال مندوبيه إلى أنحاء العالم المسيحي من أجل تأكيد سلطاته، الأمر الذي نتج عنه ظهور الصراع على السلطة بين الكنيسة والدولة عام ١٠٧٣ م في عهد البابا جريجوري السابع (Gregory VII) (1073- 1085) م، حيث أنكر على الأمراء دورهم في إشعال نار الحروب من أجل هدم النظام المسيحي الصحيح.^(٢٥)

(٢٣) السيمونية:- استئصال أو بيع الأمور المقدسة بواسطة المال. وتنسب إلى سيمون الساحر. وفي نظر الكنيسة تعد السيمونية من أعظم الذنوب وأهمها، وهي أشبه بالرشوة في الأمور الدينية. أنظر: البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، د.ت. (مج 10، ص 349).

(٢٤) مجلس الكرادلة (The Sacred College of Cardinal): مجلس يعين البابا أعضاؤه، الذين يعتبرون مستشاريه الرئيسيين، ومعاونيه المقدمين في إدارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية، ويرتدي الأعضاء أزياء حمراء متميزة، كما يعرفون بأمراء الكنيسة. وهناك إجماع بين الباحثين على أن اسم كاردينال استخدم لأول مرة خلال الغزوات البربرية على غرب أوروبا، للدلالة على الأسقف، كما أطلق هذا اللقب على شماس الكنيسة في المناطق السبعة في روما منذ بداية القرن السادس عشر. ومن أبرز مهام المجلس هو انتخاب البابا الجديد. انظر:

Britannica Encyclopadia, Vol. 11, P.560

(٢٥) عاشور، جهاد المسلمين ص 78؛ كينيث، تاريخ الحروب، ص 83 - 81؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص

وإذا كانت حملات الإصلاح البابوية في الفترة ما بين عام ١٠٧٥م وحتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، قد دعت إلى وقف العنف المسلح في مناطق الغرب الأوروبي، فإن تلك الحركة الإصلاحية ظلت مرهونة بالبابا الذي كان بمثابة المصلح الأول؛ فليو التاسع لم يكن باستطاعته تجنّب استخدام العنف في حربه ضد النورماندين، علماً بأنه صرّح وإلى جانبه البابا جريجوري السابع إن الهدف من وراء حشد الجيوش، إجبار النورماندين على الاستسلام دون إراقة الدماء^(٢٦).

كانت هذه الحرب ضد الوثنيين الذين دمروا الكنائس، وقتلوا المسيحيين، فتحوّلت على أيدي البابوات إلى حرب مقدسة، مستمدة تقديسها من الرب، وقد عوّل بابوات الإصلاح على استخدام العنف، واعتبروه مشروعاً مباحاً من أجل تحرير المسيحية وحماية أتباع المسيح^(٢٧)؛ فقد قال البابا ليو التاسع: "يجب تقوية الإيمان بشكل قوي، ولا مجال للشك، بأن كل من مات من أجل الحق سستساوى منزلتهم بمنزلة الشهداء"، وأيده الرأي البابا جريجوري السابع^(٢٨)، ومن أجل القضاء على السلاجقة عام ١٠٧٤م، أعلن البابا جريجوري السابع "إن من مات من أجل بلادنا فإن ذلك شيء نبيل، والأكثر نبلاً وتقديراً أن نضحي بأجسادنا ودمائنا من أجل المسيح الذي يعيش حياة أبدية"^(٢٩). وقد اعتبر جريجوري بسبب هذه التصريحات بطلاً للكنيسة الكاثوليكية، وارتفع شأنه بين ملوك أوروبا^(٣٠).

(٢٦) Housley, Norman, Crusades against christens ,Crusade and settlement, Peter W. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985 , p. 17

(٢٧) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢-١. Housley, op.cit, P.18.

(٢٨) Housley, op.cit, p. 18.

(٢٩) Cowdrey, H. E. j., Martyrdom and the First crusade, crusade and settlement. peter w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985, p. 48

(٣٠) Cowdrey, op.cit, p. 48.

بلغت البابوية في القرن الحادي عشر الميلادي درجة كبيرة من القوة، حيث اتسعت سلطاتها ونفوذها السياسي، وفتح المجال أمام البابا أوربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) ليصبح الزعيم الروحي لكافة الشعوب المسيحية في الشرق والغرب^(٣١)، ومكنته من تحقيق أهدافه في السيطرة على العالم الغربي المسيحي، وإعداد حملة صليبية نحو العالم الإسلامي، تمثلت بالحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٥م، وما حققتها تلك الحملة من انتصارات على المسلمين، تبريرا لمطالب البابا بتزعم العالم المسيحي، وإنهاء الصراع ما بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية، وذلك عن طريق ترجيح كفة ميزان القوة نحو البابوية بعد الاستيلاء على القدس التي كانت مطلباً روحياً للمسيحيين في العالم اللاتيني.^(٣٢)

غفران الذنوب ودوره في إذكاء النار الصليبية

ارتبط بالحج الأوروبي إلى الأراضي المقدسة، مسألة الغفران الذي منحه البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت لعامة المسيحيين^(٣٣)، حيث قال: "إنني أخطب الحاضرين، وأعلن للغائبين وعلاوة على ذلك فإن يسوع المسيح يأمر بما يلي: كل من يذهب إلى هناك سوف تغفر له خطايه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار، أنني أمنح هذا لكل من يذهب مستمداً السلطة من القوة التي

(٣١) ماستناك، السلام الصليبي، ص 16؛ السرجاني، راغب، البابا أوربان الثاني، <http://www.Islamstory.comp> p.1

Housley, op.cit, p.21;

(٣٢) France, John, victory in the East: Amilitary history of the first, Cambridge University press, Cambridge, 1994, p.2

(٣٣) ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: عماد الدين غانم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2009،

ص ٣١. Housley, op.cit, p.19

وضعها الله في"^(٣٤). منح البابا أوربان (Urban II) بعباراته هذه المسيحيين المشاركين في الحملة امتيازات روحية تمثلت بغفران كل ما تقدم وما تأخر من الذنوب التي اقترفوها في حياتهم، بالإضافة إلى دخولهم الجنة دون حساب^(٣٥). ولم تكن مسألة الغفران الجزئي أو الكلي للذنوب وليدة خطبة أوربان الثاني، وإنما سبق وإن أثرت في عهد البابا جريجوري السابع، عندما تعرض للنقد الشديد من قبل خصومه حول من يقاتل من المسيحيين، وهل الحصول على الغفران للذنوب كاملاً أم ناقصاً؟، وهل يحق للبابا إعطاء رخصة لارتكاب ذنوب أخرى أم لا؟، واعتبره معارضوه قد فتح باباً من الشر أمام الجنس البشري لاقتراف الجرائم والذنوب، باسم الدين.^(٣٦)

شحت كلمات البابا أوربان الثاني همم الأوروبيين، وخاصة الطبقة العامة المدعومة في مناطق شمال وجنوب فرنسا، و المناطق التي لم يزرها البابا مثل بولندا، إذ وجد سكانها في الغفران، فرصة للتخلص من ظروف الحياة القاسية، أملين الحصول على الشهادة من خلال المشاركة في الحملة الصليبية، والقتال من أجل المسيح، وقد جاء الغفران استجابة لتوق الناس إلى الخلاص الدنيوي من جهة، وتحقيق أهداف البابوية نفسها من جهة أخرى.^(٣٧)

وقد استطاع البابا تحقيق النجاح في استمالة الشعوب الأوروبية، وعن طريق الدعاة الذين روجوا لمرسوم الغفران الصادر عن مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م،

(٣٤) الشارترى، تاريخ الحملة، ص 36؛ قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2006م، ص 28.

(٣٥) سميث، الحروب الصليبية، ص 13؛ رنسيمن، ستيفن، الحملات الصليبية من كلير مونت إلى أورشليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ج1، ص 154؛ ماستنك، السلام الصليبي، ص 91.

(٣٦) Housley, op.cit, p.19

(٣٧) قاسم، ماهية الحروب، ص 28-29؛ France, op.cit, p.4

وكانوا قد أعطوه تفسيرات كثيرة تعدّت حدود مفهومه الضيق في بداية الأمر.^(٣٨) ويقول ماستناك إن فكرة الحرب الصليبية لم تكن واضحة قط، فقد كانت في بداية عهدها عبارة عن عجينة من الصور والمعتقدات والخيالات والتوقعات والمشاعر، ولم يكن بمقدور الذين انضموا إليها من الرجال والنساء والأميين صياغة مفهومها وتفسير ما كانوا يقومون به، وما قاموا به.^(٣٩)

اعتمدت الكنيسة في قيادة الجماعات المسيحية نحو الخلاص في أواخر القرن الحادي عشر على رهبانية إصلاحية تحافظ على الصلة بين العالم الدنيوي والعالم القدسي، وكان هدف الرهبان مساعدة عالم المحاربين على التحرر من خطيئة القتل والعنف، من خلال العمل في أشكال جديدة كالصدقة، والحج الذي يغفر للخطيئة النادم جميع ذنوبه، وإسقاط العقاب عنه^(٤٠)، وتحريك مشاعر المسيحيين الدينية في الذهاب إلى مدينة القدس المقدسة، التي سقطت بيد المسلمين عام (٦٣٨م) وتحريرها^(٤١).

أخذت الكنيسة تدعو أمراء الاقطاع في أوروبا، للقيام بأعمال حربية خارجية على شكل حملات صليبية.^(٤٢) واستغل البابا أوربان الثاني مسألة التخلص من

(٣٨) قاسم، ماهية الحروب، ص 29؛ رنسيان، الحملات الصليبية، ج1، ص 159.

(٣٩) ماستناك، السلام الصليبي، ص 93.

(٤٠) بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر؛ ترجمة: بشير السباعي، عين للدراسات، القاهرة، 2003م، ص 34.

(٤١) Tyerman, Christopher, the crusades A (very short introduction, oxford university press, new york, 2005, p. 14

(٤٢) زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية (أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية)، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية؛ تأليف وتحقيق و ترجمة : سهيل زكار، دمشق، 1995م، ج3، ص 1182.

الذنوب والخطايا، ومن سار على نهج ومدرسة البابا جريجوري السابع في تحويل الحرب ضد المسيحيين إلى حرب مقدسة ضد المسلمين، فقد أشار كبير أساقفة كاتدرائية مدينة ريمس (Rheims) ^(٤٣) في أواخر القرن الحادي عشر، إلى الدعوات المبطنة نحو العمل العسكري ضد المنشقين، والحث على استخدام القوة من أجل التخلص من الخطايا والذنوب، واعتبر حمل السيف الطريقة الوحيدة للوصول إلى مدينة القدس ^(٤٤).

وكان للكوارث الطبيعية التي ظهرت في أوروبا قبيل الحملة الصليبية الأولى مثل الزلازل، وسقوط النيازك، وانتشار المجاعات، والأوبئة، الأثر في السيطرة على أذهان الأوروبيين، وعقولهم الذين اعتبروا هذه الظواهر مؤشراً لاقترب يوم الحساب ورأى البعض "أنها مسيرة إلى لقاء رجوع المسيح على اختتام الزمان" ^(٤٥) وبهذا يعتبر الحج إلى القدس من منظور المشاركين، رحلة أخيرة لإقامة طقوس التكفير، والعفو الجماعي لأيامهم الأخيرة، فأخذت حملة الحجاج شكلها وطابعها الحربي الذي أراده الحبر الأعظم (البابا) استجابة لأمر الرب.

عسكرة الحج إلى الأراضي المقدسة

تبلورت فكرة الحج إلى الأراضي المقدسة بين المسيحيين في الغرب الأوروبي، وبدأت رحلاتهم إلى فلسطين منذ القرن السابع الميلادي، وكان الحجاج المسيحيون يذهبون قبيل قيام الحروب الصليبية إلى روما، ثم تحولت إلى فلسطين، وسادت الفكرة الغرب الأوروبي خلال القرن الحادي عشر بشكل واسع، رغم خطورة وطول

(٤٣) ريمس: مدينة محصنة تقع في شمال فرنسا. أنظر: مجموعة باحثين، الموسوعة العربية العالمية، ج ١١، ص ٤٦٢.

(٤٤) Housley, op.cit, p. 20

(٤٥) بالار، الحملات الصليبية، ص 33.

الرحلة إلا أن الحماس الديني الذي كان وراء زيارة ورؤية قبر السيد المسيح، قد أصبح مطلباً جماهيرياً من الناحية الدينية إلى جانب زيارة كنيسة القيامة في القدس والمهد في بيت لحم.^(٤٦)

لقد اخذت فكرة الحرب المقدسة تلوح بالأفق منذ أسطورة شارلمان (ت ٨١٤م) في بدايات الهجوم العسكري والمسيحي المتواصل داخل الأراضي الإسبانية، والقائلة إن شارلمان سيفيق من نومه ويعمل على تحرير القدس، فالذكرات عن شارلمان والأساطير التي التصقت باسمه ألهمت الحماس المتزايد نحو قيام الحرب المقدسة الجديدة.^(٤٧)

وجذور الفكر الصليبي الديني تعود للحملات التي قام به الإمبراطور نقفور فوقاس (٣٥٢ - ٣٥٨ هـ / ٩٦٣ - ٩٦٩م) وقادته على بلاد الشام، وقد جسدها نقفور بالواقع الحي عندما أعلن عن نيته بالوصول إلى بيت المقدس لتحريره من أيدي المسلمين، لدرجة الاعتقاد بأن الأمر يندرج تحت مسمى الحروب الصليبية، وهذه الشعارات لم تتجاوز الدعاية السياسية من أجل إثارة اهتمام أتباعه وكسب تأييدهم العسكري^(٤٨) لضبط نفوذه على الديار الإسلامية، فكان همه هو قصد بلاد الشام

(٤٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص 173-174؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 59-60.

(٤٧) الرويضي، محمود، رسالة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تيمسكس إلى الملك الأرمني أسشود الثالث تجسد بدايات فكرة الحرب الصليبية، دراسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، م 37، ع 2،

2010م، ص 331.

(٤٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج 7، ص 320؛ الرويضي، رسالة الإمبراطور، م 37، ع 2، ص 332.

والاستيلاء عليها، وقد تم له ما أراد بأن أشغل ملوك الإسلام ببعضهم" فكان يقصد سواد البلاد فينهبه، ويخربه، فيضعف البلاد فيملكها".^(٤٩)

وقد قدم المؤرخ الأرمني رسالة جسّد مضمونها بدايات الفكر الصليبي البيزنطي برفع راية الصليب، وتضمنت أخبار انتصارات حملة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزميسكس (Zimisces) عام ٩٧٣م على سواحل بلاد الشام، والوصول إلى حدود بيت المقدس، مستغلاً الدعاية الدينية، وفكرة الحرب المقدسة لكسب التأييد العسكري كما نهج سلفه نفقور؛ وقد اعتبر الرهاوي حملات أباطرة بيزنطة البدايات الأولى التي جسدت فكرة الحرب الصليبية، وأخذت صفة الحرب الدينية، ورفعت راية الصليب قبل الحملات المتعارف عليها بين المؤرخين.^(٥٠)

وقد شهد عهد البابا جريجوري السابع فكرة إعداد حملة عسكرية للشرق الإسلامي، وقد اتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الإمبراطور الألماني هنري الرابع (Henry IV) (١٠٥٦ - ١١٠٥م)، ضمّنها خطته المتمثلة بقيادة حملة عسكرية لمساعدة البيزنطيين بعد هزيمتهم في معركة (ملاذكرد)، سنة ١٠٧١م، واقترح فيها الذهاب لإنقاذ القدس، إلا أن هذا الاقتراح قصد به الحج والتكفير الذي يتجسد في فكر البابا أوربان الثاني فيما بعد^(٥١)، فكان للحج دور كبير في جعل الحملة الصليبية، نابعة من استمرار

(٤٩) الرهاوي، متى، تاريخ متى الرهاوي، الإفرنج، الصليبيون، المسلمون، الأرمن؛ ترجمة: محمود الرويضي، دار حمادة للنشر والتوزيع، إربد، 2009، ص ٣٥ وما بعدها؛ أنظر التفاصيل: الرويضي، رسالة الإمبراطور، م

37، ع2، ص 332 وما بعدها.

(٥٠) ماستناك، السلام الصليبي، ص 103.

(٥١) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 173؛ 8، France, op.cit, p.8

رحلات الأوروبيين الدينية إلى بيت المقدس، وتولدت فكرة إخضاع الأراضي التي شهدت ظهور المسيح تحت سيطرتهم، فالحماس الديني جعلهم يتحملون عناء الرحلة الطويلة ومخاطرها من أجل زيارة القدس، ورؤية القبر المقدس، وقتال المسلمين، واستعادة كنائس الشرق؛ وأصبحت هذه الفكرة مطلب الجماهير المسيحية التي بلغت ذروتها في الحملة الصليبية الأولى بوصفها أوسع الحجات الجماهيرية في القرن الحادي عشر الميلادي.^(٥٢)

وكان البابا اوربان الثاني قد طالب أبناء المسيح في خطبته تأدية القسم على الصلاة في كنيسة القيامة واعداء إياهم بالغفران عن جميع الخطايا والذنوب^(٥٣)، فأقسم الجميع بالإجماع، وبدأ وكأنه الإنجاز الحرفي لما هو مكتوب في توثيق طويلاً ❖ يا أورشليم مدينة الله يزورك الأمم من الأقاصي بقرابينهم... وجميع شعوب الأرض لك يسجدون... ويعتبرون أرضك أرضاً مقدسة، لأنهم فيك يدعون الاسم العظيم".^(٥٤)

(٥٢) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، (الأيدولوجية، الدوافع، النتائج) (المجلس الوطني للثقافة، 1990، ص 27؛ رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: السيد الباز العريبي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1981م، ص 147، 173، 182؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص ٦٠.

(٥٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص ١٧٤ ماستناك، السلام الصليبي، ص 65.

(٥٤) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٧٤.

* طويلاً: هو من الأسفار التي اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م، وفيه خطب وصلوات ونبوءات، وفيه وصف لحفلة زواج طويلاً من سارة. انظر: شليبي، احمد، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٢٤.

وهذا يدل على تسييس تدّين العامة من قبل البابوات و رجال الكنيسة والقساوسة واستغلاله لتعطيل فرص التفكير لدى الشعوب المسيحية^(٥٥)، وزيادة الجهل والأمية التي اتسمت بها عقول الكثير من أبناء الغرب الأوروبي. الأمر الذي دفع البابا أوربان الثاني إلى استغلال الظروف، والدعوة إلى قيام حملة حج مسلحة، خاصة بعد أن تبلورت فكرة الحرب الصليبية في مجمع كليرمونت (Council of Clermont) سنة ١٠٩٥م، و خرجت الفكرة تحت عنوان (عسكرة الحج)، مضافاً إليها طابع القداسة البابوية بعد أن غدّتها قصص الحجاج الأوروبيين العائدين الذين تحدثوا عن مدى ثراء الشرق، يقول البابا أوربان الثاني: " من يذهب إلى القدس للورع فقط وليس للحصول ، على الأموال، لتحرير كنيسة الرب قادر على إحلال هذه الرحلة لكل الكفارات"، فاختلطت فكرة الحج بفكرة الحملة الصليبية قبل انطلاقها، وتبلورت في تجسيد الحرب الدينية الصليبية.^(٥٦)

وكانت الحملة الصليبية الأولى ومنذ بدايتها رحلة حج مصحوبة بالتكفير عن خطايا المشاركين فيها، وكان في فكر البعض منهم أن وجودهم في الحملة سيعمل على غسل ذنوبهم وتجنّيبهم العقوبة الربانية، لا سيما تلك الخطايا المقترفة بسبب الجرائم الجنسية^(٥٧). ومما لاشك فيه أن القديس بطرس الناسك (Peter The Hermit) الذي قدم إلى فلسطين حاجاً، قد استغل عند عودته إلى أوروبا، ما حدث في سنة ١٠٩٣م

(٥٥) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ محمود، علي عبد الحليم، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار التوزيع، القاهرة، 1993م، ص ١٠٨.

(٥٦) الصوري؛ الحروب الصليبية، ج1، ص ١٦٢ - ١٦٣؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص 1182؛ قاسم،

ماهية الحروب، ص 28 - 27؛ ماستناك، السلام الصليبي، ص 66- 67؛ Tyerman, op.cit, p.13.

(٥٧) A. Brundage, James, Prostitution, Miscegenation and sexual purity, crusade, and settle ment, W. Edbury, University college, Cardiff press Cardiff, 1985 p.57

للهجاء الغربيين، عندما منعهم أهل السواحل العبور إلى بيت المقدس^(٥٨)، واستخدامه كسلاح في تنشيط ادعائه الكنسي، وتحميل الحادثة أكثر مما تحتمل، واستغلالها لملء صدور أبناء الغرب الأوروبي بالأحقاد الدينية والكرهية على أبناء الأمة الإسلامية في بلاد الشام، وقد نقل صورة غير واقعية عن الحادثة وهول أمر أبناء الملة المسيحية في الشرق، وذكر وقائع غير حقيقية عن أوضاعهم في المجامع الكنسية لإشعال نار الحروب الصليبية الأمر الذي دفع البابا أوربان الثاني إلى وصف معاناة المسيحيين في الشرق، بناء على ادعاءات بطرس الناسك، وطالب من أتباعه التعبير عن صدق نواياهم بمد يد العون والمساعدة لأبناء جلدتهم من المسيحيين الشرقيين وتخليصهم على الفور من الحكم الإسلامي.^(٥٩)

لم ينظر أبناء الغرب إلى بعد المسافة ما بين الغرب والشرق، فقد رسخ في عقولهم عقيدة دينية مليئة بالأحقاد أسكنها رجال الدين في نفوسهم، وجعلوها مدعاة لاطمئنانهم لغفران خطاياهم، وآثامهم، متجاهلين ما سيصيبهم من الجوع والعطش بسبب حرارة الصيف وبرودة الشتاء، هذا فضلاً عن الأوبئة والأمراض التي ستلحق بهم أثناء رحيلهم إلى الديار المقدسة، وبخاصة بعد أن صنّف البابا أوربان الثاني عملهم في سجل خدمة المسيح، والمصالحة مع الله، والدفاع عن الإيمان المسيحي، وأن من يموت في تلك المعارك سينعم بالسعادة الأبدية، وسيحصل على مجد يعلو فوق مجد الدفاع عن الوطن.^(٦٠)

(٥٨) الشارترى، تاريخ الحملة، ص ٤١-٤٢؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٨٠-١٨٠.

(٥٩) الشارترى، تاريخ الحملة، ص 36.

(٦٠) الشارترى، تاريخ الحملة، ص 36-35، الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 174؛ سميث، الحملة

الصليبية، ص 22-23 .

طرح البابا اوربان الثاني في خطابه طبيعة هذه الرحلة الهادفة إلى تحرير البلاد المقدسة من براثن المسلمين، ووصفهم "بالجنس الخسيس الذي يعاني من الحقارة والانحطاط، وتستعبده الشياطين، والعفاريت على أيدي جنود المسيح الذين يحملون إشارة الصليب رمزاً لإيمانهم واستعدادهم للشهادة"^(٦١)، وطالب جنود المسيح من رجال دين وحكام أن يحضّوا الرجال مهما كانت مراتبهم، فرساناً كانوا أم مشاة، أغنياء كانوا أم فقراء، بأن يسارعوا لسحق هذا الجنس، ومد يد العون للمسيحيين من سكان بلاد الشام.^(٦٢)

إن دعوة البابا اوربان الثاني إلى الحرب المقدسة على شكل بعثة حج كانت مكافأتها إصدار صكوك الغفران من الذنوب والخطايا، فأعلن أن المسيح يأمر بما يلي: "كل من يذهب زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار [المسلمين]، أنني أمنح ذلك لكل من يذهب إلى هناك يقصد الديار المقدسة سوف تغفر له كل خطايه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر أو عابراً البحر، أو مقاتلاً الكفار [المسلمين]، أنني أمنح ذلك لكل من يذهب مستمداً القوة من السلطة التي وضعها الله في".^(٦٣) وما قام به أوربان الثاني لم يختلف كثيراً عما تم الوعد به من قبل البابا الإسكندر الثاني (Alexander II) (1061- 1073) عام ١٠٦٣ م، إلا أنه جاء بعد اثنين وثلاثين عاماً، في الوقت الذي تم فيه توضيح وتعزيز تلك الرغبة الأساسية للإصلاح من خلال صراع المناصب، تلك الفكرة التي تحمل في طياتها مسألة الخلاص من عبء الخطايا.^(٦٤)

(٦١) الشارثري، تاريخ الحملة، ص 13، 36.

(٦٢) الشارثري، تاريخ الحملة، ص 36.

(٦٣) الشارثري، تاريخ الحملة، ص 36.

(٦٤) ماستنك، السلام الصليبي، ص 91، 10، P. cit, op. france.

اكتسبت الحرب الصليبية التي دعا إليها البابوات صفة التقديس ، وأُطلق عليها (رحلة الحج إلى الأماكن المقدسة) ، نتيجة طغيان الروح الدينية على عقول الأوروبيين من خلال التطلع إلى حياة الآخرة ، فقدّمها البابا أوربان الثاني على أنها رحلة حج ، وأنها نوع جديد من الخلاص ، وسلوك الدروب المؤدية إلى السماء من أجل الحصول على السعادة التامة وغفران الذنوب والدليل على ذلك تلبية الحجاج رغبة البابا بوضع الصليب كإشارة للخلاص على أثوابهم.^(٦٥)

وما يؤكد أن الحملة اخذت الطابع الديني ما أقرّه الأشخاص الذين شاهدوا أحداث الحملة وسجلوها وأطلقوا مسميات عليها تضمّنت المفهوم الديني للحملة الصليبية ، فقد أطلق فوشيه الشارترى^(٦٦) fulsher Of Chartre شاهد عيان لأحداث الحملة الصليبية الأولى على كتابه اسم " أعمال الفرنجة ، حجاج بيت المقدس " Gesta francorum Iherusalem Pergrinatium وكذلك المؤلف النورمندي المجهول^(٦٧) المرافق للحملة ايضاً ، أطلق على كتابه اسم "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" Gesta Francorum .Et Aliorum Hieosolimitanorum ، ولهذا استجاب الكثير من أبناء الغرب الاوروبي لدعوة البابا ، في المشاركة بالحملة الصليبية الأولى التي اُكتست بثوب ديني عن طريق الحج بأعداد كبيرة الى بيت المقدس.^(٦٨)

(٦٥) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ١٧٤ - ١٧٥ ؛ باركر، أرنست، الحروب الصليبية؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص 10-9؛ سميث، الحروب الصليبية، ص 11، 13-14؛ بالار، الحملات الصليبية، ص 3. ماستنك، السلاح الصليبي، ص ٦٠.

(٦٦) الرويضي، امارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة، اريد، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٦٧) الرويضي، امارة الرها، ص ٢٥.

(٦٨) france, op.cit,p.2

إن المفهوم التقليدي للحرب المقدسة التي شنتها البابوية على أعداء الكنيسة من المسيحيين، اختلفت عن تلك العقيدة الصليبية التي وجدت لدى البابا أوربان الثاني، فقد جسّدها في الحرب المقدسة تجاه أعداء المسيحية من المسلمين، واشتملت عقيدته على مفاهيم وأفكار ثورية ليس لها علاقة بالقانون الكنسي^(٦٩)، وقد تمخض عنها إعلان الحرب الصليبية على المسلمين، وأكد ذلك البابا أوربان الثاني بقوله: "دع أولئك الذين اعتادوا على شن حروبهم الخاصة بطيش على المؤمنين، أن يزحفوا على الكفار بحرب تبدأ الآن ولا تنتهي إلا بالنصر، دع أولئك الذين حاربوا في الماضي ضد إخوانهم يحاربون ضد البرابرة".^(٧٠)

أثر معركة ملاذكرد عام 1071م على تطور فكرة الحملة الصليبية في الغرب الأوربي ظلت مسألة إخضاع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية تحت زعامة بابا روما، قائمة لدى الكنيسة الكاثوليكية من حين لآخر، إلا أن النزاع الذي استحكم ما بين إمبراطور بيزنطة وبابا روما، جعل من المتعذر القيام بمحاولة جادة من أجل توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، بعد انفصال الكنيستين عام ١٠٥٤م و جاءت فرصة دمج الكنيستين تحت زعامة البابا، بعد الهزيمة القاسية التي لحقت بالبيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م قرب بحيرة فان (Van Lake)^(٧١) في آسيا الصغرى^(٧٢) أمام السلاجقة

(٦٩) Gilchrist, John, the Erdman Thesis and the canon law, 1085 – 1141, Crusade and settlement, peter.

W Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985, p38.

(٧٠) الشارترى، تاريخ الحملة، ص 36.

(٧١) بحيرة فان: بحيرة تقع في شرق تركيا، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي (١,٦٤٦) ومساحتها نحو

(٣,٧٣٨) أنظر: البعلبكي، موسوعة المورد، ج ١٠، ص ٧٤.

(٧٢) الرويضي، محمود محمد؛ العميرة، محمد نايف، معركة ملاذكرد (جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية)،

مجلة المنارة، جامعة آل البيت، ع ١، مج ١٣، 2006م، ص ٥.

المسلمين، حيث استطاع السلطان ألب أرسلان (١٠٦٤ - ١٠٧٢م) تحقيق الانتصار على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين الرابع (Romanus Diogenese IV) الذي اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٧م، والتمكن من أسره.^(٧٣) وتوغل السلطان ألب أرسلان في مناطق آسيا الصغرى وبلاد الشام، وأخضع مدن أنطاكية^(٧٤) ونيقية^(٧٥) وغيرهما. وكشفت معركة ملاذكرد عن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية المتردية عسكرياً واقتصادياً، حيث دفعت الإمبراطور (ميخائيل السابع) إلى طلب الإغاثة من البابا (جريجوري السابع)، خوفاً على مناطق الأناضول التي كانت تفوق بيت المقدس أهمية بالنسبة للبيزنطيين، مقابل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية، ذلك المشروع الذي ظهر إلى حيز الوجود في عهد الإمبراطور البيزنطي الكسيس كومنين (1081- 1118) (Commnen Alexius).^(٧٦)

(٧٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ٣٩، ١٥٨؛ كومنين، أنا، ألكسياد؛ ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م، ص ٣٥-٣٩؛ زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص 1177؛ الرويضي، العمارة، ملاذكرد، ج1، ص 13، ص 13.

(٧٤) أنطاكية: هي قصبة العواصم في الثغور الشامية، وموصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة أشجارها من الفاكهة، ولها سور عظيم يحتوي على ثلاثمائة وستون برج: أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص ٢٦٦.

(٧٥) نيقية: مدينة من أعمال استانبول على البر الشرقي. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٣.

(٧٦) كومنين، ألكسياد، ص 113؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص ٣٩، ٤٦، ١٥٨.

Tyerman, op.cit, p.19,21; the crusades, <http://www.wikipedia.org.p.1.3.4>؛

الكسيس كومنين (١٠٧١-١١١٨م): هو الابن الثالث لوحنا كومنينوس، تمكن من الوصول الى عرش الامبراطورية البيزنطية سنة ١٠٧١م، وساهم في طرد النرمانديين من أراضي الامبراطورية، وهزم البشناق سنة ١٠٩١م، خلفه في الحكم ابنه الكسيوس كومنين الثاني. انظر: نيكول، دونالد، معجم التراجم البيزنطية؛ ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٧٦-٧٧.

استجاب الكسيس إلى النداء البابوي، والمشاركة في الحملة الصليبية الأولى المتجهة إلى بلدان الشرق تحت شعار محاربة المسلمين، وحماية البيزنطيين، واسترداد الأراضي المقدسة، والعمل على رأب الصدع والانشقاق الذي استمر أكثر من أربعين عاماً ما بين الإمبراطورية البيزنطية والغرب الأوروبي.^(٧٧)

وكانت الرغبة عند الإمبراطور الكسيس كومنين مرافقة الحملة الصليبية الأولى من أجل القضاء على السلاجقة، ثم تخلص عن هذه الفكرة بسبب ضالة الجيش البيزنطي المشارك، مقارنة بالأعداد الفرنجية المشاركة في الحملة، بالإضافة إلى انزعاجه من الحشود الصليبية التي جاءت من الغرب الأوروبي، وأقامت لها إمارات في الأراضي البيزنطية بعد ذلك، مع أنه لم يطلب سوى قوة صغيرة من المرتزقة المأجورين.^(٧٨) واكتفى بإرسال مندوب عنه لتنفيذ شروط الاتفاق بينه وبين قادة الحملة الصليبية. خاصة وأنه كان بأمر الحاجة للمساعدة العسكرية من روما لاستعادة السيطرة البيزنطية على مناطق آسيا الصغرى وشمال سوريا، بعد موت السلطان السلجوقي ملك شاه^(٧٩) عام ١٠٩٢، وتفكك مملكته في بلاد الشام والعراق، الأمر الذي جعل الإمبراطور يتغاضى عما فعله الإفرنج، في أراضي دول البلقان ❖ من

(٧٧) كومنينا، ألكسياد، ص 415، ٤١٨؛ Tyerman, op.cit,p.21;

(٧٨) كومنينا، ألكسياد، ص 418؛ نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٧٦؛ Powell, James M., The Crusades, The Kingdom of Sicily And The Mediterranean, A shgate publishing company, Barlington, USA,2007,p.4.

(٧٩) ملك شاه: هو السلطان السلجوقي جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن سلجوق. تسلطن بعد موت أبيه سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م. وكان مملكته تضم جميع بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة وبلاد الروم والجزيرة والشام. وكان يلقب بالسلطان العادل. انظر: ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٥، ص ١٣٣-١٣٢.

سفك دماء القوات البيزنطية^(٨٠)، وتمكن من استمالة أمرائهم إلى جانبه، حتى يتسنى له إعادة الأراضي البيزنطية من أيدي العرب والأتراك السلاجقة^(٨١)، وهذا ما تم الاتفاق عليه مع قادة الحملة الصليبية الأولى بعقد يمين الولاء، مقابل أن يقدم لهم خدمات مادية، وإرشادهم عبر طرق الأناضول وشمال سوريا.^(٨٢)

صورة مسيحي الشرق في أوروبا وأثرها في انبعاث الحملة الصليبية الأولى

أشار أحد من المؤرخين في الغرب الأوروبي إلى سوء أوضاع المسيحيين الخاضعين تحت سلطة الدولة الإسلامية في الشرق خلال العصور الوسطى، وذكر ما تعرضوا إليه من اضطهادات وحشية. هذا فضلا عن تخريب كنائسهم، وإغلاق أديرتهم، فأصبح من المتعذر عليهم ممارسة طقوسهم الدينية المعتادة خاصة في أوقات الأعياد المقدسة، بالإضافة إلى عمليات التعذيب البدنية و موت الكثير من المسيحيين، في ظل المعاملة السيئة لهم من قبل حكام الديار الإسلامية^(٨٣). وعانى مسيحيو الشرق، في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦ - ١٠٢١م) نتيجة معاملته

(٨٠) زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص١١٨٦؛ Tyerman, op.cit, P.21.

* البلقان : وهي شبه جزيرة تضم دول بلغاريا واليونان ورومانيا وتركيا ورومانيا ويوغسلافيا والباينا للمزيد انظر :

Encyclopaedia Britannica, Vol. 1. P. 760

(٨١) جبران، نعمان محمود، المصادر الأرمنية وأهميتها حولية مئى الرهاوي أنموذجا، مؤتمر بلاد الشام في فترة

الصراع الإسلامي الفرنجي، مطبعة جامعة اليرموك، إربد، 2000م، ص108.

(٨٢) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص243؛ الشارترى، تاريخ الحملة ص45؛ جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة

(غزة بيت المقدس) ؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة المصرية، الإسكندرية، 1989م، ص70؛ الرويضي،

محمود محمد، إمارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة، إربد، 2002م، ص182؛

363 Ostrogorsky, George History of the Byzantine, Basil Black well, padstow , 1968 ; p.

(٨٣) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص١٤٧ - ١٤٩.

السيئة تجاه أهل الذمة في مصر وبلاد الشام^(٨٤). إذ أمر بتدمير كنيسة القيامة عام ٤٠٢هـ / ١٠٠٢ م^(٨٥)، على يد والي الرملة ياروق (Yaruk)^(٨٦)، ثم هدم الكنائس في مصر. و كان الخليفة الفاطمي قد أقدم على فعلته هذه لأجل إثبات إخلاصه لأهل دينه، والمحاولة في التخلص من اسمه المسيحي (الوزغة) الذي كانوا ينادونه به، كما أمر بهدم كنائس أخرى في مدينة القدس، ومصادرة كنوزها، ثم لاحق الرهبان، وأصبح مصدر خطر وإزعاج للكثير من المسيحيين عامة، فدفع البعض إلى إعلان إسلامهم^(٨٧).

وكان قد حصل تقارب في العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين ابتداءً من سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧ م^(٨٨)، وتمخض عنها التوقيع على معاهدة الصلح بين الطرفين، حيث

(٨٤) الذهبي، أعلام النبلاء، ج15، ص 174؛ زكار الموسوعة الشامية، ج3، ص 1163؛ الصوري، الحروب

الصليبية، ج1، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ <http://www.wikipedia.org.p.4>؛ The crusades

(٨٥) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج4، ص 74؛ الذهبي، أعلام النبلاء؛ ج15، ص174؛ ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور؛ تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط2،

1982، ص200؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 177؛ Marguerite Gantier- Van Berchem

and solangeory, Muslim Jerusalem, Fondation Max Van Berchem, Geneve, 1982, p.13

(٨٦) ياروق: أحد ضباط الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، عينه في ولاية الرملة، واكل اليه مهمة تدمير كنيسة القيامة. أنظر: الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص١٤٧.

(٨٧) الذهبي، أعلام النبلاء، ج 15، ص 174؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 147-150؛ ابن المقفع

ساويرس، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية؛ تحقيق: يسى عبد المسيح وآخرون، جمعية الآثار القبطية، القاهرة

١٩٤٨، مج٢، ج٢، ص١٢١

(٨٨) ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد، تاريخ ابن القلانسي، مطبعة اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 55-

52؛ عقله، عصام مطصفي، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين في عهد طغرل بك، المجلة

الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، ع2، مج2، 2008، ص 63

وافق الفاطميون على إعادة إنشاء ما هدم من الكنائس، بالإضافة إلى ترميم كنيسة القبر المقدس.^(٨٩)

إن إساءة الخليفة الفاطمي لنصارى مصر والشام، لا تعد سياسة الدولة الإسلامية على مر التاريخ، فسياسة الحاكم بأمر الله كانت قد تجاوزت المسيحيين وصب سخطه على رعيته من المسلمين، فلم يسلم الصحابة رضوان الله عليهم، فأمر بسبهم وكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع، وارتكابه للكثير من المجازر في حق النساء المسلمات^(٩٠). فكانت تصرفاته الخاطئة قد طالت أبناء الرعية من المسلمين وأهل الذمة على السواء. وإذا أخذ بعين الاعتبار وتبرير معاملة الحاكم بأمر الله السيئة للمسيحيين، فإن حكامه من المسيحيين قد أساءوا التصرف في إدارتهم مع المسلمين، وميزوا في المعاملة أبناء جلدتهم عن المسلمين، لدرجة تذر المسلمين من سياستهم والخروج عليهم، والاحتجاج على الحاكم بأمر الله الأمر الذي دفعه لتغيير سياسته مع المسيحيين ومن ولاهم المناصب الإدارية.^(٩١)

(٨٩) زكار، الموسوعة الشامية، ج3، ص ١١٦٤-١١٦٥؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص147، 150؛ ماستنك، السلام الصليبي، ص ٥٢-٥٣.

- اتفق البيزنطيون مع الفاطميون على توقيع معاهدة السلم والصدقة في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م، وتم التصديق عليها في القاهرة بين الطرفين في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وكان من بنودها: ان يتمتع الروم في جميع أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية، و يسمح لهم بتجديد كنائسهم، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات. انظر: الانطاكي، يحيى بن سعيد، تاريخ الانطاكي؛ تحقيق: عمر تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م، ص ٢٤٨؛ محمود، سلام شافعي، أهل الذمة في مصر، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٩٠) المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص ٧٤-٧٥.

(٩١) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٧٦؛ الذهبي، أعلام النبلاء، ج15، ص174؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، مج 4، ج7، ص 121.

ساعت أحوال المسيحيين في مناطق أسيا الصغرى، والشام، في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وأخذت بالانحطاط تحت حكم السلاجقة، نتيجة الصراع الطويل مع الإمبراطورية البيزنطية.^(٩٢) و أضفى بعض المؤرخين الأوروبيين وعلى رأسهم متى الرهاوي (Matthieu D'Edessa) بعداً دينياً على قيام الحملة الصليبية، وقدوم قواتها إلى الشرق من أجل نجدة المسيحيين، وتحرير المدينة المقدسة، وتخليص قبر المسيح^(٩٣).

قال البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م في خطبته الشهيرة التي ألهمت مشاعر المسيحيين الغربيين، مستغلاً عواطف الحضور لإثارتهم وحقنهم بالأحقاد والكراهية على المسلمين، وبث روح التعاطف مع إخوانهم المسيحيين في الشرق، فقال: " إن محنة لا تقل، بل تزيد، عن التي ذكرت بل هي أسوأ المحن على الإطلاق، تحقيق بالمسيحية في طرف آخر من العالم... وبما أنكم يا أبناء الله قد وعدتموه بأن تحفظوا السلام بينكم وأن تخلصوا في المحافظة على حقوق الكنيسة، فإن عليكم.. أن تؤدوا مهمة ملحة لكم ولله .. تظهرون فيها مدى صدق نواياكم، عليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم القاطنين في المشرق الذين يحتاجون إلى مساعدتكم.. لأن الأتراك.. قد هاجموهم.. وتقدموا داخل الأراضي الرومانية.. وانتزعوا شيئاً فشيئاً من أراضي المسيحيين وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله... لذا وبصلاة خاشعة، فإنني، لا بل إن الله وليس أنا، يحثكم يا جنود المسيح على أن تحضوا الرجال مهما كانت مراتبهم .. أن يسارعوا لسحق هذا الجنس... ويمدوا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الأوان".^(٩٤)

(٩٢) ماير، الحروب الصليبية، ص ٣٢-٣٣؛ France, op.cit, P. 4

(٩٣) تاريخ متى الرهاوي، ص 64؛ جبران، المصادر الأرمنية، ص ١٠٨.

(٩٤) الشارترى، تاريخ الحملة، ص ٣٥-٣٦؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 32.

يتضح من قول البابا أوربان الثاني اهتمامه الشديد بأمر مسيحي الشرق وأحوالهم في القدس، ويقدم المؤرخ اللاتيني وليم الصوري صورة مبالغاً فيها عن حال المسيحيين في الشرق، إلا أنها الصورة التي أرادها البابا أوربان الثاني أن تصل إلى المسيحيين الغربيين لحضهم على التعاطف مع إخوانهم الشرقيين، وأشار وليم الصوري أن المسيحيين الشرقيين انتابهم الحزن والأسى إزاء تدمير كنائسهم، والضرائب والجزية التي فرضت عليهم ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وإلزامهم بالبقاء في بيوتهم، ورميهم بالحجارة والقاذورات، ومضايقتهم في الأعياد، ومصادرة ممتلكاتهم، وخطف أولادهم وبناتهم، وإجبارهم على التخلي عن المسيحية^(٩٥). وأضاف وليم أن أهالي بيت لحم من المسيحيين تعرضوا إلى الإساءات الجسدية، والكثير من الابتزازات، والتهديد دائماً بهدم الكنيسة إذا ما تأخروا في أداء الطاعة، أو تقاعسوا عن دفع الجزية أو الضريبة^(٩٦).

وعانى المسيحيون في المشرق مرة أخرى على يد السلاجقة الأتراك، ولمدة ثمانية وثلاثين عاماً من مصاعب كبيرة، كانت أكثر بكثير من تلك التي حدثت زمن الفاطميين^(٩٧). فقد ارتكب السلاجقة المذابح داخل الكنائس دون احترام الأماكن المقدسة وعملوا على نشر الرعب في قلوب المتعبدين بصيحاتهم وصفيرهم الجنوني، وألحقوا الإهانات برجال الدين، وعلى رأسهم بطريرك القدس^(٩٨)، وبعد إخضاعهم لمدينة القدس سنة ١٠٧٣م قاموا بإصدار أوامره العسكرية بهدم الأديرة، والمباني خارج المدينة من أجل بناء السور الخارجي، فألحقوا ضرراً كبيراً، بالأماكن الدينية

(٩٥) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص 148

(٩٦) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص 151

(٩٧) الصوري، الحروب الصليبية، ص ١٥١.

(٩٨) الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١-١٦٢.

العائدة للمسيحيين^(٩٩)، الأمر الذي أبكى المسيحيين بما فعله السلاجقة في حقهم، وتضرعوا إلى الله بالتأوهات والتنهدات المملوءة بالدموع من أجل الصفح والخلاص وطلب الرحمة. ويشير الصوري إلى استجابة الرب لصلاتهم في انتهاء محتهم، من خلال استثارة إخوانهم المسيحيين في الغرب الأوروبي تجلّت في إعداد حملة صليبية هدفها إنقاذ أتباع المسيح في الشرق من أيدي أعدائهم.^(١٠٠)

إن الوصف الذي تقدم به وليم الصوري لم يمثل حال المسيحيين في الشرق وحدهم، وإنما كان حال المسلمين معا لأن الفترة التي تكلم عنها كانت منطقة بلاد الشام التي تعاني من تفكك إداري وسياسي وتبعي أدى إلى غياب الأمن والاستقرار عن المنطقة، وانتشر قطاع الطرق واللصوص، والفساد وغياب الدولة ونظام الحكم وفرض الضرائب وتحصيلها أكثر من مرة في السنة، لأن المنطقة كانت متذبذبة في ولائها، فتارة تخضع للعباسيين وأتباعهم وتارة تخضع للفاطميين وأتباعهم، والآثار السلبية الناتجة عن تذبذب الولاء وتطبيق الحكم، تعود على سكان بلاد الشام عامة دون فئة عن الأخرى. فالضرائب أنهكت كاهل الفلاح المسيحي والمسلم؛ والسلب والنهب للمحاصيل الزراعية طال أراضي المسيحي والمسلم دون فرق؛ وقطاع الطرق واللصوص اعتدوا على المسيحي والمسلم^(١٠١)، والضرائب حُصّلت أكثر من مرة من المسيحيين والمسلمين، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، فقد هاجر السكان مناطق بلاد

(٩٩) Praver, Joshua, the Jerusalem the crusader captured a contribution to the medieval l, crusade and settlement, Peter w. Edbury, University College Cardiff press, Cardiff, 1985, p.2-3

(١٠٠) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 162.

(١٠١) المؤلف السرياني المجهول، الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية؛ ترجمة: سهيل زكار، مطبعة الملاح، ١٩٨٤،

ج ٢، ص ٥٠٠؛ الرويضي، إمارة الرها، ص ١٤٨-١٧٨.

الشام مسلمين ومسيحيين، وتركوا بلادهم وأراضيهم بحثا عن الأمان والاستقرار^(١٠٢)، ولذلك عندما سيطر نور الدين محمود بن زنكي على البلاد أصدر مرسوما يقضي بإظهار حجج الملكية للأراضي بهدف إعادة الناس إلى أراضيهم وتشجيع الزراعة وبث الاستقرار والأمن في المنطقة^(١٠٣)، لذلك فإن المعاملة التي يتكلم عنها وليم الصوري لم تمس فقط أبناء جلدته، وإنما كان الأمر والسياسة عامة على سكان البلاد الشامية مسيحيين كانوا أم مسلمين. وإذا كانت سياسة الحاكم بأمر الله الفاطمي هكذا فهذا لا يعبر عن سياسة حكام الدولة الإسلامية عامة، فقد وجد من راع أهل الذمة وحفظ حقوقهم وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والمدنية دون قيد أو شرط^(١٠٤)، حتى أن الحاكم بأمر الله تراجع عن سياسته وسمح ببناء ما أمر بهدمه من الكنائس.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الآتية :

- ١- عاش الأوربيون في الفترة التي سبقت قيام الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥م، مرحلة حرجة بسبب سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغياب الوحدة القومية بين شعوب دول أوروبا الغربية من جهة، وانشغال الملوك والأمراء بحروبهم الإقطاعية التي استنزفت مقدرات البلاد، والكثير من الجماعات

(١٠٢) ابن ميسر، محمد بن علي (ت ٦٧٧هـ-١٢٧٨م) المنتقى من اخبار مصر، تحقيق: إيمان فؤاد السيد، مطابع الهيئة المصرية، مصر، ١٩٨٥، ص ١٢٤.

(١٠٣) مؤلف سرياني رهاوي، ج ٢، ص ٥١٣-٥١٥.

(١٠٤) ابن شداد، محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ-١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومنيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م، ج ١، ص ٢٠.

البشرية التي استخدمت كوقود للحروب الدائرة في مناطقهم الإقطاعية. الأمر الذي أدى إلى استياء البابا ورجال الدين الكاثوليك من الوضع الراهن في الغرب الأوروبي، على الأباطرة والملوك لتدخلهم في شؤون الكنيسة، خاصة في مسألة تعيين البابا، وأخذت البابوية تعمل ما في وسعها للتخلص من هذه السيطرة. حيث قامت ببث روح الحماس الديني بين المسيحيين في العالم الغربي ضد الإسلام والمسلمين. واستخدمت عامل الدين من أجل إنقاذ العالم الغربي وخاصة فرنسا التي عانت كثيراً من ظلم النظام الإقطاعي، وأرادت كذلك بسط نفوذها على الغرب الأوروبي بأكمله بعد التخلص من أمراء الإقطاع ومضايقاتهم لها، من خلال إرسالهم في الحملة الصليبية الأولى إلى العالم الإسلامي، وإعطائهم فرصة لتوسيع إقطاعاتهم وتأسيس الممتلكات، وإبراز قدرات فرسانهم العسكرية التي أظهرها براعتهم فيها من خلال حروبهم الإقطاعية في الغرب الأوروبي.

٢- لعب البابوات دوراً كبيراً في تجسيد الروح الدينية في بلدان الغرب الأوروبي، والعمل على إضفاء الطابع العسكري عليها من خلال إرسال جنود محملين بالسلاح على هيئة حجاج إلى الشرق الإسلامي.

٣- استغلال أوضاع مسيحيي الشرق من قبل رجال الدين مثل بطرس الناسك في تأليب وتأجيج مشاعر المسيحيين الأوروبيين.

٤- انتهاز فرصة ضعف الإمبراطورية البيزنطية بعد هزيمتها في معركة ملاذكرد على يد السلاجقة، والعمل على جمع مسيحي العالم الأوروبي بشقيه الغربي والشرقي من خلال محاولة البابوية استرجاع سلطتها على الكنيسة الشرقية ودمجها بالكنيسة الكاثوليكية، من أجل توحيد الجهود في إعداد حملة صليبية مشتركة نحو العالم الإسلامي بعد هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد (١٠٧١م).

٥- الرغبة القوية لدى بابا روما في تحقيق أحلامه في انتزاع الزعامة والسيادة على العالمين المسيحي والإسلامي، بالاستيلاء على القدس والقضاء على الإسلام والمسلمين.

ويمكن القول إن العامل الديني إلى جانب الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان من العوامل الهامة التي حركت مشاعر المسيحيين في أوروبا، بتحريض من رجال الدين وعلى رأسهم البابا أوربان الثاني، للمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، فمن غير المعقول أن تتخلى تلك الجموع الغفيرة من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال عن حياتها ومواطنها، ثم تسلك الطريق الطويل والشاق نحو المشرق لولا عمق المشاعر الدينية في نفوس هؤلاء، وحاجة الكثير منهم إلى تغيير أحوالهم الاقتصادية السيئة نحو الأفضل.

المصادر والمراجع

١- المصادر العربية

- [١] ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد، تاريخ ابن القلانسي، مطبعة اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- [٢] ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور؛ تحقيق: محمد مصطفى الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م.
- [٣] ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة؛ تقديم، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

- [٤] ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.
- [٥] ابن شداد، محمد بن علي، الأعلام الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة؛ تحقيق: دومنيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م.
- [٦] المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- [٧] ابن المقفع، ساويرس، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية؛ تحقيق: يسى عبد المسيح واخرون، جمعية الاثار القبطية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- [٨] ابن ميسر، محمد بن علي، المنتقى من اخبار مصر؛ تحقيق: ايمن فؤاد السيد، مطابع الهيئة المصرية، مصر، ١٩٨٥م.
- [٩] الانطاكي، يحيى بن سعيد، تاريخ الانطاكي المعروف بصلّة تاريخ أوتيا؛ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م.
- [١٠] الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- [١١] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- [١٢] زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية (أوروبا في العصور الوسطى ومراحل وقائع الحروب الصليبية)، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية؛ تأليف وتحقيق و ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥م.

٢- المصادر المعربة

- [١٣] باركر، أرنست، الحروب الصليبية ؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م.
- [١٤] جيل، ريموندا، تاريخ الفرنجة (غزاة بيت المقدس) ؛ ترجمة: حسين عطية، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- [١٥] الرهاوي، متى، تاريخ متى الرهاوي (الافرنج- الصليبيون - المسلمون - الأرمن) ؛ ترجمة: محمود الرويضي، دار حمادة للنشر، إربد، ٢٠٠٩م.
- [١٦] الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس ؛ ترجمة: زيادة العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت - ١٩٩٠م.
- [١٧] الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) ؛ ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.
- [١٨] كومينا، آنا، الألكسياد؛ ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- [١٩] المؤلف السرياني المجهول، الحملتان الصليبتان الاولى والثانية ؛ ترجمة: سهيل زكار، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٥م.

٣- المراجع العربية

- [٢٠] جوزيف، يوسف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- [٢١] الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة، إربد، ٢٠٠٢م.
- [٢٢] شلبي، احمد، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

[٢٣] عاشور، سعيد ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨ م

[٢٤] عاشور، أوروبا في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م.

[٢٥] عاشور، فايد، حماد محمد ، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨١ م.

[٢٦] عبد الحليم، محمود علي ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار التوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ م.

[٢٧] عوض ، رمسيس ، الهرطقة في الغرب ، سينا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧ م.

[٢٨] قاسم ، عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية ، الدوافع ، النتائج) ؛ المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٩٠ م.

[٢٩] محمود ، سلام شافعي ، أهل الذمة في مصر ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٥ م.

٤- المراجع الأجنبية المعربة

[٣٠] بالار ، ميشيل ، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني في القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر؛ ترجمة: بشير السباعي ، عين للدراسات ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م.

[٣١] رنسيمان ، ستيفن ، الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م.

[٣٢] رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط ٢١، ١٩٨١.

[٣٣] سميث، جوناثان ريلي، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

[٣٤] كانتور، نورمان، في التاريخ الوسيط (قصة حضارة)؛ ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

[٣٥] كنيث، سيتون، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: سعيد عبد الله البيشاوي، بيت المقدس للنشر، رام الله، ٢٠٠٤م.

[٣٦] ماستناك، توماس، السلام الصليبي (الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي والنظام السياسي الغربي)؛ ترجمة: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

[٣٧] ماير، هانس إيرهارد، تاريخ الحروب الصليبية؛ ترجمة: عماد الدين غانم، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٩م.

٥- الأبحاث

[٣٨] جبران، نعمان محمود، المصادر الأرمنية وأهميتها، حولية متي الرهاوي، مؤتمر بلاد الشام، مطبعة جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠٠م.

[٣٩] الرويضي، محمود ومحمد، رسالة الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمنكس إلى الملك الأرمني، دراسات، الجامعة الأردنية، ع ٢، مج ٣٧، ٢٠١٠م.

[٤٠] الرويضي، محمود؛ العميرة، محمد نايف معركة ملاذكرد، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، ع ١، مج ١٣، ٢٠٠٦م.

[٤١] السرجاني، راغب، البابا أوربان الثاني، <http://www.islamstory.com>.

[٤٢] عقلة، عصام مصطفى، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين، المجلة

الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية ع٢، مج٢، ٢٠٠٨م.

٦- الموسوعات

[٤٣] البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، دار للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

[٤٤] الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧١م.

[٤٥] المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار

الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

[٤٦] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، ١٩٩٦م.

[٤٧] -The New Encyclopaedia Britannica, International Copyright Union, U.S.A ,1979.

[٤٨] -The Encyclopida America,Grolier Incorporated,U.S.A , 1986.

[٤٩] -The Crusades <http://www.wikipedia.org>.

٧- المراجع الأجنبية

[50] A. Brundage, James, Prostitution, Miscegenation and sexual purity in the first crusade, crusade and settlement smail, w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985.

[51] Christopher Tyerman, the crusades (A very short introduction oxford university press. New York, 2005.

[52] Cowdrey, H. E. J., Martyrdom and the first crusade, and settlement, peter w Edbury, University College Cardiff press, Cardiff, 1985.

[53] France, John, victory in the East: Amilitary history of the first crusade, Cambridge University press, Cambridge, 1994.

[54] Gilchrist, John, the Erdmann thesis and the canon law,1083 - 1141 crusade and settlement, pexer, w. Edbury, University college Cardiff, Cardiff, 1985.

[55] Housley, Norman, Crusades against Christians: their origins and early development, c. 1000- 1216, crusade and Settlement ,peter w. Edbury, University college Cardiff press, 1985.

- [56] Marguerite Gantier- Van Berchem and solangeory, Muslim Jerusalem, Fondation Max Van Berchem, Geneve, 1982.
- [57] Powell, James M., The Crusades, The Kingdom of Sicily And The Mediterranean, A shgate publishing company, Barlington, USA, 2007.
- [58] Prawer, Joshua, the Jerusalem the crusaders captured: a contttribution to the medieval Topography of the city, crusade and settlement, peter w. Edbury, University college Cardiff press, Cardiff, 1985.

Religious Sentiments Embody First Crusades Campaign

Abdul Muiz Asri Beni Essa

Assistant Professor in Yarmouk University

Abstract. Religious Sentiments Embody First Crusades Campaign.

This study aims to investigate the extent to which religious spirituality has prompted Christians to launch the First Crusades Campaign. It also intends to elucidate the role of The Papacy in arousing European Christian sentiments and grudges and binding them together against Muslims. This has taken the form of organized Crusades inspired by The Papacy, through which pardons were used to ensure that visiting the holy lands could be realized only via military campaigns. This act on the part of popes was only a means of igniting European Christian hatred against Muslims, as well as of exploiting the unfavorable circumstances that the Byzantine empire was going through, following its defeat 1071. the study also sheds light on how the image of the Eastern Christians in Europe during the middle ages aroused the European sentiments and brought about the first crusade.

معوقات التنمية الريفية - وأثرها في ضعف مشاركة المجتمع المحلي " دراسة تطبيقية على منطقة ضرية بالقصيم "

د. أحمد بن محمد الشبعان

جامعة القصيم

ملخص البحث. هذه الدراسة تأخذ أهميتها من كونها تعنى بالبحث عن معوقات التنمية التي قد تكون وراء ضعف المجتمع المحلي وعدم لعبه دوراً فعالاً مفترضاً بتنمية منطقته. فمجتمع هذه الدراسة يعيش فترة انتقالية من البداوة نحو التحضر في بيئة ريفية، ذات مستقبل واعد في ظل توجهات وخطط الدولة في التنمية. وتتمحور مشكلة الدراسة في كون (ضرية) تواجه صعوبات عدة، أخرت تنميتها على الرغم من توافر الإمكانيات التي يمكن أن تساعد في لعب دور فاعل في التنمية المحلية لو استطاع أهلها استثمارها.

وتهدف الدراسة إلى الوصول إلى معرفة معوقات التنمية في ضرية، وأثرها في ضعف دور الأهالي في المشاركة في التنمية، والبحث عن أفضل السبل لتنمية المنطقة عن طريق إشراك المجتمع المحلي في التنمية؛ لأن وضع أية خطة وتنفيذها ينبغي أن يبدأ وينتهي بالمعنيين بالتنمية ومن تستهدفهم، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف تم اختيار المنهج الوصفي لمناسبته لهذه الدراسة، حيث تم استخدامه في وصف البيانات وتفسيرها، وتم الخروج بمجموعة من النتائج كان من بينها: أن من أبرز معوقات التنمية التي ساهمت في ضعف دور الأهالي: شح المياه لوقوع المنطقة ضمن الدرع العربي، كما أن موقع ضرية البعيد عن المراكز الحضرية - مع ضعف شبكة الطرق - ساهم في صعوبة الاتصال بمراكز الخدمات والإدارة. يضاف إلى ذلك أن محدودية الصلاحيات، ونقص البيانات كان له دور في ضعف تخطيط برامج التنمية، ما نتج عنه تأخر تنفيذها. ومما ساهم أيضاً في ضعف دور السكان في التنمية ارتفاع نسبة الأمية بين الآباء والأمهات، وتدني مستوى الدخل ما نتج عنه هجرة مجموعة من المؤهلين علمياً إلى المراكز الحضرية فساعد ذلك على ضعف في المؤسسات الاجتماعية، وتعطل في معظم المشاريع الاستثمارية.

هذا وقد خرجت الدراسة مجموعة من التوصيات يمكن أن تساهم في التغلب على المعوقات، وتفعيل دور الأهالي في اتخاذ القرار والنهوض بتنمية المجتمع المحلي.

المقدمة

تعاني دول العالم النامي من ظاهرة عدم التوازن الإقليمي، والتي تتمثل في وجود فروق إقليمية في المستويات الاقتصادية والاجتماعية. وتنعكس هذه الفروق في وجود معدلات عالية من البطالة وانخفاض في الدخل، وتدنٍ في المستوى التعليمي في المناطق الريفية مقارنة ببقية أجزاء الإقليم من مناطق حضرية، فاقتصاد المناطق الريفية يتصف بأنه غير متنوع، ويعتمد على الرعي أو الزراعة غير المتطورة.

كما يمكن القول أن السياسات التنموية نفسها قد تعوق تدفق عوائد التنمية من المدينة باتجاه الريف، وإن حدثت فإنها تكون ضعيفة؛ لكونها تصب غالباً في صالح المدينة والمناطق الحضرية على حساب الريف. ولعل من أبرز أسباب ذلك: أن المشاركة في القرار على المستوى المحلي لا يتعدى تنفيذ الأوامر الإدارية القادمة عادة من العاصمة. ويشير (غنيم، ١٤٢٥هـ، ص ١٦٧) "أن تركيز السلطة وأدواتها ومؤسساتها في العاصمة وطبيعة الهياكل الإدارية الهرمية وضعف المشاركة الأهلية في تخطيط وتنفيذ الخطط التنموية لا يؤدي فقط إلى زيادة الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق الحضرية والريفية، وإنما يعمل على إشاعة جو من الإحباط لدى سكان الريف".

والمعنيون بالتنمية في المملكة العربية السعودية يستشعرون هذا الواقع السائد لدى معظم دول العالم النامي، والمملكة جزء من هذا العالم؛ ولهذا فهي تواصل الاهتمام بتنمية المناطق من أجل تقليل الفوارق التنموية، سواء فيما بين المناطق أو داخلها، من خلال الاستفادة من التنوع في الموارد والإمكانات لتنعم بها كل منطقة.

هذه الدراسة تسلط الضوء على معوقات التنمية - طبيعية كانت أم بشرية -

في منطقة (ضربة) محاولة البحث عن أسبابها وما نتج عنها من آثار كان لها دور في إضعاف إمكانات المجتمع المحلي حتى أضحي غير قادر على الأخذ بأسباب التنمية. كما

تطرح الدراسة بعض الحلول سعياً للنهوض بالمنطقة، آخذة في الاعتبار أهمية العناية بالمجتمع المحلي من أجل النهوض به كركيزة أولى في التنمية، ولأن وضع أية خطة وتنفيذها ينبغي أن يبدأ وينتهي بالمعنيين بالتنمية وممن تستهدفهم.. فمجتمع (ضرية) واحد من المجتمعات الريفية التي تعاني ضعفاً في تحقيق التنمية الريفية، على الرغم من الجهود الحكومية المبذولة في هذا الشأن. كما حاولت الدراسة لفت أنظار المعنيين بالتنمية وإذكاء روح الحركة لدى الأهالي بطرح (ضرية) كم منطقة تتمتع بإمكانات جغرافية لم تستثمر بعد ويمكن استثمارها في حالة تذليل معوقات التنمية إذا أحسن التخطيط وتم العمل به.

وحدود الدراسة الجغرافية هي منطقة (ضرية) التي تشمل - بلدة (ضرية) مع توابعها - من القرى والهجر والبالغة (٧٢تابعاً).

أهمية الدراسة

على الرغم من تركيز الكثير من الباحثين - ولفترة طويلة- العناية بدور ساكني المراكز الحضرية كركيزة أولى في التنمية ككل - حضرية كانت أم ريفية - إلا أنه ينبغي إدراك أن التنمية عملية ذات جوانب متداخلة، وأطراف عديدة فاعلة؛ فالهدف هو: إحداث تغيير حضاري يدفع بعملية التنمية إلى الأمام، ويراعى المجتمع وظروفه. وعلى الرغم من تركيز هذه الدراسة على معوقات التنمية التي تدور في غالبها حول ظروف المنطقة الصعبة من موقع وندرة مياه أثرت في طبيعة أهلها ما جعلهم يعانون من ظروف الحياة الصعبة.

إلا أن هذه الدراسة لم تغفل أهمية العمل على إسهام أهالي المنطقة كقطب مؤثر في تنمية منطقتهم ولا يتأتى هذا إلا بدراسته والعناية بجوانبه المختلفة وخاصة الاجتماعية

التي هي نتاج بيئته الصعبة. كما أن دراسة أي مجتمع قبل تخطيط مشروعاته باتت ضرورة لأن نتائجها في الغالب تضع في الاعتبار العامل البشري والقيم الاجتماعية السائدة التي تحكم حياة الناس. ولأجل هذا فقد بات من الضروري إجراء هذه الدراسة في مثل هذه البيئة الصحراوية وعلى هذا المجتمع سعياً لتحديد معوقات التنمية وآثارها وكيفية تخطيطها، وبالمقابل معرفة اتجاهات أفراد المجتمع نحوها؛ لإعطاء هذا المجتمع الفرصة لتحديد الطرق التي يتبعها لتحقيق التنمية.

إضافة إلى ذلك أن هذه الدراسة تعنى بالريف والأطراف التي تتضرر نتيجة عناية خطط التنمية السابقة بالمراكز الحضرية بالدرجة الأولى. ومما يعطي دراسة (ضرية) أهمية؛ أن منطقة الدراسة تفتقد لمقومات الثروة الزراعية التي عادة يراهن عليها المستثمر بالريف، يقابل ذلك إعراض من السكان المحليين عن ممارسة الرعي الذي يعاني هو الآخر من شح في المراعي؛ ما دفع بعضاً من الفئة المتعلمة إلى التوجه للمراكز الحضرية للبحث عن مصدر رزق على أمل العيش في مستوى اقتصادي واجتماعي يستجيب لمتطلبات الحياة العصرية.

ومما يمكن إضافته في هذا الشأن، أننا أمام منطقة تمتلك موارد بشرية وطبيعية لم تستثمر بعد بالدرجة المطلوبة، كما أن هناك مستقبلاً واعداً ينتظر (ضرية) بالتوجه لتحويلها إلى (محافظة) بالإضافة إلى الشروع في حل مشكلة تأمين مياه الشرب، إلى جانب أن هناك موافقة على إدراج تنفيذ المرحلة الأولى من طريق مكة المكرمة السريع المقرر له أن يمر ب(ضرية)، وأخيراً صدور موافقة المقام السامي على إنشاء كلية العلوم والآداب للبنات، وهي ضمن كليات جامعة القصيم، إن هذه المعطيات وغيرها تجعل من المهم دراسة (ضرية) كم منطقة ذات مقومات طبيعية وبشرية لم تستثمر بعد، كما تحتاج لجهود متضافرة وفي مقدمتها: البحث عن سبل لتفعيل دور سكانها المحليين

كهدف أولي لتحقيق التنمية المستدامة، وهذا مما يصعب تحقيقه حالياً في ظل تفاقم تحديات التنمية التي نحن بصدد دراستها هنا.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، لعل من أهمها ما يلي :

- ١ - البحث عن أبرز معوقات التنمية في المنطقة .
- ٢ - بيان أثر معوقات التنمية على ضعف دور المجتمع المحلي .
- ٣ - الخروج ببعض التوصيات التي قد تساهم في التنمية المحلية.

مشكلة الدراسة

تعاني المنطقة من معوقات طبيعية وبشرية أخرت التنمية في المنطقة ؛ ما أدى إلى ضعف ملحوظ في مشاركة المجتمع المحلي في التنمية، فما أبرز هذه المعوقات التي أثرت على السكان المحليين ؟ وكيف يتم تذليلها لدفع عملية التنمية المحلية ؟ وللإجابة على هذا التساؤل المركب لابد من الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية :

- ١ - ما أبرز معوقات التنمية في المنطقة ؟
- ٢ - ما أثر المعوقات في ضعف دور المجتمع المحلي في المشاركة بالتنمية؟
- ٣ - ما أهم التوصيات التي يمكن أن تؤخذ لتذليل معوقات تنمية المنطقة؟

الإطار النظري

من الطبيعي أن يهتم الجغرافي بالتنمية وبعمليات التغير في المسرح الجغرافي، لأن هذا هو إطار العمل الحقيقي له، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين الإنسان

والأرض، " ولذا كان من الضروري أن نعرف أبعاد المسرح الجغرافي الذي يعيش عليه الإنسان بمكوناته الطبيعية والبشرية، وإمكانية استغلاله وتطويره، وتهيئة فرص أفضل للارتقاء بالمجتمعات المتواجدة فيه." (الجوهري، ١٩٩٩م، ص ١٤) واهتمام جغرافية التنمية بالجانب الحضاري من البيئة ضرورة أملت عليها فلسفة البحث، فتفاعل الإنسان مع الأرض أحد مكونات البيئة، حيث إن الحتمية تتضاءل أمام آلية الإنسان الذي يسعى لاستثمار البيئة في بناء حضارته، ولهذا تحتل الجغرافيا الاجتماعية جانباً كبيراً من اهتمام المعنيين بالتنمية من الجغرافيين، وهذه من سمات تطور العلوم، فتفاعل الإنسان مع البيئة هو نتيجة عدة عوامل: بعضها مادي، والبعض الآخر اجتماعي، ونفسي، وثقافي، وهذه العوامل يصعب الفصل بينهما لكونها مترابطة ومحصلتها أنها تعمل على تغيير المظهر الطبيعي إلى مظهر حضاري.

وأصبح إحداث التنمية الشاملة من أهداف جميع الدول، المتقدمة منها والنامية. وإن كانت التنمية نفسها عملية نسبية تختلف سماتها وأهدافها من مجتمع لآخر، لذلك فقد تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم التنمية. وجدير بالذكر أنه لازم تعريف مفهوم التنمية بعض الصعوبات نتيجة لاختلاف ظروف المجتمعات، كما أن تعريف تنمية الريف هو الآخر أكثر صعوبة، لعدم وضوح تحديد الريف نفسه؛ " فإلى فترة قريبة وربما إلى العام ١٩٥٠م كان ينظر إلى الريف على أنه: ذلك المكان الذي يقع خارج المناطق الحضرية، ويزاول سكانه الزراعة، إلا أنه بات حالياً غير كافٍ لتعريف الريف، وذلك لأن كثيراً من المناطق التي تقع في الأطراف المحيطة بالمدن حتى وإن زاول أهلها الزراعة إلا أنهم يعدون من سكان الحضر" (العاني، ١٤٢٦هـ/، ص ٨٧). ولما كانت الزراعة مهنة تحتاج لتدريب وخبرة وكفاءة وهذه لا يملكها في الغالب الريفيون؛ لذا صار أناس يأتون من المدن يزاولون في الريف هذه المهنة. ومن هنا أصبح لا ينظر إلى

كلمة ريفي على أنها كلمة مرادفة للزراعة ؛ وهذا مما طرح جدلاً واسعاً بين الباحثين في التمييز بين الريف والحضر ، حيث يذكر بعض الباحثين "أنه في الواقع ليس هناك مجتمع ريفي خالص ، كما أنه ليس هناك مجتمع حضري خالص ، بل إن هناك مزيجاً ونوعاً من التدرج فيما يتعلق بالخصائص الريفية " (بدر، ١٩٨٢م، ص٢٤). كما تعددت الدراسات في موقفها من تحديد الريف ، واختلفت معاييرها ، ولعل من أقرب هذه التعاريف لمجتمع دراستنا ذلك التعريف الذي اعتبر المعيار الديمغرافي "الاجتماعي" مقياساً للتمييز بين الحضر والريف ، فقد أشار: (العاني، ١٤٢٦هـ /، ص٨٨). أن الريف مكان: "يشمل المناطق التي تقع خارج المراكز والامتدادات الحضرية، وتنتشر فيه تجمعات سكانية متفرقة أو متصلة على شكل قرى يقل عدد سكانها عن ٢٥٠٠ نسمة، يمارس أغلبهم النشاط الزراعي وتربية الحيوانات".

و (ضرية) منطقة ريفية في طبيعتها حيث إنها عبارة عن مجموعة من القرى والمراكز العمرانية تتوزع على مسافات متباعدة ، وإلى وقت قريب كان الرعي هو المهنة الأساسية لسكانها ؛ إلا أنه بسبب التواصل مع المراكز الحضرية القريبة حدث اتصال حضاري دفع بأهلها إلى ترك مهنة الرعي ، ولعدم توفر مساحات مزروعة تستوعب هؤلاء البدو ((المتريفيون)) أضحت أوضاعهم الاقتصادية المتردية سبباً رئيساً في تفاقم أزمة التطور والنمو ، وجعل الحاجة ملحة للبحث في سبل تنمية هذا الريف.

وتعرف التنمية الريفية المتكاملة على أنها " ذلك النوع من التنمية الذي يتعامل مع جميع مشكلات الريف مع التركيز بشكل أساسي على حاجات السكان الأكثر فقراً " (غنيم، ١٤٢٥، ص٥٨) وبما أن التنمية الريفية تهدف للنهوض بالمجتمع المحلي فلا بد من إشراكه في التخطيط والتنفيذ ، حيث ظهر في الآونة الأخيرة استخدام لمفاهيم مثل : تنمية المجتمع المحلي " وهي تعتمد كل الاعتماد على المشاركة الإيجابية واستشارة

أعضائه لضمان تفاعلهم واستجابتهم لتلك الحركة" (ابراهيم، ٢٠٠٦م، ص ٣٤٥). والمجتمع المحلي عبارة عن "مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية محددة ويشتركون معاً في الأنشطة المشتركة، وتجمع بينهم وحدة اجتماعية تسودها قيم عامة ويشعرون بالانتماء لها" (زعزوع، ١٤٢٢هـ، ص ٢٨) فأعضاء المجتمع المحلي يشتركون في مكان محدد، وتجمعهم روابط مشتركة وعاطفة تدفعهم للتفاعل المنتج.

كما ينبغي الإشارة إلى ((نظرية قطب النمو)) التي تعني التركيز المكاني للحصول على ميزة الوفرة الخارجية (العلاقات الاقتصادية والفنية لمشروع معين في موضع ما) "فالنمو لا يظهر حيثما كان في وقت واحد، بل يبرز في نقاط أو أقطاب للنمو، وينتشر عبر قنوات مختلفة بنتائج نهائية- متفاوتة بالنسبة للاقتصاد ككل" (الكناني، ١٤٢٩هـ، ص ١٠٧). إن فكرة هذه النظرية تقوم على تطبيقها في حالة وجود بعض الأقاليم المتخلفة، فيمكن إنشاء قطب نمو في هذه الأقاليم الفقيرة، ثم يسعى إلى تطوير الخدمات كالطرق ووسائل الاتصال، ثم البدء بالتصنيع بالاعتماد على المواد الأولية المحلية والأيدي العاملة، وتهدف هذه النظرية إلى كون هذا المركز نقطة جذب لبقية أجزاء الإقليم، ما يعمل على تنميته ككل. "كما تقوم فكرة أقطاب النمو عند (بيروكس) على تركيز الصناعات في مكان واحد نظراً لتوافر بعض الحوافز الاقتصادية مثل: الموارد الاقتصادية أو خدمات البنية التحتية. وتمتاز هذه الصناعات بقدرتها على نشر التحديث في محيطها، وجذب صناعات جديدة وكذلك أيدي عاملة" (غنيم، ١٤٢٥هـ، ص ١٥٧).

وعلى الرغم من نجاحها في بعض الدول الغربية بشكل واضح، إلا أنه تم توجيه انتقادات لمثل هذه النظرية، حين محاولة تطبيقها في الدول النامية فعلى سبيل المثال: " كونها ربطت التنمية باقتصاديات التوطن ما دفع إلى التركيز على التصنيع وإهمال

الصناعة، وعلى اختيار المناطق الحضرية لأنها تقدم الحل الأقل تكلفة لمشكلة التوطن، وفي هذا الإطار ظل التخطيط المركزي توطيئاً للاستثمارات بينما المطلوب تخطيط إقليمي" (غانم، ٢٠١٠م، ص ٩).

وعند محاولة تطبيق مركز النمو في بلدة (ضرية) فإننا سوف نجابه بسلبيات عدة، تحول دون تطبيق هذه النظرية، ومن ذلك على سبيل المثال: ضعف رأس المال عند الأهالي، وضعف التقنية، إلى جانب قلة عدد السكان، ما ينتج عنه ضعف في الطلب على السوق، يضاف إلى ذلك أيضاً ضعف في شبكة الطرق، كما أن جذب الأيدي العاملة سيقابله تفريغ للقرى الواقعة في إقليم بلدة (ضرية)، وكما أن (ضرية) تتميز بالطابع الريفي الواقع في بيئة نقية هادئة، ولاشك في أن تركيز الصناعة له سلبيات على البيئة كالتلوث، والقضاء على الغطاء النباتي ورمي مخلفات الصناعة، "كما أن هناك خلافاً واسعاً بين المخططين لتطوير الريف في كيفية الجمع بين التوسع في التصنيع والحفاظ على البيئة الطبيعية في هذا المكان" (Gregory, 2009, p660).

وعند دراسة كيفية مساعدة هذا المجتمع على تذليل معوقات التنمية فلا بد من تحديد هوية المجتمع الذي يعيش في هذه البيئة الصحراوية الفقيرة. فالمجتمع المحلي في ضرية مر بمرحلة انتقالية من البداوة إلى التحضر، وهذا نتيجة لتغير ظروف الحياة ولا اتصاله بالمراكز الحضرية المجاورة، وأيضاً تأثره بوسائل الثقيف عن طرق وسائل الإعلام المختلفة، مع بقاء معظم العادات والتقاليد الموروثة من القبيلة، حيث مازالت مؤثرة في رسم هويته على الرغم من تحضره. فإنه من المعهود "أن مقاومة التغيير يقل حدوثها، وسرعة التغيير يزداد معدلها كلما زادت درجة الاتصال، والعكس يحدث إذا عانى المجتمع من قلة الاتصال وزادت عزلته" (أحمد، بدون تاريخ، ص ٣٥).

ومجتمع (ضرية) ليس مجتمعاً بدوياً فيمكن أن تطبق عليه نظريات يتناولها من يدرس أوضاع المجتمعات البدوية في الصحراء. فالبدواة تعني الترحال، وهذا المجتمع استقر في القرى ولم يعد يمارس الرعي بنفسه. كما أنه ليس مجتمعاً يعيش في المدن فيمكن أن ينظر إليه كمجتمع حضري تطرح عليه معطيات الأخذ بالتنمية الحضرية لأنه لم يزل يعيش في بلدة (ضرية) أو في القرى التابعة لها؛ فهو شخصية متشعبة بالتعصب للقبيلة واحتقار الأعمال المهنية، بل ونظرته للحياة تميل للكفاف وقصور في التخطيط للمستقبل.

الدراسات السابقة

حسب حدود علم الباحث فإنه ليس هناك أية دراسة جغرافية عن (ضرية) وأن ما سوف يتم عرضه الآن لا يتعدى كونه دراسات تعنى بالدرجة الأولى بتنمية الريف يمكن الاستفادة منها في الوصول لبعض الموقفات بحكم التشابه في بعض الجوانب البيئية ولكونها داخل المملكة العربية السعودية تتعرض لخطط تنمية واحدة. بالإضافة إلى ذلك تم التعرض لدراسات أشارت إلى (ضرية) ضمن ريف القصيم، كمنطقة تعاني نقصاً في الخدمات. أما بقية الدراسات الأخرى فتعالج في مجملها كيفية تفعيل دور المجتمع المحلي لتنمية الريف وقد أمكن الاستفادة منها في بعض الجوانب كالتغلب على بعض معوقات التنمية.

فعلى سبيل المثال تناول (حبيب، ١٤١٨هـ) الأبعاد المكانية للتنمية الريفية في المملكة العربية السعودية (دراسة تطبيقية على جازان) حيث طرح مجموعة من المشاريع يمكن القيام بها في مراكز النمو، لإحداث التنمية الشاملة وتعتبر (مشاريع ذات علاقة بالإنتاج الزراعي، وأخرى خدمية، ومشاريع البنية التحتية) وعلى الرغم من المبررات

التي ساقها في محاولة تطبيق هذه النظرية في ريف جازان "زيادة فرص التفاعل المكاني، الذي يتمثل في أوجه التبادل التجاري والتقني بين أجزاء الريف، وأن توجيه الاستثمارات في مكان واحد يؤدي إلى الحصول على عائد اقتصادي أكبر...الخ ومع تسليمنا أن هذا قد ينجح تطبيقه في جازان، إلا أن الحال في (ضرية) مختلف؛ فالخدمات الأساسية (طرق، مدارس، مراكز صحية...الخ) نفذت بالفعل في معظم القرى والهجر، نتيجة لتنفيذ توجهات التنمية بالدولة في تثبيت سكان الريف في قراهم مع تقديم الخدمات الأساسية لهم، كما أن إلحاح أهل هذه القرى والهجر له دور في التعجيل في بعض الخدمات؛ إلى جانب طبيعة أهلها البدوية المستقرة في القرى والهجر حول موارد المياه.

ومن جهة أخرى تناول (السكران ومنير، ٢٠٠٤م) الهجرة الريفية الحضرية في بعض مناطق المملكة العربية السعودية وأثرها على التنمية الزراعية، حيث أجري البحث في مناطق الباحة، وجازان وحائل، وحللت الدراسة ظاهرة الهجرة الريفية وأثرها على التنمية الزراعية من خلال أثرها السلبي على السمات الديموغرافية للقوى العاملة في الريف بسبب ظاهرة الانتقاء العمري والنوعي والتعليمي، وأوصت بتحسين الخدمات الزراعية لرفع مستوى المزارعين، ويمكن تحقيق ذلك من خلال وجود هيئات تنظيمية كالتعاونيات الزراعية.

وقامت (العجلان، ١٤٣٠هـ) بدراسة عن (الأطراف الفاعلة في التنمية المستدامة وأثرها على الزراعة في المملكة) وكان من أهداف الدراسة تحقيق الاستفادة الاجتماعية بتحسين الإنتاجية للمزارعين، وأصحاب المشاريع الزراعية، وكذلك للمزارع الصغيرة، لضمان الأمن الغذائي المنزلي كوسيلة لمحاربة الفقر. واعتبرت الباحثة الزراعة أحد أطراف معادلة التوازن في تلك المناطق، حيث كان أهم مجال لتطوير الريف

وتشجيع الاستقرار البشري فيها. ومن أبرز توصياتها العمل على تطوير منظومة استخدام الموارد المائية بما يكفل تحقيق تنمية مستدامة.

ومن استعراض هذه الدراسات يمكن أن نخرج برؤية عامة عن أهدافها وما عاجلته، فهي بالجملة دراسات أولت عناية بتنمية الريف وطرحت بعض الحلول كدراسة (حبيب) أما (السكران والعجلان) فقد أولت عناية بمواطن الخلل والنقص في البيئات الريفية في الجانب الزراعي لكونه عادة سمة النشاط في الريف.

كما حاولت بعض الدراسات العناية بتوزيع الأدوار الإدارية وأظهرت أن سرّ التخلف الاقتصادي والاجتماعي مرجعه لبعد أهله عن القرارات كما في دراسة حامدون (١٤٣١هـ) اللامركزية الإدارية ومساهمتها في التنمية المحلية، حيث هدفت الدراسة إلى تحليل مساهمة اللامركزية الإدارية في تحقيق التنمية المحلية، وقد حاولت الدراسة تعريف اللامركزية الإدارية وشروطها، كما تطرقت إلى دور هذا النوع من الإدارة في توسيع قاعدة المشاركة الشعبية وترسيخ الديمقراطية المحلية، وقد خلصت الدراسة إلى أن اللامركزية تعمل على تطويع برامج التنمية إزاء حاجات السكان المحليين.

إلى جانب ذلك هناك دراسات أعطت للتخطيط الإقليمي المحلي عناية خاصة لكونه يشرك المواطن المحلي في صنع القرار كما في دراسة غانم (١٤٣١هـ) التخطيط ومشاركة المواطن، وقد ذكر في دراسته أنه من أهم الحلول لمشكلات إدارة التنمية أن ينع القرار من الناس المخولين بالترشيح من قبل المعنيين بالتخطيط، ونَبّه إلى أن هذه المشاركة تكون ضارة في حين ما إذا كان الناس غير مبالين، كما خرج بتوصيته بالعناية برفع الكفاءات المحلية عن طريق التدريب، وذلك لرفع مستوى المهارة الإدارية لدى السكان المحليين.

وتأخذ بعض الدراسات بعداً آخر لكونها تعنى بالتخطيط لتجنب الوقوع ببعض أخطاء منفذي المشاريع التنموية، حيث طرح (ابن صالح، ٢٠٠١م) (Eben Saleh) رؤية لتوجيه جهود التخطيط للمستقبل: دراسة حالة قرى جنوب غرب المملكة العربية السعودية

(A vision for directing future planning efforts: the case of villages of southwestern Saudi Arabia) حاول الباحث أن يقيم الجهود المبذولة للتخطيط في جنوب غرب المملكة العربية السعودية خلال مراحل التنمية الثلاث (التقليدية، الانتقالية والمعاصرة) كما عرض نماذج التخطيط الحديث في هذا المجال على مدى آخر ثلاثين سنة؛ وتطرح الدراسة أن التعامل مع سرعة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للوصول إلى تخطيط سليم أخذ بأصالة القرى، ولهذا ينبغي الأخذ بمتطلبات السكان المحليين والعناية بترائهم مع مراعاة ظروف البيئة الطبيعية والمناخية عند تصميم أي تخطيط للنهوض بالمنطقة. وأوصت الدراسة بأهمية مشاركة المجتمع المحلي، لتفادي الوقوع بأية أخطاء في التخطيط تقضي على أصالة هذه القرى.

أما على المستوى المحلي في القصيم فهناك دراسات أشارت (الضرية) في ثنايا الدراسة ويمكن الاستفادة منها في تقدير حجم موقع (ضرية) في سياق التعرض لبقية المراكز العمرانية في المنطقة على وجه العموم.

ففي دراسة (الجخيدب، ١٤٢٢هـ) أحجام المراكز الحضرية وامتداد أقاليمها الوظيفية بمنطقة القصيم. وتتمحور مشكلة البحث بتجاور المراكز الحضرية الكبرى في منطقة القصيم، وهذا يخالف مبدأ التباعد بزيادة الحجم، ومخالفة هذا المبدأ قد تولد أقاليم وظيفية لا تتناسب مع أحجام المراكز الحضرية وقدرتها الوظيفية، وهذا يؤدي إلى ضعف التنمية الشاملة وازدواجية الوظيفة. وقد خلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن الأداء الوظيفي للمراكز الحضرية قاصر بالنسبة للمناطق الغربية من

القصيم، كما خرجت الدراسة بتصوّر مقترح لتقسيم إداري وظيفي يزيد من الكفاءة الوظيفية، ويحقق أعلى مستوى من التنمية في جميع توابع المنطقة، وجاء تناول (ضرية) ضمن الدراسة لكونها متضررة بتبعيتها لمحافظة (الرس).

كما قام (المحيميد، ١٤١٢هـ) بتحليل وتقويم خدمات المجمعات القروية بالقصيم، حيث حاول تقويم تجربة المجمعات القروية ومدى قيامها بخدمة القرى والمراكز التابعة لها وذلك من خلال تحديد المراكز المتوسطة للقرى والسكان في مناطق المجمعات القروية وكانت عينة الدراسة (ضرية، النبهانية، البصر) كما أعطى عناية للعوامل التي تؤثر في وصول الخدمات للقرى التابعة لهذه المجمعات؛ كعامل المسافة ونوعية الطرق والنشاط السكاني ومدى كثافة السكان وأحجام وأعداد القرى التابعة للمجمع.

كما درس (الجخيدب، ١٤٢٩هـ) التنمية العمرانية بمنطقة القصيم، حيث ركز في دراسته على الأبعاد والآثار الاجتماعية والاقتصادية للسكان وأثرها على التنمية العمرانية في ريف القصيم، وتوصلت الدراسة إلى أنه على الرغم من تضافر مجموعة من المحفزات المساعدة على التنمية، والمتمثلة في سهولة امتلاك الأرض، والحصول على مواد البناء، فإنه في المقابل توجد بعض الصعوبات كالتخفيض السيولة النقدية، وندرة الأيدي العاملة إلى جانب العوائق المكانية والتنظيمية والاجتماعية.

وعلى صعيد آخر فهناك دراسات غير عربية أجريت خارج المملكة العربية السعودية، يمكن أن يستفاد منها كتجارب أخرى تساهم في فتح آفاق متعددة في التغلب على معوقات التنمية وعلى سبيل المثال: هناك دراسة قام بها كل من: (بريدهان وويكسنس، ٢٠٠٣) (Briedenhann and Wickens) وهي تحت عنوان: السياحة الريفية: مواجهة التحديات في جنوب إفريقيا الجديدة.

(Rural tourism- meeting the challenges of the new South Africa) وتهدف الدراسة إلى استغلال المناطق الجميلة غير المستغلة ؛ لممارسة أنشطة سياحية و لكن يقابل ذلك مجموعة من التحديات: كنفص الخبرة الإدارية، وقلة رؤوس الأموال لتوسيع البنية الأساسية لهذا النوع من السياحة.

كما قام (ماكدونلد و قوليف، ٢٠٠٣) (MacDonald and Jolliffe) بدراسة عن ثقافة السياحة الريفية: كندا أنموذجاً (Cultural rural tourism: Evidence from) (Canada

حيث قام الباحثان باختبار عامل السياحة الريفية الثقافية في قرية تقع شرق كندا، ومن أهم توصياتهما تفعيل مشاركة السكان المحليين في إبراز الجانب التقليدي لحضارتهم المحلية على اعتبار كونها مورد جذب للسياح، وهناك دراسة أخرى تعنى بالسكان الريفيين الأسبان قام بها كل من: (غارسيا و فيردقو وروزي ، ٢٠٠٧) (D,M Garcia,A,o, Verdugo, M,C and Ruiz) تحت عنوان: كسب دعم السكان للسياحة والتخطيط (Gaining residents support for tourism and planning) حيث تسعى الدراسة إلى الوصول لمقومات السكان المقيمين، كما تتوقع الدراسة أن هناك أنماطاً مختلفة من السكان حيال موقفهم من السياحة المبني على المزايا التي قد يحصلون عليها من قدوم السياح لقراهم، وثمة نموذج طبق في مجتمع صغير من أسبانيا نتائجه تدعم فرضية أن دعم المقيمين للسياحة يتوقف على مستوى المنافع التي يحصلون عليها. فمثل هذه الدراسات يستفاد منها كتجارب ناجحة في مساعدة أهل المنطقة في التغلب على الفقر وفي فتح مجالات جديدة للاستثمار داخل مناطقهم الصحراوية والبركر كما في (ضرية).

أما هذه الدراسة فقد أخذت مساراً مختلفاً عن الدراسات التي تم عرضها، وعُنيّت بمعوقات التنمية وأثرها على السكان المحليين. فهؤلاء القرويون هم في الأصل بدو، ولا تمثل الزراعة حرفة رئيسة لهم لقلة خبرتهم بها ولظروف بيئتهم. كما أن قراهم وهجرهم لا تشهد هجرات تهدد تفريغها؛ ولهذا فالدراسة تمثل إضافة علمية لكونها تعالج تخلفاً في سلوك وأسلوب مجتمع مستقر غير متفاعل مع بيئته في أخذ المبادرة للتغيير، وهي دراسة تعنى بالمجتمع المحلي ومشاركته، وهي مشكلة دراسية قلما تناولها الجغرافي في الدراسة، فهو مجتمع لا يمكن دراسته بمعزل عن بيئته التي سعت هذه الدراسة للأخذ بالإنسان ليتفاعل مع مقوماتها الطبيعية. وعلى الرغم من أن (ضرية) منطقة ذات مقومات طبيعية وبشرية، فإنها لم تحفل سابقاً بأية دراسة جغرافية تعنى بأهميتها كجزء مهم من الوطن، ينبغي توجيه العناية لتنميته.

الإجراءات المنهجية للدراسة

تسعى هذه الدراسة - بالدرجة الأولى - إلى البحث عن أسباب معوقات التنمية، كما تهدف إلى الوصول لمعرفة آثار هذه المعوقات على فاعلية مشاركة المجتمع المحلي في عمليات التنمية في منطقتهم؛ ولتحقيق هذه الأهداف وغيرها؛ فقد تم اختيار المنهج الوصفي لملاءمته لهذه الدراسة، حيث يهتم بتوفير أوصاف دقيقة عن الظاهرة المراد دراستها عن طريق: جمع البيانات، ووصف النتائج، وتفسيرها للوصول إلى تعميمات تخدم في الخروج بتصوير واضح عن المشكلة وطرح الحلول المناسبة لها؛ ولتحقيق ذلك تم إتباع الخطوات التالية:

أولاً: الدراسة الوثائقية في الكتب والدراسات ذات العلاقة بالموضوع؛ كالكتب والأبحاث التي تعنى بالتنمية الريفية بشكل عام، والتنمية الريفية داخل المملكة بشكل خاص، إلى جانب الإطلاع على التقارير الحكومية ونتائج الدراسات الميدانية ذات العلاقة بمنطقة الدراسة.

ثانياً: الدراسة الميدانية وتمت على ثلاث مراحل:

أولاً: زيارات متكررة لبلدة (ضرية) والقرى التابعة لها؛ للتعرف عن كتب على معوقات التنمية وعلى سبيل المثال: الموقع ومستوى الطرق ونوع الخدمات... الخ، إلى جانب التقاط الصور لبعض المظاهر الطبيعية والبشرية والتي لها علاقة بالدراسة.

ثانياً: زيارة بعض المؤسسات الحكومية داخل المنطقة وخارجها؛ بغرض مقابلة بعض المسؤولين؛ للاستفادة منهم في الإطلاع على نوعية المعاناة من قبل السكان وما أسباب ذلك؟ وهل هناك أية جهود حيال تنمية المنطقة؟ وللإطلاع على مستوى الخدمات المقدمة للسكان. كما تم الحصول منهم على بيانات تم إعدادها عن طريق المسح الميداني وبجهود ذاتية من قبل الجهة نفسها. وعلى سبيل المثال لا الحصر: بلدية (ضرية)، وفرع الزراعة في (ضرية).

ثالثاً: إجراء المقابلات مع ثلاث مجموعات من السكان، مع زيارة المدارس لتوزيع استمارات الاستبيان.

أداة البحث

ينحصر مجتمع الدراسة بسكان بلدة (ضرية) والقرى التابعة لها حيث يبلغ عددهم (٣١,٩٢٨ نسمة) حسب (وزارة الشؤون البلدية والقروية، ١٤٢٥هـ)^(١) هذا ولطبيعة مشكلة البحث ونوع الإجابات التي تسعى الدراسة للوصول إليها فقد تم اختيار أداتي الاستبانة والمقابلة للحصول على البيانات وهي كما يلي:

أولاً: الإستبانة

تهدف أداة المسح بالعينة بالدرجة الأولى إلى تقييم الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع الدراسة؛ لأن جانباً كبيراً من عقبات التنمية الريفية مرده إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية داخل أفراد المجتمع؛ خاصة في مجتمع بدوي هجر الرعي، وليس أمامه مجال لممارسة الزراعة لخلو ريفه من مقوماتها. ولصعوبة تطبيق الدراسة على هذا المجتمع؛ لكثرتهم والحاجة ذلك للوقت والجهد المضاعف؛ فقد تم اختيار عينة منهم تعمم نتائجها على مجتمع الدراسة. وقد بلغ أفراد هذه العينة (١٩٧ شخصاً) ولكي تتاح الفرصة أمام شرائح متنوعة من سكان بلدة (ضرية) أو سكان تابعيها من القرى والمراكز (سعيًا للوصول إلى تحقيق أهداف البحث) فقد شملت العينة طلاب الثانويات والبالغ عددها ثلاث ثانويات (ضرية، الصمعويرة،

(١) قامت وزارة الشؤون البلدية والقروية ممثلة ببلدية (ضرية) بمسح شامل لجميع القرى والهجر التابعة لضرية، وذلك بهدف حصر سكان وخدمات الهجر التي لم يشملها تعداد ١٤٢٥هـ الذي قامت به مصلحة الإحصاءات العامة؛ فالنتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن للعام ١٤٢٥ هـ والخاص بمنطقة القصيم، لم يشمل قرى وهجر تابعة (لضرية) مثل (الرمثية، بدينية، روضة ريمان، هويشله، الشنانة... الخ) مع العلم أن بلدية (ضرية) اعتمدت حصر مصلحة الإحصاءات في خصوص القرى التي شملها التعداد، مع الإشارة إلى أنه تم تكرار نفس الحصر للعام ١٤٣١هـ، حيث اقتصر على القرى المعتبرة كمراكز إدارية للقرى والتوابع وتم إغفال بقية القرى والهجر؛ ما أعاق الاعتماد عليه في هذه الدراسة.

بدائع الضبطان) والبالغ عدد طلابها ثلاث مئة وخمسين طالباً، يمثلون بلدة (ضرية) ومعظم القرى والهجر، وأعطت نتائج الاستبانة إجابات توحى بأن الطلاب يمثلون معظم القرى والهجر وذلك من خلال إجاباتهم على مكان الإقامة فقد شملت أكثر من ٩٠٪ من مجموع مسميات المراكز العمرانية في منطقة (ضرية). كما تم قصرها على طلبة المستوى الثالث والبالغ عددهم ١٩٧ طالباً؛ لكونهم أكثر قدرة على الإجابة بين بقية المستويات الدنيا، خاصة فيما يتعلق حول رأيهم في أهم معوقات التنمية في منطقتهم.

كما تم اختيار العينة من مجتمع الدراسة حسب الطريقة العمدية " والتي تعني: "أن أساس الاختيار خبرة الباحث ومعرفته؛ لأن هذه المفردات أو تلك تمثل مجتمع البحث" (العساف، ١٤١٦، ص ٩٩) وهي نفسها التي عدّها (الدليمي، ٢٠٠٧م، ص ١٣٤) "لتكون العينة المختارة (بهذه الطريقة) الممثلة للمجتمع؛ على الرغم من كون المجتمع يضم أنواعاً مختلفة من الأفراد إلا أنه يسهل اختيار العينة المطلوبة، وقد تكون نتائج هذه الطريقة جيدة حسب خبرة الباحث وقدرته على اختيار العينات بشكل يمثل التنوع الاجتماعي". ولعل نوعية أسئلة الاستبانة وكون الهدف الرئيس منها تقدير حجم المستوى التعليمي للوالدين وطبيعة عملهم ومستوى دخل الأسرة وأهم التحديات التي تقابل الأسرة؛ ولكون الأكثرية من الوالدين إما لا يجيدون الكتابة أو يتحسسون من الإدلاء بمعلومات مكتوبة، فقد اكتفي بطلاب الثانوية كعينة يتوصل بها إلى تقدير حجم المشكلة.

وتحقيقاً لضمان صدق الأداة؛ تم عرضها في صورتها الأولية على مجموعة من أساتذة جامعة القصيم؛ لمعرفة آرائهم حول ما إذا كانت الأسئلة قادرة على تحقيق أهداف الدراسة أم لا - وأيضاً معرفة آرائهم حول مدى مناسبة عبارات الاستبانة لعينة البحث، ووضوح صياغة العبارات وتدرجها لمناسبتها لكافة الفئات؛ وبناءً على

مجمّل اقتراحاتهم تم تعديل وحذف بعض فقرات الاستمارة ؛ وفي ضوء ملاحظات المحكمين تكونت الاستبانة في صورتها النهائية (الإستبانة في الملاحق ص ٥٢ - ٥٣). وقد تم التأكد من درجة الثبات عن طريق إخراج معامل (الفا كروباخ Alpha Coroubach,s ؛ حيث بينت أن درجة الثبات عالية نسبيا ؛ كما لم يغفل جانب التأكد من ثبات الأداة إحصائياً باتباع طريقة إعادة الاختبار ؛ للتأكد من وضوح الأسئلة وتسلسلها المنطقي. وجميع نتائجها أعطت الباحث ثقة في صلاحية الأداة في الاستخدام في الدراسة. كما تمت الاستفادة من برنامج Excel في تمثيل بعض البيانات. كما تمت الاستفادة من اختبار مربع كاي (Chi-Square) للكشف عن وجود أية علاقة بين بعض الظواهر.

ثانياً: المقابلات

هناك جوانب من البيانات لم يتم جمعها عن طريق الاستفتاء بالاستبانة، وتدور في مجملها حول معوقات التنمية التي تتطلب الحوار حولها لفهم جذور أسبابها وكذلك أفضل السبل لحلها، وهذه يصعب تحقيقها عن طريق الاستبانة ذات الأسئلة المغلقة، لطبيعة المجتمع موضع البحث. ما جعل الحاجة ملحة لاستخدام أداة المقابلة كوسيلة للوصول إلى الإجابة على بعض تساؤلات الدراسة. " فقد تكون مشكلة البحث ذات صفة خاصة أحياناً حيث يصعب على أفراد العينة الإدلاء بالمعلومات كتابة أو حتى مباشرة ما يحتم مقابلتهم وجهاً لوجه ومحاولة اكتشاف الحقيقة ولو بطريق غير مباشر" (العساف، ١٤١٦هـ، ص ٣٨٧) كما أن هناك إيجابيات عدة يمكن الحصول عليها عن طريق المقابلة، منها: أنها تمكن المبحوثين من التعبير عن وجهات نظرهم، خاصة إذا استطاع الباحث أن يجعلهم يتفاعلون في النقاش، فإن هذا سوف يجعل

الباحث يتعرف على بعض السلوك والتصرفات أثناء محاولتهم التعبير عن وجهات النظر تجاه الموضوع (Gilbert, 1996,p141-142).

ومع إيمان الباحث أنه من المتوقع اقتران هذه الأداة بصعوبات متنوعة تستلزم الوقت والجهد كالتحضير للمقابلات والاتصال بالمجموعات المستهدفة؛ خاصة وأن الباحث اختار نوعية المقابلات الجماعية "وهي طريقة تستخدم للتعرف على اتجاهات الرأي العام أو معرفة اتجاهات الأفراد" (سليمان، ٢٠٠٩م، ص ١٦٦). ولعل المبررات التالية تفسر لنا سبب تطبيق المقابلة.

١- طبيعة هذا المجتمع البدوي الذي يغلب عليه الفقر، يتحسس من الإدلاء بمعلومات مكتوبة، حيث يتوقع بعضهم أن تعوق إجاباتهم الحصول على المساعدات من المجمعات الخيرية، أو الإعانات من الدولة كالضمان الاجتماعي، والمخصصات أو حتى الإعانات المتعلقة بالمواشي. وهذا يتأكد عند من لم يحصل على تعليم يمكنه من التفريق بين البحث العلمي والرسمي، خاصة في مجتمع ترتفع فيه نسبة الأمية.

٢- يهدف البحث إلى الوصول لرأي الطبقة المؤثرة في التنمية في المنطقة، التي في الغالب تمثل شرائح محدودة من المجتمع، سعى الباحث إلى مقابلتهم على شكل مجموعات.

٣- هناك إجابات يستهدف البحث الوصول إليها: كدور القبيلة ونوعها، وأثر ذلك في اتخاذ القرار؛ وهذا النوع من المعلومات يصعب الوصول إليه إلا بعد خطوات يتم اتخاذها لزراعة الطمأنينة لدى أفراد المقابلة وإفساح المجال لهم للتعبير عن ذلك بأسئلة مفتوحة ومتدرجة وغير مباشرة.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أنه تمت مقابلة ثلاث مجموعات هي: (١- أعضاء المجلس البلدي، ٢- مجموعة من المستثمرين ٣- مجموعة من وجهاء (ضرية) بما

فيهم المحافظ، بمتوسط عددي مقداره: ستة أشخاص في كل مجموعة، وكانت أسئلة النقاش تدور حول معوقات التنمية، وكيف أثرت على فاعلية المجتمع، والمقترحات التي يمكن الأخذ بها للمبادرة في تنمية المنطقة.

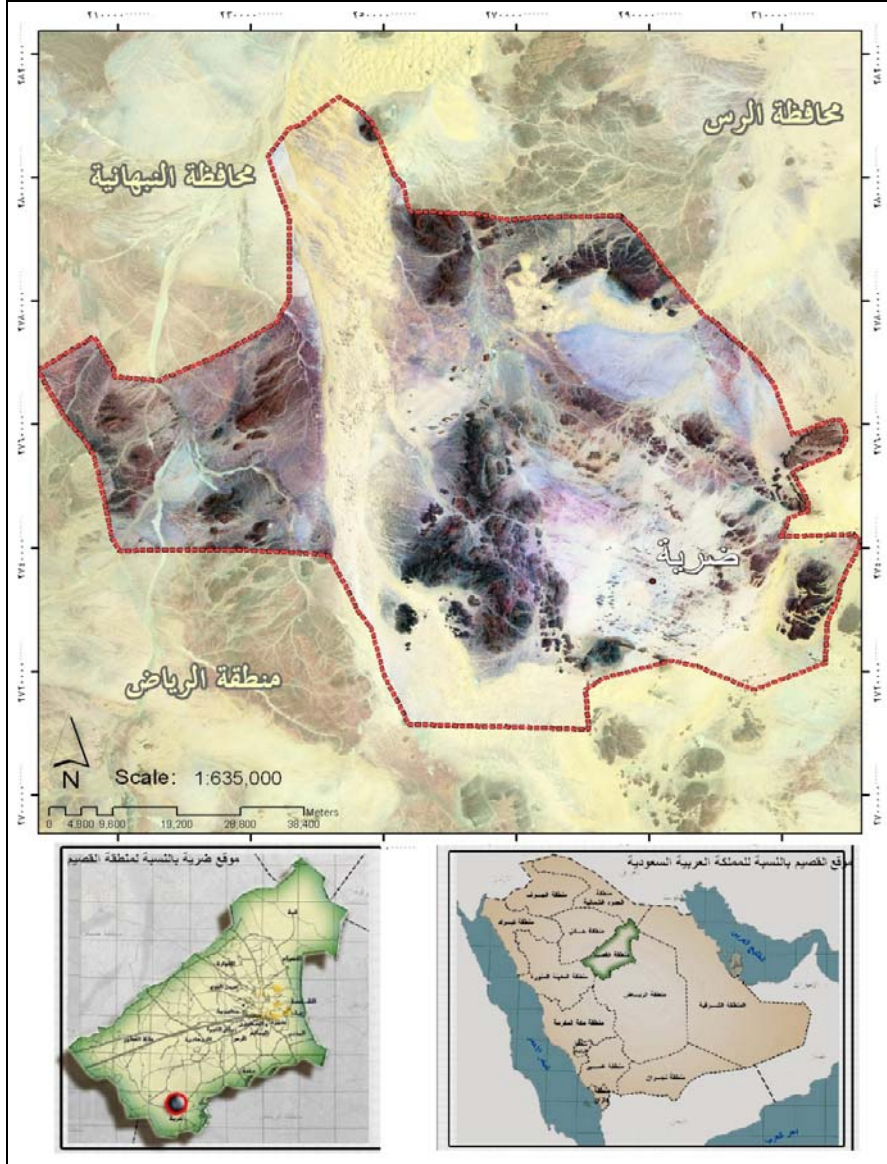
ثالثاً: نظم المعلومات الجغرافية

حددت منطقة الدراسة على المرئية الفضائية (Landsat2002) (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ٢٠٠٢م) كما أنتجت خرائط هذه الدراسة باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية (ArcGIS) اعتماداً على الخارطة الطبوغرافية (ضرية) و(الرس) مقياس (١: ٢٥٠,٠٠٠) (المساحة العسكرية، ١٤٢٣هـ).

ولعله قبل مناقشة نتائج البيانات الميدانية الخاصة بمجتمع الدراسة، لابد من التعرف على طبيعة بيئة (ضرية) حتى يمكن تقدير مدى مساهمة الوضع الطبيعي في تفاقم معوقات التنمية.

منطقة الدراسة

تقع منطقة (ضرية) في الجزء الجنوبي الغربي من القصيم، وتحدها من الشمال محافظة (النبهانية)، ومن الشرق محافظة (الرس)، ومن الجنوب والغرب منطقة (الرياض)، وتحتصر المنطقة فلكياً بين دائرتي عرض ٣٠ ٢٤ و ٢٢ ٢٥ شمالاً، وبين خطي طول ١ ٤٢ و ١٤ ٤٣، شكل (١)

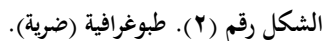


الشكل رقم (١). موقع (ضرية).

المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على المرئية الفضائية (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية) Landsat2002
(بتصرف من الباحث.

و(ضرية) منطقة سهلية تنحصر بين مرتفعات جبلية، فمن الغرب جبال: شعباء، وشوفان، والمقوقي، ومن الجنوب جبال: وسط، وعسعس، والاكيثال، ومن الشرق جبال: كبشان، والشعب، وطخفة، وأسواج، ومن الشمال جبال: اللهيبي، والشغيفاء، ميدان، كثيفة. كما تتناثر في سهل (ضرية) مجموعة من الهضاب والجبال المميزة، منها هضاب: النظيم، والشلالات، والهواوي، والزحيف والعيادي، وهضبية أم الرافار، وهضاب البيضتين. وأما من الجبال: فهناك جبل أحامر، والصمغورية، الربوض، وأم السباع، وجبل الصقار، وجبل ليم وجبل نجح وضليعات النهدين، وجبل أم عنقير. وتنحصر ضرية بين مجرى وادي الجرير من الغرب ومجرى وادي الداث من الشرق ويفصلها نفود العريق عن وادي الرمة شمالاً. ويخترق سهل (ضرية) عددا من مجاري المياه التي تنحدر باتجاه الشمال لترفد شعيب هرمول - أحد الروافد الرئيسة لوادي الداث - كما تنتهي بعض المجاري في رمال نفود العريق في الشمال الغربي.

كما يتميز سهل (ضرية) بوجود مجموعة من الشعبان منها على سبيل المثال: شعيب الثمالة، شعيب مسكة، شعيب الصمغورية، شعيب ليم، شعيب ريمان. وتقع (ضرية) بنطاق الدرع العربي الذي تقتصر مصادر المياه فيه على المياه السطحية المبعثرة والمحدودة في إرسابات مجاري الأودية صور رقم (١ - ٢) و شكلي (٣،٢).



ويعد المناخ الصحراوي القاري الجاف سمة للمنطقة ، و مما يعمل على تلطيف درجة الحرارة ارتفاع سطح منطقة (ضرية) عن سطح البحر بمعدل (٨٥٠ - ١١٥٠م) وتسقط معظم الأمطار في فصلي الشتاء والربيع. كما أن وجود المجاري المائية جعل

معرض
اللوي

وادي اللوي

ابان الاحمر

غمدان

البانان

امره

الربيع

سواج

حالات اللوي
و غومدها

وادي الترسيز

جبال اللوي

ميت

طاخنة

الريان

غول

حلات

جبله

كيشات

البركات

شعيب

ضربة

وسط

شمس

10 km

*المصدر: رواد الصحراء (١٤٣١هـ) [www Alshra.ovg](http://www.Alshra.ovg)

أهميتها التاريخية

(ضرية)^(٢) كانت محطة هامة من محطات طريق الحاج من البصرة إلى مكة. هذا وقد عدّها الإمام الحربي المنزل السادس عشر فقال: السادس عشر: (ضرية). وقد خلد جرير ابن حازم الجهمي (ضرية) في أرجازه التي قالها في طريق الحاج من البصرة إلى مكة حيث ذكرها بعد (طخفة) وقبل (اللوى) الذي يسمى الآن (عريق الدسم) وأثنى على غنى أرضها، وطيب هوائها.... وذكر أن الحاج ضرب فيها الخيام الكبيرة والأخبية الصغيرة واستراحوا فيها من وعشاء السفر، .. (العبودي، ١٣٩٩هـ، ص ١٤١٣، ١٤١٢). و(ضرية) مكان ينسب إليه الحمى وهو أكبر الأحماء، حيث يقع بين (ضرية) للمدينة. كما يوجد في (ضرية) مجموعة من الآثار الباقية كالرسوم والكتابات الصخرية، والسد الصخري، القنوات المائية والآبار، لكن جميع الآبار القديمة جف ماؤها وانظمرت ولم يعد هناك سوى آثار بعضها (صورة ٣).

(٢) ذكر الحموي: بأن "(ضرية): بالفتح ثم الكسر، وياء مشدودة، وما أراه إلا مأخوذاً من الضراء وهو ماء وأراك من شجر، ويقال: أرض مستوية فيها شجر... وهي قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة من نجد. قال الأصمعي يعدد مياه نجد، قال: الشرف كبد نجد وفيها حمى ضرية، وضرية بئر، ويقال ضرية بنت نزار، قال الشاعر:

فأسقاني ضرية خير بئر تمج الماء والحب التؤاما

وأضاف، (ضرية) أرض بنجد وينسب إليها حمى (ضرية) ينزلها حاج البصرة، لها ذكر في أيام العرب وأشعارهم" (الحموي، ١٣٩٩هـ، ص ٤٥٧). وينسب البكري: "تسمية ضرية إلى ضرية بنت ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. ويضيف بأن (ضرية) أرض مرب منبات كثيرة العشب، وهو سهل الموطن كثير الحموض" (البكري، ١٤٠٣هـ، ص ٨٦٠).

نتائج الدراسة ومناقشتها

تعاني المنطقة من شح في الأرقام الرسمية التي تساعد الباحث على تقييم حجم المشكلة وتدايها رقمياً ؛ ما ضاعف من الجهد في الوصول لعرض جوانبها ، وكذلك ضاعف من شح المعلومة الرقمية ورود بعضها مدموجة ضمن التقارير الرسمية تحت مسمى محافظة (الرس) دون تفصيل ، ما استعصى على الباحث الأخذ بها ؛ ولهذا اقتصر تدعيم النتائج بأرقام أخذت من نتائج مسوحات قامت بها بلدية (ضرية) بجهود شخصية اقتضرت على عدد المساكن ونوعية الطرق وحصر بعض الخدمات ، أما ما عدا ذلك من بيانات تخص تقييماً لوضع السكان الاقتصادي والاجتماعي فاعتمد على المسح الميداني الذي تم من قبل الباحث عن طريق العينة ، كما جاءت حصيلة المقابلات مدعمة لهذه النتائج وطارحة لأنسب الحلول المناسبة لتذليل المعوقات.

ولعل من أبرز معوقات التنمية الريفية في المنطقة ما يلي :

١ - بعد موقع (ضرية) عن المراكز الحضرية

بدراسة الشكل السابق (١) يتضح أن موقع (ضرية) يعتبر بعيداً عن المراكز الحضرية المتمثل في عاصمة المنطقة (بريدة) أو مدينة (الرس) وغيرهما ؛ حيث أفادت نتائج الدراسة الميدانية أن ٩١٪ من مجموع العينة يميلون إلى أن موقع (ضرية) البعيد عن مراكز النمو من أبرز التحديات التي تقابلهم. كما أكد أفراد مجموعات المقابلات أن موقع (ضرية) البعيد عن المراكز الحضرية من أبرز معوقات التنمية ؛ لكون ذلك يضاعف الجهد على سكانها في إنهاء مصالحهم كنفق البضائع ومراجعة الدوائر الحكومية. (فضرية) تقع في الجنوب الغربي من القصيم ، فهي تبعد عن (بريدة) عاصمة القصيم قرابة ٢٥٠ كم. والرحلة تقطع بمتوسط زمني لا يقل عن ثلاث ساعات ، ولهذا يحتاج القادم من ضرية لبريدة لست ساعات لقطع المسافة ، ما يعني أنه بالأغلب مضطر للإقامة ولو بصورة مؤقتة في بريدة. فعلى سبيل المثال :

مواصلة الدراسة في الجامعة وخاصة البنات تحتاج للإقامة في (بريدة) والتي يترتب عليها أجرة السكن كلفة المعيشة المرتفعة ما يعوق مواصلة التعليم، خاصة بالنسبة لمعظم الأسر ذات الدخل المنخفض؛ فوضع كهذا لا يساعد - في الغالب - على الإنفاق على مقرين في (ضرية، بريدة). كما أن كثيراً من الحالات المرضية تحوّل من مستشفى (ضرية) إلى مستشفى الملك فهد التخصصي (ببريدة)، ومن جهة أخرى فإن التغير الحضاري الذي طرأ على بعض الأسر جعل المرأة تتطلع إلى إكمال مستلزماتها من الأسواق ذات الطرازات العالمية المتوفرة في (بريدة) خاصة في مناسبات الأعراس.

وحتى لو سلمنا بأن معظم سكان (ضرية) يترددون على محافظة (الرس) كأقرب مركز حضري تتوفر فيه الخدمات التي لا توجد في (ضرية)، لكون معظم الإدارات ترتبط بمحافظة (الرس)، فهؤلاء يقطعون رحلة قدرها ١٦٠ كم يومياً ذهاباً وإياباً بمتوسط زمني مقداره ساعتين تقريباً، ففي الصباح يكتظ الطريق الذي يصل (ضرية) بمدينة (الرس)، وتزداد خطورة ذلك إذا عرفنا أن هذا الطريق غير مزدوج ولم تتم صيانتة منذ زمن، مع حركة متزايدة من صهاريج الماء، وكل هذه المعوقات تعكس سلبية الموقع.

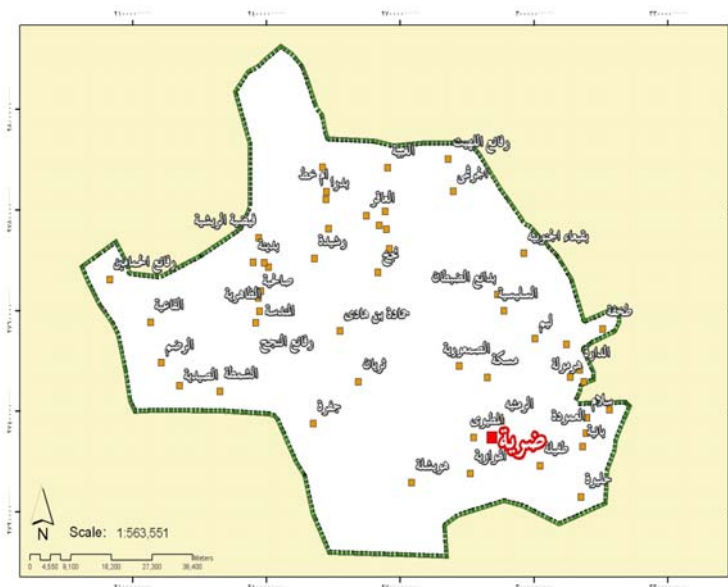
بالإضافة لهذه المعاناة بين (ضرية) والمراكز الحضرية فإن سكانها يعانون من التنقل بين (ضرية) وتوابعها حيث تبلغ توابعها (٧٢ تابعاً) وهذه التوابع تتصف بالتشتت بسبب قيامها أصلاً على الآبار المتفرقة على مساحة مقدارها (٦٧١٥ كم^٢)^(٣) شكل (٤) فبعضها يبعد ٦٠ كم عن بلدة ضرية مثل (مركز العاقر، القويعة). ومرجع ذلك استقرار القبائل في الهجر والقرى المتفرقة مكانياً، ومطالبهم بتوفير خدمات التعليم والصحة ونقل الماء وغيرها، خاصة وأن متوسط بعد هذه القرى والهجر عن ضرية يبلغ حوالي ٣٥ كم.

(٣) قياسات الباحث اعتماداً على الخارطة الطبوغرافية مقياس ١:٢٥٠,٠٠٠.

الجدول رقم (١) المسميات العمرانية التابعة (لضرية).

الضمورية	القاعية	الجرثمي	الرضم	روضة ريمان	طخفة	ابو نخلة	الضبيعة	الطوليله
المطويوي	بقيعاء	الداره	ريمان الجنوبي	الخالدية	حمادة بن هادي	شقراء	ضبيعة	حمامة الهجرة
مسكة	هرمولة	الغبية	هويشله	العرداء	شعباء	العمودة	الجرباء	ثريان
بدائع الضبطان	العافر	رشيده	مشرفة ريمان	الشمطاء	الفازينة	روضة النجخ	حمادة بن مجالا	عيده
سلام	ليم	هرمول	ام حاش	السليسية	باينه	ام خط	الصيديه	ناصية طخفة
صعينين	الريشيه	حليوة	الهواوية	ام سلمه	مليح صعينين	المنادسه	الرايسه	ام بركة
رفايح اللهب	الرمشية	طفيلة	رفايح النجخ	رفايح الضمورية	صميعر	بدائع الحمانين	حمادة نجخ	الصالحية
الظاهرية	ريمان الشمالي	بدراء	نجخ	جفرة	هجة طخفة	بدينة	القويعة	

المصدر: بلدية ضرية (١٤٣١هـ)



الشكل رقم (٤). توزيعات المسميات العمرانية في (ضرية).

المصدر من عمل الباحث اعتماداً على الخارطة الطبوغرافية مقياس ١:٢٥٠,٠٠٠

٢- ندرة المياه

تشير نتائج الدراسة إلى أن ٨٧,٣٪ من مجموع أفراد العينة يميلون إلى أن مشكلة صعوبة الحصول على الكفاية من الماء من أبرز المعوقات التي تعيق التنمية، كما أكد ذلك أعضاء المجلس البلدي بأن هذا انعكس على مشاريع البلدية وأيضاً أعاق الإنتاج الزراعي.

و(ضرية) تقع في منطقة الدرع العربي وهذا يعني خلوها من الآبار العميقة التي يعتمد عليها في الشرب والزراعة، ويقتصر وجود الماء في آبار سطحية متفرقة، لا يمكن أن تكفي لسد حاجة الناس، كما أن نسبة ملوحتها مرتفعة، ما يضطر الأهالي إلى شراء الماء وجلبه من المناطق الغنية بالمياه، وهذا - بدون شك - يضاعف الأعباء على صاحب المنزل، وأيضاً مالك الحيوانات، حيث تتضاعف عليه تكلفة التربة، كما يعد هذا من صعوبات زراعة النخيل لحاجة النخلة إلى كميات كبيرة من الماء (صورة ٤).

ومما يتوقع أنه سوف يقلل من تفاقم هذه المشكلة البدء فعلياً بمشروع يهدف لجلب مياه الشرب عبر قنوات مغطاة تنطلق من مدينة (البدائع) باتجاه (ضرية) "حيث سيتم تغذية (ضرية) بالمياه المنقاة ضمن مشروع إنشاء الخط الناقل للمياه المنقاة إلى جنوب غرب منطقة القصيم، حيث يبدأ من محطة التنقية الثالثة (بالبدائع)، وسوف يتم تسليم المشروع بنهاية ١٤٣٣هـ، علماً بأن كمية المياه المخصصة (لضرية) هي ٢٩٩.٣م³ في اليوم" (مصلحة المياه في القصيم، ١٤٣٢هـ) (صورة ٥).

ولعله بعد توفر مياه الشرب سوف يقلل من الضغط على مياه الآبار السطحية، فيتم الاستفادة منها في زراعة الخضروات والمنتجات سريعة التلف، ما يساعد سكان (ضرية) من الاكتفاء الذاتي ويقلل من ازدحام الطرق في نقل المنتجات اليومية، خاصة وأن الزراعة المحمية كالطماطم تمت تجربتها بنجاح في قرية (مسكة)، لكنها لم توفق

بإدارة تسويقية، كما أن لشح المياه وزيادة الملوحة في عناصرها دوراً مؤثراً في مدى رداءة إنتاجية بعض أنواع النخيل. ومن نتائج ذلك أن تسببت قلة المياه في موت بعضها والبعض الآخر أعطى إنتاجاً مقبولاً، ولكن لمدة ثلاث سنوات فقط، ثم تملحت التربة وتسببت في ضعف الإنتاج، ما يعني حاجة المنطقة لدراسات متخصصة تعنى بأنواع التربة وأنواع الزراعة المناسبة لها.

وأفاد أفراد المقابلة من المستثمرين أن المزارع يحتاج لقروض طائلة تعوض خسائره المتوقعة، ما جعل الكثير من الأهالي يجمعون عن هذا النشاط بعد عجزهم عن الحصول على هذه القروض.

٣- ضعف الدخل

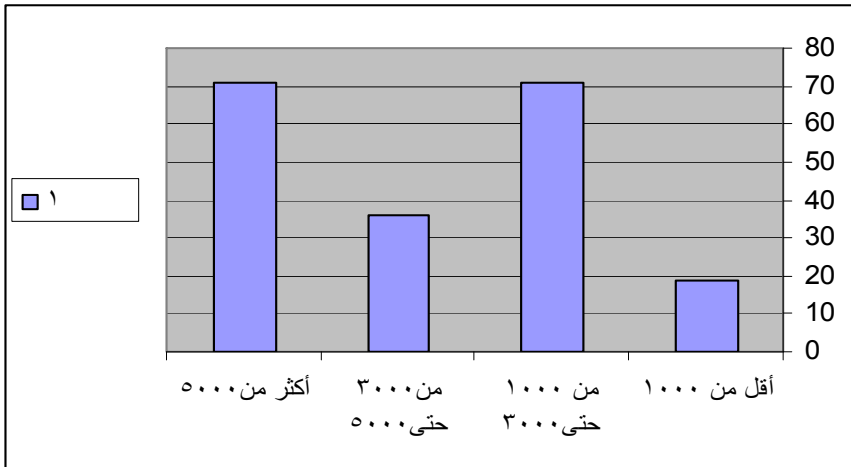
بلغت نسبة من دخولهم من السكان أقل من ٣٠٠٠ ريال في الشهر ٤٦٪ من المجموع الكلي، ومن يمارس التجارة ٧٪ فقط من المجموع، وهناك ٧٪ بدون عمل حسب (نتائج الدراسة الميدانية)، ولا شك أن أقل من ثلاثة آلاف متوسط دخل رب الأسرة لنصف السكان تقريباً ليعكس الصعوبات المعيشية التي تجعل رب الأسرة يعيش هم كفالة الأسرة خاصة إذا علمنا أن ٧٥٪ من مجموع الأسر يزيد عدد أفرادها عن ثمانية أشخاص في المسكن الواحد، وأن ١٠٪ من الأسر التي أجري عليها الاستفتاء ما تزال في خيم من الشعر، و٣٠٪ يسكنون بيوت شعبية قديمة. وتتفاقم المشكلة إذا عرفنا أن ١٨٪ من الأسر فقدت عائلها، وهناك ٣١,٥٪ من الأسر عائلها متقاعد ويعيش على الضمان. وأن ٧٩٪ من الأمهات ليس لهن أي مصدر دخل لجلوسهن في البيت بدون عمل (المصدر نفسه).

وكدليل على أهمية الجانب المادي في حياة أهل (ضرية) أن ٨٤,٥٪ من مجموع العينة يؤكدون أن ضيق ذات اليد عامل فعال في ضعف بناء التنمية، كما أفاد مجموعة

ممن يعتبرون رجال أعمال وتمت مقابلتهم: أن تكلفة الإنتاج وضعف التسويق من أبرز معوقات قيام أي مشروع، كما أنه ليست هناك جهة تسعى لقيام شراكة بين هؤلاء لتجميع رأس مال يمكن أن يقام به مشروع يخدم التنمية. واعتبروا أن ضعف مستوى دخل سكان (ضريبة) من أبرز أولويات دراسة جدوى أي مشروع يتم طرحه ولذلك يعدل عنه، لتوقعات قلة الربحية لضعف الشراء المتوقع. (انظر الجداول ٢، ٣، ٤)، (انظر الأشكال ٥، ٦، ٧)

الجدول رقم (٢). الوضع الاقتصادي للأسرة.

العدد	دخل الأسرة
١٩	أقل من ١٠٠٠
٧١	من ١٠٠٠ حتى ٣٠٠٠
٣٦	من ٣٠٠٠ حتى ٥٠٠٠
٧١	أكثر من ٥٠٠٠



معركة بانوكبيرن

عام ١٣١٤م

د. فاطمة عبد اللطيف الشناوي

الاستاذ المشارك بجامعة القصيم وحلوان

ملخص البحث. معركة بانوكبيرن ١٣١٤م كانت من أهم معارك تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ولا سيما في القرن الرابع عشر الميلادي؛ لما ترتب على تلك المعركة من نتائج بالغة الأهمية. وما لها من دور في سير الأحداث في المنطقة. وترجع بوادر هذا الصدام حينما انتهت السلالة المباشرة للبيت المالكي في اسكتلندا عام ١٢٩٠م، وعندئذ تدخل "إدوارد الأول" ملك إنجلترا (١٢٧٢ - ١٣٠٧) م في مسألة اختيار وريث للعرش وأوفد إليها بعثة لهذا الغرض. وقد اختارت هذه البعثة "حنا باليول" ملكا على اسكتلندا الذي سرعان ما قدم فروض الولاء والتبعية لملك إنجلترا. ولكن عندما حاول "إدوارد الأول" أن يجعل سيادته على اسكتلندا فعليا، بالتدخل في شئونها، عارضه "حنا باليول" وأنكر حق المحاكم الإنجليزية في استئناف الأحكام التي أصدرتها المحاكم الاسكتلندية. ثم اتخذ "حنا باليول" موقفاً عدائياً صريحاً من ملك إنجلترا فخالف "فيليب الرابع" ملك فرنسا ضد "إدوارد الأول"، ولكن الأخير غزا اسكتلندا وقبض على "حنا باليول"، وأقام حكومة موالية له. على أن الاسكتلنديين لم يستسلموا، فانتهزوا فرصة وجود إدوارد الأول في فلاندرز سنة ١٢٩٧م وثاروا تحت زعامة "وليم والاس" وهزموا جيشاً إنجليزياً عند "جسر ستيرلنج"، وعندئذ عاد إليهم "إدوارد الأول" - بعد أن عقد صلحاً مع فيليب الرابع ملك فرنسا - وهزمهم في "فالكيرك" وأخضع اسكتلندا وأعدم والاس. وقد ثارت اسكتلندا مرة أخرى تحت زعامة "روبرت بروس" ولكن "إدوارد الأول" توفي سنة ١٣٠٧م وهو يستعد لإخماد الثورة. ثم تولى عرش إنجلترا بعد ذلك "إدوارد الثاني" (١٣٠٧ - ١٣٢٧)م، وفي ذلك الوقت كان "روبرت بروس" قد طرد الإنجليز تقريباً من اسكتلندا، مما جعل "إدوارد الثاني" يتجه على رأس جيش كبير إلى اسكتلندا لإخماد ثورتها، ولكنه على الرغم من أن الاسكتلنديين كانوا أقل عدداً من الإنجليز، لكنهم كانوا جيشاً جسوراً؛ تحت قيادة رجالاً محمداً استقر بقواته عند تل منخفض يرتبط بغدير صغير يسمى "بانوكبيرن"، وحفر خندقاً أمام الخطوط الاسكتلندية وتمت تغطيته بسياج ضعيف، وأرسل الإنجليز الرماة في مقدمة سلاح الفرسان، مما أدى لسقوط عدد كبير منهم داخل الخندق وتمكنت التروس والرماح

الاسكتلندية من كسر هجوم كل الذين تجنبوا تلك العراقيل. وتقدم الاسكتلنديون بكل قوة حتى أن الإنجليز لم يتعافوا من الفوضى التي سادت وزجت بهم إلى كارثة، وقد انسحب الإنجليز وانتهت المعركة التي كان لها العديد من النتائج أهمها استقلال اسكتلندا، وعزوف إنجلترا عن محاولة السيطرة عليها مرة أخرى، لأنها أيقنت أن الشعب الاسكتلندي شديد المراس ولا يمكن النيل منه. وبدأت إنجلترا في توجيه قوتها العسكرية اتجاه فرنسا، بل ترتب على تلك المعركة ضعف مركز الملك الإنجليزي بين شعبه مما دفع البرلمان الإنجليزي لمحاكمته والحكم عليه بالإعدام.

معركة بانوكبيرن عام ١٣١٤م

يُعد كفاح الشعوب المناضلة ضد الاحتلال من أهم دروب الدراسات التاريخية؛ لما بها من مثير الأحداث، ولما لها من عظيم الأثر. ومن ذلك القبيل ما دار في العصور الوسطى من كفاح شعب "اسكتلندا"^(١) Scotland ضد الإنجليز، والذي تُوج بمعركة بانوكبيرن عام ١٣١٤م.

(١) اسكتلندا: تقع في شمال إنجلترا، وتنقسم إلى ثلاثة أقاليم جغرافية: مرتفعات في الشمال وأراضى منخفضة في الوسط تخترقها أنهار من أشهرها نهر الفورث، وفي الجنوب خلجان موحدة. وكان أول استيطان لاسكتلندا قبل الميلاد، وعندما غزا الرومان بريطانيا عام ٤٣م، وجدوا أقواماً يسكنون الجهات الشمالية والجنوبية لنهر كلايد وفورث، وقد أخضعهم الرومان لسلطانهم وسموهم البكتز، وكانوا يلونون أجسامهم بالألوان. وفي القرن الرابع الميلادي هاجر إلى سكتلندا أقوام من أيرلندا، عرفوا في التاريخ بالاسكتلنديين، وبأنسحاب الرومان من بريطانيا، غزت أقوام الأنجلو-سكسون الذين تمكنوا في القرن السابع الميلادي من احتلال المنطقة الوسطى. وكذلك استقر الفيكينج في الأطراف الشمالية خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وكانت اسكتلندا عرضة للتأثيرات الأنجلو-سكسونية والأنجلو-نورمندية طوال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، ونتج عن تلك التأثيرات النورمندية أن تحولت سكتلندا إلى دولة إقطاعية مزدهرة زراعياً. ولذلك كان للملك إنجلترا مطامع فيها منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي جرت محاولات ملوك إنجلترا في فرض سيطرتهم على اسكتلندا؛ مما ترتب عليه ثورات الاسكتلنديين تحت قيادة زعمائهم المحليين للخلاص من تلك السيطرة الإنجليزية، وللمزيد راجع:

Rapin De Thyoras: The History of England, Tranflated into English, with Additional Notes, by N.Tindal, M. A. Rectorof Alverftoke in Hampfhire, vol.1, London, 1743, p.115; Laing, H: Descriptive Catalogue of Impressions From Ancient Scottish Seals, vol.1, Edinburgh, 1850; Stringer, K. J: 'Periphery and core in thirteenth-century Scotland: Alan son Roland, Lord of Galloway and Constable of Scotland', in Medieval Scotland: Crown, Lordship and Community, ed. A. Grant and K. Stringer, Edinburgh, 1993, pp.82-113; Anderson, A.O: 'Anglo-Scottish relations from Constantine 11 to William', Scottish Historical Review, xl11, London, 1963, pp. 2-10; H. Mac Queen: 'Scots law under Alexander 111', in Scotland in the Reign of Alexander 111, 1249- 1286, ed.N. H. Reid, Edinburgh, 1990, pp.74-102; J.Bannerman: "The King's poet and the inauguration of Alexander 111", S H R, 68, Edinburgh, 1989, pp.120-49; Christopher Haigh: The Cambridge Historical Encyclopedia of Great Britain and Ireland, Cambridge, 1985, pp.97-8.

وترجع بؤادر ذلك الكفاح إلى عهد الملك "إدوارد الأول" Edward 1^(٢) ملك إنجلترا (١٢٧٢ - ١٣٠٧ م) ؛ وذلك لأن السلالة المباشرة للبيت المالک فى اسكتلندا انتهت سنة ١٢٩٠ م، وعندئذ تدخل الملك "إدوارد الأول" فى مسألة وريث للعرش الاسكتلندى^(٣)، وأوفد إليها بعثة لهذا الغرض، ووقع اختيار البعثة على "حنا

(٢) إدوارد الأول: ولد فى وستمنستر Westminster فى يوليو عام ١٢٣٩م، ابن الملك هنرى الثالث Henry (1216-1272) واليانور أف بروفانس Eleanor of Provence، عندما تولى الحكم قام باتخاذ العديد من التشريعات الجديدة، وعمل على ترسيخ سلطة الإدارة المركزية وحاول جاهداً فرض سيطرته على سكتلندا، ولكنه أخفق فى إخضاع البلاد رغم حملاته الناجحة؛ وعندما استطاع القضاء على ثورة "وليم والاس" لُقّب الملك إدوارد بمطرقة الاسكتلنديين The Hammer of the Scots، وتوفى أثناء إحدى حملاته على اسكتلندا عام ١٣٠٧م - يراجع:

Guillaume De Nangis: Vie De Saint Louis, R.H.G.F., Tom, 20, paris, 1894, pp.414-17; Michael C.Prestwick: Edward 1, Berkeley, 1988; John Chancellor: The Life and Times of Edward 1, Totowa, N.J., 1981; T.F.T.Plucknett: The Legislation of Edward 1, Oxford, 1949; Salzman, L.F: Edward 1, London, 1963; E.L.G. Stones: Edward 1, Oxford, 1978; Duncan.A.A.M: Scotland: The Making of the Kingdom, Edinburgh, 1975, pp.544-5; Charles T.Wood: Edward 1 of England (1239-1307) , Dictionary of The Middle Ages, ed/Joseph R.Strayer, vol.4, New York, 1989, pp.395-7.

(٣) كانت هناك علاقات مصاهرة بين حكام إنجلترا واسكتلندا؛ منذ بدايات الحكم الاسكتلندى وحتى عهد "هنرى الأول" Henry 1 ملك إنجلترا (١١٠٠ - ١١٣٥) م، ولكن سرعان ما تحولت تلك العلاقات إلى تبعية فى عهد الملك "هنرى الثانى" Henry 11 ملك إنجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩) م؛ وذلك عندما قام الملك "وليم" William ملك اسكتلندا بمساندة أبناء الملك "هنرى الثانى" أثناء ثورتهم ضد أبيهم فى عام ١١٧٣م، مما دفع الأخير بعد أن أخضع الثائرين إلى القبض على ملك اسكتلندا وأجبره على الدخول فى تبعية التاج الإنجليزى، وللمزيد يراجع:

Henry of Huntingdon: Historia Anglorum, ed.T. Arnold, London, 1870, p.275; Chronicle of Melrose: Chronica deMailros, ed.J.Stevenson, Bannatyne, 1835, p.76; W. F.Skene:Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, Edinburgh, 1867, pp.194-208; Gesta Philippi Tertii Francorum Regis, R.H.G.F., Tom, 20, pp.500-10; Guillaume De Nangis: Vie De Philippe 111, R.H.G.F., Tome, 20, p.511; Robertus de Monte:Chronico Normanniae, ABAnno1169 AD Annum 1259, Sive potius 1272, R.H.G.F., Tome, 23, paris, 1894, p.222; N. H. Reid: " The army of Alexander 111's Scotland ", in Scotland in the Reign of Alexander 111 1249-1286, ed.N.H. Reid, Edinburgh, 1990, pp.132-47; M.T. Clanchy:England and its Rulers 1066-1272, Glasgow, 1983; Susan Reynolds:Kingdoms and Communities in western Europe, Oxford, 1984, pp. 262 -331; A.O.Anderson:Scottish Annals from English Chroniclers 500 to 1286, London, 1908; L.F.Salzman: English life in the Middle Ages, London, 1926, p.192; W.L.Warren: Henry 11, London, 1973, pp.171-89.

باليول^(٤) John Balliol ملكاً على "اسكتلندا" (١٢٩٢ - ١٢٩٦)م، وسرعان ما قدم هذا الملك الجديد فروض الولاء والتبعية لإدوارد الأول^(٥)، ولكن عندما حاول الملك الإنجليزي أن يجعل سيادته على "اسكتلندا" فعلية بالتدخل فى شؤونها، عارضه "حنا باليول" وأنكر حق المحاكم الإنجليزية فى استئناف الأحكام التى أصدرتها المحاكم الاسكتلندية. ثم اتخذ "ملك اسكتلندا" موقفاً عدائياً صريحاً من ملك إنجلترا فحالف "فيليب الرابع الجميل"^(٦) Philip 1V the Fair ملك فرنسا (١٢٨٥ - ١٣١٤م) ضد

(٤) حنا باليول: لا يعرف سوى القليل من حياته، هو ابن "هيو دى باليول"، ولد بين عامى ١٢٤٨ و ١٢٥٠م فى قلعة "برنارد". تولى حكم اسكتلندا فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٢٩٢م فى "بيرويك"، وتم ترسيمه فى ٣٠ من نفس الشهر فى دير "سكون" Scone0 هزمه "إدوارد الأول" ملك إنجلترا، وأسره وقام بإرساله إلى "وستمنستر" وظل الملك "حنا" بها، وفى عام ١٢٩٩م سُمح له بالذهاب إلى فرنسا، وظل بها حتى وفاته فى عام ١٣١٤م للمزيد عن حياته يراجع:

Andrew of Wyntoun's: The Orygnale Cronykil of Scotland, ed. D. Laing Historians of Scotland, vol, 1, Edinburgh, 1872; R.W.Southern:The Making of the Middle Ages, London, 1953, p.240; G.W.S. Barrow: Scotland and its Neighbours in the Middle Ages, London, 1992, pp.45-66.

E.L.G.Stones and G.Simpson:Edward 1 and the Throne of Scotland, vol.2,Oxford,1978; Anderson, (٥) M.O:Kings and Kingship in Early Scotland, Edinburgh, 1973; D.Broun, R.Finlay and M.Lynch:The Making and Remaking of Scotland through the Ages, Edinburgh, 1998, pp.18-20; W.A.Lindsay et al:Scottish History Society, Edinburgh, 1908, pp.60-8.

(٦) فيليب الرابع: ابن "فيليب الثالث" ملك فرنسا (١٢٧٠-١٢٨٥)م، لُقّب بالجميل. امتاز ببُعد النظر وقوة العزيمة اتجهت سياسته نحو توحيد فرنسا تحت سيادة الملك ومد حدودها وتحقيق زعامتها على غرب أوروبا. وظهر ذلك جلياً عندما تصادمت المصالح الفرنسية مع المصالح الإنجليزية فى إقليم "فلاندرز" الذى كان من أهم المراكز الصناعية والتجارية فى غرب أوروبا، فإجلترا لم يكن قد تم تصنيعها بعد، أخذت تصدر الصوف الخام إلى فلاندرز حيث يتم صنعه وتسويقه. وكان دوق فلاندرز تابعاً للتاج الفرنسى، ويميل أهلها إلى إنجلترا بحكم ارتباطهم بها اقتصادياً. هذا فضلاً عما كان من تنافس بين الإنجليز والفرنسيين حول مصايد الأسماك فى بحر الشمال، وعندما ساءت العلاقة بين الملكين؛ عمل "إدوارد الأول" تحالفاً مع الأمراء الألمان والفلمنكيين ضد ملك فرنسا، الذى رد على ذلك بالتحالف مع "سكتلندا" ضد ملك إنجلترا، وللمزيد يراجع:

Guillelmi de Nangis: Chronicon Philippi Regis Franciae, Audacis Dicti, Sancti Ludovici Filii, R.H.G.F, Tome xx1, pp.540-82; Victore: Excerpta E Memoriali Historiarum, R.H.G. F, Tome xx11, pp.630-54; La Chronique De Jean De.S.Victor:Continuation Anonyme, R.H. G.F, Tome xx1, pp.676 – 89;

"إدوارد الأول"^(٧)، ولكن الأخير غزا اسكتلندا وقبض على "حنا باليول" وأحمد الثورة، وأقام حكومة موالية له^(٨)، لكن الاسكتلنديين لم يستسلموا بسهولة، وانتهزوا فرصة وجود "إدوارد الأول" فى فلاندرز^(٩) Flanders سنة ١٢٩٧م^(١٠)، وثاروا من جديد تحت زعامة "وليم والاس"^(١١) William Wallace الذى عبر الحدود واجتاح

=Guillelmi Scoto:Sancti Dionyssii Monacho Conscript, R.H.G.F, Tome xx1, 201-5; Joseph R.Strayer:Philip 1V The Fair, Dictionary of the Middle Ages, ed / Joseph R.Strayer, Volume 3, New York, 1989, pp.554-5.

(٧) فقد عقد الاسكتلنديون معاهدة مع الفرنسيين فى أكتوبر عام ١٢٩٥م، واتفق الجانبان على دعم كل منهما للآخر إذا تعرضوا لهجوم من جانب الإنجليز، وأصبح هذا التحالف الفرنسى الاسكتلندى يعرف باسم "تحالف أولد" Auld Alliance وللمزيد عن هذا التحالف يراجع:

Johannis De Sancto Justo:E Duobus Cadicibus Ceratis, R.H.G.F, Tome xx1, pp.501-34; Memoriale FratrisWalteri de Coventria:The Historical Collection of Walter of Coventry, ed.W.Stubbs, vol.2, London, 1873, p.206; Lydon, J. F:"An Irish army in Scotland, 1296"The Irish Sword, 5, London, 1961, pp.184-90; J.Gillingham:"The beginnings of Englishimperialism", Journal of Historical Sociology, vol.5, London, 1992, pp.392-409; D.Broun, R. Finlay and M.Lynch: op.cit., pp.20-37.

Scolacronica: a Chronicle of England and Scotland from A.D.Mccclxll, ed.J.Stevenson, Edinbueg, (٨) 1836; JeanDelorme: Les Grandes Dates Du Moyen Age, paris, 1970, p.98; Carpenter, D. A: "From king John to the firstEnglish duke:1215 - 1337.", in the House of lords, a Thousand Years of BritishTradition, ed, R.Smith and J.S.Moore, London, 1994, pp.31-2.

(٩) فلاندرز: إقليم يقع فى شمال شرق فرنسا بين بحر الشمال The North Sea، ونهرشيلد The Schelde River Bryce Lyon: Flanders and The Low Countries, Dictionary of the Middle Ages, ed/Joseph R. Strayer, vol.5, New York, 1985, pp.77-83.

(١٠) نظراً لتحالف الملك الفرنسى مع الاسكتلنديين؛ قام الملك الإنجليزى بعمل تحالف مع بعض الأمراء الألمان والفلمنكيين ضد نظيره الفرنسى؛ الذى بادر بمهاجمة كونت فلاندرز حليف العاهل الإنجليزى، مما دفع الأخير للذهاب إلى فلاندرز لمساندة حاكمها ضد الملك الفرنسى، للمزيد ينظر:

Extraits D'une Chronique Anonyme Intitulee Anciennes Chronique De Flandre, R.H.G.F., Tome, 21, pp.329-37; Extraits D'une Chronique Anonyme:Anciennes Chroniques De Flandre, R.H.G.F., Tome, 22, p.353; Guillaume De Nangiaco:Chronicon, R.H.G.F., Tome, 20, pp.579- 80; Raymond Monier: Les institutions Centrales du Comte de Flandre de La fin du 1xe Siecle a1384, paris, 1948; Adrian E.V.erhulst: Histoire du paysage rural en Flandre de L'epoque romaine au xv111e Siecle, paris, 1966; Daniel Waley: Later Medieval Europe, London and NewYork, 1964, pp.140-1; C.G.Crump and E.F.Jacob: The Legacy of the Middle Ages, Oxford, 1926, p.481.

(١١) وليم والاس: لا يعرف الكثير عن حياته، سوى أنه كان الابن الثانى لملك أراضى فى مدينة "إيلدرسل"

Elderslie، ويدعى السير "مالكوم والاس" Malcolm Wallace، أخذ "وليم" على عاتقه مهمة التصدى

للتدخل الإنجليزى فى اسكتلندا، ويُعد هو المناضل الأول الذى دفع حياته مقابل تحرير بلاده؛ إذ تعتبر

جهوده وحروبه ثم مقتله بعد تعذيبه على أيدي الإنجليز، هو الشرارة التى أشعلت نيران حماس النضال بين

الأراضي من "كارليس" (١٢) Carlisle حتى "هيكسهام" (١٣) Hexham ، وبعد عودته إلى اسكتلندا تمكن من هزيمة جيش إنجليزى عند جسر "سترنج" (١٤) Stirling ؛ مما دفع الملك الإنجليزى لضرورة قمع تلك الثورة ؛ وما إن بلغته الأنباء باحتشاد "وليم والاس" وأتباعه فى "فالكيرك" (١٥) Falkirk حتى خرج فى الثانى والعشرين عام ١٢٩٨م لملاقاتهم ، وهناك دارت رحى الحرب واضطربت صفوف الاسكتلنديين ، ولاذوا بالفرار (١٦) ، وبعدئذ تقدم الملك "إدوارد الأول" صوب "سترنج" ، ومنها إلى "كارليس" ، لكن لم يعد هناك قتال حقيقى بعد هذا الوقت ، وفى عام ١٢٩٩م عاد الملك الإنجليزى إلى الجنوب مرة أخرى ، وانشغل على مدار عام بأعمال أخرى منعه من استكمال حربه على الاسكتلنديين ؛ إذ كان عليه ضرورة التفاوض مع ملك فرنسا (١٧) الذى ساعد الاسكتلنديين على تحرير الملك المخلوع "حنا باليول" من أسر

=الاسكتلنديين حتى إنتصارهم فى بانوكبيرن — للمزيد ينظر :

Guillaume De Nangis: Vie De Saint Louis, pp.417-15; John Chancellor: The Life and Times of Edward 1, London, , 71-98; Powicke, F.M:The Thirteenth Century, 1216-1307, ed. Oxford History of England, Oxford, 1962; Salzman, L. F:Edward 1, New York, 1968; Charles Arnold-Baker OBE: The Companion to British History, London and New York, 2001, p.1284.

(١٢) كارليس: مدينة فى شمال غرب إنجلترا، تقع على نهر "إدين" Eden، تتمتع بأهمية بالغة.

J.P.Kenyon: A Dictionary of British History, New York, 1983, pp.202.

(١٣) هيكسهام: مدينة فى شمال شرق إنجلترا، تقع على نهر "تينى" Tyne.

The Medieval Encyclopedia, vol.9, New York, 1987, pp.88-90.

(١٤) سترنج: يقع فى جنوب وسط سكتلندا، ويمثل مركز الجنوب الاسكتلندى، على نهر الفورث، على بُعد ستة وستون ميل شمال غرب أدنبرج.

Bob Lange:Stirling (Central Region, Scotland) , Dictionary of the Middle Ages, ed /Joseph R.Strayer, vol.11, New York, 1988, pp.703-6

(١٥) فالكيرك: تقع فى وسط سكتلندا، بالقرب من نهر الفورث.

The Medieval Encyclopedia, vol.3, New York, 1989, 205.

Extraits D'une Chronique Anonyme: Anciennes Chroniques De Flandre, R.H.G.F., Tome 22, (١٦) pp.359-60; George Holmes: The Oxford Illustrated History of Medieval Europe, Oxford,1980, p.308.

(١٧) ولقد تم اجتماع السفراء الإنجليز والفرنسيين برئاسة مفوض بابوى فى مدينة "مونروى - سير - مير"

Montreuil-sur mer؛ وكان نتاج هذه المداولات إبرام معاهدة "مونروى" فى ١٩ يونيو عام ١٢٩٩م، =التى

الإنجليز^(١٨)، وقد دفع هذا التفاوض أعيان اسكتلندا إلى التخلي عن القضية الإنجليزية، وأكد هذا التخلي ما نجم عن هزيمة "فالكيرك"؛ وانسحاب "وليم والاس" من اسكتلندا طالباً العون والمساعدة من ملك فرنسا، الذى أثبت لصهره الإنجليزي حُسن نواياه؛ وزج بوالاس فى السجن، ولم يطلق سراحه إلا عندما ذكر أنه سيتوجه إلى روما^(١٩).

وفى تلك الأثناء، اختار الاسكتلنديون مجلس وصاية جديداً على رأسه "حنا كومين"^(٢٠) John Comyn، وفى ظل هذه الظروف المتغيرة احتشد إيرلات اسكتلندا حول القضية الوطنية، وسرعان ما قاموا بإحكام الحصار على "سترلنج" التى كانت عندئذ أهم قلعة فى قلب اسكتلندا لدى "إدوارد الأول"؛ مما اضطر حامية القلعة إلى الاستسلام للاسكتلنديين^(٢١)، مما دفع الملك الإنجليزي لمواجهة الاسكتلنديين؛ ودارت

كانت معاهدة زواج؛ فقد كان لزاماً على "إدوارد الأول" الزواج من "مارجريت" Margaret أخت الملك

الفرنسى، وعلى ابنه أن يخطب "إيزابيلا" Isabella ابنة فيليب Philip كونت فلاندرز، للمزيد يراجع:

Landulphi De Columan: Breviario Historiarum, R. H.G. F., Tome, 23, p.194; C.Warren Hollister: The Making of England 55 B.C To 1399, California, 1982, p.249.

R.W. Kaeuper: England and France in the Late Middle Ages, Oxford, 1988, pp.228-29; Recueil de (١٨)

Lettres Anglo-Francaises (1265-1399), ed. F. J.Tanquerey, Paris, 1916; G. G. Simpson: 'Why was John Balliol called "Toom Tabard"?', Edinburgh, 1968, pp.196-9; Dauvit Broun: Anglo-French acculturation and the Irish element in Scottish identity, Britain and Ireland 900-1300, Insular Responses to Medieval European Change, ed.by/Brendan Smith, Cambridge, 1990, p.150.

Davies, R.R.: Domination and Conquest: the Experience of Ireland, Scotland and Wales, 1100- (١٩)

1300, Combridge, 1990, 50-1; Chronico Rotomagensi, R.H.G.F., Tome, 23, p.345;

C.WarrenHollister: op.cit, p.249.

(٢٠) حنا كومين: من مدينة بادنوش Badenoch، لا يُعرف الكثير عن حياته، وعن تفاصيل أحداث تلك الفترة

ينظر:

John Guillingham: Killing and mutilating political enemies in the British Isles from the Late Twelfth to the early fourteenth century: a Comparative Study, Britain and Ireland 900 - 1300, Insular Responses to Medieval European Change, Ed. Brendan Smith, Cambridge, pp.132-33; G.G.Simpson: op.cit., p.199.

Orderic Vitalis: Ecclesiastical History, ed. M.Chibnall, vol, 1V, Oxford, 1980, pp.276-7; A.Grant and (٢١)

K.J.Stringer: Medieval Scotland: Crown, Lordship and Community, Edinburgh, 1993, pp.20-38.

رحى الحرب فى الجنوب الغربى من اسكتلندا على مدار شهرين^(٢٢)، وكان أهم ما تم تحقيقه فى تلك الحملة هو الاستيلاء على قلعة "كارلافروك"^(٢٣) Carlaverock، ولاسيما بعد نجاح مهمة الرُّسل الاسكتلنديين لدى البابا "بونيفاس الثامن"^(٢٤) Boniface (1294-1303) الذى أصدر خطاباً فى السابع والعشرين من يونيو عام ١٢٩٩م، وادعى فيه أن "اسكتلندا" على وجه التحديد ملك للكرسى البابوى، استناداً على أنها آلت إليه من خلال رفات القديس "أندرو" Andrew، ونفى تبعية اسكتلندا الإقطاعية إلى الملك الإنجليزي^(٢٥).

(٢٢) Stringer, K.J: 'State - building in twelfth - century Britain: David 1, King of Scots, and northern England' in Government, Religion and Society in Northern England, 1000 -1700, ed /J.C. Appleby and P. Dalton, Stroud, 1997, pp.40-6.

(٢٣) كارلافروك: تقع على ساحل الجنوب الغربى لاسكتلندا، عند مصب نهر "نيث" The River Nith، وهى ذات حصانة يعتبر استيلاء الإنجليز عليها إنجازاً لهم؛ ذلك لأنها تمثل نقطة ارتكاز هامة يمكن من خلالها حماية السواحل الشمالية الغربية الإنجليزية.

Michael Prestwich: War, Politics and finance under Edward, London, 1972, p.93.

(٢٤) بونيفاس الثامن: أسمه "بندكت جيتانى" Benedict Gaetani، ولد فى مدينة "أنجنى" Anagni عام ١٢٣٥م الواقعة على بُعد ٥٠ كم جنوب شرق روما فى إيطاليا. وتم ترسيمه فى ٢٤ من ديسمبر عام ١٢٩٤م، كان طاعناً فى السن مغروراً فلم يتورع عن استغلال أموال منصبه فى إثراء ذوى قرياه مما أضر بسمعته وسمعته البابوية، وزاد الموقف سوءاً أن فيليب الرابع ملك فرنسا وإدوارد الأول ملك إنجلترا كانا بحاجة إلى المال بسبب الحروب، وبدأ يفرض ضرائب جديدة على رجال الكنيسة فى بلادهما. وعندئذ أصدر البابا مرسوماً سنة ١٢٩٦م؛ يحرم على رجال الدين دفع أية ضريبة للملوك دون موافقة البابا، علاوة على ذلك رحب البابا بالاسكتلنديين؛ محاولاً إعلان ضم سكتلندا للكرسى البابوى، وتوفى عام ١٣٠٣م.

Faucon, and Thomas: Les registres de Boniface V111, paris, 1884; Rocouain: La Cour de Rome et L'eaprit de reforme arrant Luther, 11, paris, 1895, pp.258-312; Charles T.Wood: Boniface V111, pope, in Dictionary of middle Ages, ed/Joseph R.Strayer, vol, 2, New York, 1983, pp.323-24; Thomas Oestreich: Boniface V111, the Catholic Encyclopedia, vol.2, London, 1907, pp.662-70.

(٢٥) وفسر البابا تنازلات عام ١٢٩١م باعتبارها تنازلات نابعة من خوف سقط على أكثر الناس صموداً، ولو كان الملك الإنجليزي قد أصر على مطالبه؛ كان عليه أن يحيلهم إلى حكم البلاط الرومانى خلال =السة أشهر القادمة.

Scottish Historical Documents, ed.G. Donaldson, Edinburgh, 1970; Watson, F: "The enigmatic

ونظراً لموقف البابا هذا حرص "إدوارد الأول" على تسوية أى خلافات بينه وبين "فيليب الرابع"؛ محاولاً إشعال النزاع من جديد القائم بين بونيفاس الثامن والملك الفرنسى^(٢٦)، وبذلك أتيحت للملك الإنجليزي فرصة التوجه للقضاء على المقاومة الاسكتلندية؛ حيث بدأ فى عام ١٣٠٣م الغزو الحقيقى لاسكتلندا^(٢٧) متوجهاً إلى "سترلنج"، وفرض عليها الحصار، وعلى الرغم من مقاومة الحامية الاسكتلندية ببسالة؛ حدثت فجوة فى أسوار الحصن، فى الرابع والعشرين من يوليو، ألقى المدافعون عن الحصن أسلحتهم، وأعلن الوصى على العرش والعديد من الأيرلات استسلامهم^(٢٨)، ومن المؤكد أن تهديد "إدوارد الأول" لهم بتقسيم أراضيهم على أتباعه الإنجليزي هو الذى أدى إلى هذه النتيجة، ولكن بعد أن أبدى "كومين" وأصدقاؤه رغبتهم فى التنازل، وعدهم الملك بدون تردد بأن يضمن لهم حياتهم وممتلكاتهم^(٢٩).

وبعد أن اطمأن "الملك الإنجليزي" على أن مهمته فى الاستيلاء على اسكتلندا قد انتهت عاد إلى إنجلترا؛ وأمر المحاكم القضائية، التى تم تأسيسها فى "يورك"^(٣٠) York منذ عام ١٢٩٧م، بأن تستأنف جلساتها فى "لندن"^(٣١) London، مما أدى لصمود

Lion:Scotland, Kingship, and national identity in the wars of independence", in Image and Identity:the Making and Remaking of Scotland through tre Ages, ed.D.Broun, R.Finlay and M.Lynch, Edinburgh, 1998, pp.18-37.

Pierre Dupuy:Histoire du differend d'entre le pape Boniface V111 et Philippe le Berey de France, (٢٦) paris, 1655, pp.78-109.

T.Wright: The Chronicle of Pierre de Langtoft, vol, 2, London, 1868, p.326; AnonymaEjusdem (٢٧) Operis Continuatio: Chronico Girardi DeFracheto, R. H.G.F., Tome, 21, paris,1855, p.17; D.Legge: "la piere d'Escoce", Cambridge, 1959, pp.109-13.

Jean Desnouelles, Abbe De Saint-vincent De Laon:Extrait De La Chronique, R.H.G.F., Tome, 21, (٢٨) pp.194 -95.

Calendar of Documents Relating to Ireland, ed H. S. Sweetman, vol, 1, London, 1875; Reynolds, S: (٢٩) "Medieval Origines gentium and the community of the realm", Cambridge, 1983, p.380.

Miller, M: "Matriling by treaty: The Pictish foundation-Legend", in Ireland inMedieval Europe, ed. (٣٠) D. Whitelock, R.Mckttrick and and D. Dumville, Cambridge, 1982, pp.138-42.

(٣١) لندن: من أهم المدن الإنجليزية، تقع فى جنوب شرق إنجلترا.

الأبطال الذين يؤيدون استقلال اسكتلندا ، وفى مقدمتهم "وليم والاس" الذى لعب دورا كبيرا فى صراع عام ١٣٠٣ - ١٣٠٤ م ، ولذلك تم استثناءه من الغفران الذى أشتري به الملك الإنجليزى استسلام كبار النبلاء. وكانت جرأة وبسالة "وليم والاس" هى التى أدت إلى استمرار نضال الاسكتلنديين حتى ربيع عام ١٣٠٥ م ، ولكنه كان يُعد من الخارجين على القانون^(٣٢) ، فكان مبهراً بسبب سيطرته على الشعب ، وبسبب قدرته على تحويل أصغر شرارة للمقاومة إلى شعلة كبيرة فى أى وقت^(٣٣).

وفى النهاية ، أُلقي القبض على "وليم والاس" ، وأُرسل إلى لندن ليقف أمام محكمة شعبية بتهمة الخيانة والتحريض وتدنيس المقدسات والقتل^(٣٤) ، وحاولوا إجباره بشتى أنواع العذاب على طلب العفو من العاهل الإنجليزى ؛ ولكن "وليم والاس" رفض وتم إعدامه ، وبذلك انتهت المرحلة الأخيرة من انتصار "إدوارد الأول" فى اسكتلندا^(٣٥).

ومن ذلك يرى الباحث أن الشهرة الكبيرة التى تمتع بها "وليم والاس" ترجع إلى عصر تبع العصر الذى عاش فيه ؛ فقد كان يمتلك موهبة حقيقية جعلت الشعب الاسكتلندى يحتفل به ، وكأنه البطل الشعبى الذى ناضل فى صراعه من أجل

A.E.J.Hollaender and William Kellaway: Studies in London History, London, 1969; Ben Weinreb and Christopher Hibbert: The London Encyclopaedia, London, 1983; Noelle Watson: London, Dictionary of the middle Ages, ed / Joseph R.Strayer, vol.3, New York, 1989, pp.427-31.

Guillaume De Nangis: Vie De Saint Louis, pp.415-19; Barrow, G.W.S: The Kingdom of Scots: (٣٢) Government, Church and Society from the Eleventh to the Fourteenth Century, London, 1973; R. H.C. Davis: A History of Medieval Europe, From Constantine to Saint Louis, London and New York, 1988, p.378.

T.F.Tout, M.A.: The History of England, from of Accession of Henry 111 To the Death of Edward (٣٣) 111(1216-1377) , The plitical History of England, volume 111, London, 1905,p.226.

Guillaume De Nangis: Vie De Saint Louis, p.419; George Holmes: The Oxford (٣٤) History of Medieval Europe, New York, 1992, p.283.

Ralph A. Griffiths: The Later Middle Ages, (1290 - 1485) , in The Oxford History of Britain, ed. (٣٥) Kenneth O.Morgan, Oxford, 1988, pp.195-96.

الاستقلال ، فقد كانت شجاعته وجراته تتناقض تماماً مع الانتهازية الموجودة لدى كبار النبلاء الذين نسبوا فيما بعد نتائج نضاله لأنفسهم. فكان من عظمه "وليم والاس" أنه كافح فى نضاله ، ودفع ثمن ذلك الكفاح ، وأياما كان الأمر فهو صورة مشرفة لكفاح بطل من أبطال النضال ضد المحتل ، ومثل يحتذى به لحث همم الشعوب والحرص على المواطنة.

وكيفما كان الأمر ، فقد تم عقد جلسة برلمانية إنجليزية ، ومن بين الأحداث التى تم سردها وتسترعى الانتباه "تأسيس مملكة اسكتلندا"؛ حيث دُعى ثلاثة أقطاب اسكتلنديين وهم: "روبرت بروس"^(٣٦) Robert Bruce ، إيرل كاريك Earl of Carrick ، و"روبرت ويشارت" Robert Wishart أسقف Glasgow ، و"حنا موبراي" John Mowbray لى يسدوا نصيحتهم فيما يتعلق بكيفية تمثيل "اسكتلندا" فى البرلمان القادم ، وجرى الاتفاق بأن هناك أسقفين واثنين من رؤساء الأديرة ، وبارونين واثنين من ممثلى الشعب. وقد تم عقد هذا "البرلمان" فى الخامس عشر من سبتمبر، وكان يتكون من عشرين مستشاراً يتبعون لإدوارد الأول والعشرة مندوبين الاسكتلنديين ، ومن خلال المداولات المشتركة التى جرت بين الثلاثين عضواً صدر "المرسوم الذى أقره الملك

(٣٦) روبرت بروس: ولد فى الحادى عشر من يوليو عام ١٢٧٤م، أظهر ولاءه للإنجليز عندما هُزم "وليم والاس" حتى أُتيحت له الفرصة، وجمع الاسكتلنديين تحت لوائه وتصدى للإنجليز حتى هزمهم فى معركة "بانوكبيرن"، وخلال حكم الملك الإنجليزى "إدوارد الثالث" Edward 111 (١٣٢٧-١٣٧٧) م اعترفت إنجلترا باستقلال "اسكتلندا"، وحق "بروس" فى العرش الملكى، وتوج باسم الملك روبرت الأول ملك سكتلندا فى عام ١٣٢٨م، توفي بروس بعد تنويجه بعام واحد تقريباً.

The Acts of Robert 1, 1306-1329, Regesta regum Scottorum, Tome.V, ed / A.A.M.Duncan, Edinburgh, 1987; G.W.S.Barrow:Robert Bruse, the Community of the Realm of Scotland, Edinburgh, 1976, p.152; Hudson, B.T:Kings of Celtic Scotland, Westport, 1994; A.A.M. Duncan: Robert 1 of Scotland (1274 -1329) , The Medieval Dictionary, vol.10, London, 1989, p..426-28; J.P.Kenyon: A Dictionary of British History, New York, 1983, pp.201-2.

بترسيخ أرض اسكتلندا^(٣٧)؛ وبهذا المرسوم جمع الملك الإنجليزي سيادته المباشرة على اسكتلندا بنظام قانونى وإدارى منفصل عن نظام إنجلترا؛ حيث عُيِّن "حنا دى بريتانى" John of Brittany ابن أخت الملك (إيرل ريشموند Richmond) حاكم اسكتلندا وعُيِّن تحتَه مستشار و حاجب للملك ومراقب^(٣٨)، وبعد ذلك انصرف "إدوارد الأول" لإدارة أمور إنجلترا^(٣٩).

ولكن سرعان ما اندلعت عاصفة مفاجئة فى "اسكتلندا"، فبينما ظن الملك الإنجليزي أنها هادئة فى ظل دستورها الجديد؛ كان روبرت بروس يتواصل سراً مع الأعيان الاسكتلنديين، بهدف جعل نفسه ملكاً^(٤٠)، وقد نجح فى التخلص من "حنا كومين" الوصى^(٤١)؛ مما أوجد فجوة عميقة بين "الملك الإنجليزي" و "روبرت بروس"؛

Acts of the Parliaments of Scotland, ed.T.Thomson and C.Innes, vol, 1, Edinburgh, 1819, pp.12-8; (٣٧)
G.O.Sayles: The King's Parliament of England, London, 1975, R.G.Davies and J.H. Denton:The English Parliament in the Middle Ages, Manchester, 1981, Butt, Ronald: A History of Parliament: the Middle Ages, 1989; Duncan.A.A.M:The Nation of Scots and the Declaration of Arbroath.Historical Association Pamphlet, London, 1970, p.9.

Johannis de Fordun:Chronica Gentis Scotorum, ed.W.F.Shene, Historians of Scotland, vol. 1, (٣٨)
Edinburgh, 1871; Richardson, H.G., and G.O.Sayles: Parliaments and Great Councils in Medieval England, 1961; Broun, D:"The birth of Scottish history", London, 1997, pp.4-22.

A.W. Haddan and W.Stubbs:CouncilsandEcclesiasticalDocumentsrelating to GreatBritainand Ireland, Oxford, 1869, p.71; T.F.Tout, M.A.:op.cit, pp.228-32. (٣٩)

(٤٠) فمنذ عام ١٣٠٤م أصبح "روبرت بروس" - عند وفاة أبيه - كبير العائلة . ورغم أنه تمسك طويلاً بالصداية التى حكمت باسم "باليول"، فقد أقام علاقة طيبة مع "إدوارد الأول"، وأخذ دوراً بارزاً فى إحلال السلام فى "اسكتلندا" تحت دستورها الجديد. ولكن السياسة المزدوجة فى وقت رضوخه لإدوارد الأول دفعته للدخول فى تحالف مع "لامبرتون" Lamberton أسقف دير القديس أندروز St.Andrews، وهو من أنصار "وليم والاس" القداماء.

W.M.Hennessy: Chronicon Scotorum, London, 1866; D.Broun, R. Finlay and M. Lynch: "Defining Scotland and the Scots before the wars of independence ", in Image and Identity: the Making and Remaking of Scotland through the Ages, Edinburgh, 1998, pp.4-17.

(٤١) فقد كانت أكبر صعوبة واجهها "روبرت بروس" تتمثل مع الوصى "حنا كومين"؛ حيث كانت عائلتى بروس وكومين على خلاف دائم، وأعتبر كومين - الذى كان ابن أخ للملك "حنا باليول" - ممثلاً لمطالبة باليول

الذى لجأ إلى التلال، وأعلن نفسه مدافعاً عن الاستقلال، وجدد مطالبته بالتاج، وانضم إليه عدد هائل من الناس وبعض الأعيان والأساقفة^(٤٢)، الأمر الذى أزعج الملك "إدوارد الأول"، الذى نادى الكنيسة والدولة أن يتحدا لمواجهة "روبرت بروس" وأعوانه^(٤٣)؛ وقد أصدر البابا "كليمنت الخامس" (1305-1314) (Clement V) قرار

بالعرش؛ ولذلك دعى "بروس" الوصى "كومين" إلى اجتماع في العاشر من يناير عام ١٣٠٦ م بدير الفرنسيسكان في دامفريز Dumfries، والتقى مع قليل من الاتباع في رواق الدير. وتم تبادل العبارات الملتهية، وسحب "بروس" سيفه وجرح "كومين"؛ الذى أحتفى بالكنيسة، وتبعه بعض أصدقاء بروس وذبحوه على درجات مذبح الكنيسة.

A.W. Haddan and W. Stubbs: op. cit, p.74; Sellar, W. D. H: " Celtic Law and Scots Law:Survival and integration", in Scottish Studies, vol, 29, Edinburgh, 1987, pp.21-7.

(٤٢) فقد حثت "روبرت ويشارت" أسقف جلاسجو بقسم ولائه للملك الإنجليزي، وذلك بأن استعمل الأخشاب التى أعطاها "إدوارد الأول" إياه لبناء برج الكنيسة في تجهيز معدات عسكرت لتطويق القلاع التابعة للملك الإنجليزي. هذا فضلاً عن مساعدة "لامبرتون" أسقف دير القديس "أندروز". للمزيد ينظر:

D.Irving: History Ecclesiastica Gentis Scotorum, vol.2, Edinburgh, 1829; J.Raine: Historians of the Church of York and its Archbishops, vol.1, London, 1879; Boyle, A: " St Ninian and St Monenna", London, 1967, pp.147-51.

(٤٣) S. Duffy: " The Bruce brothers the Irish sea world, 1306 - 29",Cambridge MedievalCeltic Studies, vol.21, London, 1991, pp.55-7; J.C. Dickinson: An Ecclesiastical History of Englan: The Later Middle Ages, London, 1979; JohnH.Mundy: Europe in the High Middle Ages 1150 - 1309, New York, 1991, pp.250-53.

(٤٤) كليمنت الخامس: هو "ريموند برتراند دى جوث" Remond Bertrand de Goth ولد في مدينة "فيلناردت" Villandrant في أقطانيا Aquitaine بفرنسا عام ١٢٦٤م، من أسرة نبيلة، أصبح رئيس أساقفة "بورديو" Bordeaux منذ عام ١٢٩٩م، ثم انتخب لمنصب البابوية باسم "كليمنت الخامس" في الخامس من يونيو عام ١٣٠٥م، وأبدى كياسة تجاه الملوك الذين وقفوا بشدة ضد صرامة سابقيه؛ حيث رفض زيارة إيطاليا، واستلم التاج البابوى في "ليون" Lyons، وقضى السنوات الأولى من تنصيبه في "بواتو" Poitou و"جاسكوني" Gascony، وظهرت تبعيته لملك إنجلترا وكذلك اتجاه ملك فرنسا. للمزيد =يراجع:

Bliss: "Calendar of Ecclesiastical Documents relating to England, 1893; Regestrum Clementis Papae, 9 vols, London, 1885-1888; G.Hance: The Fall of the Kinghts of the temple in Dublin Review, London, 1895, pp.329-46; Thomas J.Shahan: Clement V(1305-1314) , the Catholic Encyclopedia, vol.4, London, 1910, pp.20-3; Edward A.Synan: Clement V, pope (1264-1314) , Dictionary of the middle Ages, vol.3, New York, 1989, pp.438-9.

حرمان ضد "روبرت بروس"^(٤٥)، وأرسل الملك "إدوارد الأول" ابن عمه "إير" Eymer إيرل بيمبروك Pembroke لملاقاة الزعيم الاسكتلندي بما هو مستعد من القوات. وفي السادس والعشرين من يونيو عام ١٣٠٦م انقضض أمير على بروس، وأذاقه هزيمة مريرة^(٤٦) مما دفع الأخير للفرار^(٤٧).

ولكن سرعان ما ظهر "روبرت بروس" في مايو عام ١٣٠٧م، وانتقم لهزيمته بتوجيه ضربة لأير بالقرب من "أير"^(٤٨) Ayr، وخلال ثلاثة أيام حقق نصراً آخر على صهر الملك الإنجليزي الأيرل "روبرت جلوكستر" Robert of Gloucester، مما دفع "إدوارد الأول" لحشد الجنود ليلتقوا في "كارليس" ، وفي "برجون- ساندس" Burgon-Sands الواقعة على بُعد سبعة أميال من كارليس، وفي السابع من يوليو لفظ "إدوارد الأول" أنفاسه الأخيرة^(٤٩) تاركاً القضية الاسكتلندية تدخل في مرحلة

(٤٥) G.Hance: op.cit, p.346; Thomas J.Shahan: op.cit, p.22.

(٤٦) A.Cheruel: Chronico Sanctae Catharinae De Monte Rotomagi, R. H.G. F., Tome, 23,p.406; R. James:The Matter of Scotland:Historical Narrative in Medieval Scotland, Lincol,1993; Nicholson, R: "A Sequel to Edward Bruce's invasion of Ireland", London, 1963, pp.30- 40; G.W.S.Barrow: op.cit, p.379; S.Duffy:op. cit, pp.64-5.

(٤٧) فقد احتفت قوة المطالبة بالعرش سريعاً؛ حيث وضع أسقف دير القديس أندريوس وجلاسجو في السجن، ووقع أخوة روبرت بروس وزوجته وابنته في أيدي الإنجليز؛ الذين بادروا بقطع رقاب الإخوة، رغم أن أحدهم كان قساً، بينما تم الحفاظ على النساء في دير إنجليزى للراهبات. على حين فر "روبرت بروس" بنفسه إلى "كينتاير" Kintyre، ومن هناك إلى جزيرة "راثلين" Rathlin، منطلقاً إلى ساحل أنتريم Antrim.

J.Stevenson:Documents Illustrative of the History of Scotland, 1286-1306, vol.2, Edinburgh, 1870, p.207; Alexander Grant: Independence and Nationhood: Scotland, 1306-1469, London, 1984; G.W.S. Barrow: Kingship and Unity: Scotland 1000-1306, London, 1981, p.105

(٤٨) أير: منطقة تقع في جنوب غرب سكتلندا.

Philippo Labbeo: Chronici Rotomagensis Continuazione, R.H.G.F., Tome, 23, p.347.

(٤٩) Reine Marguerite: Vie De Saint Louis, R. H.G. F., Tome, 20, p.117. n.1; Chronico Rotomagensi, R.H.G.F., Tome, 23, p.347; Landulphi De Columan:op.cit, p.194; D. M. Stenton: English Society in the Early Middle Ages 1066 - 1307, Oxford, 1952; Alexander Grant: "Crown and nobility in Late medieval Britain",in Scotland and England 1286 -1815, ed.R.A.Mason, Edinburgh, 1987, pp.34-59.

استكمالية لجهادها ضد المحتل الإنجليزي في عهد الملك "إدوارد الثانى" Edward 11 (1307-1327)م^(٥٠) الذى فور توليه السلطة عبر إلى "دامفرايز" Dumfries بجنوب اسكتلندا ؛ حيث بذل له بعض البارونات الاسكتلنديين - الذين لم ينضموا إلى روبرت بروس - قسم الولاء^(٥١) الأمر الذى أدى لتخلى هذا الملك عن إدارة الحرب شخصياً وعاد إلى إنجلترا ؛ مما دفع هؤلاء الذين بايعوه فى التحول إلى "روبرت بروس" الذى حقق تقدماً ملحوظاً ؛ فقد انضم إليه عدد من الأقطاب الاسكتلنديين ، كما أيده عدد من حكام الحصون المبعثرة ، التى لم تكن مزودة جيداً بالحاميات الإنجليزية^(٥٢) ومن ذلك يتضح مدى يقظة الاسكتلنديين فى تلك الفترة ، مع تغير موقف "روبرت بروس" ؛ الذى ظهر زعيماً يتربص بعدوه ، ويكون رد فعله حسب قوته وما تراه له من قوة خصمه ، ويبدو ذلك بوضوح فيما بعد.

فعندما أدرك الملك "إدوارد الثانى" ازدياد تكتل الاسكتلنديين ؛ خرج فى عام ١٣٠٩م متقدماً إلى "روكسبورج" ، وفرض سيطرته على جنوب شرق سكتلندا ، مما

(٥٠) إدوارد الثانى: ولد عام ١٢٨٤م فى مدينة كارنارفون Caernarvon بمقاطعة ويلز، وكان أصغر أبناء "إدوارد الأول" من الذكور، والوحيد الذي بقي منهم على قيد الحياة فغدا ولي العهد بعد بضعة أشهر من ولادته، إلا أنه شب مخيباً لآمال والده المحارب. فلم يكن إدوارد الثانى فى مستوى المسؤولية، وتسبب فى مواجهات مع النبلاء الإنكليز؛ أسفرت عن اندلاع حرب أهلية. للمزيد عن فترة حكمه يراجع:

VitaEdwardiSecundi, ed / N.Denholm-Young, London, 1957, p.3; The Political Songs of England, from the Reign of John to that of Edward 11, ed.and trans.T.Wright, London, 1839, pp.316-70; Hallam, Elizabeth M:The Itinerary of Edward 11 and His Household, 1307-1328, London, 1984; T.F.Tout, M.A.:The Place of the Reign of Edward 11 in English History, London, 1936; Thomas Gray:Scalacronica:the Reigns of Edward 1 and Edward 111, trans.H. Maxwell, Glasgow, 1907; Michael Prestwich:The Three Edwards:War and State in England, 1272-1377, London, 1981, pp.79-295;Charles T.Wood:Edward 11 of England (1284-1327) , Dictionary of the Middle Ages, ed /JosephR. Strayer, vol.3, New York, 1989, p.397

AnonymaEjusdemOperisContinuatio: op. cit., p. 28; C.Warren Hollister: Medieval Europe, A Short History, New York, 1990, p.313.

F. E. Halliday: A Concise History of England from Stonehenge to the Atomic Age Great Britain, (٥٢) 1980, p.62.

دفع "روبرت بروس" إلى الاختباء بين الجبال والمستنقعات متحياً فرصة للتصدي للقوات الإنجليزية^(٥٣).

ومن ذلك يرى الباحث أن الاسكتلنديين بقيادة "روبرت بروس" في تلك الفترة اتسموا بالحنكة والذكاء ، وأدركوا أن القوة ليست بعدد الحصون والجنود ، ولكن الأفضل تحين الفرص لمباغطة العدو حتى يمكنهم إحراز النصر وتحقيق مطالبهم وأهدافهم ، ولا سيما أن عدوهم قوة لا يستهان بها. ولعل مرجع ذلك هو حرص الاسكتلنديين على عدم تكرار ما حدث مع "وليم والاس" فأثروا التحين للوقت المناسب للتصدي للإنجليز حرصاً على نجاح كفاحهم وتوجيه بالاستقلال.

ومما يؤكد ذلك ما قام به الاسكتلنديون في عام ١٣١١م من سلب مدن شمال إنجلترا ، وإرغام سكانها على دفع أموال باهظة مقابل عدم تعرضهم لهجمات اسكتلندية لاحقة^(٥٤) ، مما ساعد الاسكتلنديين على عزل الحاميات الإنجليزية بحرص ، وتمكنوا من خلال هجوم عسكري الاستيلاء على "بيرث" في يناير عام ١٣١٣م ، وقام "روبرت بروس" بذبح أعيان السكان الأصليين المواليين للإنجليز ، بينما سمح للسكان الإنجليز بالعودة أحراراً إلى بلادهم^(٥٥).

مما سبق يتضح مدى قوة الاسكتلنديين في ذاك الحين ، هذا فضلاً عن حنكة "روبرت بروس" العسكرية التي دفعته أولاً لمهاجمة شمال إنجلترا ، والذي يمثل خطاً فاصلاً بين جنوب اسكتلندا التي تنتشر بها غالبية الحاميات العسكرية الإنجليزية ، وبين الملك الإنجليزي وأعظم قاداته في لندن ، وبالتالي ما قام به من هجمات على الشمال

(٥٣) Jacques Le Goff: Medieval Civilization 400 - 1500, Translated by Julia Barrow, Paris, 1964, p.320.

(٥٤) Documents Illustrative of English History in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, ed. H. Cole, London, 1844; John Morrill: The Nature of the English Revolution, London and New York, 1993,

p.296; F. E. Halliday: op. cit., p.62.

(٥٥) Extrait D'une Chronique Anonyme, R.H.G.F., Tome, 21, Paris, 1855, p.128.

الإنجليزى يعتبر محاولة منه لإظهار قوته من جهة ، ومن جهة أخرى لكى يؤمن محاولاته فى الاستيلاء على الحصون الإنجليزية بجنوب اسكتلندا ، وإلا لقامت مدن شمال إنجلترا بمساعدة الحصون الإنجليزية بجنوب اسكتلندا فى التصدى للاسكتلنديين ، فكأن "روبرت بروس" بذلك أمن خط هجومه من أى تحالف إنجليزى . هذا عن مهاجمة مدن شمال إنجلترا ، أما عن حُسن معاملته للإنجليز فى الحصون التى استردها فى جنوب اسكتلندا ، فهذا دليل على حنكته السياسية ؛ فقد أراد توضيح هدفه الأساسى من ذلك وهو تحرير أراضى اسكتلندا من الاحتلال الإنجليزى ، ومن ثم يتعاطف هؤلاء الإنجليز مع قضية الشعب الاسكتلندى فى أحقيته بالتمتع بالحرية والاستقلال ، وبذلك يمكنه إثارة جبهة معارضة من الإنجليز أنفسهم ضد الاحتلال الإنجليزى لاسكتلندا ، فى نفس الوقت الذى نكل فيه بأعيان الاسكتلنديين من أهل تلك المدن الموالين للإنجليز ، مما يظهر قوته كقائد جسور لن يتهاون فى حق بلاده مع أى خائن تحالف مع العدو الإنجليزى ؛ ولكى يكونوا عبء لباقى سكان المدن الأخرى فيتركوا التحالف مع الإنجليز ، ويحرصوا على الانضمام للقوات الاسكتلندية . حتى يمكنه التصدى بمنتهى القوة لتصفية الكيان الإنجليزى فى اسكتلندا دون القلق من أى محاولة خيانة يمكن أن يتعرض لها تعوق تحقيق الاستقلال.

واستكمالاً لهذه السياسة ضاعف "روبرت بروس" جهوده لاسترداد الحصون الاسكتلندية التى مازالت فى قبضة الإنجليز ، ولقيت جهوده نجاحاً ملحوظاً ؛ ففى فبراير عام ١٣١٤م تم الاستيلاء على معقل "روكسبورج" الحدودى من خلال هجوم ليلى ، وقام الاسكتلنديون بتسوية القلعة بالأرض^(٥٦).

ويرى الباحث أن ما فعله "روبرت بروس" من هدم تحصينات تلك المدينة الهامة يُنم عن فطنته وحنكته العسكرية ؛ حيث إن هذه المدينة تقع على الحدود بين "إنجلترا" و"اسكتلندا" وبالتالي إذا تركها على قوتها بعد استردادها ربما تمكن الإنجليز من الاستيلاء عليها ثانية واتخاذها قاعدة لإمداد القوات الإنجليزية داخل "اسكتلندا"، ولكن هدم تحصيناتها يمنع إنجلترا من بسط نفوذها على الجنوب الاسكتلندي. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن أن يتخذها الاسكتلنديون بداية تصفية الكيان الإنجليزي في "اسكتلندا".

ولعل ما يؤكد ذلك ما جرى من أحداث ، حيث توجه الاسكتلنديون إلى شمال حصن "روكسبورج" حتى وصلوا إلى قلعة "إدنبرج" Edinburgh الواقعة على الساحل الشرقي لاسكتلندا ؛ ذات الموقع المميز حيث تطل على أحد الخلجان الاسكتلندية الشرقية ، وتمكنوا من تسلق أسوارها وتغلبوا على الحامية الإنجليزية لها ، واستولوا على القلعة^(٥٧) ، ولعل هذا النجاح دفع "روبرت بروس" إلى حصار "سترلنج" التي بها أكبر حامية إنجليزية تسيطر على قلب "اسكتلندا" ، وأحكم حصارها ، في نفس الوقت الذي دمر فيه اسكتلنديون بقيادة "إدوارد بروس" - وهو أخ لـ "روبرت بروس" - البلاد حول "كارليس" ^(٥٨).

وبناءً على ذلك ، يرى الباحث أن توجه الاسكتلنديين إلى معاقل وسط "اسكتلندا" الخاضعة للقوات الإنجليزية عمل يوضح مدى مهارتهم العسكرية وحُسن قيادتهم ؛ حيث أرادوا بذلك إثارة الإنجليز ، وإجبارهم على القتال معهم ، ولكن في الموقع الذي يحدونه هم ، ألا وهو وسط "اسكتلندا". وذلك لأن الاسكتلنديين سيطروا

(٥٧) Norman Davies:Europe A History, New York, 1996, p.407; F. E.Halliday:op.cit., p.62.

(٥٨) Sanctae Catharinae: Chronico Sanctae Catharinae De Monte Rotomagi, R. H. G. F.,Tome, 23, p.409; Norman Davies:op.cit., p.408.

على جنوب "اسكتلندا" وحطموا أهم حصن إنجليزى بها، وبذلك يُعد قتال الإنجليز فى وسط "اسكتلندا" حرباً غير مأمونة العواقب، ومن الصعب حصول القوات الإنجليزية على مؤن ومساعدات ولاسيما أن الاسكتلنديين سيطروا على معظم الحصون الشرقية، بالتالى يمكنهم إحكام قبضتهم على الإنجليز بماينذر ببوادى الاستقلال الاسكتلندى من الاحتلال الإنجليزي.

ولعل قوة الاسكتلنديين فى ذلك الوقت، وبهذا الحجم صارت خطراً يهدد الكيان الإنجليزي فى "اسكتلندا"، مما دفع الملك "إدوارد الثانى" إلى أن يُعد العدة للتصدى لهم؛ لذلك بادر باصطحاب فيألفه وأقام على بُعد بضعة أميال جنوب "سترلنج"، وفى يوم الأحد الموافق الثالث والعشرين من نفس الشهر تصدوا لقوات "روبرت بروس" محاولين فك الحصار الاسكتلندى لسترلنج؛ فأرسلوا قوة إنجليزية بقيادة قائد يدعى "هنرى بوهان" Henry Bohun الذى قُتل على أيدي القوات الاسكتلندية، وتشتت قواته. ولذلك انسحب الإنجليز إلى مخيمهم^(٥٩).

ومن تلك الأحداث يرى الباحث أن الملك "إدوارد الثانى" أدرك مدى قوة الاسكتلنديين تحت سيادة "روبرت بروس" وأنه يتحتم عليه تنسيق قواته، واتخاذ موضع آخر للقتال؛ وذلك لأن ردود فعل الزعيم الاسكتلندى على قوات الملك الإنجليزي توضح سيطرة الاسكتلنديين على الموقف، وأنه من الصعب على الإنجليز السيطرة على وسط "اسكتلندا" كما كان فى السابق. ولعل ذلك ما سوف توضحه الأحداث التالية.

فقد أدرك "روبرت بروس" مدى إصرار الإنجليز على القتال من أجل الحفاظ على سيادتهم على اسكتلندا، لذلك خرج لقتالهم محاولاً تصفية الكيان الإنجليزي فى

بلاده، وبالفعل ترك "روبرت بروس" موضعه وتقدم نحو التل المنخفض الذى يربط المنحدر الشمالى بالغدير الصغير، الذى يُطلق عليه اسم "البانوكبيرن" Bannockburn الذى يجرى على بُعد ميلين جنوب "سترلنج" فى مجراه صوب نهر "الفورث" (٦٠).

ومن ذلك يستنتج الباحث أن اختيار "روبرت بروس" هذا الموضع للقتال مع الإنجليز يُنم عن ذكائه العسكرى وبُعد نظره الحربى؛ حيث بادر هو بالاقتراب من الإنجليز، بذلك يظهر لهم مدى جسارته وأنه لا يهاب لقاءهم، وبالتالى يُلقى الرعب فى قلوب الجنود الإنجليز، فى نفس الوقت اختيار "بانوكبيرن" للقتال وهو موقع مميز يجاوره تلال مرتفعة بالتالى يمكنه ترك جزء من جنوده للقتال مع الأعداء، وفى نفس الوقت يستطيع اعتلاء تلك التلال ويشارك بالقتال فى الوقت المناسب بعد استنزاف قوى الإنجليز. كما أن "بانوكبيرن" موقع يطل على أحد فروع نهر الفورث، وبالتالى يمكن استخدام مياه النهر كحد طبيعى أثناء المعركة، وربما ساعده على عدم تعرض الجنود للعناء، لاسيما أن القتال كان فى الصيف. وكيفما كان الأمر فاختيار بانوكبيرن للقتال كان أمراً موفقاً بالنسبة للاسكتلنديين، وهذا ما سوف تؤكده الأحداث.

معركة "بانوكبيرن" تعتبر من أهم المعارك التى خاضتها إنجلترا فى تاريخها الوسيط؛ لما لها من نتائج لاتتناسب مع مقدماتها، ومن ذلك تفاوت القوى بين الجانبين المتصارعين، فقد كان الجيش الإنجليزى يتكون مما يقرب من عشرين ألف مقاتل؛ حيث ضم ألفين من الفرسان وسبعة عشر ألف وخمسمائة جندى من المشاة،

H. G. Koenigsberger and Asa Briggs: Medieval Europe, 400 - 1500, New York, 1987, p. 232; (٦٠)

Norman Davies: op.cit., p.408.

بينما كان عدد الاسكتلنديين خمسة آلاف من المشاة، وحوالى خمسمائة من الفرسان^(٦١).

ومن خلال ما ورد فى المصادر المعاصرة للحدث يرى الباحث عدم التوازن بين كلا الجانبين فى عدد الجنود؛ الأمر الذى يدل على اهتمام الملك الإنجليزى بأحوال "اسكتلندا"، وأنه أصبح يشعر بخاطر من ازدياد قوة الاسكتلنديين، بالتالى أعد العدة لملاقاتهم بأعداد غفيرة من الجنود حتى يمكنه من سحقهم، وفى الوقت نفسه نجد تضائل قوة الاسكتلنديين بقيادة "روبرت بروس" بالمقارنة بقوة الإنجليز، وربما كان السبب فى ذلك - حسبما تذكره المصادر - قيام الزعيم الاسكتلندى بتوزيع بعض جنوده للحفاظ على القلاع التى استردها من الإنجليز فى شرق "اسكتلندا"، وكذلك تركه أخاه "إدوارد بروس" بجزء من القوات لمحاصرة حصن "سترلنج"^(٦٢)، بالتالى كان "روبرت بروس" يعد العدة لملاقاة الإنجليز بكل ما أوتى من قوة دون الاكتراث بتفاوت الأعداد، وربما كان دافعه لذلك مدى تأكده من حماس الاسكتلنديين، هذا فضلاً عن حنكته العسكرية، وهذا ما سوف توضحه تخطيطات المعركة.

فقد حرص "روبرت بروس" على تقسيم جنوده إلى ثلاثة فيالق: اثنان منهما فى الأمام جنباً إلى جنب؛ فيلق الميسرة بقيادة شخص يدعى "دوجال" Douglas، وجانب اليمين تحت قيادة "موراي" Moray القائد الذى اشتهر بقوته، فى الوقت الذى خرج فيه

(٦١) Trudy Ring: International Dictionary of Historic Places, vol.2, Northern Europe, U.S.A and U.K, 1995, p.703; Plantagenet Somerset Fry: 2, 000 years of British Life, A Social history of England, Wales, Scotland and Ireland, London, 1979, p.184.

(٦٢) Sanctae Catharinae: op.cit., pp.409-10; Davies, R.R.:Conquest, Coexistence and Change:Wales 1063-1415, Oxford, 1987; Robert S.Hoyt and Stanley Chodorow:Europe in the MiddleAge, New York, 1976, p.575; F.E.Halliday:op.cit., p.63.

"روبرت بروس" نفسه على رأس الفيلق الخلفى^(٦٣)، الذى كان يعتبر احتياطياً^(٦٤)، ونظراً لعدد المشاة الاسكتلنديين الذى يفوق عدد الفرسان حرص "روبرت بروس" على حمايتهم بحائط من التروس وحاجز من الرماح، حيث كان الجنود يرتدون ملابس خفيفة ودروعا، إلى جانب رماحهم^(٦٥).

ومن ذلك يتبين أن "روبرت بروس" بأسلوبه العسكرى فى تقسيم قواته لتلك الأقسام فضلاً عن تسليحهم بهذه الأسلحة أبرز حنكته العسكرية والحربية، بالإضافة إلى الإيحاء بأنه خرج بكل قواه ليتصدى للإنجليز بكل ما أوتى من قوة مما يوضح أن الاسكتلنديين خرجوا لقتال مستميت. بمعنى أنهم كانوا حريصين على التفوق العسكرى، وإحراز النصر لتحقيق هدفهم فى تحرير بلادهم من وطأة الاحتلال الإنجليزى. ويبدو من ذلك جلياً أن "روبرت بروس" وجنوده كانوا يقدرّون جيداً قوة عدوهم، وحاولوا بشتى السبل الكفاح من أجل حريتهم، ويظهر ذلك من خلال سياق الأحداث.

فقد شارك الإنجليز فى معركة "بانوكبيرن" بجيش من أربعة فيالق؛ ثلاثة أقسام فى الأمام: ميمنة وميسرة وقلب، وقد عُهد بكل قسم منهم إلى قائد عُرف بقوته العسكرية؛ فقد كانت الميمنة تحت قيادة "كليفورد" Clifford، بينما كانت الميسرة بزعامة كلاً من "روبرت جلوكيستر" Robert of Gloucester و"همفري هيرفورد" Humphrey of Hereford، والقلب يقوده "إيمر بيمبروك" Aymer of Pembroke، على

J. R.Green M. A: A Short History English People, vol.1, London, 1898, p.366; Sanctae Catharinae: (٦٣) op.cit., p.410; David Nicholas: The Medieval World: Society, Government and Thought in Europe, 312- 1500, London and New York, 1992, p.446.

T.F.Tout, M.A.: op.cit., p.260. (٦٤)

Geffroi De Paris: Chronique Rimee, R.H.G.F., Tome, 22, p.148; R.Frame: Colonial Ireland 1169 - (٦٥) 1369, Dublin, 1981; Peter Crookston: The Ages of Britain, London, 1983, p.77.

حين كان القسم الرابع من الجيش بقيادة الملك الإنجليزي "إدوارد الثانى" خلف الفيالق الثلاثة^(٦٦).

ومن ذاك التقسيم للجيش الإنجليزي يستنتج الباحث أن القوات الإنجليزية كانت على قدر كبير من التجهيزات لملاقاة الاسكتلنديين بقيادة "روبرت بروس"، ولعل تلك الاستعدادات العسكرية الإنجليزية توضح مدى تقدير الإنجليز لقوة الاسكتلنديين، وأن زعيمهم أصبح يمثل مصدر قلق للتواجد الإنجليزي فى اسكتلندا، بالتالى كانت معركة "بانوكبيرن" معركة وجود بالنسبة للجانبين المتصارعين.

فمنذ أن ازدادت قوة الاسكتلنديين بقيادة "روبرت بروس" أخذ الإنجليز فى التأهب للتصدى لتلك القوة محاولين سحقها؛ وذلك بأن قام الملك "إدوارد الثانى" باستدعاء ما يقرب من عشرين ألف من مشاة المقاطعات الإنجليزية الشمالية ومن مقاطعة "ويلز" بجنوب غرب إنجلترا، سرعان ما تجمع أكبر عدد من الفرسان فى "بيرويك" Berwick الواقعة على الشاطئ الشرقى لجنوب اسكتلندا، وخرجوا جميعاً ومعهم العديد من العربات^(٦٧)، وكما ذكرت المصادر المعاصرة لووضعت العربات المتعددة فى صف واحد لاحتلت مساحة عشرين فرسخاً^(٦٨).

وعلى ما يبدو أن مظهر هذا الجيش وعدده حفز الملك الإنجليزي، وقادته بأقصى ثقة^(٦٩)، لاسيما أن الجيش قد بدأ فى التحرك من "بيرويك" منذ أقل من أسبوع قبل اليوم المحدد، وقد وصف أحد المؤرخين «أن الملك [إدوارد الثانى] تحرك ليس كما لو كان يقود

(٦٦) W.A.Wright: The Metrical Chronicle of Robert of Gloucester, vol, 1, London, 1889; Peter Crookston: op.cit., p.77; Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon: op.cit., pp.195- 96; Geffroi De Paris: op.cit., p.148; J. L. Bolton: The Medieval English Economy 1150- 1500, London, 1980; G.F.Maine: A Book of Scotland, London, 1950, p.81.

(٦٧) George Macaulay Trevelyan, O.M: History of England, London, 1937, p.220.

(٦٨) Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon: op.cit., P.196.

(٦٩) T.F.Tout, M.A.: op.cit., p.259.

جيشاً إلى معركة، ولكن كما لو كان ذاهباً إلى الأراضى المقدسة»^(٧٠)، وكان هناك توقف قصير للنوم، وتوقف أقصر لتناول الطعام^(٧١)، لذلك استهلكت الخيول وعانى الخيالة والمشاة من التعب والجوع، بالإضافة لذلك خروج الملك على رأس الجيش دفع "هيرفورد" و"جلوكيستر" للتنازع على المكانة التي تلى مكانة الملك في قيادة الجيش^(٧٢).

ويبدو أن تلك الأمور التي تعرض لها الجيش الإنجليزي قد أثرت على أدائه في القتال على الرغم مما اتسم به من القوة وكثرة العدد؛ حيث حفر الاسكتلنديون خنادق أمام الخطوط الاسكتلندية، وقد تم تغطيتها بسياج ضعيفة لا تتحمل ثقل محارب مكسو بالدرع وجواده، وتم إصدار الأوامر للعديد من الخيالة الموجودين في المؤخرة بالترجل على أن يأخذ كل رجل منهم مكانه في الصف الكبير، حيث ينبغي عليهم أن يمتطوا جيادهم في حذر حينما يرون تفوق عدد جياد أعدائهم^(٧٣).

ومن ذلك يرى الباحث أن الاسكتلنديين في تلك المعركة وضعوا خططاً عسكرية تدل على ذكائهم، وأنهم كانوا على دراية بأساليب قتال الإنجليز، وهذا يوضح أن "روبرت بروس" قد استفاد كثيراً وجنوده من محاولات الاشتباك السابق مع الإنجليز، هذا فضلاً عن مدى معرفتهم بنظم الإنجليز الحربية؛ والتي ظهرت جلياً في معركة "فالكيرك"، وما نتج عنها من هزيمة الزعيم الاسكتلندي الأسبق لحركة التحرير "وليم والاس". مما يؤكد أن الاسكتلنديين طوال الفترة السابقة كانوا يخططون لكيفية

(٧٠) Johanne Parisiensis: Excerpta E Memoriali Historiarum, R.H.G.F., Tome, 21, paris, 1855, p.659.

(٧١) G.F.Maine: op.cit., p.81.

(٧٢) W. Stubbs, M. A: The Annals of England and Epitome of English History, Oxford and London, 1870, p.557; David Nicholas: The Medieval World: Society, Government and Thought in Europe, 312- 1500, p.446; Plantagenet Somerset Fry: op.cit., p.184.

(٧٣) Walter Hutchinson, M.A., :Story of the British Nation, vol.1, London, 1870, p.430; J.Barke: Poems and Songs of Robert Bruce, London, 1955, p.629; Sanctae Catharinae: op.cit., p.410; H.G. Koenigsberger and Asa Briggs: op.cit., p.232.

التصدى للقوات الإنجليزية ، بل هزيمتهم ؛ وذلك لأنهم قاموا بحفر الخنادق لتحسين قواتهم فى حالة هجوم القوات الإنجليزية عليهم ، وجعل بعض الخيالة فى حالة ترحل فى المقدمة ، وعليهم أن يمتطوا جيادهم فى حالة هجوم عدد كبير من فرسان العدو ، ولعلهم أرادوا بذلك خديعة الإنجليز بأن الصفوف الأمامية للاستكتلنديين مشاة ، وهذا دليل على أن تخطيط الإنجليز العسكرى أن يكون مقدمة جيشه من الفرسان ، وكذلك فى حالة هجوم تلك الفرسان الإنجليزية على مشاة الاستكتلنديين يمتطى الفرسان المترجلين جيادهم لمحاربتهم ، وإذا ما تقدم الإنجليز أكثر تعرضوا لرمح الجنود الاستكتلنديين التالين الذين اتخذوا منها ستاراً لكى تعوق جنود العدو وتكون بمثابة حاجز لهم ، وهذا ما سوف يترأى من خلال معركة بانوكبيرن.

على الرغم من أن الاستكتلنديين كانوا أقل عدداً من الإنجليز ، إلا أنهم كانوا جيشاً منظماً ؛ وكان قائدهم رجلاً ذا بصيرة وخبرة عسكرية نادرة^(٧٤) حتى إن الإنجليز بمجرد وصولهم موقع القتال رأوا أنفسهم على وشك تلقى هجوم ، ولكن "روبرت جلوكيستر" حث الملك "إدوارد الثانى" على تأجيل النزال ليوم واحد ؛ حتى يتسنى للجيش الحصول على الراحة من التعب الذى يعانون منه ، لكن "الملك الإنجليزى" أصدر أوامره بالتحرك على الفور^(٧٥) ، وأرسل الرماة فى مقدمة سلاح الفرسان ، وعندما رأى "روبرت بروس" أن رماح الإنجليز كانت تشيع الخراب والدمار بين صفوفه القوية ؛ قاد خياله للهجوم على الجناح الأيسر للرماة الإنجليز^(٧٦) ، وعلى الفور ارتبك هؤلاء الرماة الذين لا يملكون الدعم

(٧٤) T.F.Tout, M.A.:op.cit., p.260.

(٧٥) C. Innes: Origines Parochiales Scotiae, vol.1, Edinburgh, 1851; Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon: op.cit., p.196; Johanne Parisiens:op.cit., p.660; T.F.Tout, M. A.: op.cit., p.261.

(٧٦) Chroniques de Saint-Denis, Depuis 1285 Jusqu'en 1328, R.H.G.F., Tome, 20, pp.691-92; Geffroi De Paris:op.cit., p.148; Wilhelm Dibelius: England, tran / Mary Agnes Hamilton,M.P., Introduction by/A.D.Lindsay, London, 1930, p.527.

الكافى ، لذلك تركوا الساحة للخيالة لعمل ما يترأى لهم^(٧٧) ، وفى تلك الأثناء تقدم المسلحون الإنجليز فى ثلاث فيالق ؛ أولهم بدأ فى التحرك والاشتباك وسقط عدد كبير منهم داخل الحُفر التى أعدها لهم الاسكتلنديون ، كما تمكنت التروس والرماح الاسكتلندية من كسر هجوم كل الإنجليز الذين حاولوا اجتياز تلك العراقل^(٧٨) .

على الرغم من ذلك فقد حارب القائد الإنجليزى "روبرت جلوكيستر" ببسالة نادرة ، ولكن جنوده لم يتبعوا تعاليمه بدقة ؛ مما أدى لذبح جواده تحته ، ثم طرحه أرضاً وقتله ، وعندئذ تفهقرت القوات الإنجليزية التى كان يقودها مذعورة من ساحة القتال^(٧٩) وتقدم الاسكتلنديون بكل قوة وشجاعة حتى أدركوا أن الإنجليز لم يتعافوا من الفوضى التى سادت وزجت بهم إلى أول كارثة^(٨٠) ، وفى الوقت الذى دارت فيه هذه الحوادث ؛ قام الفيلقان الإنجليزيان الثانى والثالث بالاشتراك فى القتال ، لكن القوات الاسكتلندية حالت دون تحقيق المواجهة بين الطرفين ، وعندئذ شعر الملك الإنجليزى "إدوارد الثانى" ببوارد الهزيمة ، ونظراً لموقعه فى المؤخرة ؛ فقد فرَّ هارباً من ساحة القتال ، ولم يتوقف على الإطلاق إلى أن وصل إلى "أدنبرج" ، حينما ركب البحر متوجهاً إلى "بيرويك"^(٨١) .

W.A.Wright: The Metrical Chronicle of Robert of Gloucester, vol, 2, London, 1887, p.735. (٧٧)

Ralph of Coggeshall: Chronicon Anglicanum, ed. J. Stevenson, London, 1875; Jean Desnouelles, (٧٨)
Abbe De Saint - Vincent De Laon: op.cit., p.196; Birdsall S.Viault: English History, London,
1992, p.74; F.E.Halliday:op.cit., p.63.

Guilleimi De Nangiaco: Continuatio Chronici, R.H.G.F., Tome, 20, p.610; Registrum Episcopatus (٧٩)
Glasguensis, ed.C.Innes, vol.1, Edinburgh, 1843; W.A.Wright:op.cit., vol.2, p.736;
JohanneParisiensi: op.cit., p.660; WilhelmDibelius:op.cit., p.530.

T.F.Tout, M.A.:op.cit., p.261. (٨٠)

Guilleimi De Nangiaco: op.cit., p.610; A.M.Chambers.F.R.H:Constitutional History of England, (٨١)
London, 1923, S.Viault: op.cit., p.74. p.145; Norman Davies: op.cit., p.409; Birdsall England,
London, 1923, S.Viault:op.cit., p.74.

ومن خلال سياق تلك الأحداث يرى الباحث أن التخطيط الاسكتلندى العسكرى كان أفضل من نظيره الإنجليزى ؛ فقد حرص الاسكتلنديون على جعل الصفوف الأمامية أغلبها من المشاة مع تأخير الفرسان لاستعمالهم فى الوقت المناسب ، ونظراً لنظام الاسكتلنديين فى تسليح المشاة بالرمح فضلاً عن التروس الأمر الذى ساعدهم فى إحداث الفوضى فى الصفوف الأمامية للجيش الإنجليزى ، و السبب فى ذلك أن التخطيط الإنجليزى العسكرى كان على العكس من مثيله الاسكتلندى ؛ حيث جعل الإنجليز الفرسان فى الأمام ثم يليهم المشاة ، ولعل ذلك يؤكد لنا أن الجانب الإنجليزى لم يُدخل أى تطور على خطته العسكرية التى اتباعها من قبل فى معركة "فالكيرك" ، ولكن يبدو أن الإنجليز أتبعوه لما حققه لهم من انتصار على الاسكتلنديين بقيادة "وليم والاس" ، مما يوحى بأن الإنجليز لم يكن لديهم معرفة تامة بمجريات الأمور داخل "اسكتلندا" آنذاك ، إن ما جرى يؤكد مدى معرفة الاسكتلنديين بقيادة "روبرت بروس" بأحوال الجيش الإنجليزى من حيث قدراته ، فضلاً عن نظمه العسكرية بالتالى وضعوا خططهم بما تتفق به من تصدى للإنجليز ، لاسيما أنهم أدركوا أن لاتغيير فى الجبهة الإنجليزية على الرغم من تغيير قائدهم العام وهو الملك "إدوارد الثانى" الذى سار على نهج أبيه فى التعامل مع الاسكتلنديين ، ولكن اختلفت النتائج فى عهد الملك الإنجليزى حسبما توضحه الحوادث.

فقد ترتب على انسحاب الملك "إدوارد الثانى" من ساحة القتال أن تمرد العديد من الجنود قادتهم ، وعدم الامتثال لأوامرهم لاسيما بعد أن سقط عدد كبير من خيرة فرسانهم فى ساحة المعركة^(٨٢) ، وغرق عدد أكبر فى غدير "بانوكبيرن" ، وما حل من هوان بالجنود الإنجليز دفع بالاسكتلنديين - الذين كانت خسارتهم أقل فداحة -

(٨٢) Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon: op.cit., p.196; Sanctae Catharinae: op.cit., p.410; David Nicholas: The Transformation of Europe, 1300-1600, London, 1999, p.18.

إلى تغيير أسلوب قتالهم ؛ حيث رأوا من الأفضل أسر الفرسان والبارونات عن قتلهم ؛ حتى يتسنى لهم الحصول على فدية ، لذلك تمكن من لحق منهم بالهاريين الإنجليز من حصد عدد وفير من الأسرى^(٨٣) ، وعندئذ حاول "روبرت كليفورد" قائد فيلق ميمنة الجيش الإنجليزي إنقاذ الموقف ؛ فقام بالسير شرقاً ثم شمالاً عابراً نهر "بانوكبيرن" في طريقه متجهاً نحو الغرب قليلاً حيث يكمن للانقضاض على مؤخرة الجيش الاسكتلندي^(٨٤) ، ولكن سرعان ما قام الاسكتلنديون بقيادة "موراي" قائد الميمنة بالارتداد للخلف ثم التوجه لليمين ، محاولين التصدي لقوات "روبرت كليفورد" الذي بادر بالعودة ، وهو يجر أذيال الهزيمة بعد سحق الكثير من جنوده^(٨٥).

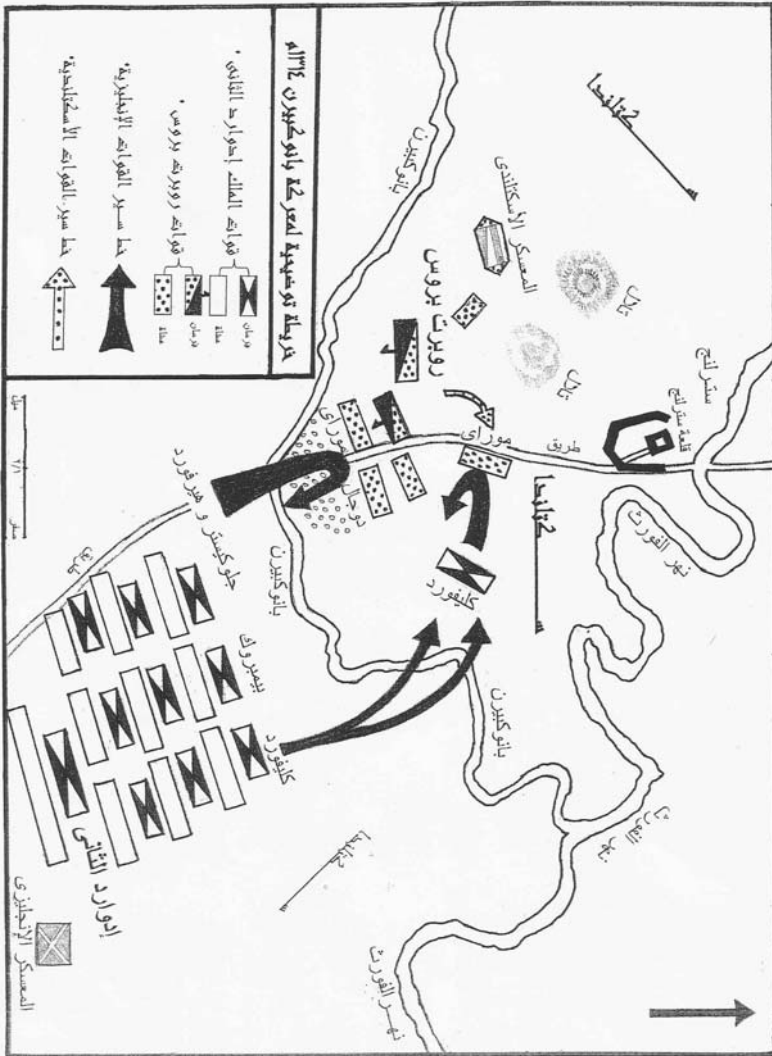
وتبعاً لما ذكرته المصادر عن تلك الأحداث يرى الباحث أن القائد الإنجليزي "روبرت كليفورد" قام بمحاولة فاشلة للتصدي للجيش الاسكتلندي مستخدماً سلاح المناورة ؛ حيث توجه لطريق غير مباشر سالكاً إياه لكي يحاصر الاسكتلنديين من الخلف ؛ محاولاً إرباك صفوفهم ، بالتالي يضعف من قوتهم ، مما يوحي أنه كان على اتفاق مع باقى قادة الفيالق الإنجليزية الأخرى ؛ لكي يجعلوا الاسكتلنديين بين شقى الرحى ، بالتالي يمكن سحقهم ، ولكن فى حقيقة الأمر لم تسر الأمور كيفما أرادوا فلم تأت الرياح بما تهوى الأنفُس ؛ حيث قام القائد الاسكتلندي "موراي" بمواجهته ، وحال دون تحقيق مأرب القائد الإنجليزي ، لعل ذلك يوضح أن القادة الاسكتلنديين كانوا يتمتعون بقدرة عسكرية فائقة ، هذا فضلاً عن حُسن بلائهم فكلاً من "روبرت

(٨٣) Guilleimi De Nangiaco: op.cit., p.610; H.G.Koenigsberger and Asa Briggs:op.cit., p.232; Emil Reich:Select Documents Illustrating Medieval and Modern History, London, 1905, p.561.
 (٨٤) Calendar of Documents Relating to Scotland, ed. J.Bain et al., vol.1, Edinburgh, 1881; Peter Crookston: The Ages of Britain, London, 1983, p.77; Norman Davies:op.cit., p.409.
 (٨٥) Guilleimi De Nangiaco:op.cit., p.610; W.Moffat, A.M.Gray:A History of Scotland, Oxford, 1989; G.F.Maine: op.cit., p.82.

كليفرورد" و"موراى" قائد لفيلق الميمنة فى كلا الجيشين ، وخروج القائد الإنجليزى وسلوكه هذا الطريق غير المباشر لمباغطة الاسكتلنديين ، وما لاقاه من حنكة القائد الاسكتلندى العسكرية فى هزيمته دليل على أن كل فيلق من الجيش الاسكتلندى خُصص لمواجهة فيلق بعينه من الجيش الإنجليزى ، مما يؤكد أن "روبرت بروس" كان يدير المعركة بمهارة عسكرية فائقة جعلته يدرك تلك المحاولة من القائد الإنجليزى ، بالتالى أسرع فى إرسال نظيره الاسكتلندى ، على ذلك يمكن القول إن "روبرت بروس" كان على دراية تامة بأساليب الإنجليز الحربية فى معركة "بانوكبيرن" التى لم تؤد بهم إلا للمهالك.

فقد قام "همفرى هيرفورد" قائد ميسرة الجيش الإنجليزى بعد مقتل "روبرت جلوكيستر" بالتوجه شمالاً عن طريق غربى فى محاولة لتطويق الجيش الاسكتلندى من الجانب الأيمن ، لكن سرعان ما أخفق الاسكتلنديون محاولاته ، وقاموا بمطاردته حتى وصل إلى قلعة "بوثنويل" Bothwell الواقعة على نهر "سليد" Slyde فى غرب "اسكتلندا" تلك القلعة التى كان الإنجليز ما زالوا يسيطرون عليها حتى ذلك الوقت . لكن فى اليوم التالى أصدر القائد الاسكتلندى أوامره لحامية القلعة بفتح البوابات ، وعندئذ تمكن الاسكتلنديون من أسر "همفرى هيرفورد" وهو الأمر الذى كان له تأثير كبير على قوات الإنجليز ؛ فعندما بلغت تلك الأنباء الجيش الإنجليزى فر "أيريمبروك" – ابن عم الملك الإنجليزى وقائد فيلق القلب – هارباً بصعوبة بالغة على قدميه ، بصحبة فيلق من المشاة^(٨٦).

Calendar of Entries in the Papal Registers Relating to Great Britain and Ireland: Papal Letters, (٨٦) London, 1893; J.Barke:op.cit., p.629; David Nicholas: The Transformation of Europe, 1300-1600, p.18; Robert S.Hoyt and Stanley Chodorow:op.cit., p.575.



هكذا يتضح من تلك الأحداث تهاوى القوى الإنجليزية واحدة تلو الأخرى ، فلم يحالفهم النجاح فى محاولاتهم لمناورة الاسكتلنديين ، بل حققت تلك المحاولات الإنجليزية مكاسب للاسكتلنديين ، الذين تمكنوا من إخفاق محاولة القائد الإنجليزي ؛ حيث قام الاسكتلنديون بتتبع هذا القائد حتى وصوله للقلعة التى استنجد بحمايتها الإنجليزية ، التى كانت مساندتها لذلك القائد اللاجئ لها سبباً فى سقوط القلعة فى أيدي الاسكتلنديين الذين أظهروا قوتهم وأجبروا تلك الحامية على تسليم القائد الإنجليزي ، الأمر الذى ترتب عليه أسر قائد ميسرة الجيش الإنجليزي مما أدى لضعف هذا الجيش فضلاً عن سقوط القلعة فى قبضة الاسكتلنديين ، حيث إنها كانت لاتزال فى أيدي الإنجليز ، بذلك استرد الاسكتلنديون أراضيهم فى الغرب ذات الأهمية نظراً فى لوقوعها على نهر وقربها من مصبه فى الغرب. بذلك افتقد الإنجليز أهم مركز لتقديم المساعدات لهم فى غرب "اسكتلندا" فضلاً عن تقلص الأملاك الإنجليزية فى تلك المنطقة. الأمر الذى دفع قائد فيلق قلب الجيش الإنجليزي إلى الفرار لما أدركه من سوء الموقف ، وعدم توفر أماكن تتبع الإنجليز فى "اسكتلندا" يمكنها أن تقدم له المساعدة. وهكذا كانت أنباء تراجع الإنجليز بعد هزيمتهم سبب فى تهاوى الكيان الإنجليزي فى "اسكتلندا" حيث اشتد الحماس الاسكتلندى مما ساعدهم على استرداد الكثير من المواقع التى كانت لاتزال بقبضة الإنجليز ، وحتى يتسنى لهم تطهير الكيان الاسكتلندى من الاحتلال الإنجليزي.

فهذه الأحداث وتهاوى القادة الإنجليز واحداً تلو الآخر ، وصل عمل "روبرت بروس" إلى قمة مجده^(٨٧) ، ففى اليوم التالى بادرت حامية "سترلنج" بالاستسلام للجنود

الاسكتلنديين^(٨٨)، وهكذا نجح "روبرت بروس" فى إدارة معركة "بانوكبيرن"، وأثبت قدرته الحربية مع حنكته السياسية حيث قسم جنوده بتخطيط عسكرى نجح فى تحطيم الكيان الإنجليزى فى "اسكتلندا"، وذلك بانتصار الاسكتلنديين فى معركة "بانوكبيرن"، وأعقب ذلك النصر باسترداد "سترلنج" أهم وأقوى حصون الإنجليز فى "اسكتلندا". بذلك تعتبر معركة "بانوكبيرن" هى حصاد كفاح الشعب الاسكتلندى الذى ناضل ضد الاحتلال الإنجليزى تحت قيادة شخصيات خلدها التاريخ أمثال "وليم والاس" و"روبرت بروس".

لقد كان لتلك المعركة نتائج على قدر كبير من الأهمية منها ، أولاً النتائج العسكرية فما قام به الرماة الاسكتلنديون بتشتيت الخيالة الإنجليز أوضح أن الإنجليز تناسوا تماماً الدروس العسكرية التى تعلموها من الملك "إدوارد الأول"، كما لم يستفيدوا من دروسه السياسية ؛ حيث كان اعتمادهم على خيالة عديمى الجدوى غير مدعومين . من ناحية أخرى ، انتفع "روبرت بروس" من تعاليم "وليم والاس" والملك "إدوارد الأول" ؛ فقد ساعد استخدامه لقوات مدعومة بالأسلحة بين صفوفه على منحه القوة فى الدفاع ، هذا فضلاً عن السرعة فى الهجوم ؛ مما جعل تشتيت الحشود الإنجليزية أمراً سهلاً. بذلك قرع قتال "بانوكبيرن" ناقوس نهاية الاستراتيجية القتالية الإنجليزية التى كان الجميع يعتبرها المثال الأكمل الذى يحتذى به فى الفن العسكرى.

ولم تكن النتائج السياسية لمعركة بانوكبيرن أقل أهمية. فقد حققت "معركة بانوكبيرن" الاستقلال لاسكتلندا ؛ إذ بدا من الواضح أنه طوال حياة الملك "إدوارد الثانى" لم تكن إنجلترا لتتمكن أبداً من بذل مجهود مستمر كالذى أظهره سلفه "إدوارد الأول" فى "اسكتلندا"، ومن هنا يمكنه وحده غزو أمة كاملة بصورة نظامية.

(٨٨) Jean Desnouelles, Abbe De Saint -Vincent De Laon: op.cit., p.196; Broun. D: " The Scottish Origin-Legend before Fordun" Edinburgh, 1988, pp.144-5; F.E.Halliday:op.cit., p.63.



روبرت بروس وسط جنوده بعد انتهاء معركة بانوكبيرن

Walter Hutchinson, M.A.: op.cit., p.433.

كما أن معركة بانوكبيرن التى دارت رحاها فى عام ١٣١٤م توضح أن مصاعب "روبرت بروس" لم تكن كثيرة مع الإنجليز مثلما كانت مع الاسكتلنديين فلم تكن مهمة سهلة عمل وحدة بين كافة العناصر الاسكتلندية لإيجاد أمة اسكتلندية متحدة؛ فكانت مشاعر الشقاق المحلية التى نجمت عن التاريخ الاسكتلندى وعلم الأعراق البشرية الاسكتلندية يتطلب من "روبرت بروس" بعض الوقت للحصول على هذا المقام الذى يجب أن يحيط بأى ملك، ورفعته فى مستوى أعلى من حشود الأيرلات الإقطاعيين وزعماء العشائر الذين كانوا يعتبرون أنفسهم على نفس مستوى "أيرل كاريك". وكانت كل هذه المكانة وهذا الشرف مصدرهما "معركة بانوكبيرن"، فلم

تتمتع "سكتلندا" من قبل بمثل هذا القدر من الوحدة الوطنية والسلطة الملكية القوية ،
النابعان من انتصاره الذى طغى على انتصار "وليم والاس" حتى أصبح "روبرت
بروس" بطل الأمة الجديدة.

وتتجلى النتائج السياسية لمعركة بانوكبيرن بالنسبة لاسكتلندا على مدار
السنوات القليلة التالية ؛ حيث كان الاسكتلنديون هم من يبادر بالهجوم ؛ فقد حثوا
ملوك فرنسا على تجديد التحالف الذى أبرمه "فيليب الرابع" معهم خلال السنوات
الأولى من الصراع^(٨٩) ، قد حصلوا على اعتراف بابوى بملكهم وعلى عفو الكنيسة عن
قتل "كومين" ، واجتاحوا شمال إنجلترا من أقصاها إلى أقصاها ، وانضموا إلى صفوف
المعارضة البارونية الإنجليزية^(٩٠).

من ذلك يتضح أن انتصار "اسكتلندا" فى "معركة بانوكبيرن" كان له عظيم الأثر
من الناحية السياسية بالنسبة لها ؛ حيث ساعد على وحدة كيانها كأمة وخضوعها
لزعيم واحد واتفقوا جميعاً على حكمه. بل تخطوا ذلك بأن أصبح لهم كيان سياسى
بوصفها دولة مستقلة جددت معاملاتها مع حليفتها أثناء الصراع ، التى تتمثل فى
فرنسا رغم قوتها فى ذاك الوقت ، وخضوع البابوية لرغبة الاسكتلنديين فى الاعتراف
بملكهم مما يضمنى عليه الشرعية ، وأدى لزيادة قوتهم التى ظهرت فى اجتياحهم شمال
إنجلترا بل وشاركوا فى المعارضة ضد الحكم الإنجليزى مما كان له أثر فى سير حوادث
إنجلترا.

Chronico Anonymi Cadomensis: A D Annum M CCC X111 perducto, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.21- (٨٩)

3; Philippe Mousket: Fragment De La Chronique Rimee, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.35-41;
Fragment D'une Chronique Anonyme R. H.G. F., Dite Chronique De Reims, Tome, xx1, pp.302-
11; Jean Desnouelles, Abbe De Saint - Vincent De Laon: op.cit., p.197; Guilleimi De
Nangiaco: op.cit., p.611.

Anonyma Ejusdem Operis Continuatio: op.cit., p.58; J.D.Mackie: A History of Scotland, London, (٩٠)
1978; David Nicholas: The Transformation of Europe, 1300 - 1600, p.18; Peter Crookston: op.cit.,
p.82.

من هذا المنطلق أصبحت النتائج السياسية لمعركة بانوكبيرن هامة جداً لإنجلترا واسكتلندا على حد سواء ، حيث توضح الأحداث التي دارت خلال السنوات التالية مدى أثر تلك المعركة على إنجلترا ؛ فقد أدت هزيمة "إدوارد الثانى" إلى وقوعه تحت وطأة نفوذ رجال الكنيسة ، وسادت إنجلترا موجة من الإنحلال لم يتمكن الملك من إخراجها منها لأنه لم تكن لديهم القوة ولا الحكمة ولا المصداقية الكافية لذلك ، ففى الوقت الذى كان "إدوارد الثانى" يتلكأ فى "بيرويك" عقب الهزيمة ، أعلن فى إنجلترا أن السبب الحقيقى وراء الكارثة هو إهمال الطقوس الدينية^(٩١) ، وفى الجلسة البرلمانية التى عُقدت فى سبتمبر بمدينة "يورك" سلم الملك "إدوارد الثانى" نفسه للبرلمان ، وأمر على الفور بتنفيذ الترسيم وأحل مكان وزرائه وولادة العدل لديه بمجموعة من المرشحين للرئاسة^(٩٢) ، والامتياز الذى حصل عليه كان تأجيل الإيرلات لعزل كل من "هيو ديسبنسر" Hugh Despenser و"هنرى بومونت" Henry Beaumont من المحكمة ، وهما صديقاً الملك الوفيان اللذان قاما بحراسته خلال هروبه من بانوكبيرن^(٩٣).

بعد ذلك عقد الإيرالات العزم على أن قضية الحملة يجب إرجاؤها إلى الجلسة البرلمانية التالية ، استناداً إلى عدم إمكان القيام بأى تصرف حتى يتم إطلاق سراح "همفرى هيرفورد" وأسرى آخرين. وكان هذا العذر مؤسفاً ، لأن القائد الاسكتلندى "روبرت بروس" وأخاه كانا يدمران الكونتيات الشمالية بالقتل والإحراق ، مما شكك فى حصول أى تفاهم بين الملك الاسكتلندى والكهنة المرسومين. لكن سرعان ما ظهر تعديل مفاجئ ؛ فقد سمح الحاكم الاسكتلندى بدفن جثمان "روبرت جلوكيستر"

(٩١) E.Miller and J.Hatcher: Medieval England: Rural Society and Economic Change 1086 - 1348, (٩١)

London, 1870, p.176; N.Fryde: The Tyranny and Fall of Edward 11, Cambridge, 1979, pp.59-63.

(٩٢) Anonyma Ejusdem Operis Continuatio: op.cit., p.59; F.W.D.Brie:Chronicles of England, vol, 1, (٩٢)

London, 1906, pp.224-5.

G.F.Maine:op.cit., p.82. (٩٣)

والقتلى من البارونات بين أسلافهم، وأطلق سراح والد "روبرت جلوكيستر" المدعو "مونثيرمر" Monthermer دون أية فدية، وأعلن "روبرت بروس" أنه يرغب فى سلام مع الإنجليز، وقد رحب بتبادل الأسرى، حيث تمت إعادة زوجته "اليزابيث دى بورج" Elizabeth de Burgh وشقيقته وابنته وأسقف جلاسجو إلى "اسكتلندا"^(٩٤).

وفى يناير عام ١٣١٥م، اكتمل إذلال الملك "إدوارد الثانى" فى الجلسة البرلمانية التى عُقدت فى لندن، وتم عزل "هيوديسبنسر" من المجلس هذا فضلاً عن تسريح بعض الأعضاء الذين ينتمون للبلاط الملكى. وتم تحديد حصة مالية يومية للملك "إدوارد الثانى"، بعد سحب حق إدارة دخوله من بين يديه. وتم إرفاق هذه المنحة بشرط أن يتم إنفاقها بالكامل من خلال البارونات، ويتم توزيع الممتلكات على طريقتهم لإعداد حملة اسكتلندية جديدة^(٩٥)، وحينما عقد المجلس البرلمانى جلسته التالية فى يناير عام ١٣١٦م تم التوصل إلى أن الملك القائد لا يجب عليه القيام بأى عمل دون استشارة المجلس والرجوع إليه^(٩٦)، ويبدو أن "إدوارد الثانى" لم يلتزم بتلك القرارات مما أوقع البلاد فى فوضى كبيرة انتهت بأن عزله البرلمان وأعدمه سراً عام ١٣٢٧م^(٩٧)،

(٩٤) Continuation Anonyme: De La Chronique De Jean De S.Victor, R.H.G.F., Tome, 21, paris, 1855, pp.678-79; John Gillingham: "The Later Middle Ages, England at war, 1290-1390", The Oxford History of Britain, ed/Kenneth O.Morgan, Oxford, 1988, p.199.

(٩٥) Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon:op.cit., p.197; Geffroi De Paris:op.cit., p.163; Guilleimi De Nangiac:op.cit., p.612; H.Cuttler:The Law of Treason Trials in Later Medieval France, Cambridge, 1981, p.116.

(٩٦) Jean Desnouelles, Abbe De Saint-Vincent De Laon:op.cit., p.197; Extrait D'une Chronique Anonyme, op.cit., p.128; F.W.D.Brie:op.cit., vol.1, p.220; H.Cuttler:op.cit., pp.144-5.

(٩٧) Anonyma Ejusdem Operis Continuatio: op.cit., p.59; Jean Desnouelles, Abbe De Saint -Vincent De Laon:op.cit., p.198; Extrait D'une Chronique Anonyme, op.cit., pp.129 - 30; G.F. Maine: op.cit., p.82.

وُتوجت نتائج "معركة بانوكبيرن" باعتراف الملك الإنجليزي "إدوارد الثالث" (٩٨) Edward (1327-1377) باستقلال "اسكتلندا"، وتُوج "روبرت بروس" ملكاً على "اسكتلندا" تحت اسم "روبرت الأول ملك اسكتلندا" (٩٩).

وهكذا لم تستطع إنجلترا القيام بأى حملات ضد "اسكتلندا" طوال الفترة التى تلت "معركة بانوكبيرن"، ويُعد ذلك هو أهم نتائج هذه المعركة؛ حيث لم توجه إنجلترا جهودها الحربية مرة أخرى لاستعادة "اسكتلندا" للتاج الإنجليزي بعد أن أيقنت من تلك المعركة أن الاسكتلنديين صاروا قوة لا يستهان بها، وأمة لا يمكن النيل من حريتها. وبذلك تُعد "معركة بانوكبيرن" عام ١٣١٤م حدثاً عسكرياً هاماً يوضح صورة من صور كفاح الشعوب ضد المحتل مما يثير الحماس فى النفوس ويجدد شعور المواطنة لدى كل شعب وحرصه على حرية وطنه وسلامة أراضيه.

(٩٨) إدوارد الثالث: هو ابن "إدوارد الثانى" وُلد فى نوفمبر عام ١٣١٣م، وقد تميز عهده بأهمية كبرى فى التاريخ الإنجليزي سواء فى التطور السياسى الداخلى أم الخارجى. تزوج من "فيليبا" Philippa ابنة "وليم" كونت هولندا وهينوه "William" Count of Holland and Hainault فى يناير عام ١٣٢٨م، وقد توفى إدوارد الثالث فى مدينة ريشموند Richmond الحالية وهى مدينة "شين" Shener قديماً فى الحادى والعشرين من يناير عام ١٣٧٧م.

Barnes: History of Edward 111, London, 1688; Longman: Life and Times of Edward 111, vol, 2, London, 1869; Geo L.Craik, M. A.: The History of British Commerce, vol, 1, London, 1844, pp.130-37

Regesta regum Scottorum, V. Tomes, Edinburgh, 1809; Duncan. A. A. M.: The Acts of Robert1, (٩٩) 1306 - 1329, London, 1987; A. M.Chambers, F. R. H.: Constitutional History of England, London, 1911, pp.98-324.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المجموعات التاريخية

1. Cambridge Medieval Celtic Studies, vol, 21, London, 1991.
2. Historical Narrative in Medieval Scotland, Lincoln, 1993.
3. Journal of Historical Sociology, vol, 5, London, 1992.
4. Medieval Scotland: Crown , Lordship and Community, ed.A.Grant and K.Stringer, Edinburgh, 1993.
5. Recueil de Historiens des Gaules et de La France, 24, vols, paris, 1738-1904.

وقد رمز لها بالاختصار:

R. H. G. F.

6. Registrum Magni Sigilli Regum Scotorum, ed.J.M.Thomson et al., 11 vols,
7. Edinburgh, 1882-1914.
8. Recueil de Lettres Anglo-Francaises (1265-1399), ed.F.J.Tanqueray, paris, 1916.
9. Scottish Historical Review, 32.vols, London, 1963.
10. Scottish Studies, vol, 29, Edinburgh, 1989.
11. The Oxford History of Britain, ed.Kenneth O.Morgan, Oxford, 1988.

ثانياً: دوائر المعارف

- 1- Medieval England an Encyclopedia, New York and London, 1998.
- 2-Medieval France an Encyclopedia, New York and London, 1995.
- 3-The Catholic Encyclopedia, 15 volumes, and index. London, 1907-14.
- 4-The Penguin Encyclopedia, of places, New York, 1978.

ثالثاً: المصادر

- 1- A. Cheruel:
Chronico Sanctae Catharinae De Monte Rotomagi, R.H.G.F., Tome, 23, pp.397-410.
- 2- Acts of the Parliaments of Scotland, ed.T.Thomson and C.Innes, vol, 1, Edinburgh, 1814.
- 3 - Androw of Wyntoun's: The Orygnale Cronykil of Scotland, ed.D.Laing
Historians of Scotland, Vol, 1, Edinburgh, 1872.
- 4 - Anonyma Ejusdem Operis Continuatio: Chronico Girardi De Fracheto, R.H.G.F.,
Tome, 21, paris, 1855, pp.1-70.
- 5- A. W. Haddan and W. Stubbs: Councils and Ecclesiastical Documents relating to
Great Britain and Ireland, Oxford, 1869.
- 6 - Barnes: History of Edward 111, London, 1688.
- 7 -Bliss: "Calendar of Ecclesiastical Documents relating to England, 1893.

- 8 - Calendar of Documents Relating to Ireland, ed H.S. Sweetman, vol, 1, London, 1875.
- 9 - Calendar of Documents Relating to Scotland, ed. J.Bain et al., vol.1, Edinburgh, 1881.
- 10- Calendar of Entries in the Papal Registers Relating to Great Britain and Ireland: Papal Letters, London, 1893.
- 11- Chronico Anonymi Cadomensis: A D Annum M CCC X111 perducto, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.20-35.
- 12- Chroniques de Saint-Denis, Depuis 1285 Jusqu'en 1328, R.H.G.F., Tome, 20, pp.654-724.
- 13- Chronico Rotomagensi , R.H.G.F., Tome, 23, p.331-43.
- 14- C. Innes : Origines Parochiales Scotiae, vol.1, Edinburgh, 1851.
- 15- Continuation Anonyme:
De La Chronique De Jean De S.Victor, R.H.G.F., Tome, 21, paris, 1855, pp.678-769.
- 16- D. Irving: History Ecclesiastica Gentis Scotorum, vol.2, Edinburgh, 1829.
- 17- Documents Illustrative of English History in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, ed. H.Cole, London, 1844.
- 18- E.Miller and J.Hatcher:
Medieval England: Rural Society and Economic Change 1086-1348, London, 1870.
- 19- Extraits D'une Chronique Anonyme: Anciennes Chroniques De Flandre, R.H.G.F, Tome, 22, pp.329-50.
- 20- Extraits D'une Chronique Anonyme:
Anciennes Chroniques De Flandre, R.H.G.F., Tome, 22, pp.359-60.
- 21- Extrait D'une Chronique Anonyme, R.H.G.F., Tome, 21, Paris, 1855, pp.123-30.
- 22- Extrait D'une Chronique De Rouen Continuee Jusqu'en 1492, R.H.G.F., Tome, 23, pp.352-54.
- 23- Faucon, and Thomas: Les registres de Boniface V111, paris, 1884.
- 24- Fragment D'une Chronique Anonyme Dite Chronique De Reims , R.H.G.F., Tome, Xxl, pp.302-11.
- 25- Geffroi De Paris: Chronique Rimee, R.H.G.F., Tome, 22, pp.87-170.
- 26- Geo L.Craik, M.A.: The History of British Commerce, vol, 1, London, 1844.
- 27- Gesta Philippi Tertii Francorum Regis, R.H.G.F., Tom, 20, pp.500-10.
- 28- G. Hance: The Fall of the Kinghts of the temple in Dublin Review, London, 1895.
- 29- Guillaume De Nangiaco: Chronicon, R.H.G.F., Tome, 20, pp.443-80.
- 30- Guillaume De Nangis:
- Chronicon Philippi Regis Franciae, Audacis Dicti, Sancti Ludovici Filii, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.540-82.
- Chronique, R.H.G.F, Tome, xx1, pp.649-53
- Vie De Philippe 111, R.H.G.F., Tome, 20, p.511-39.
- Vie De Saint Louis, R.H.G.F., Tom, 20, paris, 1894, pp.313-469.
- 31- Guilleimi De Nangiaco: Continuatio Chronici, R.H.G.F., Tome, 20, pp.543-646.

- 32- Henry of Huntingdon: *Historia Anglorum*, ed.T.Arnold, London, 1870, p.275; *Chronicle of Melrose: Chronica de Mailros*, ed.J.Stevenson, Bannatyne, 1835.
- 33- Jean Desnouelles, *Abbe De Saint-vincent De Laon: Extrait De La Chronique*, R.H.G.F., Tome, 21, pp.181-98.
- 34- Johanne Parisiensi: *Excerpta E Memoriali Historiarum*, R.H.G.F., Tome, 21, paris, 1855, pp.630-676.
- 35- Johannis Asancto Victore: *Excerpta E Memoriali Historiarum*, R.H.G.F, Tome xx11, pp.630-54.
- 36- Johannis de Fordun: *Chronica Gentis Scotorum*, ed.W.F.Shene, *Historians ofScotland*, Vol.1, Edinburgh, 1871.
- 37- Johannis De Sancto Justo: *E Duobus Cadicibus Ceratis*, R.H.G.F, Tome xx1, pp.501-34.
- 38- J. Raine: *Historians of the Church of York and its Archbishops*, vol.1, London, 1879.
- 39- J.R.Green M. A: *A Short History English People*, vol.1, London, 1898.
- 40- J. Stevenson: *Documents Illustrative of the History of Scotland*, 1286-1306, vol.2, Edinburgh, 1870.
- 41- La Chronique De Jean De.S.Victor: *Continuation Anonyme*, R.H.G.F, Tome xx1, pp.676-89; *Guillelmi Scoto: Sancti Dionyssii Monacho Conscript*, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.201-5.
- 42- Laing , H : *Descriptive Catalogue of Impressions From Ancient Scottish Seals*, vol, 1, Edinburgh, 1850.
- 43- LandulphiDe Columan: *Breviario Historiarum*, R.H.G.F., Tome, 23, p.192-98.
- 44- Longman : *Life and Times of Edward 111*, 2 vols, London, 1869.
- 45- *Memoriale Fratris Walteri de Coventria: The Historical Collection of Walter of, Coventry*, ed. W.Stubbs, vol.2, London, 1873.
- 46- Orderic Vitalis: *Ecclesiastical History*, ed.M.Chibnall, vol, 1V, Oxford, 1980.
- 47- Philippe Mousket: *Fragment De La Chronique Rimee*, R.H.G.F., Tome, xx1, pp.35-41.
- 48- PhilippoLabbeo: *Chronici Rotomagensis Continuatione*, R.H.G.F., Tome, 23, pp.343-50.
- 49- Pierre Dupuy: *Histoire du differend d'entre le pape Boniface V111 et Philippe le Bel*, Rey De France, paris, 1655.
- 50- Ralph of Coggeshall: *Chronicon Anglicanum*, ed. J.Stevenson, London, 1875.
- 51- Rabin De Thoyras
The History of England, Tranflated into English, with Additional Notes,
by/N.Tindal, M.A.Rector of Alverftoke in Hampfhire, vol.1, London, 1743.
- 52- *Regesta regum Scottorum*, V. Tomes, Edinburgh, 1809.
- 53- *Regestrum Clementis Popae*, 9 vols, London, 1885-1888.
- 54- *Registrum Episcopatus Glasguensis*, ed.C.Innes, vol.1, Edinburgh, 1843.
- 55- Reine Marguerite: *Vie De Saint Louis*, R.H.G.F., Tome, 20, pp.58-121.
- 56- Robertus de Monte: *Chronico Normanniae*, AB Anno 1169 AD Annum 1259, Sive potius 1272, R.H.G.F., Tome, 23, paris, 1894.

- 57- Rocouain: La Cour de Rome et L'eaprit de reforme arrant Luther , 2 vols, paris, 1895.
- 58- Sanctae Catharinae: Chronico Sanctae Catharinae De Monte Rotomagi, R.H.G.F., Tome, 23, pp.397-410.
- 59- Scolacronica: a Chronicle of England and Scotland from A. D. Mccc1x11, ed. J.Stevenson, Edinburgh, 1836.
- 60- Scottish Historical Documents, ed. G. Donaldson, Edinburgh, 1970.
- 61- The Acts of Robert 1, 1306-1329, Regesta regum Scottorum, Tome.V, ed /A.A.M. Duncan, Edinburgh, 1987.
- 62- The Political Songs of England, from the Reign of John to that of Edward 11, ed, and trans.T.Wright, London, 1839.
- 63- T. Wright : The Chronicle of Pierre de Langtoft, vol, 2, London, 1868.
- 64- Vita Edwardi Secundi, ed / N.Denholm-Young, London, 1957.
- 65- Walter Hutchinson, M.A, :
Story of the British Nation, 2 vols, London, 1870.
- 66- W.A.Wright: The Metrical Chronicle of Robert of Gloucester, 2 vols, London, 1887-89.
- 67- W. F. Skene: Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, Edinburgh, 1867.
- 68- W. M. Hennessy: Chronicon Scotorum, London, 1866.
- 69- W.Stubbs, M.A: The Annals of England and Epitome of English History, Oxford and London, 1870.

رابعاً: المراجع

- 1-A.A.M.Duncan: Robert 1 of Scotland (1274-1329), The Medieval Dictionary, vol.10, London, 1989.
- 2- Adrian E.Verhulst: Histoire du paysage rural en Flandre de L'epoque romaine au xv111e Siecle, paris, 1966.
- 3- A.E.J. Hollaender and William Kellaway: Studies in London History, London, 1969.
- 4- Alexander Grant:
 - Crown and nobility in Late medieval Britain", in Scotland and England 1286-1815, ed. R.A.Mason, Edinburgh, 1987.
 - Independence and Nationhood:Scotland, 1306-1469, London, 1984.
- 5- A.M. Chambers. F.R.H: Constitutional History of England, London, 1923.
- 6- Anderson, A.O: 'Anglo-Scottish relations from Constantine 11 to William', Scottish Historical Review, xl11, London, 1963.
- 7- Anderson, M.O: Kings and Kingship in Early Scotland, Edinburgh, 1973.
- 8- A.O. Anderson: Scottish Annals from English Chroniclers, 500 to 1286, London, 1908.
- 9- Barrow, G.W.S: The Kingdom of Scots: Government, Church and Society from theEleventh to the Fourteenth Century, London, 1973.
- 10- Ben Weinreb and Christopher Hibbert: The London Encyclopaedia, London, 1983.
- 11- Birdsall S.Viaul: English History, London, 1992.
- 12- Bob Lange: Stirling (Central Region, Scotland), Dictionary of the Middle Ages, ed /Joseph R.Strayer, vol.11, New York, 1988.
- 13- Boyle, A: "St Ninian and St Monenna", London, 1967.
- 14-Broun, D:
 - "The birth of Scottish history", London, 1997.
 - "The Scottish Origin - Legend before Fordun" Edinburgh, 1988.
- 15- BryceLyon: Flanders and The Low Countries, Dictionary of the Middle Ages, Ed /Josep R. Strayer, vol.5, New York, 1985, pp.77-83.
- 16- Butt, Ronald: A History of Parliament: The Middle Ages, 1989.
- 17- Carpenter, D.A: "From king John to the first English duke:1215-1337.", in the House of Lords, a Thousand Years of British Tradition , ed , R. Smith and J.S. Moore, London, 1994.
- 18- C.G.Crump and E.F.Jacob: The Legacy of the Middle Ages, Oxford, 1926.
- 19- Charles Arnold-Baker OBE: The Companion to British History, London and New York, 2001.
- 20- Charles T.Wood:
 - Boniface V111, pope, in Dictionary of middle Ages, ed/ Joseph R. Strayer, vol, 2, New York, 1983.
 - Edward 11 of England (1284-1327), Dictionary of the Middle Ages, ed / Joseph R.Strayer, vol.3, New York, 1989.

- Edward of England(1239-1307), Dictionary of The Middle Ages, ed / Joseph R.Strayer, vol.4, New York, 1989.
- 21- Christopher Haigh: The Cambridge Historical Encyclopedia of Great Britain and Ireland, Cambridge, 1985.
- 22- C. Warren Hollister:
 - Medieval Europe, A Short History, New York, 1990.
 - The Making of England 55 B.C To 1399, California, 1982.
- 23- Daniel Waley:
 - Later Medieval Europe, London and New York , 1964.
- 24- Dauvit Broun:
 - Anglo-French acculturation and the Irish element in Scottish identity, Britain and Ireland 900-1300, Insular Responses to Medieval European Change, ed.by/ Brendan Smith, Cambridge, 1990.
- 25- David Nicholas:
 - The Medieval World: Society, Government and Thought in Europe, 312-1500, London and New York, 1992.
 - The Transformation of Europe, 1300-1600, London, 1999.
- 26- Davies , R. R.: Conquest, Coexistence and Change: Wales 1063-1415, Oxford, 1987.
- 27- D.Broun, R. Finlay and M. Lynch:
 - Defining Scotland and the Scots before the wars of independence in Image and Identity: the Making and Remaking of Scotland through the Ages, Edinburgh, 1998.
 - The Making and Remaking of Scotland through the Ages, Edinburgh, 1998.
- 28- D. Legge: "la pierre d'Escoce", Cambridge, 1959.
- 29- D.M. Stenton: English Society in the Early Middle Ages 1066-1307, Oxford, 1952.
- 30- Duncan.A.A.M:
 - Scotland:The Making of the Kingdom , Edinburgh, 1975.
 - The Acts of Robert 1, 1306-1329, London, 1987.
 - The Nation of Scots and the Declaration of Arbroath. Historical Association Pamphlet, London, 1970.
- 31- Edward A.Synan: Clement V, pope (1264-1314), Dictionary of the middle Ages, vol.3, New York, 1989.
- 32- E.L.G.Stones: Edward 1, Oxford, 1978.
- 33- E.L.G.Stones and G.Simpson:
 - Edward 1 and the Throne of Scotland, vol.2, Oxford, 1978
- 34- Emil Reich: Select Documents Illustrating Mediaeval and Modern History, London, 1905.
- 35- F.E.Halliday: A Concise History of England from Stonehenge to the Atomic AgeGreat Britain, 1980.
- 36- F.W.D.Brie: Chronicles of England, 2, vols, London, 1906.
- 37- George Holmes:
 - The Oxford History of Medieval Europe, New York , 1992.

- The Oxford Illustrated History of Medieval Europe, Oxford, 1980.
- 38- George Macaulay Trevelyan, O.M: History of England, London, 1937.
- 39- G.F.Maine: A Book of Scotland, London, 1950.
- 40- G.G.Simpson: 'Why was John Balliol called "Toom Tabard"? ',
Edinburgh, 1968.
- 41- G.O.Sayles: The King's Parliament of England, London, 1975.
- 42- G.W.S.Barrow:
-Kingship and Unity:Scotland 1000-1306, London, 1981.
-Robert Bruce, The Community of the Realm ofScotland, Edinburgh, 1976.
-Scotland and its Neighbours in the Middle Ages, London, 1992.
- 43-Hallam, Elizabeth M: The Itinerary of Edward 11 and His Household,
1307-1328, London, 1984.
- 44- H. Cuttler: The Law of Treason Trials in Later Medieval France,
Cambridge, 1981.
- 45- H.G.Koenigsberger and Asa Briggs: Medieval Europe, 400-1500, New
York, 1987.
- 46- H. Mac Queen: 'Scots law under Alexander 111, in Scotland in the Reign
of Alexander 111, 1249-1286, ed.N.H.Reid, Edinburgh, 1990, pp.74-102.
- 47- Hudson , B.T: Kings of Celtic Scotland, Westport, 1994.
- 48- Jacques Le Goff: Medieval Civilization 400-1500, Translated by Julia
Barrow, Paris, 1964.
- 49- J. Bannerman: "The King's poet and the inauguration of Alexander 111",
S H R, 68, Edinburgh, 1989.
- 50- J. Barke Poems and Songs of Robert Bruce, London, 1955.
- 51- J.C. Dickinson: An Ecclesiastical History of Englan: The Later Middle
Ages, London, 1979.
- 52- J. D. Mackie: A History of Scotland, London, 1978.
- 53- Jean Delorme: Les Grandes Dates Du Moyen Age, paris, 1970.
- 54- J. Gillingham:
"The beginnings of English imperialism", Journal of Historical Sociology,
vol.5, London, 1992.
- 55- J.L.Bolton: The Medieval English Economy 1150-1500, London, 1980.
- 56- John Chancellor: The Life and Times of Edward 1, London, 1981.
- 57- John Gillingham: "The Later Middle Ages, England at war, 1290-1390" ,
The Oxford History of Britain, ed/Kenneth O.Morgan, Oxford, 1988.
- 58- JohnH.Mundy: Europe in the High Middle Ages 1150-1309, New York,
1991.
- 59- JohnMorrill The Nature of the English Revolution, London and New
York, 1993.
- 60- Joseph R. Strayer: Philip 1V The Fair, Dictionary of the Middle Ages,
ed/ Joseph R. Strayer, Volume 3, NewYork, 1989.
- 61- J. P. Kenyon: A Dictionary of British History, New York, 1983.
- 62- L. F. Salzman: English life in the Middle Ages, London, 1926, p.192;

- 63- Lydon , J. F: "An Irish army in Scotland, 1296" The Irish Sword, 5, London, 1961.
- 64- Michael Prestwich: The Three Edwards: War and State in England, 1272-1377, London, 1981, pp.79-295.
- 65- Miller, M: "Matriling by treaty:The Pictish foundation-Legend", in Ireland in Medieval Europe, ed. D. Whitelock , R.Mcktterick and D.Dumville, Cambridge, 1982.
- 66- M.T.Clanchy: England and its Rulers 1066-1272, Glasgow, 1983.
- 67- N. Fryde The Tyranny and Fall of Edward11, Cambridge, 1979
- 68- N. H. Reid: "The army of Alexander 111's Scotland", in Scotland in the Reign of Alexander 111, 1249-1286, ed.N.H.Reid, Edinburgh, 1990.
- 69- Noelle Watson: London, Dictionary of the middle Ages, ed / Joseph R.Strayer, vol.3, New York, 1989.
- 70- Nicholson, R.: "A Sequel to Edward Bruce's invasion of Ireland", London, 1963.
- 71- Norman Davies Europe A History, New York, 1996.
- 72- Peter Crookston: The Ages of Britain, London, 1983.
- 73- Plantagenet Somerset Fry: 2,000 years of British Life, A Social history of Englang, Wales,Scotland and Ireland, London, 1979.
- 74- Powicke, F.M: The Thirteenth Century, 1216-1307, ed. Oxford History of England, Oxford, 1962.
- 75- Ralph A.Griffiths: The Later Middle Ages, (1290-1485), in The Oxford History ofBritain, ed.Kenneth O.Morgan, Oxford, 1988.
- 76- Raymond Monier: Les institutions Centrales du Comte de Flandre de La fin du 1xe Siecle a 1384, paris, 1948.
- 77- Recueil de Lettres Anglo-Francaises (1265-1399), ed.F.J.Tanqueray, Paris, 1916.
- 78- Reynolds, S: "Medieval Origines gentium and the community of the realm",Cambridge, 1983.
- 79- R. Frame: Colonial Ireland 1169-1369, Dublin, 1981.
- 80- R.G.Davies and J.H.Denton: The English Parliament in the Middle Ages, Manchester, 1981.
- 81- R.H.C.Davis: A History of Medieval Europe, From Constantine to Saint Louis, London and New York, 1988.
- 82- Richardson, H.G., and G.O.Sayles: Parliaments and Great Councils in Medieval England , 1961.
- 83- R. James: The Matter of Scotland: Historical Narrative in Medieval Scotland, Lincoln, 1993.
- 84- Robert S. Hoyt and Stanley Chodorow: Europe in the Middle Age, New York, 1976.
- 85- R.W.Southern: The Making of the Middle Ages, London, 19530
- 86- R. W. Kaeuper: England and France in the Late Middle Ages, Oxford, 1988.
- 87- Salzman, L.F: Edward1, London, 1963.

88- S. Duffy: "The Bruce brothers the Irish sea world, 1306-29", Cambridge Medieval Celtic Studies, vol.21, London, 1991.

89- Sellar, W.D.H: "Celtic Law and Scots Law: Survival and integration", in Scottish Studies, vol, 29, Edinburgh, 1987.

90-Stringer, K.J: 'Periphery and core in thirteenth-century Scotland: Alan son Roland, Lord of Galloway and Constable of Scotland', in Medieval Scotland: Crown, Lordship and Community, ed.A.Grant and K.Stringer, Edinburgh, 1993.

91-SusanReynolds: Kingdoms and Communities in western Europe, Oxford, 1984.

92- T.F.Tout, M.A

-The History of England, from of Accession of Henry 111 To the Death of Edward 111 (1216 - 1377), The political History of England, volume 111, London, 1905

-The Place of the Reign of Edward 11 in English History, London, 1936.

93-T.F.T.Plucknett: The Legislation of Edward1, Oxford, 1949.

94-The Medieval Encyclopedia, vol. 9, New York , 1987.

95-Thomas Gray: Scalacronica: The Reigns of Edward 1 and Edward 111, trans. H.Maxwell, Glasgow, 1907.

96-Thomas J.Shahan: Clement V(1305-1314), the Catholic Encyclopedia, vol.4, London, 1910.

97-Thomas Oestreich: Boniface V111, the Catholic Encyclopedia, vol.2, London, 1907.

98- Trudy Ring : International Dictionary of Historic Places, vol.2, Northern Europe, U.S.A and U.K, 1995.

99- W.A.Lindsay et al: Scottish History Society, Edinburgh, 1908.

100- Watson, F: "The enigmatic Lion:Scotland, Kingship , and national identity in the wars of independence", in Image and Identity: the Making and Remaking of Scotland through tre Ages , ed. D. Broun , R. Finlay and M.Lynch, Edinburgh, 1998.

101- Wilhelm Dibelius: England, tran/Mary Agnes Hamilton, M.P., Introduction by/A.D. Lindsay, London, 1930.

102- W.L.Warren: Henry 11, London, 1973.

103- W.Moffat, A.M.Gray: A History of Scotland, Oxford, 1989.

Battle Bannockburn in 1314 AD

Fatma Abdel Latif El Shnawy

Associate Professor at The Universities Qassim and Helwan

Abstract. Battle Bannockburn 1314 AD was one of the most important battles in European history in the Middle Ages, particularly in the fourteenth century; to result from the results of that battle is very important. And of their role in the course of events in the region. Signs and returns this clash ended when the strain is the direct owner of the house in Scotland in 1290 AD, and then enter "Edward I" King of England (1272-1307 m) in a matter of choice and the heir to the throne and sent to the mission for this purpose. And has chosen this mission, " John Balliol " the king of Scotland, which quickly gave allegiance and subordination to the king of England. But when he tried to "Edward I" to make sovereignty over Scotland, in effect, of interfering in its affairs, opposed it, "John Balliol" and denied the right of the English courts of appeal issued by the Scottish courts. And then was taken "John Balliol" hostile explicit Fajalv King of England "Philip IV", the king of France against the "Edward I", but the latter invaded Scotland and captured the "John Balliol" and established a government loyal to him. That the Scots did not surrender, Vanthezwa advantage of Edward I in Flanders year 1297 AD and revolted under the leadership of the "William Wallace" and defeated the army Englishman at "Bridge Stirling", and then returned to them, "Edward I" - after a peace with Philip IV of France - and defeated them in the "Falkirk" and subjected Scotland and Wallace was executed. Scotland has arisen again under the leadership of "Robert Bruce", but "Edward I" died year 1307 AD and is preparing to put down the revolution. He then took the throne of England after that, "Edward II" (1307 - 1327) m, and at that time was "Robert Bruce" may expel the British almost from Scotland, which made "Edward II" heading at the top of a large army to Scotland to quell the revolution, but Although the Scots were less numerous than the English, but they were an army bridges ; under the leadership of a man seasoned settled his troops at a low mound associated River small so-called "Bannockburn " and dig a trench in front of lines Scottish and was covered by a fence is weak, and sent the English archers in the Introduction cavalry, which led to the fall of a large number of them inside the trench and was able gears and spears to break the Scottish attack all those who have avoided these obstacles. And provide the Scots with all our strength so that the British did not recover from the chaos that prevailed and plunged them into a disaster, and had withdrawn the British and the battle ended, which had many of the results the most important of the independence of Scotland, and the reluctance of England trying to control it again, because they realized that the people Scottish extreme anchors can not harm it. England and began to guide the direction of its military power of France, but the result of the weakness of the battle between the English King of his people, prompting the English Parliament to try him and sentence him to death.

واقع العمل التطوعي ومعوقاته وأساليب تنميته واتجاهات الطلاب نحوه بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية

د. إبراهيم بن عبدالله العبيد

أستاذ أصول التربية المساعد بقسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة القصيم

ملخص البحث. تتناول هذه الدراسة العمل التطوعي وعنوانها: "واقع العمل التطوعي ومعوقاته وأساليب تنميته واتجاهات الطلاب نحوه بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية" وهدفت إلى بيان مفهوم العمل التطوعي ووظائفه ونظرياته والتعرف على واقع العمل التطوعي ومعوقاته وأساليب تنميته واتجاهات الطلاب نحوه بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية وتوضيح طبيعة العلاقة ذات الدلالة الإحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - معوقات - أساليب تنمية) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية باختلاف متغيرات الدراسة (الكلية - المستوى والسنة الدراسية - التقدير العام والمعدل - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي) واستخدم الباحث المنهج الوصفي بمدخله الوثائقي والمسحي وتكون مجتمع الدراسة من طلاب جامعة القصيم، وكان من أبرز نتائجها: ١- غالباً ما يقوم الطلاب بأعمال تطوعية وكان من أكثر مؤشرات واقع العمل التطوعي لديهم وجود دليل إرشادي وتكليف عضو هيئة التدريس لهم بممارسة العمل التطوعي وعمل الطالب لخطة للمشاركة بالأعمال التطوعية المختلفة. ٢- اتجاه الطلاب نحو العمل التطوعي كان مرتفعاً وكان من مؤشرات الاتجاه المرتفع نحو العمل التطوعي: رؤية الطالب للعمل التطوعي أنه يساهم في نمو المجتمع وتطوره وحل مشكلاته وشعورهم أن العمل التطوعي أمر ديني يشعر الفرد بالإحساس الديني والانتماء للوطن. ٣- لاقت الأساليب المقترحة لتنمية العمل التطوعي لدى الطلاب قبولاً مرتفعاً ومن أهم الأساليب موافقة نشر مبادئ وقيم العمل التطوعي وتحفيز الطالب مادياً ومعنوياً للمشاركة في الأعمال التطوعية وبث الطمأنينة وكسر حاجز الخوف والرغبة بالمشاركة في الأعمال التطوعية. ٤- وجد أن معوقات ممارسة العمل التطوعي التي طرحها الباحث أنها متحققة بدرجة كبيرة وكان من أبرزها تعارض أوقات العمل مع وقت الدراسة وعدم وجود آليات وأنظمة للعمل التطوعي وعدم الاهتمام بالعمل التطوعي داخل الجامعة.

أولاً: مدخل إلى الدراسة

مقدمة الدراسة

يشهد العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية متعددة على مستوى العالم تجعل من الضروري وضع الإنسان في بؤرة حركة المجتمع وتقدمه وتحولاته.

ومع تزايد الأعداد السكانية في المجتمعات المختلفة والنتائج من تحسن في الأوضاع الاقتصادية والصحية والاجتماعية وارتفاع معدلات الحياة أصبح للخدمات التي تقدمها الحكومات مهما توافرت ومهما قدم لها من دعم مادي وبشري لا تستطيع مواكبة المتطلبات الاجتماعية لأفراد الشعب، مما جعل وجود دعم من جهات وقطاعات مختلفة لإكمال وتناسق العمل المقدم من الحكومة مع تلك الخدمات التي تقدم من القطاعات التطوعية وهو ما يسمى بـ: العمل التطوعي (volunteer work)، وقد تزايد الاهتمام بالعمل التطوعي خلال الألفية الثالثة كونه رافداً أساسياً وداعماً للجهود التي تقدم من الحكومات حيث يعد وليد التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي تشهده البلدان، فانتشار المشكلات على نطاق واسع يجعل الأمر خطيراً ولا بد من القضاء عليه، كما أن التطورات المجتمعية تجعله أكثر خطورة.

وتزايد ترسخ مفهوم العمل التطوعي مع تزايد ترسيخ مفهوم المجتمع المدني بمؤسساته المختلفة باعتبار أنه لا تلبى الاحتياجات المجتمعية المتنوعة إلا من خلال رسوخ مفهوم العمل التطوعي كركيزة أساسية لبناء المجتمع المدني واستمراره وتطوره (عارف، ٢٠٠٦م، ٥٠٣).

وفي هذا السياق وإدراكاً للمتغيرات العالمية والإقليمية التي تؤكد دور القطاع التطوعي في مواجهة قضايا العالم ومشكلاته جاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة

باعتبار عام ٢٠٠١ م عاما عالمياً للتطوع وهو اهتمام عالمي لترسيخ مفهوم المجتمع المدني وتطويره واستمراره، حيث اعتبر العمل التطوعي عملية جوهرية لتحريك الهياكل الأساسية للمجتمعات المتقدمة والنامية فضلاً عن كونه مظهراً من مظاهر التحديث وأداة للتغيير الاجتماعي وقيمة إنسانية وحضارية واجتماعية وثقافية فمن خلاله يكون ارتقاء الأمم والشعوب وتقدمها، وقرار المنظمة العالمية للتطوع عام ٢٠٠٠ م عام التطوع وجهود التطوع iave لتقييم وتطوير آليات العمل التطوعي وقدراته، ومؤتمر آدمنتون بكندا عام ١٩٩٨ م لدعم الجهود التطوعية باعتبارها تعمل لصالح التغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية في مواجهة التحديات، ومؤتمر أمستردام عام ٢٠٠١ م لتوحيد جهود القيادات من المؤسسات الحكومية والمنظمات والجمعيات غير الحكومية ومراكز البحوث الأكاديمية بهدف التوصل إلى مبادئ جوهرية ورؤية شاملة لمواجهة التحديات وتلبية الطموحات الراهنة والمستقبلية على الصعيد الوطني والعالمي الناتج عن أهمية التطوع والعمل التطوعي ودوره في تقدم المجتمعات وتلبية حاجات المجتمع المتنوعة.

وتولي الدول المتقدمة العمل التطوعي اهتماماً كبيراً حيث يشير (smith,1995) نقلاً عن (السلطان، ٢٠٠٩م) إلى أن الجمعيات الخيرية المسجلة في بريطانيا (١٧٠ ألف جمعية) وأن عدد الجمعيات التطوعية بلغ ٣٠٠ ألف جمعية وأن أعداد المتطوعين في بريطانيا وحدها بلغ ٢٣ مليون، وخلال الأعوام ١٩٩٩م - ٢٠٠٣م دعمت الحكومة البريطانية العمل التطوعي عن طريق توفير مبالغ مالية لتشجيع المبادرات التطوعية ومنها مبادرة المتطوعين من كبار السن حيث صرفت لما يقارب (١٦) مشروعاً صرفت إلى معرفة السبل إلى انخراط ومشاركة المسنين في الأعمال التطوعية (home office,2004)، وفي كندا تصل عدد المنظمات التطوعية إلى ما يقارب (١٦١ ألف)

منظمة ويبلغ عدد المتطوعين بها (١٢ مليون) متطوع (volunteer canada,2006)، بينما في استراليا يساهم ٣٢٪ من الاستراليين في أعمال التطوع (world volunteer web) (2003)، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بلغ عدد المتطوعين (٦٥ مليون) أمريكي متطوع (preston,2006)، ونظراً لأهمية المؤسسات والجامعات التربوية في المجتمع، حيث يمثل مشاركة الطالب الجامعي في العمل التطوعي بعداً هاماً في ربط الجامعة ومخرجاتها التعليمية بالمجتمع وحاجاته ومشكلاته حيث يفتح العمل التطوعي آفاقاً واسعة أمام الطلاب لاستكشاف مجتمعاتهم بعيداً عن أسوار الجامعة، فالدراسة تركز على استقصاء العمل التطوعي لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية "دراسة ميدانية لمعرفة واقع واتجاه ومعوقات العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية" وتنقسم الدراسة إلى أربعة أقسام يمثل القسم الأول بالإطار العام للدراسة والثاني الإطار النظري للدراسة مع الدراسات والأبحاث السابقة والقسم الثالث يركز على الدراسة الميدانية ويحلل ويفسر النتائج والقسم الرابع يحدد ملخص لنتائج الدراسة مع توصياتها.

مشكلة الدراسة

الجامعة هي معقل الفكر الإنساني وبيت الخبرة في مجال الآداب والعلوم والتربية والجامعة هي رائدة التطوع والإبداع ومصدر لتعزيز القيم الإنسانية والأخلاقية والوطنية والجامعة تعد المسؤولة في تنمية أهم ثروة يمتلكها المجتمع وهي الشباب والثروة البشرية الشبابية نظراً لما يمثله الشباب كونهم في مرحلة العطاء وامتلاكهم القدرة الذهنية والبدنية والعقلية.

وقد دلت الاتجاهات والاهتمامات الدولية والعالمية المعاصرة في تناول العمل التطوعي وغرس ثقافته لدى الشباب وتشجيعهم عليه وخاصة في مرحلة الشباب كونه

يساهم في تسريع التنمية في المجالات الثقافية والاقتصادية والتعليمية والصحية وفي استثمار أوقات الشباب بما يفيد وينفع وكونه يساهم في تعزيز انتماء الشاب لوطنهم ومجتمعهم وفي تطوير قدراتهم ومهاراتهم الفكرية والفنية والتقنية والتعليمية والعلمية وكذا فرصة لهم للتعبير عن رغباتهم وميولهم واهتماماتهم في العمل في القضايا التي تهمهم وتهم مجتمعهم وكذا في القضاء على أوقات فراغهم إلا أن ممارسة العمل التطوعي يختلف من مجتمع إلى آخر ومن مؤسسة تعليمية تطوعية لمؤسسة أخرى.

وتشير بعض الدراسات التي طبقت للتعرف على مدى مشاركة الشباب (فئة عمرية من ١٢ - ١٩ سنة) تفاوتت من دولة لأخرى ففي استراليا كانت ٢٨٪ وفي أمريكا ٥١٪ وفي السويد ١٩٪ وفي روسيا ٢٣٪ وفي التشيك ٤٦.٣٪ وفي المجر ٦٤.٤٪ وفي بلغاريا ٤٢.٢٪ (Falngan.1999)، وفي دراسة أخرى أن عدد الملتحقين في برامج العمل التطوعي من طلاب الجامعات والكليات الأمريكية لعام ٢٠٠٥ م بلغ ٣.٣ مليون طالب، وفي دراسة طبقت في الوطن العربي أظهرت أن الشباب من سن ١٥ - ٣٠ سنة هم أقل فئة تهتم بالتطوع والعمل التطوعي، وفي دراسة أخرى تشير إلى أن عدد الملتحقين في برامج العمل التطوعي من طلاب الجامعات والكليات الأمريكية عام ٢٠٠٥ م بلغ ٣.٣ مليون طالب حيث تزايد العدد بصورة ملحوظة بين عامي ٢٠٠٢ م و ٢٠٠٥ م حيث بلغت نسبة الزيادة ٢٠ ٪، بينما تشير الدراسات في العالم العربي (الباز.٢٠٠٢م) (القعيد.١٤١٧هـ) (يعقوب والسلمي.٢٠٠٠م) (الشيبيكي.١٩٩٢م) إلى تراجع قيم المشاركة في الحياة العامة وأعمال التطوع، كما يذكر (عارف.٢٠٠٦م، ٥٣٦) و (لبنى، ٢٠٠١م. ٥٠٥) إلى تناقص أعداد المتطوعين عامة وإحجام الشباب بوجه خاص عن التطوع حيث إن ٣٥.٦٪ من المنظمات الأهلية تعاني من نقص في أعداد المتطوعين، وأن الفئة العمرية من ٤٠ - ٦٠ هي التي تركز على

أعمال التطوع وانخفاض التطوع لدى الشباب من هم أقل من ٣٥ سنة، وانخفاض مبادرات الشباب نحو العمل التطوعي وضعف قدرات المنظمات في مجال تهيئة الشباب نحو العمل التطوعي ومحدودية الدور الذي تؤديه.

بينما قامت (الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، ٢٠٠٥م) بدراسة عن العالم العربي والعمل التطوعي ووجدت أن الشباب من ١٥ - ٣٠ سنة هم أقل فئة عمرية مهتمة بالعمل التطوعي بالرغم من قدرة الشباب في هذا السن للقيام بأعمال تطوعية تخدم المجتمع بصورة فائقة. وحول مشاركة الطالب في المرحلة الجامعة في الأعمال التطوعية ودور الجامعة في ذلك حيث يتمثل دور الجامعة بعداً يربط الجامعة بالمجتمع واحتياجاته وتفاعلها معه وربط مخرجات الجامعة بالمجتمع حيث نجد في كثير من الجامعات المختلفة على مستوى العالم تهتم بذلك ففي الولايات المتحدة الأمريكية تطبق العديد من الجامعات الأمريكية نظام التعليم التطوعي (Student Volunteerism) حيث تجد هذه البرامج تفاعلاً وتقديراً من المجتمعات المحلية ويتضمن البرنامج الأكاديمي للطلاب الجامعي ساعات محددة تحسب على أنها أعمال تطوعية للمجتمع وتدخل ضمن الساعات المعتمدة للبرنامج الأكاديمي والمحصلة النهائية لتطبيق هذه البرامج تعود كما يشير وارد (Ward.k.1996) إلى ما يلي:

- ١- زيادة التفاعل والتعاون بين الجامعة والمجتمع.
- ٢- ربط البرامج الأكاديمية الجامعية باحتياجات المجتمع.
- ٣- زيادة خبرة الطالب العلمية والعملية وتنميتها في مجال المهارات الاجتماعية والتطوعية.

وفي دراسة (Corporation for na.2006) أن بعض الجامعات والكليات الأمريكية تضع العمل التطوعي والخدمة العامة ضمن المواد الإجبارية والمتطلبات الأساسية التي

يجب على الطالب اجتيازها، ويعتبر برنامج سان فرانسيسكو للتطوع الذي تأسس في عام ١٩٩٥ م مثلاً للبرامج الرائدة في مجال التطوع وغرس قيم العمل التطوعي حيث شارك الطلاب من ١٠٠ مدرسة تابعة للبرنامج في مجالات التطوع مع آخر من ٣٠٠٠ مؤسسة.

وفي المملكة العربية السعودية لا يزال العمل التطوعي محدوداً ودون المستوى المطلوب ولا تزال الجهود دون المطلوب ومحدود ويغلب في مجال الدعوة والناحية الاجتماعية وتقديم الخدمات للفقراء والمساكين، وربما يعد ذلك الأمر ناتجاً عن التنشئة الاجتماعية والتربية الأسرية والمدرسة والجامعة التي تهتم فقط بالجانب التعليمي دون الاهتمام بزرع روح التطوع والعمل التطوعي وبث الانتماء ومساعدة الآخرين ويكون منهاجاً يتبع، وعليه وبناءً على ما سبق فإن الوضع الحالي يحتم القيام بدراسة هذه الظاهرة والوقوف عليها لدى فئة الشباب الجامعي لمعرفة واقع ممارستهم للعمل التطوعي واتجاههم نحو أساليب تنميته لديهم من وجهة نظرهم ومعرفة المعوقات التي تعوق قيامهم به، ولذا فإن مشكلة الدراسة تركزت في محاولة التعرف على واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية واتجاههم نحوه وتحديد المعوقات التي تحد من ممارستهم وانخراطهم في أعمال تطوعية وتوضيح وبيان أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم للأعمال التطوعية.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- ما مفهوم العمل التطوعي ووظائفه والنظريات المفسرة له ومجالاته ؟
- ٢- ما واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية ؟

- ٣- ما اتجاهات طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي ؟
- ٤- ما أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة بالأعمال التطوعية ؟
- ٥- ما المعوقات التي تعوق طلاب جامعة القصيم بالمملكة المشاركة بالأعمال التطوعية ؟
- ٦- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب - معوقات) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية باختلاف متغيرات الدراسة (الكلية - السنة الدراسية والمستوى - التقدير العام والمعدل - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي) أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

- ١- بيان مفهوم العمل التطوعي ووظائفه والنظريات المفسرة له ومجالاته ؟
- ٢- التعرف على واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة ؟
- ٣- الكشف عن اتجاهات طلاب جامعة القصيم بالمملكة نحو العمل التطوعي ؟
- ٤- بيان أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالأعمال التطوعية ؟
- ٥- معرفة المعوقات التي تعوق طلاب جامعة القصيم بالمملكة للمشاركة بالأعمال التطوعية ؟
- ٦- بيان الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب معوقات) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم

بالمملكة باختلاف متغيرات الدراسة (الكلية - المستوى والسنة الدراسية - التقدير العام والمعدل - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي)
أهمية الدراسة

- يمكننا بيان أهمية الدراسة من الناحية العلمية والعملية على النحو التالي :
- ١ - الاهتمام المتزايد بموضوع العمل التطوعي في المجتمعات العالمية ، وحاجة المجتمع إلى هذا الاتجاه نتيجة كثرة المشكلات والكوارث الطبيعية والحروب ، وأهمية العمل التطوعي والفئة المستفيدة منه والفئة المقدمة له من آثار نفسية واجتماعية كالثقة بالنفس واحترام الآخرين ومساعدتهم.
 - ٢ - تعد هذه الدراسة إضافة علمية للمكتبة العربية للنقص الحاصل في جانب موضوع الدراسة من حيث مفهوم العمل التطوعي وبيان واقعه والاتجاه نحوه وأساليب تنميته والمعوقات التي تحد من ممارسته والانخراط فيه.
 - ٣ - تقدم هذه الدراسة للقائمين على العمل التطوعي والمهتمين به في مجالات الحياة المختلفة سواء أكانوا مخططيين أو منفذين له وذلك في بيانهم لمفهوم العمل التطوعي وواقعه لدى فئة الشباب طلاب الجامعة واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم والمعوقات التي تعوقهم من ممارسته والانخراط فيه.
- حدود الدراسة**

تلتزم الدراسة منهجياً بالحدود التالية :

الحدود الموضوعية

تقتصر الدراسة موضوعياً بالتعرف على واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم والمعوقات التي تحد من ممارستهم له والانخراط فيه.

الحدود الزمانية

اقتصرت الدراسة زمانياً على تطبيق أداة الدراسة على عينة من طلاب جامعة القصيم في المملكة العربية السعودية في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣١ هـ / ١٤٣٢ هـ.

الحدود المكانية

اقتصرت الدراسة مكانياً على طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية.

مصطلحات الدراسة

تقدم الدراسة المصطلحات التالية :

١- العمل التطوعي (Volunteer work)

العمل هو المجهود الذي يقوم به الفرد سواء أكان ذهنياً أو بدنياً. (ابن منظور، ١٤١٨هـ-٣٧٤)

التطوع

في اللغة يعني الزيادة في العمل أو التبرع بما لا يلزم الشخص كالتنفل في الصلاة والصيام ومن ذلك قوله تعالى (فمن تطوع خيراً فهو خير له) سورة البقرة ١٨٤ (الأصفهاني ١٤١٨هـ-٣١٢) التطوع : هو ما تبرع به الفرد من ذات نفسه مما لا يلزم فرضه (ابن منظور ١٤١٨هـ-٢٩١)

العمل التطوعي: يمكن أن نورد مجموعة من التعريفات حول العمل التطوعي

وذلك كما يلي :

- العمل التطوعي : الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل المسؤولية على تقديم الرعاية الاجتماعية.(العلي ١٤١٦هـ. ٧٦).
- العمل التطوعي : هو الجهد والعمل الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم بهدف تقديم خدماتهم للمجتمع أو فئة منه دون توقع لجزاء مادي مقابل جهودهم.(الخطيب ٢٠٠٠م. ٤).
- العمل التطوعي : هو مجموعة من الفعاليات التي يقوم بها الأفراد بصفة اختيارية دون انتظار الأجر نتيجة لتطور النشاط المؤسسي في مجتمع ما.(الحمادي ١٤٢١هـ. ٣).
- ويعرف الباحث العمل التطوعي بـ: الجهود المبذولة من طالب المرحلة الجامعية في المملكة العربية السعودية التي يقوم بها بصفة اختيارية بهدف تقديم الخدمات الإنسانية والاجتماعية لأفراد المجتمع إسهاماً منه في تحمل المسؤولية ودون انتظار الأجر والجزاء المادي أو المعنوي.

ثانياً: الإطار النظري والدراسات السابقة

تتناول هذه الدراسة في إطارها النظري ما يلي :

أولاً: مفهوم العمل التطوعي

أ) التطوع في اللغة

وهو يعني الزيادة في العمل أو التبرع بما يلزم الشخص كالتنفل في الصلاة والصيام والصدقة، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَنْ نَّطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ سورة البقرة آية ١٨٤ (الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ٣١٢) كما أن التطوع في اللغة هو ما تبرع به الشخص من ذات نفسه من لا يلزمه فرضه، والتطوع بالشيء التبرع، والتطوع والطوع والتطوع مصدر

من الفعل طوع ومنه تطوع ومعناه: لأن وتكلف الطاعة وتنفل أي قام بالعبادة طائعا مختاراً دون أن تكون فرضاً من الله عليه. قال تعالى ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة آية ١٥٨ وقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي فمن زاد عن القدر المذكور في القدرية فهو خير له ، ويقال تطوع بالشيء تبرع به فهو متطوع والجمع متطوعون ومن هنا كان كل عمل يقوم به الإنسان من تلقاء نفسه ويؤدي فيه خدمة لغيره دون انتظار أجر أو مقابل ما يسمى تطوعاً (مصطفى، ١٩٨٦م، ٥٧). والتطوع هو ما تبرع به الشخص من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه (ابن منظور ١٣٧٥هـ، ٢٤٣)

ب) التطوع في الاصطلاح

هناك جملة من التعريفات الاصطلاحية للعمل التطوعي وذلك على النحو التالي:

- ١- ويعرفه (راشد. ١٩٩٠م. ١٥) بأنه التضحية بالوقت والجهد والمال دون انتظار عائد مادي يوازي الجهد المبذول.
- ٢- ويرى (عجوبة، ١٤١٥هـ، ١٧٩) العمل التطوعي بأنه أي عمل يقوم به شخص ما أو مؤسسة بصورة منظمة دون أن يعطى أجراً مقابل ما يؤدي من عمل مهما كان حجمه ودرجته ونوعه وتكلفته المادية والمعنوية.
- ٣- ويعرف الخطيب العمل التطوعي بأنه: الجهد والعمل الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم بهدف تقديم خدماتهم للمجتمع أو فئة منه دون توقع لجزء مادي مقابل جهودهم. (الخطيب، ٢٠٠٠م، ٤).
- ٤- ويعرف (الحمادي، ١٤٢١هـ، ٣) العمل التطوعي بأنه مجموعة من الفعاليات التي يقوم بها الأفراد بصفة اختيارية دون انتظار الأجر نتيجة لتطور النشاط المؤسسي في مجتمع ما.

٥- ويعرفه الباز بأنه التبرع بالجهد أو الوقت أو الاثنين معاً للقيام بعمل أو أنشطة لخدمة المجتمع ليس مطالباً به الفرد أو مسؤول عنه ابتداءً بدافع غير مادي ولا يأمل المتطوع الحصول على مردود مادي من جراء تطوعه حتى وإن كان هناك بعض المزايا المادية فهي لا تعادل الجهد والوقت المبذول في العمل التطوعي (الباز، ٢٠٠٢م، ٦٧).

من خلال التعاريف السابقة للعمل التطوعي فإن الباحث يرى مجموعة من الأمور الأساسية وهي :

- أن التطوع جهد إنساني من قبل أفراد أو مؤسسات.
- أن العمل التطوعي يقوم على أساس الرغبة الذاتية والاختيارية للفرد والمؤسسة.
- أن العمل التطوعي يأخذ أشكالاً وصوراً متعددة.
- أن المتطوع لا ينتظر عوائد مادية.

ثانياً: تاريخ العمل التطوعي ونشأته

تناولت كثير من الدراسات مثل دراسة كل من: (النعيم، ٢٠٠٥م) (القرشي، ٢٠٠٢م) (المنيف، ٢٠٠٥م) (الشبيكي، ١٩٩٢م) و(الباز، ٢٠٠٢م) و(الشهراني، ٢٠٠٦م) نشأة العمل التطوعي وتاريخه وأكدت أن العمل التطوعي نشأ بنشأة الإنسان وبداية الخليقة وفي كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات، حيث دلت الصور والرسوم الموجودة على المعابد الفرعونية على أن العمل التطوعي يتمثل بمساعدة الآخرين، وكذلك كان اهتمام الإغريق الأغنياء بالفقراء وأبناء السبيل بتوفير الطعام وتقديم المساعدة، كما أن الرومان كان العمل التطوعي يتمثل بطبقة النبلاء حيث يوزعون المساعدات على الفقراء وأكدت الفلسفات الإنسانية كالكنفوشية

والهندوسية أهمية التطوع في الحياة الاجتماعية وممارسته كجزء من العبادة التي دعت إليها، وفي الأديان السماوية كذلك ففي اليهودية هناك نصوص تحدد نماذج العمل التطوعي ومنها الوصايا العشرانية نزلت على موسى عليه السلام ومنها النظر للمساكين وتقديم العون لهم، أما النصرانية فقد جاءت مكملية لليهودية واستمراراً لها في الإحسان ورعاية المحتاج فهناك نصوص تدل على الرعاية الاجتماعية والاهتمام بالأيتام والأرامل، وفي العصر الجاهلي فقد اتصف العرب بصفات حميدة منها إغاثة اللفهان ومساعدة المحتاج ونصرة المظلوم ومن ذلك حلف الفضول الذي عقدته بعض بطون قريش لنصرة المظلوم يمثل صورة حية للعمل التطوعي (الشرباصي، ١٩٨١م، ٣٣)

وأخيراً جاء الإسلام ليحارب الفقر ويقرر التكافل الاجتماعي ويدعوله ويقرر حق الفرد المحتاج على المجتمع المسلم، والفرد الذي يعجز ولا يستطيع إعانة نفسه أو إعانة ذويه يصبح المجتمع مسؤولاً عنه، وكان لعلماء الدين الإسلامي والموسورين دور كبير في الجهود التطوعية التي تعتمد على الفرد والمنظمات الخيرية من خلال شحذ همم أفراد المجتمع للتطوع في أعمال الخير والبر فتأسست المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الأيتام وخدمة الحجاج ومساعدتهم.

ويشير (زرمان، ١٤٢١هـ، ٧) لولا الأعمال التطوعية التي يقدمها المسلمون للحجيج ومساعدتهم لما كان بإمكان التعليم أن يحرز تقدماً في خدمة الحجاج والانتشار الواسع في ذلك الذي أهلهم لقيادة البشرية.

ولقد حدث تطور كبير في تاريخ ومسيرة العمل التطوعي بظهور المنظمات والجمعيات الخيرية التي أسست بدافع إنساني لمساعدة الجمعيات المحتاجة مثل جمعية Philadelphia Society for Alleviating the Miseries of Public Prisoners وهي جمعية

ومنظمة خيرية أسست عام ١٧٨٧ م لتخفيف معاناة المسجونين، و Massachusetts Charitable Fire Society وهي منظمة خيرية أسست في عام ١٧٩٤ م لمساعدة ضحايا الحرائق.

ويذكر (النعيم، ٢٠٠٥م، ٥٦) أن عدد المنظمات الخيرية في الاتحاد الأوروبي حوالي مليون منظمة تهدف إلى تقديم المساعدات للفقراء والمعاقين والأطفال ورعايتهم وتأهيلهم وحماية البيئة والأسرة والصحة العامة. وفي الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد عن مليون منظمة تطوعية وخيرية تقوم بمكافحة المخدرات وإيواء المدنيين والعناية بالمسنين.

وفي المملكة العربية السعودية فقد اعتنت الحكومة بالعمل التطوعي والخيري من أجل تقديم العون للمحتاجين والأرامل والمساكين والمطلقات والأيتام والمرضى من خلال تقديم العون المادي لهم، ويوجد بالمملكة العربية السعودية ما يقارب ٢٤٥ جمعية ومنظمة تطوعية وخيرية (الشهراني، ٢٠٠٦م، ٨).

ونؤكد أن العمل التطوعي يكون على مستوى الجهد الفردي أو المؤسسي حيث أنه في أغلب دول العالم المتقدمة يوجد مؤسسات وهيئات وجمعيات تعنى بتنظيم العمل التطوعي، حيث تشير التجارب العالمية إلى نجاح تلك المؤسسات والجمعيات في إيصال الخدمة، ويذكر (يعقوب والسلمي، ٢٠٠٥م، ٦١) إلى أن الأسباب تعود إلى امتلاك الجمعيات والمنظمات والمؤسسات الخيرية سرعة اتخاذ القرار وإلى التركيبة الإدارية تخلو من التعقيد والبيروقراطية وإلى الدوافع الإنسانية وعدم وجود الربح المادي لها وتوافر العناصر البشرية الكافية.

ثالثاً: مجالات العمل التطوعي

أدى التقدم والتطور في المجتمعات إلى ظهور مؤسسات خدمية جديدة لرعاية فئات المجتمع المختلفة، وهذا أدى إلى تعدد مجالات تلك الخدمات المقدمة في مجال الأعمال التطوعية، ويمكن تحديد مجالات العمل التطوعي وأنساقه من خلال ما أشار إليه (الاصيبي، ٢٠٠٢م، ١٠) بما يلي :

- ١- تقسيم مجالات العمل التطوعي من حيث نوع العمل.
 - ٢- تقسيم مجالات العمل التطوعي من حيث مستوى العمل.
 - ٣- تقسيم مجالات العمل من حيث أنساق العمل.
- وفي مجمل مجالات العمل التطوعي يمكننا حصرها من خلال ما تناوله كل من (السلطان، ٢٠٠٩م) (الاصيبي، ٢٠٠٢م) (الشهري، ٢٠٠٦م) (الزهراني، ٢٠٠٠م) وذلك على النحو التالي :
- ١- المجال الاجتماعي والثقافي والنفسي: ويتضمن (رعاية الأطفال، رعاية المرأة، إعادة تأهيل مدمني المخدرات، رعاية الأحداث، مكافحة الفساد، مكافحة التدخين، رعاية المسنين، الإرشاد الأسري، مساعدة المشردين، رعاية الأيتام، مساعدة الأسر المحتاجة والفقيرة، نشر الوعي الثقافي)
 - ٢- المجال التربوي والتعليمي: ويتضمن محو الأمية وتعليم الكبار والتعليم المستمر والتدريب وحلقات تحفيظ القرآن الكريم وبرامج صعوبات التعلم وتقديم التعليم المنزلي للمتأخرين دراسياً وإكساب المهارات المهنية والتعليم للمهنة.
 - ٣- المجال الدعوي والخيري: ويشمل النشاط الدعوي والزيارات ودعوة الجاليات المسلمة وغير المسلمة والإشراف على المراكز والجمعيات الإسلامية والتأليف في مجال الإسلام بحلقات مختلفة.

٤- المجال الصحي: يتضمن الرعاية الصحية والخدمات الإسعافية وإقامة الندوات الصحية ومكافحة التدخين والحوادث المرورية ورعاية كبار السن والمعوقين وخدمة المرضى وتقديم الإرشاد النفسي والصحي والتمريض المنزلي وذوي الاحتياجات الخاصة.

٥- المجال القومي والوطني والأمني: ويشمل الدفاع عن الوطن والدفاع المدني ومعسكرات الشباب والكشافة التي تعود الشباب على الخدمة العامة والإغاثة والكوارث الطبيعية.

٦- المجال البيئي: ويتضمن الإرشاد البيئي والعناية بالغابات ومكافحة التصحر والعناية بالمنتزهات العامة والشواطئ والروضات ومكافحة التلوث البيئي.

٧- مجال الإغاثة: ويتضمن كل عمل يعنى بتقديم الحاجة لمن يحتاجها مثل إغاثة الملهوف وإغاثة الفقراء والكوارث الطبيعية والبيئية والإغاثة في مجال الحروب والمجاعات.

٨- المجال الإعلامي: الإعلام في هذا العصر هو أكبر مؤثر فاعل في أفراد وحياة المجتمع ويمكن التطوع في مجال الإعلام المرئي والورقي والمسموع (المطبوع وغير المطبوع).

٩- المجال الاقتصادي: ويتضمن إشراك العمال المنتجين في إدارة وتشغيل المرافق الاقتصادية والصناعية والمهنية بما يضمن تحقيق مصالح جميع الأطراف.

رابعاً: النظريات المفسرة للعمل التطوعي

إن النظريات المفسرة للعمل التطوعي تأخذ أبعاداً عدة في مجملها تحاول تفسير سلوك الإنسان الذي يقوم به للعمل التطوعي ويمكن تناولها كما تناولها (العنزي، ٢٠٠٦م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) كما يلي:

١- النظرية التبادلية EXCHANGE THEORY

(أ) رواد هذه النظرية هم جورج هومانس (Homans, 1974, 16) وتتضمن هذه النظرية مجموعة من الفرضيات هي كما يلي :

- كلما كان هناك مكاسب من العمل أو النشاط الذي يقوم به الفرد زاد من احتمالية تكرار ذلك العمل.

- مراعاة عدم وجود فاصل بين القيام بالعمل وتحقيق المكاسب المعنوية والمادية.

- إذا كان هناك مؤثرات في الماضي أدت إلى وجود مكاسب للفرد فإن وجود مؤثرات مشابهة ستدفع الفرد للقيام بالعمل السابق أو بعمل مشابه له.

- كلما كان تقييم الفرد لنتائج فعله أو نشاطه إيجابياً زادت من احتمالية قيامه بالفعل.

- حينما يؤدي الفرد عملاً ولا يحصل على مكاسب كما كان متوقعاً أو يوقع عليه عقاباً فإن احتمالية وجود سلوك عدواني كبيرة، وإذا حصل على ما يتوقع يكون احتمالية قيامه بالسلوك المرغوب فيه مرة أخرى أكثر.

والخلاصة أن هذه النظرية تطبق على العمل التطوعي فالمتطوع الذي يحصل على مكاسب معنوية ومادية سواء من احترام المجتمع له وحبه له وتعاطفهم معه وتقديرهم له مع جوانب مادية يدفعه إلى مزيد من العمل التطوعي.

٢- نظرية الدور THEORY OF THE ROLE

وهذه النظرية تؤكد أن الدور يشكل أحد عناصر التفاعل الاجتماعي وهو نمط متكرر من الأفعال المكتسبة التي يؤديها الشخص في موقف معين وهذا يوضح الدور

البارز الذي يؤديه المتطوع في تفعيل النشاط والعمل التطوعي والنهوض بخدماته لسد حاجات الأفراد والجماعات

والتطوع هنا يأخذ صوراً متعددة فقد يكون تبرعاً بالمال أو تضحية بالوقت كما يحدث في الجمعيات والمراكز الخيرية والأهلية والأندية الرياضية والثقافية، وتظهر هذه النظرية مفهوم المركز الاجتماعي الذي يرى أن كل شخص من الذين يحتلون هذه المراكز يقوم بأفعال معينة أو يقوم بأدوار ترتبط بالمراكز وليس بالأشخاص الذين يحتلون هذه المراكز وبما أن العمل التطوعي فيه إشباع لحاجة الأفراد والمجتمع على حد سواء فهو يعمل على سد الثغرات والنقص وبشكل أساسي في عملية التفاعل الاجتماعي القائمة بين الأفراد، ومن مفهوم المركز الاجتماعي يمكن تفسير الدور الذي يؤديه القائمون بالعمل التطوعي انطلاقاً من دوافع الخير وهذا الدور في الأساس يقوى من المركز الاجتماعي للمتطوع، ولقد استندت فكرة الدور الاجتماعي أو نظرية الدور في تفسير العمل التطوعي على مفهوم التوقعات المتصلة بالمراكز الاجتماعية وصنفت التوقعات إلى ثلاثة أنواع التوقعات الثقافية وتوقعات الآخرين وتوقعات المجتمع العامة.

٣- النظرية البنائية والوظيفية THEORY OF STRUCTURAL AND FUNCTIONAL

وهي نظرية تحاول تفسير السلوك التطوعي الاجتماعي بالرجوع إلى تفسير النتائج التي يحققها هذا السلوك في المجتمع، فالمجتمع في هذه النظرية يمثل أجزاء مترابطة يؤدي كل منها وظيفة من أجل خدمة أهداف الجميع، وهذه النظرية ترى أن المجتمع له نسق من العلاقات الاجتماعية ومن ثم تجمع هذه العلاقات في صورة منظمة اجتماعية بالتالي ينبغي النظر للمجتمع نظرة كلية باعتباره نسقاً يحوي مجموعة أجزاء مترابطة كما يترتب على هذه الرؤية التصويرية تعدد العوامل الاجتماعية، كما أن التكامل في المجتمع لن يكون تاماً على الإطلاق وهذا يحدث الخلل والانحراف الذي يحدث في

الكشف الاجتماعي، وتنطبق هذه النظرية على العمل التطوعي باعتباره أحد الأنساق الاجتماعية للحفاظ على استقرار المجتمع وتكامله وهنا يترابط النسق التطوعي مع النسق الأسري والاقتصادي والتربوي ليشكل البناء الاجتماعي فإذا عجز أحد الأنساق الاجتماعية من القيام بأحد وظائف البناء الاجتماعي فقد ينشأ الخلل الوظيفي الناتج عن عجز الأعضاء في المؤسسة عن ممارسة الوظائف الاجتماعية فيأتي العمل التطوعي لسد هذا العجز ويعيد الضبط الاجتماعي لطبيعته.

٤- نظرية الحاجات (نظرية التفاعل) THEORY OF) THEORY NEEDS

(INTERACTION

وهي نظرية ماسلو تنقسم إلى خمسة مستويات لتشكل هرماً قاعدته الحاجات الأساسية متمثلة بالطعام والشراب والسكن والجنس والملبس وهي حاجات أساسية لبقاء الإنسان ثم يلي الحاجات الأساسية عند ماسلو إشباع حاجات الأمان والطمأنينة للفرد على نفسه بما في ذلك تأمين دخل مناسب له والحاجات التي تليها على سلم حاجات ماسلو هي الحاجات الاجتماعية التي يندرج تحتها العمل التطوعي بالنظر لما يترتب عليها في مجال تحقيق الذات وربما حتى تغير النظرة الفردية لشخصية المتطوع وما يتحقق عنه من تقدير خاص للمتطوع من طرف الجماعة بصورة خاصة ومن المجتمع عامة، إن المتطوع يحد بحاله ونفسه ووقته لخدمة المجتمع مما يعطيه الإحساس بأنه فرد فعال في مجتمعه وأهمية نظرة المجتمع له، و كلما وجد المتطوع التقدير من حوله زادت دافعيته للعمل التطوعي واقتناعه بأهميته وما يقوم به وما يؤديه من أعمال خيرية تطوعية للمجتمع.

٥- نظرية القيم (المدخل القيمي) THEORY OF VALUES

ترى هذه النظرية أن الإنسان خلال حياته الاجتماعية يكتسب الكثير من القيم وتشكل التنشئة الاجتماعية محوراً أساسياً في هذه النظرية أو المدخل وهي تستند إلى الآتي:

- التنشئة الاجتماعية تلعب دوراً أساسياً وكبيراً في هذه النظرية من خلال غرس قيم العمل التطوعي وتعزيزها لدى أفراد المجتمع.
 - التنشئة الاجتماعية تتضمن أهدافاً وقيماً للعمل التطوعي.
 - القدرة الاجتماعية هي امتداد لحياة المجتمع وثقافته.
 - تتكون من خلال التنشئة الاجتماعية كل الأدوار والمكافآت.
- ويفسر العمل التطوعي من خلال هذه النظرية أن ثقافتنا زاخرة بالقيم والأعراف التي تخص عمل الخير والخدمات العامة حيث يكون الفرد تحت تأثير تعلم السلوك التطوعي من خلال الأسرة والمسجد والرفاق والمدرسة والإعلام وجميع مؤسسات المجتمع.

خامساً: نماذج لجمعيات ومراكز في العمل التطوعي

يحظى العمل التطوعي باهتمام كبير في المجتمعات المعاصرة ونعرض هنا مجموعة من المراكز والجمعيات المختصة بمجال العمل التطوعي وهي على النحو التالي:

١- المركز والمعرض المصري للعمل التطوعي

ونشأ عام ١٩٩٤ م ويعمل على ربط الشباب الراغب في العمل التطوعي وخدمة المجتمع مع المؤسسات والجمعيات التي تخدم المجتمع.

٢- جمعية متطوعي الإمارات العربية المتحدة

ونشأ عام ١٩٩٦م وهي تعمل على غرس روح العمل التطوعي بين أفراد المجتمع وتنميته

٣- مركز العمل التطوعي بالكويت

نشأ عام ٢٠٠٤م ويهدف إلى تنظيم العمل التطوعي وتوجيهه وتوعية المواطنين به وإقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التوعوية.

٤- مركز قطر للعمل التطوعي

نشأ بتاريخ ٢٠٠١م ويهدف إلى نشر الوعي التطوعي بين الشباب وتنمية الحس الاجتماعي لديهم وتهيئة الوسائل والسبل لشغل أوقات الفراغ بما يعود عليهم ومجتمعهم بالنفع.

٥- مركز المتطوعين بكندا Volunteer Centre In Canada

وهو مركز يقوم بالنهوض بالعمل التطوعي وبناء قدرة التأثير على المتطوعين المحليين وتحفيزهم وتحفيز الاهتمام بالعمل التطوعي.

٧- إدارة العمل التطوعي الاسترالي Australian Department Of Volunteering

نشأ عام ٢٠٠١م حيث قامت إدارة العمل التطوعي الاسترالي بإنشائه وهدفت من ذلك نشر برنامج وطني للعمل التطوعي وبرنامج لمهارات العمل التطوعي الوطني.

٧- مركز هيراما للتطوع The Hirayma Ikno Volunteer Center

تأسس مركز هيراما للتطوع في جامعة وسيدا في طوكيو باليابان عام ٢٠٠٢م وقد استحدثت في عام ٢٠٠٦م برنامجاً دراسياً يتصل بالعمل التطوعي وتتضمن مواد البرنامج النظريات المعرفية والدراسات التطبيقية للعمل التطوعي.

٨- الجمعية السعودية للعمل التطوعي Saudi Association for Voluntary Work

Work

وهي أول جمعية للعمل التطوعي تقوم بتنظيم ودعم العمل التطوعي بين شباب وفتيات المملكة وتأسست في أكتوبر ٢٠٠٦ ، تزامنا مع اليوم العالمي للقضاء على الفقر في يوم ١٧ أكتوبر لعام ٢٠٠٦ الموافق ٢٤ رمضان ١٤٢٧هـ، وتتمثل رؤية الجمعية أن نكون المرجع الأهم للأعمال والدراسات التطوعية وللمتطوعين في العالم العربي، ورسالتها العمل على نشر ودعم وتعزيز العمل التطوعي وخدمة المجتمع وأهدافها، نشر ثقافة التطوع وإبراز دورها في التنمية الشاملة للمجتمعات، و المساهمة في تطوير الأعمال التطوعية وتنظيمها وتوجيهها، ودعم الأهداف والبرامج الإنمائية الحكومية وعرض وإبراز الاحتياجات التطوعية والأحداث والطوارئ والكوارث الإنسانية والتفاعل معها، و الشراكة الفاعلة مع المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات التطوعية ودعم جهود المسؤولية الاجتماعية للشركات، و توجيه الطاقات الشبابية العربية لخدمة مجتمعاتهم و تنمية قدرات و مواهب و إبداعات المتطوعين لخدمة مجتمعاتهم.

البحوث والدراسات السابقة

يمكن تناول البحوث والدراسات السابقة على النحو التالي :

أجرى (السلطان، ٢٠٠٩ م) دراسة بعنوان " اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي (دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود) هدفت الدراسة إلى الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي نحو ممارسة العمل التطوعي وماهية الأعمال التطوعية التي يرغبون في ممارستها وتحديد المعوقات التي تحول دون التحاق الشباب الجامعي بالأعمال التطوعية ، واستخدم الباحث مدخلين من مداخل المنهج الوصفي هما مدخل الدراسات الوثائقية ومدخل المسح الاجتماعي بالعينة ، وتوصلت الدراسة أن متوسط ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي مستوى ممارسة ضعيف جداً،

وبينت الدراسة أن اتجاه الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي اتجاه إيجابي وأن أكثر مجالات العمل التطوعي جاذبية يتمثل في مساعدة المحتاجين والفقراء وزيارة المرضى ثم المشاركة بالأعمال التطوعية الإغاثية، بينما كانت أقلها جاذبية المشاركة في أعمال الدفاع المدني والمشاركة في الأندية الرياضية .

بينما قامت (العكرش، ٢٠٠٨ م) بدراسة بعنوان " معوقات العمل التطوعي بالمجتمع السعودي (دراسة لبعض نظم ومعوقات العمل التطوعي الاجتماعي - دراسة وصفية بمدينة الرياض) هدفت الدراسة إلى الكشف عن مدى اتفاقية القائمين على العمل التطوعي حول إيجابيته وحول معوقاته من جانب المتطوع ومن جانب المؤسسة التطوعية ومن جانب المجتمع وآلية تنظيم العمل التطوعي مستقبلاً، وتوصلت الدراسة أن نسبة القائمين على العمل التطوعي من الذكور أعلى من الإناث وذلك بسبب مسؤولية الذكور عن العمل التطوعي، وأن أكثر فئة عمرية للعمل التطوعي كانت بين ٣٠ - ٤٠ سنة، وأكثر المعوقات التي تعوق عن العمل التطوعي هي انشغالهم بأعمال خاصة بهم، وعدم طلب الجهة أو المؤسسة من مشاركة أفراد المجتمع في أعمالها مثل الدفاع المدني والهلال الأحمر وجمعية البر.

وقام (الضحيان، ٢٠٠٧ م) بدراسة بعنوان "العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية المؤثرة في ممارسة المعلم للعمل التطوعي داخل المدرسة. هدفت إلى التعرف على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية المؤثرة في ممارسة المعلم للعمل التطوعي داخل المدرسة الكشف عن طبيعة العمل التطوعي داخل المدرسة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي بمدخل منهج المسح الاجتماعي، وتوصلت الدراسة أن الفئة العمرية من ٣٠ - ٤٠ سنة ممن حصلوا على الشهادة الجامعية وسكنوا بالمدن وتدرج تخصصاتهم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والرياضيات هم أكثر قبولاً وممارسة

للعمل التطوعي ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين ممارسة المعلم للعمل التطوعي وقوة علاقته غير الرسمية بزملائه المعلمين والإداريين داخل المدرسة ، كما أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين العوامل الاجتماعية والعوامل الأسرية والعوامل الاقتصادية والتنظيمية وممارسة العمل التطوعي.

وقامت (عارف، ٢٠٠٦ م) بدراسة بعنوان " دور الجامعة في تنمية اتجاهات الطلاب نحو العمل التطوعي في ضوء مفهوم التنمية المستدامة دراسة تطبيقية على طلاب جامعة جنوب الوادي بمصر، هدفت الدراسة إلى توضيح ماهية التطوع وأشكاله والتعرف على اتجاهات طلاب الجامعة نحو ظاهرة العمل التطوعي والتعريف بدور الجامعة في تنمية ثقافة التطوع كمدخل أساسي في تحقيق التنمية المستدامة ، وتوصلت الدراسة لبيان مفهوم التطوع وأشكاله ودوره في تحقيق التنمية المستدامة ووجود اتجاهات سالبة لعينة الدراسة ككل نحو العمل التطوعي سواء لأبعاد القيم للعمل التطوعي أو المسؤولية الاجتماعية للتطوع ونظرة المجتمع نحو التطوع وبينت أهم عوامل نشر ثقافة العمل التطوعي من خلال التربويين بالجامعة وتحديد السياسات والإجراءات التنفيذية لتنمية ثقافة التطوع والتخطيط الاستراتيجي للعمل التطوعي في الجامعات.

وأجرى (الباز، ٢٠٠٢ م) دراسة بعنوان " الشباب والعمل التطوعي في المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية، هدفت الدراسة إلى التعرف مدى مشاركة الشباب في العمل التطوعي ومدى رغبتهم في الأعمال التطوعية والعلاقة بين المشاركة في العمل التطوعي والعوامل الأخرى، واستخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي لعينة الدراسة حيث بلغت (١٦٣) طالبا من طلاب الجامعة بمدينة الرياض ، وتوصلت الدراسة أن الطلاب الباحثين ليس لديهم أية مشاركة في أي عمل تطوعي وأن لديهم رغبة في العمل التطوعي وخدمة المجتمع وتبنت الدراسة نظرية التبادل الاجتماعي في تفسير

العلاقة بين رغبة الشباب في المشاركة في العمل التطوعي والعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأسرية والصحية المرتبطة في تلك الرغبة

وفي دراسة للمكتب الإحصائي الأسترالي (2002 ، ABS) بعنوان " اتجاهات المجتمع الأسترالي نحو العمل التطوعي" وهي دراسة تهدف إلى التعرف على اتجاهات المجتمع الأسترالي نحو العمل التطوعي من خلال فحص أثر المتغيرات الديموغرافية "الجنس ، خصائص الأفراد ، نوع نشاط المنظمة ، الجنس وأوضاع قوة العمل" ، ودوافع التطوع التي تقف وراء زيادة معدل التطوع حيث ٣٢٪ من السكان فوق عمر ١٨ عاماً يمار من العمل التطوعي بمعدلة ٣.٨٪ ساعة أسبوعياً خلال عام ٢٠٠١ مقارنة بـ ٢.٤٪ من السكان بمعدل ٢.٦٪ أسبوعياً خلال عام ١٩٩٥ ، وتوصلت الدراسة إلى :

- ارتفاع معدل التطوع خارج العاصمة والمدن الكبرى حيث يصل إلى ٣.٨٪ مقابل ٢.٨٪ بالعاصمة.

- الإناث في المدى العمري (٣٢ - ٤٤) يمارسن العمل التطوعي أكثر من الرجال حيث تصل نسبتهن إلى ٣.٣٪ بمتوسط ٤.١ ساعة أسبوعياً مقارنة بالذكور ٣.١٪ بمتوسط ٢.١ ساعة أسبوعياً ، يليها المدى العمري (٤٥ - ٥٤) ثم (٢٥ - ٣١).
- نسب التطوع طبقاً لخصائص الأفراد : متزوج ولديه أطفال ٤١٪ ، غير متزوج ٣٦.٨٪ ، متزوج وليس لديه أطفال ٣٢.٦٪ ، وكذا : يعمل جزء من الوقت ٤٠.٧٪ ، يعمل طوال الوقت ٣٢.٧٪ ، بدون علم ٢٧.١٪.
- نسب التطوع طبقاً لنشاط المنظمة : حماية البيئة ٣٥٪ ، التدريس ٢٧٪ ، الصحة ٢٣٪ ، تنمية المجتمع ١٦٪.

• ترتيب نسب التطوع طبقاً للجنس وأوضاع قوة العمل "ذكور بدون عمل، إناث خارج قوة العمل، ذكور بعمل مؤقت، إناث يعمل طوال الوقت، ذكور بعمل طوال الوقت، إناث بعمل مؤقت.

• تباين دوافع التطوع في المجتمع الأسترالي من مساعدة الآخرين والمجتمع ٤٧٪ واكتساب رضا الذات ٤٣٪ أو لفعل شيء جدير بالاهتمام ١٠٪.

وأجرى مكتب التخطيط الثقافي والاجتماعي للمجتمع المدني والعمل التطوعي بأوروبا (SCO: 2002) دراسة بعنوان "اتجاهات المجتمع الأوروبي نحو العمل التطوعي ومدى مشاركته"، وبحث أسباب انخفاض التطوع إلى ١٢٪ بين الشباب، ٩٪ بين المسنين وخصائص المنطقة والأنماط العامة للتطوع ودوافع التطوع وآليات نشر العمل التطوعي، وتوصلت الدراسة إلى:

• ارتفع معدلات التطوع عامة والشباب خاصة في غرب أوروبا عن وسط أوروبا وشرقها، فبلغ ٢٥٪ في بلجيكا، ٣١٪ بألمانيا، ٢٤٪ ببريطانيا، ٢٦٪ بفرنسا، ٢١٪ بأيرلندا، ١٩٪ بأسبانيا، ٢٨٪ بالسويد، ٠,١٪ في سلوفاكيا، ٠,٧٪ في رومانيا، ١,٣٪ بإيطاليا، ١,١٪ في بلغاريا، ٠,٣٪ في المجر.

• الإناث أقل عضوية بمنظمات العمل التطوعي عن الذكور ولكن أكثر نشاطاً، حيث تمثل ما بين ٧٢٪ - ٤١٪ من إجمالي المتطوعين بدول غرب أوروبا.

• تباين أهداف التطوع باختلاف الاتجاهات نحو العمل التطوعي والمشاركة بمنظمات التطوع وعلاقتها بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ومجال ونشاط التطوع.

• تعدد دوافع المتطوعين من المشاركة في تنمية المجتمع ، الرغبة في تقديم الخبرات والعمل الجيد للآخرين ، الاهتمام بالإصلاح السياسي وإعادة البناء الاجتماعي ، والالتزام الخلقي والمسئولية الاجتماعية ، وتعلم مهارات جديدة.

• تشكل أنشطة تنمية المجتمع "التعليم والتدريب، الصحة، الخدمات الاجتماعية وحمية البيئة، الرياضة" مجالات هامة للمنظمات غير الحكومية بأوروبا.

وتناول أندريو وهلولز (Andrew , Holmes: 2002) في دراستهم عن (علاقة

الجامعة بالعمل التطوعي) وقدمت الدراسة مشروع مركز التعليم المستمر بجامعة Hull عن اتحاد الطلاب كنموذج لتنمية مهارات العمل التطوعي وتيسير التعلم ، وتقديم إطار عمل بنائي لمشاركة طلاب الجامعة ، وتحديد مجالات المهارات : حل المشكلة ، الاتصال ، العمل مع الآخرين ، وإعداد خطة عمل لتطويرها وذلك من خلال التعريف بالنموذج الذي يقدم ببرامج التعليم المفتوح والتعليم عن بعد ويتضمن تعليم المهارات الأساسية : فحص ، تحليل ، توضيح دورة تعلم Kolbs ، النقد ، التقديم وأهمية النموذج في تحديد مجالات النمو الحالي والمستقبلي للمهارات ، وتوصلت الدراسة إلى :
• إدراك أكثر للذات ووعي بأهمية تطوير المهارات لدى طلاب الاتحاد المشاركين بالبرنامج.

• مشاركة الطلاب بأكثر من ٢٠ ساعة كل أسبوع ببرامج التطوع كمتطلب لتنمية المهارات.

• ضرورة تقديم النموذج لكل طلاب الجامعة للتدريب على تنمية المهارات.
وأجرت جودي وإسوند دراسة (Judy , Esmond: 2001) بعنوان (مدى مشاركة الطلاب بالتعليم الجامعي باستراليا في العمل التطوعي) دراسة وصفية مسحية لـ ١١٦٢ طالباً للتعرف على اتجاهاتهم نحو العمل التطوعي وطبيعته ودوافع الاهتمام ،

وتوصلت الدراسة إلى ظهور اتجاه إيجابي نحو الأنشطة التطوعية بالمجتمع الأسترالي حيث إن ٧٠٪ من العينة لها خبرة واهتمام بالعمل التطوعي لأسباب متعددة، ٦٢٪ لوضوح النشاط التطوعي، ٢١٪ للقيمة الاقتصادية والاجتماعية للقطاع الثالث في تنمية المجتمع ٩٪ لاستثمار الوقت في خدمة المجتمع ٨٪ للتدريب والإعداد للعمل في المستقبل

وفي دراسة لنورو وهاسي (Noboru , Hayase: 2001) فحصى أولويات غط الحياة باليابان وأمريكا - حيث يمارس ٦٦٪ من اليابانيين العمل التطوعي، ويرغب ٧٥٪ منهم في المشاركة بالمنظمات التطوعية مع عدم وجود خبرات سابقة، ويمثل المتطوعين في المدى العمري (٣٢ - ٤٤) ٥٧٪ باليابان مقابل ١٨٪ بأمريكا، وبحث الاختلافات المتعددة في الدوافع الشخصية للتطوع بين اليابان وأمريكا حيث تمثل أنشطة العطاء والشعور بالالتزام تجاه الآخر والمجتمع أسباباً أساسية للتطوع باليابان، بجانب تحقيق رضا الذات وتنمية مؤسسات المجتمع، وتقديم الخدمات للآخر، ودور برامج خدمة المجتمع بالمدرسة الابتدائية والمتوسطة والعليا باليابان في تيسير مشاركة الشباب في العمل التطوعي وإتاحة الفرصة لإدراك المسئوليات الاجتماعية وتعزيز الإدراك نحو الآخر، ونمو الاتجاهات الإيجابية لإنجاز خدمة المجتمع ودعم التعلم خلال العمل وتقديم الفرصة لكل طالب لإدراك الذات وتقديرها.

وأجرى كرسيتان وويلر (Christina , Willar: 2001) دراسة بعنوان " دور برامج الجامعة في مجال خدمة المجتمع في بناء اتجاهات واهتمامات الشباب بالعمل التطوعي) تحديد دور برامج الجامعة لخدمة المجتمع في بناء اهتمامات الشباب الجامعي بالعمل التطوعي، من خلال المشاركة في برنامج أسبوع خدمة المجتمع أو برنامج حملات التطوع مثل حملات السلام، وحماية البيئة، ولا للمخدرات، ولا للتدخين، أو

برنامج الخط الساخن للاتصال والاستفسار، لتعزيز المشاركة في تقديم الخدمة وتنمية المهارات المتعلقة بها، وإتاحة الفرص المتنوعة لتلبية حاجات حقيقية بالمجتمع، وإدراك أفضل لسياق خدمة المجتمع في إدراك الذات، وإدراك الآخرين والمزايا الاجتماعية للتطوع، وتوصلت الدراسة إلى أن برامج خدمة المجتمع نموذج لإدراك أفضل للذات وللآخرين، وقوة إيجابية لتنمية المجتمع، وأسلوب للحياة ونمو المواطنة.

وقام كولمان (Coleman، ١٩٩٩ م) دراسة بعنوان " العمل التطوعي لدى

طلاب المدارس في المرحلة الثانوية) هدفت الدراسة إلى الكشف عن عدد الطلاب المنخرطين في الأعمال التطوعية وأنواع الأعمال التطوعية التي يمارسها طلاب المرحلة الثانوية والمجالات التي يرغب الطلاب المشاركة فيها كأعمال تطوعية، وتوصلت الدراسة أن متوسط أعمار الطلاب المشاركين في أعمال تطوعية كانت بين ١٤ - ١٦ سنة ويفضلون المشاركة في مساعدة الطلاب على تطوير مهاراتهم في القراءة والكتابة والقيام بمحملات تطوعية خاصة بالأطفال والمساعدة في تنظيم البرامج الرياضية والتطوع في المستشفيات والمنظمات الخيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

وفي دراسة أجراها فلانغن وآخرون (Flanagan, and others 1999) بعنوان

(مستوى مشاركة الطلاب في العمل التطوعي وعلاقة ذلك بالعقد الاجتماعي والمواطنة) طبقت الدراسة على سبع دول وهي تعتبر من الدراسات المقارنة الحديثة في مجال التطوع ومولت من قبل عددا من الجمعيات، وهدفت إلى التعرف على مستوى مشاركة الطلاب من سبع دول في العمل التطوعي وعلاقة ذلك بالعقد الاجتماعي والمواطنة. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتضمنت استبانة تم تطبيقها على (٥,٦٠٠) طالب تراوحت أعمارهم بين (٩ - ١٢) سنة، وقد توصلت الدراسة إلى أن نسبة من شاركوا في أعمال تطوعية من هذه الفئة العمرية بلغت في

أستراليا (٢٨٪) وفي الولايات المتحدة (١٪) وفي السويد (١٩,٩٪) وفي المجر (٦٠,٤٪) وفي جمهورية التشيك (٤٦,٣٪) وفي بلغاريا (٤٢,٢٪) وفي روسيا (٢٣,٤٪). كما أوضحت الدراسة تنوع الأعمال التطوعية التي مارسها أولئك الطلاب وتوزعت مشاركتهم على مساعدة الفقراء والمحتاجين، والمشاركة في الجمعيات الاجتماعية والسياسية، والمساعد في الأعمال التنموية للمجتمع، والمحافظة على البيئة. وفي دراسة لروكير وكلمان (Rocker , and Coleman , 1999) طبقت في المملكة المتحدة على طلاب الصفوف العليا في المدارس الثانوية في المرحلة العمرية بين (١٤ - ١٦) عاماً. هدفت إلى معرفة عدد الطلاب المنخرطين في الأعمال التطوعية، وأنواع الأعمال التطوعية التي يمارسها أولئك الطلاب، والزمن الذي يقضيه الطلاب في مجالات التطوع، وكذلك الدور التي تمارسه المدرسة في تشجيع وتوجيه الطلاب نحو الالتحاق ببرامج الأعمال التطوعية. وطبق الباحثان استبانة على جميع طلاب تلك المدارس، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها.

- ١ - إن المجالات التي يرغب الطلاب المشاركة فيها هي :
 - أ) مساعدة الطلاب الصغار على تطوير مهارتهم في القراءة والكتابة.
 - ب) القيام بالحملات الاجتماعية لتطوير المرافق الخاصة بالأطفال.
 - ج) المساعدة في تنظيم البرامج الرياضية على مستوى المجتمع المحلي.
 - د) القيام بحملات التضامن مع جمعيات الرفع بالحيوان.
 - هـ) التطوع في بعض المستشفيات وكذلك المنظمات الخيرية لمساعدة الفقرات والمحتاجين

- ٢ - إن الوقت الذي يخصصه أولئك الطلاب للعمل التطوعي يتراوح بين مرات قليلة خلال العام أو بصورة أسبوعية أو بشكل يومي.

تعقيب عام حول الدراسات والبحوث السابقة

أولاً: لقد اظهر تحليل إجراءات ونتائج هذه الدراسات والبحوث ما يلي:

أ) يتضح أن الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت العمل التطوعي والتي حصل عليها الباحث في أغلبها حديثة محصورة بين (١٩٩٩ م - ٢٠٠٩ م) مما يوضح المساحة الزمنية التي أجرى الباحث لها مسحاً شاملاً ويلاحظ ازدياد إجراء الدراسات والبحوث في السنوات الأخيرة وهذا مؤشر على الاهتمام الكبير من الباحثين والتربويين بموضوع العمل التطوعي ويؤكد مدى الحاجة إلى هذه الدراسة في التعرف على واقع العمل التطوعي والاتجاه نحوه وأساليب تنميته ومعوقات ممارسته لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية.

ب) يعد تناول موضوع العمل التطوعي من أهم الموضوعات التي كثر الحديث عنها من خلال الكتابات وإجراء الدراسات والبحوث العلمية حولها نتيجة للتحويلات والتغيرات والتطورات الفكرية المعاصرة والعلمية في الوقت الحالي ويؤكد هذه الدراسات السابقة التي منها دراسة كل من: (السلطان، ٢٠٠٩م) (الضحيان، ٢٠٠٧م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) (flangan, 1999) (coleman, 2001) (cludy, 1999) .

ج) قدمت الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت العمل التطوعي المعلومات والأفكار والأطر والأسس النظرية والمرجعية والأساليب والطرق لمن يريد تناول موضوع العمل التطوعي ومن تلك الدراسات دراسات دراسة كل من: (العكرش، ٢٠٠٨م) (السلطان، ٢٠٠٩م) (الضحيان، ٢٠٠٧م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) (البار، ٢٠٠١م)

(Christina , Willar: 2001) (cludy , 2001) (coleman, 1999)

د) ركزت الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع العمل التطوعي يصب مجملها في العمل التطوعي ونماذج تطبيقه واتجاهات الشباب نحوه وواقعه ومتطلبات تطبيقه ومعوقاته وأساليب تطبيقه وأهميته ونحوها ومنها دراسة كل من : (العكرش، ٢٠٠٨م) (السلطان، ٢٠٠٩م) (الضحيان، ٢٠٠٧م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) (البار، ٢٠٠١م) (cludy ,2001) (coleman,1999) ((Christina , Willar: 2001

هـ) أجمعت الدراسات والبحوث على أهمية تناول موضوع العمل التطوعي ومنها دراسة كل من : (العكرش، ٢٠٠٨م) (السلطان، ٢٠٠٩م) (الصيخان، ٢٠٠٧م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) (البار، ٢٠٠١م) (coleman,1999) (Kelly ,1996) (cludy ,2001) (Christina , Willar: 2001)

و) هناك اتفاق وشعور عام في الدراسات والبحوث السابقة على ضعف ممارسة العمل التطوعي ومنها دراسة كل من : السلطان، ٢٠٠٩م) (الضحيان، ٢٠٠٧م) (الباز، ٢٠٠٢م) (البار، ٢٠٠١م) (cludy ,2001) (coleman,1999)

ز) توصلت الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت موضوع العمل التطوعي على ضرورته وأهميته للطلاب بشكل عام وطلاب المرحلة الجامعية بشكل خاص وضرورة ممارسته من قبلهم ومن ذلك دراسة كل من : : (العكرش، ٢٠٠٨م) (السلطان، ٢٠٠٩م) (الضحيان، ٢٠٠٧م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الباز، ٢٠٠٢م) (البار، ٢٠٠١م) (cludy ,2001) (Christina , Willar: 2001) (marta and other ,1999) (coleman,1999) (Kelly ,1996)

ح) أوصت الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع العمل التطوعي على ضرورة تطبيقه وتفعيله في المرحلة الجامعية ومن ذلك دراسة كل من: (السلطان، ٢٠٠٩م) (العكرش، ٢٠٠٨م) (الباز، ٢٠٠٠م) (cludy, 2001) (Kelly, 1996) ((Christina , Willar: 2001

ط) تشير معظم الدراسات والبحوث السابقة إلى الاهتمام المتنامي والمتزايد وخاصة في العقد الأخير نحو إعطاء موضوع العمل التطوعي مزيداً من الاهتمام ولكن ما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من الدراسات والبحوث حول ذلك وخاصة الدراسات التي تمت خلال عام (١٩٩٩م) و(٢٠٠٩م) ومنها دراسة كل من: (الضحيان، ٢٠٠٧م) (السلطان، ٢٠٠٩م) (الباز، ٢٠٠٢م) (عارف، ٢٠٠٦م) (الشهراني، ٢٠٠٦م) (البار، ٢٠٠١م) (Christina ,) (cludy, 2001) (Kelly, 1996) (Willar: 2001) (Richard , Bolles: 2001)

ي) اتفقت الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت العمل التطوعي مع الدراسة الحالية في:

- ١- تأكيد أهمية العمل التطوعي وضرورة مشاركة الطالب الجامعي في ممارسته.
 - ٢- الاهتمام بموضوع العمل التطوعي على مستوى المؤسسات التربوية والتعليمية وخاصة مؤسسات التعليم العالي .
 - ٣- التعرف على الأسس والأصول والأساليب وطرق العمل التطوعي .
 - ٤- الاسترشاد بالأسس والأطر والمبادئ النظرية والمرجعية للعمل التطوعي
- اختلفت الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت العمل التطوعي مع الدراسة الحالية في أن الدراسة الحالية تهتم بـ :

١ - دراسة العمل التطوعي لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية: (الواقع - الاتجاه - الأساليب - المعوقات) دراسة على طلاب جامعة القصيم.

أوجه الاستفادة من الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت العمل التطوعي في الدراسة الحالية في أن الدراسة الحالية استفادت منها في:

- ١ - تأصيل الإطار النظري والفكري للدراسة الحالية حول أهميته وضرورته.
- ٢ - تدعيم الشعور لدى الباحث بضرورة دراسة موضوع العمل التطوعي من حيث العمل التطوعي لدى طلاب المرحلة الجامعية بالمملكة العربية السعودية: (الواقع - الاتجاه - الأساليب - المعوقات) دراسة ميدانية على طلاب جامعة القصيم.

- ٣ - الاسترشاد في كيفية بنائها لأدواتها والأساليب والمعالجات الإحصائية
- ٤ - التعرف على بعض الأدوات المستخدمة في قياس واقع العمل التطوعي واتجاه الطلاب نحوه ومعرفة أساليب تنميته لديهم والمعوقات من عدم ممارسته ومتطلبات تطبيقه ونحوها

ثالثاً: منهجية الدراسة وإجراءاتها

أ) منهج الدراسة

نظراً إلى أن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم والمعوقات التي تحد من ممارستهم له والانخراط فيه توضيح طبيعة العلاقة ذات الدلالة الإحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب تنمية - معوقات) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية باختلاف متغيرات الدراسة

(الكلية - المستوى والسنة الدراسية - التقدير العام والمعدل - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي عمد الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي وهو المنهج الذي يعبر عن الظاهرة موضوع الدراسة تعبيراً كمياً وكيفياً ولا يتوقف عند حد الوصف للظاهرة موضع الدراسة بل يتعدى ذلك بتحليلها والكشف عن العلاقات بين أبعادها المختلفة من أجل الوصول إلى استنتاجات عامة تسهم في تحسين الواقع وتطويره (عطيفة. ١٩٩٦م ٥٤)، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي بأشكاله وأساليبه التالية :

١- المنهج الوصفي الوثائقي

وهو المنهج الذي يقوم على توضيح الخلفية النظرية للظاهرة المدروسة (العمل التطوعي) من حيث مفهومه وأهدافه ومجالاته والنظريات المفسرة له وأبعاده وإستراتيجيته ومعوقاته.

٢- المنهج الوصفي المسحي

وهو المنهج الذي يقوم لاستقصاء آراء عينة الدراسة للظاهرة المدروسة: واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم والمعوقات التي تحد من مشاركتهم فيه من خلال تطبيق أداة الدراسة على عينة تمثل مجتمع الدراسة الأصلي. **مجتمع الدراسة**

يتكون مجتمع الدراسة من: طلاب جامعة القصيم الملتحقين بها خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ وفقاً للتقرير السنوي لجامعة القصيم.

عينة الدراسة

١- اختيار العينة وحجمها وخصائصها: تختزن جامعة القصيم (٢٨) كلية يبلغ مجموع طلابها الذكور (١٨٠٦٤) طالباً في العام الجامعي ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ (التقرير السنوي لجامعة القصيم، ١٤٣٢ هـ).

٢- عينة الدراسة: تضمنت عينة الدراسة الحالية ١٠٥٩ طالباً وطالبة بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية وقد اختار الباحث في المرحلة الأولى الكليات التي سيتم تطبيق أداة الدراسة عليها باستخدام أسلوب العينة غير الاحتمالية غير العشوائية العمدية القصدية (Purposive Sample) حيث تم اختيار ست (٦) كليات تمثل (٢٦ ٪) من كليات جامعة القصيم وتمثل التخصصات المختلفة بالجامعة وهي: العلوم الدينية وتمثل بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية وتمثل بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية وكلية التربية والعلوم الإدارية وتمثل بكلية الاقتصاد والإدارة والعلوم الطبيعية وتمثل بكلية العلوم والطبية وتمثل بكلية الطب بحيث تكون تلك الكليات تمثل التخصصات المختلفة بالجامعة، وهذا يعطي بعداً في اختيار عينة الدراسة ويجعلها ممثلة لكليات الجامعة المختلفة، وبلغ مجموع الطلاب الذكور المقيدين بهذه الكليات (٩٤٢١ طالباً) في العام الجامعي ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ (التقرير السنوي لجامعة القصيم، ١٤٣١ هـ) ثم طبق الباحث أسلوب العينة العشوائية الطبقية وهي العينة التي يتم تقسيم أفراد مجتمع الدراسة إلى فئات وطبقات طبقاً لكلياتهم وسنواتهم الدراسية ومستوياتهم وتقديراتهم ومعدلاتهم (محمد وأبو زيد، ٢٠١٠م، ٢٩٠) واختار الباحث نسبة ١٠ ٪ من مجموع الطلاب الذكور في الكليات الست التي تم اختيارها في المرحلة الأولى وقد تم سحب العينة باستخدام التوزيع المتناسب مع كل فئة فرعية في المجتمع الأصلي والجداول التالية توضح

مجتمع الدراسة وعينتها وما تم توزيعه على العينة لأداة الدراسة كما أن الجدول الآخر يوضح مجتمع الدراسة وعينتها وحجمها وخصائصها.

الجدول رقم (١) مجتمع الدراسة وعينتها وتوزيع أداة الدراسة على العينة.

م	الكلية	عدد الطلاب	العدد الصالح والمناسب
١	الشريعة والدراسات الإسلامية	٣٠٨٢	٣٤٦
٢	اللغة العربية والدراسات الاجتماعية	١٧٣٨	١٨٥
٣	التربية	٦٣٤	٦٠
٤	الاقتصاد والإدارة	٢٤٥١	٢٥٥
٥	الطب	٣٩١	٤١
٦	العلوم	١٥١٦	١٧٢
	المجموع	٩٤٢١	١٠٥٩

الجدول رقم (٢). عينة الدراسة وتوزيعها في ضوء الكلية، السنة الدراسية، المعدل التراكمي، التقدير العام، عدد الدورات التدريبية.

الكلية	العدد	النسبة	السنة الدراسية	العدد	النسبة	التقدير العام	العدد	النسبة
الطب	٤١	٪٣.٩	الأولى	١٩٨	٪١٨.٧	ممتاز	١٤٢	٪١٣.٤
العلوم	١٧٢	٪١٦.٢	الثانية	١١٥	٪١٠.٩	جيد جداً	٣١١	٪٢٩.٤
الاقتصاد والإدارة	٢٥٥	٪٢٤.١	الثالثة	٣٥١	٪٣٣.١	جيد	٤٩٢	٪٤٦.٤
			الرابعة	٣٧٧	٪٣٥.٦	مقبول	١١٤	٪١٠.٨
التربية	٦٠	٪٥.٧	غير ذلك	١٨	٪١.٧	الدورات التدريبية	العدد	النسبة
			المعدل التراكمي	العدد	النسبة	بدون دورات	٧٥٩	٪٧١.٧
الشريعة والدراسات الإسلامية	٣٤٦	٪٣٢.٦	من ٤ فأكثر	٢٠٤	٪١٩.٣	دورة واحدة	١٦٤	٪١٥.٥
			من ٣ إلى أقل من ٤	٤٢٩	٪٤٠.٥	دورتان	٥٧	٪٥.٤
اللغة العربية والدراسات الاجتماعية	١٨٥	٪١٧.٥	من ٢ إلى أقل من ٣	٣٩٧	٪٣٧.٥	ثلاث دورات	٥١	٪٤.٨
			أقل من ٢	٢٩	٪٢.٧	غير ذلك	٢٨	٪٢.٦

أداة الدراسة

صمم الباحث استبانة لجمع المعلومات حول واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم والمعوقات التي تحد من ممارستهم له والمشاركة فيه وأعدّها الباحث بعد اطلاعه على :

- الأدبيات و الكتب والمؤلفات والمراجع العلمية الدراسات والبحوث العلمية السابقة ذات العلاقة بموضوع العمل التطوعي.

الصدق الظاهري لأداة الدراسة: بعد بناء أداة الدراسة في صورتها الأولية (انظر ملحق رقم (١)) قام الباحث بتوزيعها على عدد من المحكمين المختصين في أصول التربية وعلم النفس والمناهج وطرق التدريس وعلم الاجتماع والإدارة التربوية والبحث العلمي لاستطلاع آراء المحكمين حول الصدق الظاهري لهذه الأداة من حيث أهميتها ووضوح عبارتها ومدى ملاءمتها لقياس ما وضعت من أجله ومدى ملاءمة كل عبارة للمحور التي تنتمي إليه ومناسبتها للدراسة مجملّة.

الصدق البنائي لأداة الدراسة: وكذلك تم التأكد من صدق الاستبانة باستخدام صدق التجانس الداخلي وذلك بحساب معاملات الارتباط بين درجات العبارات والدرجة الكلية في الاستبانة بعد حذف درجة العبارة من الدرجة الكلية حتى لا تؤثر في معامل الاتساق الناتج فكانت معاملات الارتباط كما هي موضحة بالجدول التالي :

الجدول رقم (٣). معاملات الارتباط بين درجات بنود استبانة العمل التطوعي والدرجة الكلية.

الواقع		الواقع		الاتجاه		أساليب التنمية		المعوقات	
العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط
١	**٠,٧١١	١٤	**٠,٧١٦	١١	**٠,٧٣٠	٤	**٠,٧٧٢	١	**٠,٤٣٢
٢	**٠,٤٢٥	١٥	**٠,٦٩٧	١٢	**٠,٧٣٢	٥	**٠,٧٤٦	٢	**٠,٥٢٣
٣	**٠,٣٥٣	الاتجاه		١٣	**٠,٧٣٦	٦	**٠,٧٦٢	٣	**٠,٦٠٤
٤	**٠,٧٨٩			١٤	**٠,٧٣٠	٧	**٠,٧٥٦	٤	**٠,٦٠١
٥	**٠,٦٩٥	١	**٠,٦١٢	١٥	**٠,٦٨٣	٨	**٠,٦٩١	٥	**٠,٦٨٤
٦	**٠,٧٢٠	٢	**٠,٥١٩	١٦	**٠,٧٢٤	٩	**٠,٦٦٤	٦	**٠,٧٤٨
٧	**٠,٦٥٨	٣	**٠,٦٩٩	١٧	**٠,٧٠٤	١٠	**٠,٧١٥	٧	**٠,٧١٣
٨	**٠,٨١٣	٤	**٠,٤٨٠	١٨	**٠,٥٨٨	١١	**٠,٧٤٩	٨	**٠,٦٨٨
٩	**٠,٦٤٣	٥	**٠,٦٠٤	١٩	**٠,٧٠٢	١٢	**٠,٧٠٧	٩	**٠,٦٩٧
الواقع		الواقع		الاتجاه		أساليب التنمية		المعوقات	
العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط	العبارة	الارتباط
١٠	**٠,٧٦٧	٦	**٠,٧٥٢	٢٠	**٠,٤٦٧	١٣	**٠,٧٦٧	١٠	**٠,٦٩٢
١١	**٠,٧٦٤	٧	**٠,٦٤٧	أساليب تنمية		١٤	**٠,٧١٢	١١	**٠,٦٠٩
١٢	**٠,٧٩٨	٨	**٠,٧٤١	١	**٠,٥٢٣	١٥	**٠,٧٤٠	١٢	**٠,٦٦٧
١٣	**٠,٧٧٧	٩	**٠,٧١٣	٢	**٠,٦٠٣	١٦	**٠,٧١٢	١٣	**٠,٤٠٩
		١٠	**٠,٧٦٥	٣	**٠,٦٩٦	١٧	**٠,٦٤٨		

❖ يتضح من الجدول رقم (٣) أن معاملات الاتساق لعبارات لبنود استبانة العمل التطوعي جميعها معاملات مرتفعة ودالة عند مستوى ٠,٠١ مما يؤكد تماسك وتجانس عبارات الاستبانة فيما بينها.

ثبات أداة الدراسة: للتأكد من ثبات أداة الدراسة قام الباحث باستخدام معاملات الفايرونباخ (Alpha Cronbach) لمحاورها المختلفة فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٤) على النحو التالي:

الجدول رقم (٤). معاملات معاملات الفاكرونباخ (Alpha Cronbach).

معوقات	أساليب تنمية	الاتجاه نحو	واقع	البعد
العمل التطوعي				
٠,٨٦٣	٠,٩٣٥	٠,٩٣٣	٠,٩١٩	معامل ألفا-كرونباخ

يتضح من الجدول رقم (٤) أن الاستبانة تمتع بمؤشرات ثبات مرتفعة، و أن لها مؤشرات سيكومترية جيدة ومطمئنة وهو ما يؤكد صلاحيتها للاستخدام في الدراسة الحالي.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة

قام الباحث باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

- ١- التكرارات والنسب المئوية لوصف عينة الدراسة وتحديد استجابات أفراد العينة تجاه محاور أداة الدراسة
- ٢- المتوسط الحسابي لترتيب استجابات أفراد عينة الدراسة تجاه فقرات محاور الأداة
- ٣- معامل ارتباط بيرسون (Pearson) لتحديد الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.
- ٤- معامل ارتباط الفاكرونباخ (Alpha Cronbach) لتحديد معامل ثبات أداة الدراسة.
- ٥- اختبار "ت" (T- test) لإيجاد الفروق لدلالة الإحصائية في استجابات أفراد عينة الدراسة في المجموعات المستقلة.
- ٦- اختبار التحليل التباين أحادي الاتجاه (ANOVA ONE WAY) للكشف عن مدى اختلاف استجابة أفراد عينة.

٧- استخدام اختبار (L S D) من أجل معرفة مصدر الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين المجموعات.

رابعاً: تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها

يتضمن هذا الجانب عرضاً لنتائج الدراسة الميدانية وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة كما يلي :

تحليل النتائج

وقبل الدخول في التحليل لنتائج الدراسة والخاص واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية واتجاههم نحوه وأساليب تنميته لديهم ومعوقاته يود الباحث أن يقدم معياراً للمتوسطات الحسابية الوزنية في واقع واتجاه وأساليب تنمية ومعوقات العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم وذلك على النحو التالي :

١- المتوسطات الوزنية التي تحصل على درجة أقل من ١.٥ تأخذ (لم يحصل أبداً للواقع) (غير موافق تماماً للاتجاه) (منخفض جداً للأساليب) (ليس عائقاً إطلاقاً للمعوقات).

٢- المتوسطات الوزنية التي تحصل على درجة من ١.٥ إلى ٢.٥ تأخذ (نادراً للواقع) (غير موافق للاتجاه) (منخفض للأساليب) (ليس عائقاً للمعوقات).

٣- المتوسطات الوزنية التي تحصل على درجة من ٢.٥ إلى ٣.٥ تأخذ (أحياناً للواقع) (غير متأكد للاتجاه) (متوسط للأساليب) (قد يكون عائقاً للمعوقات).

٤- المتوسطات الوزنية التي تحصل على درجة من ٣,٥ إلى أقل من ٤,٥ تأخذ(غالباً للواقع)(موافق للاتجاه)(مرتفع للأساليب)(عائفاً للمعوقات).

٥- المتوسطات الوزنية التي تحصل على درجة أكثر من ٤,٥ تأخذ(دائماً للواقع)(موافق تماماً للاتجاه)(مرتفع جداً للأساليب)(عائفاً جداً للمعوقات).

تحليل نتائج إجابة السؤال الأول: ينص السؤال الأول للدراسة الحالية على "ما مفهوم العمل التطوعي ووظائفه والنظريات المفسرة له ومجالاته واستراتيجياته ؟ تم الإجابة عليه في الإطار النظري للدراسة.

تحليل نتائج إجابة السؤال الثاني: ينص السؤال الثاني للدراسة الحالية على "ما واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية؟ للتعرف على واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية تم حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحرافات المعيارية لكل عبارة من عبارات الاستبانة باعتبارها مؤشرات واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية والدرجة الكلية لواقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم كانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٥):

يتضح من الجدول رقم (٥) ما يلي :

١- أن أعلى مؤشرات العمل التطوعي حدوثاً هي (٩، ٧، ٨، ١٤، ٢، ٤) على الترتيب وهي كما يلي: يوجد لدى دليل إرشادي للأعمال التطوعية في الجامعة والكلية - أكلف بأعمال من أعضاء هيئة التدريس لممارسة العمل التطوعي - اعمل خطة للمشاركات في الأعمال التطوعية المختلفة - أشارك في المسابقات التي تعلن عنها الكلية أو الجامعة في مجال العمل التطوعي - توجد إدارة داخل الكلية أو الجامعة التي أنتمي إليها تعنى بالعمل التطوعي - التحق بدورات تدريبية تهتم بالعمل التطوعي.

٢- أن واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم جاء بدرجة متوسط كلية (٣،٩٢) وتفسيره أن غالباً ما يقوم طلاب جامعة القصيم بأعمال تطوعية وبدرجة متوسط غالباً أي إن واقع العمل التطوعي لديهم يحدث بدرجة غالباً.

٣- هذه النتيجة تختلف عن نتيجة دراسة (السلطان، ٢٠٠٩م) ودراسة (الباز، ٢٠٠٢م) حيث أن مؤشرات ممارسة وواقع العمل التطوعي لدى شباب الجامعة لدى (السلطان، ٢٠٠٩م) ودراسة (الباز، ٢٠٠٢م) حيث كانت منخفضة جداً بينما هذه الدراسة تؤكد أن مؤشرات واقع العمل التطوعي لديهم كانت درجة التحقق غالباً وخاصة بوجود دليل إرشادي للأعمال التطوعية وبعض التكاليفات للأعمال التطوعية ووضع خطة للعمل التطوعي والمشاركة في المسابقات الخاصة بالأعمال التطوعية.

تحليل نتائج إجابة السؤال الثالث: ينص السؤال الثالث للدراسة الحالية على " ما اتجاهات لدى طلاب جامعة القصيم بالملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي؟ للتعرف على اتجاهات طلاب جامعة القصيم بالملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي تم حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحرافات المعيارية لكل عبارة من عبارات الاستبانة باعتبارها مؤشر من مؤشرات اتجاه طلاب جامعة القصيم بالملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي والدرجة الكلية لاتجاهات طلاب جامعة القصيم بالملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول التالي :

الجدول رقم (٠٦). اتجاهات طلاب جامعة القصيم بالملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي.

الاتجاه	مدى الموافقة						اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي
	مؤشر	موافقة تماماً	موافق	غير متأكد	غير موافق	غير موافق تماماً	
معياري	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	
موافق تماماً	٤٥١	٦٦١	٢٩٠٧	٣١٤	٥٠٩	٦٣	١٢
موافق تماماً	٠,٧٥	٪٦٢,٤	٪٢٩,٧	٪٥,٩	٪٠,٩	٪١,١	
موافق تماماً	٠,٦٣	٤٦٦	٧٦٤	٢٤٣	٢٠٩	٦	٥
موافق تماماً	٪٧٢,١	٪٦٤	٪٢٩,٩	٪٢,٩	٪٠,٦	٪٠,٥	
موافق	٠,٩٣	٤٠٧	٣٨٨٢	٤٥٥	٤٠٢	٣٩	١٨
موافق	٪٤٠,٧	٪٣٨,٢	٪٤٠,٥	٪٨,٤	٪١٩,٥	٪١١,٧	
موافق	٠,٨١	٤٤٢	٥٧٠	٦٠٤	٩٠	١٢	١٥
موافق تماماً	٪٤٤,٢	٪٥٧,٠	٪٦٠,٤	٪٩,٠	٪١,١	٪١,٤	
موافق تماماً	٠,٧٥	٪٦٢,٥	٪٢٧,٨	٪٢٤,٤	٪٨,٠	٪٥,٨	٨
موافق	٠,٩٢	٤١٦	٤٤٤	٤٧٠	٣٣٠	٢٠٢	١٩
موافق	٪٤٤,٤	٪٤٧,٠	٪٣٣,٠	٪٢٤,٩	٪١٩,٠	٪١٨,٨	
موافق	٠,٨٧	٤٢٧	٪٤٨,٥	٥١٤	٪٣٤,٣	٪١٣,٦	١٤
موافق	٪٤٢,٧	٪٥١,٤	٪٣٤,٣	٪٦٣,٦	٪١٤,٤	٪٩,٨	١٣
موافق	١,١٥	٣٦٠	٪٢٥,٦	٢٧١	٪٣١,٠	٪٢٧,٦	٦٤
موافق	٪٢٥,٦	٪٢٧,١	٪٢٨,٠	٪٢٨,٨	٪٢٧,٦	٪١٠,٤	
موافق	١,٢٠	٣٥٣	٪٢٧,٠	٢٨٦	٪٢٥,٢	٪٢٧,٧	٦٨
موافق	٪٢٧,٠	٪٢٨,٦	٪٢٥,٢	٪٢٧,٧	٪٢٧,٧	٪١٢,٧	
غير متأكد	١,٢٥	٣٤١	٪٢٣,٨	٢٥٢	٪٢٤,٦	٪٢١,٠	٩٣
غير متأكد	٪٢٣,٨	٪٢٥,٢	٪٢٤,٦	٪٢١,٠	٪٢١,٠	٪٨,٨	
موافق	١,١١	٣٦٦	٪٢٦,٤	٢٨٠	٪٢٣,٣	٪٢٧,٠	٥٣
موافق	٪٢٦,٤	٪٢٨,٠	٪٢٣,٣	٪٢٧,٠	٪٢٣,٣	٪١٩,٣	
موافق	١,١٩	٣٦١	٪٢٦,٩	٢٨٥	٪٢٣,٠	٪٢٨,٤	٧٨
موافق	٪٢٦,٩	٪٢٨,٥	٪٢٣,٠	٪٢٨,٤	٪٢٣,٠	٪١٠,٤	
موافق	١,٠٨	٣٩١	٪٣٥,٤	٣٧٥	٪٣٥,١	٪٢٩,٣	٤٦
موافق	٪٣٥,٤	٪٣٧,٥	٪٣٥,١	٪٢٩,٣	٪٢٩,٣	٪١٠,٤	
موافق	١,١٣	٣٦٩	٪٢٨,٨	٢٩٩	٪٢١,٩	٪٢٥,٢	٥٣
موافق	٪٢٨,٨	٪٢٩,٩	٪٢١,٩	٪٢٥,٢	٪٢١,٩	٪١٠,٤	
موافق	١,٣٧	٣٥٨	٪٢٣,٤	٣٥٤	٪٢٦,٤	٪٢٨,٣	١٣٩
موافق	٪٢٣,٤	٪٣٥,٤	٪٢٦,٤	٪٢٨,٣	٪٢٦,٤	٪١٠,٤	
موافق	٠,٩١	٤٢٤	٪٤٧,٤	٥٠٢	٪٣٥,٥	٪٢٩,٩	١٩
موافق	٪٤٧,٤	٪٥٠,٢	٪٣٥,٥	٪٢٩,٩	٪٢٩,٩	٪١٠,٤	
موافق	٠,٨٦	٤٢٧	٪٤٨,١	٥٠٩	٪٣٥,٠	٪٢٩,٦	١١
موافق	٪٤٨,١	٪٥٠,٩	٪٣٥,٠	٪٢٩,٦	٪٢٩,٦	٪١٠,٤	
موافق	٠,٨٣	٤٢٧	٪٥٣,٦	٥٦٨	٪٣٤,٧	٪٢٩,١	١٤
موافق	٪٥٣,٦	٪٥٦,٨	٪٣٤,٧	٪٢٩,١	٪٢٩,١	٪١٠,٤	
موافق	٠,٩٠	٤٢١	٪٥٣,١	٥٦٢	٪٣١,٢	٪٢٩,٣	٢٠
موافق	٪٥٣,١	٪٥٦,٢	٪٣١,٢	٪٢٩,٣	٪٢٩,٣	٪١٠,٤	
موافق تماماً	٠,٧٦	٤٥٧	٪٦٩,١	٧٣٢	٪٦٩,١	٪١٠,٤	١٢
موافق تماماً	٪٦٩,١	٪٧٣,٢	٪٦٩,١	٪١٠,٤	٪١٠,٤	٪١٠,٤	

يتضح من الجدول رقم (٦) ما يلي :

١ - أن هناك اتجاها من طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي وموافقة مرتفعة في مجملها نحو العمل التطوعي حيث حصل الاتجاه على متوسط كلي (٤,٠٧) وهو متوسط يعطي موافق نحو العمل التطوعي وكانت أعلى مؤشرات هذا الاتجاه هي (٢, ٢٠, ١, ٥) على الترتيب وهي كما يلي :

- أرى أن العمل التطوعي يساهم في نمو المجتمع وتطوره وحل مشكلاته -
أشعر أن العمل التطوعي أمر ديني ووطني يشعر الفرد بالإحساس الديني والانتماء للوطن

- أعتقد بضرورة وأهمية العمل التطوعي داخل وخارج الجامعة - أرى أن العمل التطوعي يتيح للطالب الثقة بالنفس و التفاعل الاجتماعي مع بيئته

٢ - أن اتجاه طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي كان بدرجة متوسط (٤,٠٧) وهي تأخذ موافقة نحو العمل التطوعي وتعد درجة اتجاه مرتفعة.

٣ - تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (السلطان، ٢٠٠٩م) ودراسة (الباز، ٢٠٠٢م) ودراسة (المكتب الإحصائي الاستراتيجي ٢٠٠٢م) ودراسة (sco.2002) حيث وجود اتجاه إيجابي وموافقة مرتفعة نحو العمل التطوعي

تحليل نتائج إجابة السؤال الرابع: ينص السؤال الرابع للدراسة الحالية على " ما أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي ؟ للتعرف على أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي تم حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحرافات المعيارية لكل عبارة من عبارات الاستبانة باعتبارها مؤشرا من مؤشرات أساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة بالعمل التطوعي والدرجة الكلية لأساليب تنمية مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة بالعمل التطوعي فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول التالي :

الجدول رقم (٨٧). أساليب تنمية مشاركه طلاب جامعه القسم بالملكه العربيه السعوديه في العمل التطوعي.

درجة الاولافيه	الاعراف معياري	مدى الاولافيه										أساليب تنمية مشاركه طلاب جامعه القسم في العمل التطوعي				
		موسطه	نسبه	مواقف دائما	تكرار	نسبه	مواقف	تكرار	نسبه	غير متأكد	غير متأكد		تكرار	نسبه	غير مواقف دائما	نسبه
مرتبه	٠,٨٦	٤,٤٢	١/٥٩٠	١٢٥	٣٠,٨	٣٦٦	١/٥,٨	٦١	٢/٢,٥	٢٧	١/١,٩	٢٠	٢/٦,١	٢٨		١- تغيير الطلاب مدنا ومعربا للشاركه بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٩٩	٤,٠٩	١/٤١,٢	٤٣٦	٣/٣,٥	٧٨٧	١/١٤,٧	١٥٥	١/٥,٠	٥٣	٢/٢,٦	٢٨		٢- توظيف وتفعيل القدرات الجامعيه منهم وحقق حول الاعمال التطوعيه		٣- إيجاد مراد مطبوعه وغير مطبوعه تعني بالعمل التطوعي
مرتبه	٠,٨٦	٤,٢٠	١/٤٢,٥	٤٥٠	١/٤,٠١	٤٢٥	١/٣,٧	١٤٥	٢/٢,٥	٢٦	١/١,٢	١٣		٤- تنظيم التواصع والمشاركات والفرقات زوراش العمل والدورات تدريبية في مجال العمل التطوعي		٥- إقامة للمسابقات الثقافية والأشغاليه التي تعني بالعمل التطوعي
مرتبه	٠,٨٤	٤,٢٥	١/٤٥,١	٤٧٨	١/٤,٠٢	٤٢٦	١/١,٦	١١٢	٢/٢,٠	٣١	١/١,١	١٢				٦- إنشاء مجله دوريه تعني بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٨٥	٤,٢٨	١/٤٦,٤	٤٩١	١/٤,٠٩	٤٣٣	١/٨,٢	٨٨	٢/٢,٠	٣١	١/١,٥	١٦				٧- إنشاء جمعيه على مستوى الكليه والجامعه قسم ترويج الطلاب نحو العمل التطوعي
مرتبه	٠,٨٦	٤,٢٧	١/٤٧,١	٤٩٩	١/٣,٨٥	٤٠٨	١/٩,٩	١٠٤	٢/٢,٢	٣٤	١/١,٣	١٤				٨- إقامة القرصه أمام الطلاب للشاركه في تناول تقديميا التجمع وحلها عبر مكتب خاص داخل الكليه يعنىهم بالأمصال
مرتبه	٠,٨٧	٤,٣٠	١/٥٠,١	٥٣١	١/٣٤,٧	٣٦٧	١/١١,٠	١١٧	٢/٣,١	٣٢	١/١,١	١٢				٩- عمل زيارات للمؤسسات الاجنابيه والجمعيات الخيرييه والمراكز المتخصصة والهيئته بالعمل التطوعي
مرتبه	٠,٨٧	٤,٢٥	١/٤٧,٠	٤٩٨	١/٣٦,٦	٣٨٧	١/١٢,١	١٢٨	٢/٣,٢	٣٤	١/١,١	١٢				١٠- فتح قورات اتصال وعند شراكات بين المؤسسات والمراكز والجمعيات التي تعني بالاعمال التطوعيه مع الجامعه
مرتبه	٠,٨٣	٤,٢٨	١/٤٦,١	٤٨٨	١/٤,٠٢	٤٢٦	١/١٠,٥	١١١	٢/٢,١	٢٢	١/١,١	١٢				١١- بث الفلمانيه وكسر حاجز الخوف والرهبة لدى الطالب في الشاركه في الاعمال التطوعيه من خلال المخرنرات
مرتبه	٠,٨٦	٤,٢٦	١/٤٦,٦	٤٩٣	١/٣,٧٥	٣٩٧	١/١٢,٠	١٢٧	٢/٢,٩	٣١	١/١,٠	١١				١٢- إقامة برامج تلبيزيه وإثابيه عن الاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٨١	٤,٣٧	١/٥٣,٤	٥٦٦	١/٣٤,٧	٣٦٧	١/٨,٧	٩٢	٢/٢,٢	٢٣	١/١,٠	١١				١٣- تعميل التثبيات الاكثرونه والإعلاميه التي تعني بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٨٣	٤,٢٩	١/٤٨,٣	٥١١	١/٣٦,٩	٣٩١	١/١١,٨	١٢٥	٢/١,٩	٢٠	١/١,١	١٢				١٤- توفير دولارات هبويه تعني بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٨١	٤,٣٢	١/٤٩,٥	٥٢٤	١/٣٧,٥	٣٩٧	١/١٠,٢	١٠٨	٢/١,٧	١٨	١/١,١	١٢				١٥- توفير قائده بركات علاميه الكرمال بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٩٣	٤,٢٢	١/٤٧,٦	٥٠٤	١/٣٣,٢	٣٥٢	١/١٤,٢	١٥٠	٢/٢,٦	٣٨	١/١,٤	١٥				١٦- تعميل الأنظمه والتواصع والبرامج التي تيسر انضمام الطلاب ومشاركه بالاعمال التطوعيه
مرتبه	٠,٩٣	٤,١٨	١/٤٤,٢	٤٧٨	١/٣٦,٤	٣٨٥	١/١٤,٦	١٥٥	٢/٢,٠	٣٢	١/١,٨	١٩				١٧- نشر المبادئ والقيم الإصلاحيه التي تحث على العمل التطوعي
مرتبه	٠,٩٣	٤,٢٣	١/٤٧,١	٤٩٩	١/٣٥,٧	٣٧٨	١/١١,٢	١١٩	٢/٢,٠	٣٢	١/١,٠	٢١				
مرتبه	٠,٧٣	٤,٦١	١/٧٠,٧	٧٤٩	١/٣٣,٠	٦٤٤	١/٣,٩	٤١	٢/١,٤	١٥	١/٠,٩	١٠				
مرتبه	٠,٨٦	٤,٢٨														أساليب تنمية مشاركه طلاب جامعه القسم في العمل التطوعي

يتضح من الجدول رقم (٧) ما يلي :

١ - أن الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي لقيت قبولاً مرتفعاً من قبل الطلاب وكانت أكثر الأساليب ارتفاعاً هي (١٧ ، ١ ، ١١ ، ١٣ ، ٧) وهي كما يلي :

- نشر المبادئ والقيم الإسلامية التي تحث على العمل التطوعي - تحفيز الطالب مادياً ومعنوياً للمشاركة بالأعمال التطوعية - بث الطمأنينة وكسر حاجز الخوف والرغبة لدى الطالب في المشاركة في الأعمال التطوعية من خلال المحاضرات والندوات - تفعيل المنتديات الالكترونية والإعلامية التي تعنى بالأعمال التطوعية - إنشاء جمعية على مستوى الكلية والجامعة تهتم بتوجيه الطالب نحو العمل التطوعي

٢ - أخذت الأساليب المقدمة من الباحث درجة مرتفع للموافقة من عينة الدراسة حيث بلغ **المتسوك** الكلي لها (٤,٢٨) وهي أساليب مرتفعة الموافقة من عينة الدراسة

٣ - تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (السلطان، ٢٠٠٩م) ودراسة (الضحيان، ٢٠٠٧م) ودراسة (الشهراني، ٢٠٠٦م) ودراسة (MORAN، 2003) ودراسة (الباز، ٢٠٠٢م)

تحليل نتائج إجابة السؤال الخامس: ينص السؤال الخامس للدراسة الحالية على "ما المعوقات التي تعوق مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي؟ للتعرف على المعوقات التي تعوق مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي تم حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية والانحرافات المعيارية لكل عبارة من عبارات الاستبانة باعتبارها مؤشراً من مؤشرات المعوقات التي تعوق مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي والدرجة الكلية للمعوقات التي تعوق مشاركة طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية بالعمل التطوعي فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول التالي :

الجدول رقم (٨). المعوقات التي تتوقف عليها مشاركة طلاب جامعة القصيم بالملكية العربية السعودية بالعمل التطوعي.

درجة العرق	تحقيق المعوقات										معلومات العمل التطوعي لدى طلبة جامعة القصيم		
	أغراف معاردي	متوسط	مواقف عارفاً		مواقف		غير متكافئ		غير مواقف عارفاً				
			نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار			
عائقاً	١.٠٥	٤١٩	٪٥٥.٣	٥٨٦	٪١٧.٥	١٨٥	٪٢٠.٣	٢١٥	٪٤.٧	٥٠	٢.٢	٢٣	١- تعارض أوقات العمل التطوعي مع وقت الدراسة
عائقاً	٠.٩٤	٣٠٩٧	٪٣٣.٧	٣٥٧	٪٣٧.٤	٣٩٦	٪٢٢.٥	٢٧٨	٪٥.١	٥٤	١.٣	١٤	٢- ضعف إلمام الطلاب بأساليب الأعمال التطوعية
عائقاً	١.٠٢	٣,٣٨٤	٪٣٢.١	٣٤٥	٪٣١.٠	٣٣٨	٪٢٧.٣	٢٨٩	٪٨.٥	٨٥	١.٦	١٧	٣- قلة الكوادر المتطوعة وغير المتطوعة التي تعنى بالعمل التطوعي
عائقاً	١.٠٣	٣,٢٩١	٪٣٥.٨	٣٧٩	٪٣٠.٨	٣٣٦	٪٢٤.٦	٢٦١	٪٦.٦	٧٠	٢.٢	٢٣	٤- عدم وضوح مفهوم العمل التطوعي وأهميته لدى طلبة المرحلة الجامعية
عائقاً	١.٠٢	٣,٢٩٤	٪٣٥.٧	٣٧٨	٪٣٤.٥	٣٦٥	٪٢١.١	٢٢٤	٪٧.٢	٧٦	٢.٥	٢١	٥- قلة التفرات التي تعنى بالعمل التطوعي داخل الجامعة
عائقاً	٠.٩٥	٣,٢٥٠	٪٣٢.٧	٣٤٦	٪٣٧.٨	٤٠٥	٪٢٢.٨	٢٤١	٪٥.١	٥٤	١.٧	١٨	٦- قلة البرامج الموجهة نحو الأعمال التطوعية
عائقاً	١.٠٣	٣,٢٥٤	٪٣٥.٤	٣٧٥	٪٣٥.١	٣٧٢	٪٢٠.٢	٢١٤	٪٦.٨	٧١	٢.٥	٢٧	٧- عدم توفر دليل إرشادي للأعمال التطوعية في الجامعة والكلية
عائقاً	١.٠٠	٤,٠٠٠	٪٣٨.٤	٤٠٧	٪٣٢.٣	٣٤٢	٪٢١.٧	٣٣٥	٪٥.٥	٥٨	٢.١	٢٢	٨- ضعف الرسائل الإعلانية وعدم تسليطها الضوء نحو العمل التطوعي
عائقاً	١.٠٢	٤,٠٧٠	٪٤٢.٢	٤٥٨	٪٣٠.٧	٣٢٥	٪١٧.٨	١٨٨	٪٦.٤	٦٨	١.٩	٢٠	٩- عدم الاهتمام بالعمل التطوعي داخل الجامعة
عائقاً	٠.٩٨	٤,٠٥٥	٪٣٩.٧	٤٢٥	٪٣٤.٣	٣٦٣	٪١٨.٣	١٩٤	٪٦.٤	٦٨	١.٣	١٤	١٠- ضعف الجانب التوعوي بأهمية العمل التطوعي
عائقاً	١.١٦	٣,٢٤٥	٪٤٢.٤	٤٦٥	٪٣٥.١	٣٦٥	٪١٩.٥	٢٥٧	٪٧.٤	٧٨	٤.٦	٤٩	١١- ضعف الحوافز المادية والمعنوية للمشاركين في الأعمال التطوعية
عائقاً	٠.٩٦	٤,٠٨٥	٪٤٠.٩	٤٣٣	٪٣٢.٦	٣٥٦	٪١٩.٤	٢٥٥	٪٤.٤	٤٧	١.٧	١٨	١٢- عدم وجود آليات وأنظمة العمل التطوعي
عائقاً	١.١٨	٤,٠١١	٪٤٨.٢	٥١٥	٪٢١.٢	٣٢٥	٪١٨.٤	١٩٥	٪٧.٧	٨١	٤.٥	٤٨	١٣- عدم قناعة الطلاب بأهمية الأعمال التطوعية
عائقاً	١.٠٣	٣,٢٩٩	٪٣٥.٧	٣٧٨	٪٣٤.٥	٣٦٥	٪٢١.١	٢٢٤	٪٧.٢	٧٦	٢.٥	٢١	معلومات العمل التطوعي لدى طلبة جامعة القصيم

يتضح من الجدول رقم (٨) ما يلي :

- ١- أن معوقات المشاركة في العمل التطوعي جميعها عائقا وبدرجة كبيرة وكانت أكثر المعوقات هي (١، ١٢، ٩، ١٠، ١٣، ٨) وهي كما يلي: - تعارض أوقات العمل التطوعي مع وقت الدراسة - عدم وجود آليات وأنظمة للعمل التطوعي - عدم الاهتمام بالعمل التطوعي داخل الجامعة - ضعف الجانب التوعوي بأهمية وفضل العمل التطوعي - عدم قناعة الطالب بأهمية الأعمال التطوعية - ضعف الوسائل الإعلامية وعدم تسليطها الضوء نحو العمل التطوعي
 - ٢- أن متوسط المعوقات أخذ درجة (٣.٩٩) وهي معوق بدرجة كبيرة.
 - ٣- تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (السلطان، ٢٠٠٩م) ودراسة (الباز، ٢٠٠٢م) أن هناك معوقات لممارسة العمل التطوعي من ضمنها تعارض وقت العمل التطوعي مع وقت وعمل الشخص الراغب بالعمل التطوعي وعدم وجود الآليات لممارسة العمل التطوعي وضعف الاهتمام بالعمل التطوعي وعدم قناعة البعض به وضعف الجانب الإعلامي له.
- تحليل نتائج إجابة السؤال السادس: ينص السؤال السادس للدراسة الحالية على " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه- أساليب معوقات) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية باختلاف متغيرات الدراسة (الكلية - السنة الدراسية والمستوى- التقدير العام والمعدل - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي)؟ للتعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول (واقع، اتجاه، أساليب، معوقات) العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية في ضوء متغيرات الدراسة (الكلية ونوعية الدراسة- السنة الدراسية

والمستوى- التقدير العام - المعدل الأكاديمي - الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي) كانت النتائج كما يلي :

أ (المتغير الأول: متغير(الكلية): تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه للتعرف على دلالة الفروق في استجابات الأفراد عينة الدراسة حول (واقع- اتجاه- أساليب تنمية- معوقات العمل التطوعي) والراجعة لتأثير اختلاف الكلية ونوعية الدراسة (الطب، العلوم، الاقتصاد والإدارة، التربية، الشريعة والدراسات الإسلامية، اللغة العربية والدراسات الاجتماعية) فكانت النتائج كما هي بالجدول رقم (٩)

الجدول رقم (٩). المتوسطات والانحرافات المعيارية ل (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية المشاركة، معوقات) العمل التطوعي في ضوء الكلية.

المعوقات	أساليب تنمية المشاركة		الاتجاه		واقع		الكلية	العدد
انحراف المعياري	المتوسط الحسابي	انحراف معياري	المتوسط الحسابي	انحراف معياري	المتوسط الحسابي	انحراف معياري	المتوسط الحسابي	
٦,٥٧	٥٢,٥١	٨,٥٩	٧١,٥٦	٩,٧٦	٧٦,٦٨	٩,٠٨	٦١,٠٠	٤١
٨,٦٥	٥٠,٤٦	١٠,٢٦	٧٢,٥٣	١٢,١٢	٧٨,٥٠	١١,١٤	٥٨,٦٦	١٧٢
٨,٢٢	٥٥,٠٢	٩,٦٧	٧٥,٦٥	١٤,٣٥	٨٢,٦٢	١٣,٨١	٥٥,٣٥	٢٥٥
٨,٦٢	٥٠,٦٢	١٠,٦٢	٦٩,٩٧	١١,٣٣	٧٦,٥٣	١١,٢٦	٦٢,٨٥	٦٠
٨,٤١	٥١,١١	١٠,٨٢	٧٢,٧٧	١٢,١٧	٧٨,٣٣	١١,٥٩	٥٩,٥١	٣٤٦
٧,٧١	٥٠,٦٥	٩,٩١	٧٠,٥٤	١٢,٧٥	٧٥,٢١	١٠,٩٤	٦٠,٤٢	١٨٥

الجدول رقم (١٠). دلالة الفروق في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الكلية.

العمل التطوعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
واقع	بين المجموعات	٤٨٧٠,٧	٥	٩٧٤,١٥	٦,٨٩	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٤٨٨٤١,٨	١٠٥٣	١٤١,٣٥		
	الكلية	١٥٣٧١٢,٥	١٠٥٨			
الاتجاه	بين المجموعات	٦٦٨٦,٥	٥	١٣٣٧,٢٩	٨,٢٩	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٦٩٨٥٧,٦	١٠٥٣	١٦١,٣١		
	الكلية	١٧٦٥٤٤,١	١٠٥٨			
أساليب تنمية	بين المجموعات	٣٥٨٣,٥	٥	٧١٦,٧١	٦,٨٧	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٠٩٨٤٦,٥	١٠٥٣	١٠٤,٣٢		
	الكلية	١١٣٤٣٠,٠	١٠٥٨			
معوقات	بين المجموعات	٣٤٥٦,٩	٥	٦٩١,٣٨	١٠,١٩	٠,٠١
	داخل المجموعات	٧١٤٢٨,٨	١٠٥٣	٦٧,٨٤		
	الكلية	٧٤٨٨٥,٧	١٠٥٨			

ويتضح من الجدول رقم (١٠):

- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية.

وللتعرف على الفروق بين طلاب الكليات المختلفة في (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية، معوقات) العمل التطوعي تم استخدام اختبار أقل فرق دال LSD كأسلوب للمقارنات البعدية فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (١١)

الجدول رقم (١١). دلالة الفروق بين طلاب الكليات المختلفة بجامعة القصيم في تقييم واقع العمل التطوعي.

الكليات	الطب	العلوم	الاقتصاد والإدارة	التربية	الشرعية
	٦١,٠ = م	٥٨,٦٦ = م	٥٥,٣٥ = م	٦٢,٨٥ = م	٥٩,٥١ = م
العلوم ٥٨,٦٦ = م	٢,٣٤				
الاقتصاد والإدارة ٥٥,٣٥ = م	**٥,٦٥ لصالح الطب	**٣,٣١ لصالح العلوم			
التربية ٦٢,٨٥ = م	١,٨٥	**٤,١٩ لصالح التربية	**٧,٥٠ لصالح التربية		
الشرعية ٥٩,٥١ = م	١,٤٩	٠,٨٤	**٤,١٥ لصالح الشرعية	*٣,٣٤ لصالح التربية	
اللغة العربية م = ٦٠,٤٢	٠,٥٨	١,٧٥	**٥,٠٧ لصالح اللغة العربية	٢,٤٣	٠,٩١

من الجدول رقم (١١) يتضح أن: أقل الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم طلاب كلية الاقتصاد والإدارة يليهم طلاب كلية العلوم بينما أعلى الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم طلاب كلية التربية يليهم طلاب كلية الطب، أما طلاب كلية الشرعية وطلاب كلية اللغة العربية فكان تقييمهم لواقع العمل التطوعي متوسطاً.

الجدول رقم (١٢). دلالة الفروق بين طلاب الكليات المختلفة بجامعة القصيم في الاتجاه نحو العمل التطوعي.

الكليات	الطب	العلوم	الاقتصاد والإدارة	التربية	الشريعة
م = ٧٦,٦٨	م = ٧٨,٥٠	م = ٨٢,٦٢	م = ٧٦,٥٣	م = ٧٨,٣٣	
العلوم م = ٧٨,٥٠	١,٨٢				
الاقتصاد والإدارة م = ٨٢,٦٢	لصالح الاقتصاد **٥,٩٤	لصالح الاقتصاد **٤,١٢			
التربية م = ٧٦,٥٣	٠,١٥	١,٩٧	لصالح الاقتصاد **٦,٠٩		
الشريعة م = ٧٨,٣٣	١,٦٥	٠,١٧	لصالح الاقتصاد **٤,٢٩	١,٨٠	
اللغة العربية م = ٧٥,٢١	١,٤٧	لصالح العلوم **٣,٢٩	لصالح الاقتصاد **٧,٤١	١,٣٢	لصالح الشريعة **٣,١٢

من الجدول رقم (١٢) يتضح أنه: أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب كلية الاقتصاد والإدارة يليهم طلاب كلية العلوم بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب كلية اللغة العربية بينما كان اتجاه طلاب كلية الشريعة والتربية والطب متوسطاً.

ملحوظة: طلاب كلية الاقتصاد وكلية العلوم أعلى اتجاهاً بينما تقييمهم للواقع كان أقل من باقي الطلاب، وهذا يمكن تفسيره بأنهم يرون الواقع غير مشجع للعمل التطوعي ويتمتعون باتجاهات عالية نحوه، بينما طلاب كلية التربية والطب كان تقييمهم للواقع مرتفعاً واتجاههم متوسطاً وذلك يفسر بأنهم ونظراً لطبيعة اتجاههم نحو العمل التطوعي يرون الواقع كافياً ولا يطمحون في تعديله أو تحسينه (يرضيهم القليل من العمل التطوعي ولذلك يرون الواقع ممتاز).

الجدول رقم (١٣). دلالة الفروق بين طلاب الكليات المختلفة بجامعة القصيم في تقييم أساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي.

الكليات	الطب	العلوم	الاقتصاد والإدارة	التربية	الشريعة
	م = ٧١,٥٦	م = ٧٢,٥٣	م = ٧٥,٦٥	م = ٦٩,٩٧	م = ٧٢,٧٧
العلوم م = ٧٢,٥٣	٠,٩٧				
الاقتصاد والإدارة م = ٧٥,٦٥	***٤,٠٨ لصالح الاقتصاد	**٣,١٢ لصالح الاقتصاد			
التربية م = ٦٩,٩٧	١,٥٩	٢,٥٦	**٥,٦٨ لصالح الاقتصاد		
الكليات	م = ٧١,٥٦	م = ٧٢,٥٣	م = ٧٥,٦٥	م = ٦٩,٩٧	م = ٧٢,٧٧
الشريعة م = ٧٢,٧٧	١,٢١	٠,٢٤	**٢,٨٨ لصالح الاقتصاد	*٢,٨٠ لصالح الشريعة	
اللغة العربية م = ٧٠,٥٤	١,٠٢	١,٩٩	**٥,١١ لصالح الاقتصاد	٠,٥٧	**٢,٢٣ لصالح الشريعة

من الجدول رقم (١٣) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم طلاب كلية الاقتصاد والإدارة يليها طلاب كلية الشريعة بينما أقل الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم طلاب كلية التربية وطلاب كلية اللغة العربية وكان تقييم طلاب كلية الطب والعلوم لفاعلية هذه الأساليب متوسطاً.

الجدول رقم (١٤). دلالة الفروق بين طلاب الكليات المختلفة بجامعة القصيم في تقييم معوقات العمل التطوعي.

الكليات	الطب	العلوم	الاقتصاد والإدارة	التربية	الشريعة
	م=٥٢,٥١	م=٥٠,٤٦	م=٥٥,٠٢	م=٥٠,٦٢	م=٥١,١١
العلوم م=٥٠,٤٦	٢,٠٥				
الاقتصاد والإدارة م=٥٥,٠٢	٢,٥١	٤,٥٦** لصالح الاقتصاد			
التربية م=٥٠,٦٢	١,٨٩	٠,١٦	٤,٤٠** لصالح الاقتصاد		
الشريعة م=٥١,١١	١,٤٠	٠,٦٥	٣,٩١** لصالح الاقتصاد	٠,٤٩	
اللغة العربية م=٥٠,٦٥	١,٨٦	٠,١٩	٤,٣٧** لصالح الاقتصاد	٠,٠٣	٠,٤٦

من الجدول رقم (١٤) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم طلاب كلية الاقتصاد والإدارة بينما جاء تقييم باقي الطلاب لهذه المعوقات متشابه لحد ما، وهو ما يؤكد أن هناك اتفاقاً بدرجة كبيرة بين طلاب الكليات المختلفة على معوقات العمل التطوعي.

ب) المتغير الثاني: متغير (السنة الدراسية والمستوى الدراسي): تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه للتعرف على دلالة الفروق في استجابات الأفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب تنمية - معوقات) العمل التطوعي والراجعة لتأثير متغير السنة الدراسية والمستوى الدراسي للطلاب (الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة، غير ذلك) فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (١)، والجدول رقم (٢):

الجدول رقم (١٥). المتوسطات والانحرافات المعيارية ل (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية المشاركة، معوقات) العمل التطوعي في ضوء السنة الدراسية والمستوى.

المعوقات		أساليب تنمية المشاركة		الاتجاه		واقع		العدد	السنة الدراسية
انحراف المعياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط		
٨,٧٤	٥٣,٦١	١٠,٣١	٧٤,٤٢	١٢,٦٦	٨١,٥٤	١٢,٥٤	٥٨,٤٩	١٩٨	الأولى
٩,٤٥	٥٢,٥٧	١٠,٥٣	٧٣,٠٣	١٣,٤٣	٧٩,٤١	١٣,٠٢	٥٧,٧٥	١١٥	الثانية
٨,٥٦	٥١,١٧	٩,٩٥	٧٣,٠٠	١٣,١٧	٧٧,٤٨	١١,٧٧	٥٩,٦٨	٣٥١	الثالثة
٧,٧١	٥١,٥٩	١٠,٦٤	٧١,٩٥	١٢,٥١	٧٨,٣٧	١١,٨٩	٥٨,٣٧	٣٧٧	الرابعة
٦,٢٨	٤٩,١٧	٩,٣٩	٦٨,٩٤	١٠,٤٩	٧٢,٣٩	٨,٩٤	٥٩,٣٣	١٨	غير ذلك

الجدول رقم (١٦). دلالة الفروق في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء السنة والمستوى الدراسي.

العمل التطوعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
واقع	بين المجموعات	٤٩٣,٦	٤	١٢٣,٣٩	٠,٨٥	غير دالة
	داخل المجموعات	١٥٣٢١٨,٩	١٠٥٤	١٤٥,٣٧		
	الكلي	١٥٣٧١٢,٥	١٠٥٨			
الاتجاه	بين المجموعات	٢٩٣٢,٩	٤	٧٣٣,٢٥	٤,٤٥	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٧٣٦١١,٢	١٠٥٤	١٦٤,٧٢		
	الكلي	١٧٦٥٤٤,١	١٠٥٨			
أساليب تنمية	بين المجموعات	١٠٨٠,٨	٤	٢٧٠,١٩	٢,٥٤	٠,٠٥
	داخل المجموعات	١١٢٣٤٩,٣	١٠٥٤	١٠٦,٥٩		
	الكلي	١١٣٤٣٠,١	١٠٥٨			
معوقات	بين المجموعات	٩٨٦,٤	٤	٢٤٦,٥٩	٣,٥٢	٠,٠١
	داخل المجموعات	٧٣٨٩٩,٤	١٠٥٤	٧٠,١١		
	الكلي	٧٤٨٨٥,٨	١٠٥٨			

ويتضح من الجدول رقم (١٦) أنه :

- لا توجد فروق دالة إحصائية في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة الدراسية والمستوى.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة الدراسية والمستوى.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة والمستوى.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة الدراسية والمستوى.
- وللتعرف على الفروق بين طلاب السنوات الدراسية المختلفة في (الاتجاه، أساليب تنمية، معوقات) العمل التطوعي تم استخدام اختبار أقل فرق دال LSD كأسلوب للمقارنات البعدية فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (١٧)

الجدول رقم (١٧). دلالة الفروق بين طلاب السنوات الدراسية المختلفة بجامعة القصيم في الاتجاه نحو العمل التطوعي.

السنة الدراسية	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
م = ٧٩,٤١	٢,١٣	م = ٧٩,٤١	م = ٧٧,٤٨	م = ٧٨,٣٧
م = ٧٧,٤٨	٤,٠٦** لصالح الأولى	١,٩٣-		
م = ٧٨,٣٧	٣,١٧** لصالح الأولى	١,٠٤	٠,٨٩	
م = ٧٢,٣٩	٩,١٥** لصالح الأولى	٧,٠٢* لصالح الثانية	٥,٠٩	٥,٩٨

يتضح من الجدول رقم (١٧) أنه:

- أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى ثم الثانية، بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب السنة الرابعة والثالثة وغير ذلك، مما يعني أن الاتجاه نحو العمل التطوعي يقل بزيادة سنوات الدراسة.

الجدول رقم (١٨). دلالة الفروق بين طلاب السنوات الدراسية المختلفة بجامعة القصيم في تقييم أساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي.

السنة الدراسية	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
م = ٧٣,٠٣	١,٣٩	م = ٧٣,٠٣	م = ٧٣,٠٠	م = ٧١,٩٥
م = ٧٣,٠٠	١,٤٢	٠,٠٣		
السنة الدراسية	م = ٧٤,٤٢	م = ٧٣,٠٣	م = ٧٣,٠٠	م = ٧١,٩٥
الرابعة	٢,٤٧**	١,٠٨	١,٠٥	
م = ٧١,٩٥	لصالح الأولى			
م = ٦٨,٩٤	٥,٤٨*	٤,٠٩	٤,٠٦	٣,٠١
	لصالح الأولى			

من الجدول رقم (١٨) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى وأقلهم في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم طلاب السنة الرابعة وطلاب غير ذلك.

الجدول رقم (١٩). دلالة الفروق بين طلاب السنوات الدراسية المختلفة بجامعة القصيم في تقييم معوقات العمل التطوعي.

السنة الدراسية	الأولى م = ٥٣,٦١	الثانية م = ٥٢,٥٧	الثالثة م = ٥١,١٧	الرابعة م = ٥١,٥٩
الثانية م = ٥٢,٥٧	١,٠٤			
الثالثة م = ٥١,١٧	٢,٤٤** لصالح الأولى	١,٤٠		
الرابعة م = ٥١,٥٩	٢,٠٢** لصالح الأولى	٠,٩٨	٠,٤٢	
غير ذلك م = ٤٩,١٧	٤,٤٤* لصالح الأولى	٣,٤٠	٢,٠٠	٢,٤٢

يتضح من الجدول رقم (١٩) أنه :

أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى بينما جاء تقييم طلاب غير ذلك منخفض لهذه المعوقات ، وطلاب السنة الثانية والثالثة والرابعة كان تقييمهم لهذه المعوقات متوسطا ومتشابهها لحد ما ، وهو ما يؤكد أن هناك اتفاقا بدرجة كبيرة بين طلاب السنوات المختلفة على معوقات العمل التطوعي.

ج) المتغير الثالث: متغير (المعدل التراكمي): تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه للتعرف على دلالة الفروق في استجابات الأفراد عينة الدراسة حول (واقع – اتجاه – أساليب تنمية – معوقات) العمل التطوعي والراجعة لتأثير اختلاف المعدل الأكاديمي (من ٤ فأكثر، من ٣ لأقل من ٤ ، من ٢ لأقل من ٣ ، أقل من ٢) فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٢٠) :

الجدول رقم (٢٠). المتوسطات والانحرافات المعيارية ل (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية المشاركة، معوقات) العمل التطوعي في ضوء المعدل الأكاديمي.

المعوقات	أساليب تنمية		الاتجاه		واقع		العدد	المعدل الأكاديمي
	متوس	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري		
من ٤ فأكثر	٨,١٩	٥٣,٤٣	٩,٧٤	٧٤,٦٠	١١,٧٦	٨٠,٣٨	١٣,٢٩	٥٥,٧٢
من ٣ لأقل من ٤	٧,٩٩	٥١,٣٦	٩,٨٢	٧٢,٣٩	١٢,٩٩	٧٧,٩٣	١٢,٠٠	٥٨,٨٦
من ٢ لأقل من ٣	٨,٨٩	٥١,٩٥	١١,٠١	٧٢,٥٤	١٣,٣٤	٧٨,٦٣	١١,٢٥	٦٠,١٠
أقل من ٢	٧,٥٥	٤٨,١٧	١١,٩٩	٧٠,٨٩	١٣,٢٩	٧٨,٥٩	١٠,٧٤	٦٠,٩٣

الجدول رقم (٢١). دلالة الفروق في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء المعدل الأكاديمي.

العمل التطوعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
واقع	بين المجموعات	٢٧٣٨,٦	٣	٩١٢,٨٦	٦,٣٨	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٥٠٩٧٣,٩	١٠٥٥	١٤٣,١٠		
	الكلية	١٥٣٧١٢,٥	١٠٥٨			
الاتجاه	بين المجموعات	٨٣٣,٢	٣	٢٧٧,٧٤	١,٦٧	غير دالة
	داخل المجموعات	١٧٥٧١٠,٩	١٠٥٥	١٦٦,٥٥		
	الكلية	١٧٦٥٤٤,١	١٠٥٨			
أساليب تنمية	بين المجموعات	٨٦٨,١	٣	٢٨٩,٣٥	٢,٧١	٠,٠٥
	داخل المجموعات	١١٢٥٦٢,٠	١٠٥٥	١٠٦,٦٩		
	الكلية	١١٣٤٣٠,١	١٠٥٨			
معوقات	بين المجموعات	١٠٠٣,٧	٣	٣٣٤,٥٧	٤,٧٨	٠,٠١
	داخل المجموعات	٧٣٨٨٢,٠	١٠٥٥	٧٠,٠٣		
	الكلية	٧٤٨٨٥,٧	١٠٥٨			

ويتضح من الجدول رقم (٢١) أنه : - توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي.

- لا توجد فروق دالة إحصائية عند في اتجاه طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي.
 - توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي.
 - توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي.
- وللتعرف على الفروق بين الطلاب ذوي المعدلات الأكاديمية المختلفة في (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية، معوقات) العمل التطوعي تم استخدام اختبار أقل فرق دال LSD كأسلوب للمقارنات البعدية فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٢٢):

الجدول رقم (٢٢). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي المعدلات الأكاديمية المختلفة بجامعة القصيم في تقييم واقع العمل التطوعي.

المعدل الأكاديمي	من ٤ فأكثر م=٥٥,٧٢	من ٣ لأقل من ٤ م=٥٨,٨٦	من ٢ لأقل من ٣ م=٦٠,١٠
من ٣ لأقل من ٤ م=٥٨,٨٦	٣,١٣** لصالح من ٣ لأقل من ٤		
من ٢ لأقل من ٣ م=٦٠,١٠	٤,٣٨** لصالح من ٢ لأقل من ٣	١,٢٤	
أقل من ٢ م=٦٠,٩٣	٥,٢١* لصالح أقل من ٢	٢,٠٧	٠,٨٣

من الجدول رقم (٢٢) يتضح أنه: أقل الطلاب في تقييمهم لواقع العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر بينما يتشابه تقييم واقع العمل التطوعي عند الطلاب أصحاب باقي المعدلات.

الجدول رقم (٢٣). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي المعدلات الأكاديمية المختلفة في تقييم أساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي.

المعدل الأكاديمي	من ٤ فأكثر م = ٧٤,٦٠	من ٣ لأقل من ٤ م = ٧٢,٣٩	من ٢ لأقل من ٣ م = ٧٢,٥٤
من ٣ لأقل من ٤ م = ٧٢,٣٩	**٢,٢١ لصالح من ٤ فأكثر		
من ٢ لأقل من ٣ م = ٧٢,٥٤	*٢,٠٦ لصالح من ٤ فأكثر	٠,١٥	
أقل من ٢ م = ٧٠,٨٩	٣,٧١	١,٥٠	١,٦٤

من الجدول رقم (٢٣) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر وكان تقييم الطلاب أصحاب باقي المعدلات لفاعلية هذه الأساليب متشابهاً نوعاً ما.

الجدول رقم (٢٤). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي المعدلات الأكاديمية المختلفة بجامعة القصيم في تقييم معوقات العمل التطوعي.

المعدل الأكاديمي	من ٤ فأكثر م = ٥٣,٤٣	من ٣ لأقل من ٤ م = ٥١,٣٦	من ٢ لأقل من ٣ م = ٥١,٩٥
من ٣ لأقل من ٤ م = ٥١,٣٦	**٢,٠٧ لصالح من ٤ فأكثر		
من ٢ لأقل من ٣ م = ٥١,٩٥	*١,٤٨ لصالح من ٤ فأكثر	٠,٥٩	
أقل من ٢ م = ٤٨,١٧	**٥,٢٦ لصالح من ٤ فأكثر	*٣,١٩ لصالح من ٣ لأقل من ٤	**٣,٧٨ لصالح من ٢ لأقل من ٣

من الجدول رقم (٢٤) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر وأقلهم في تقييم معوقات العمل التطوعي هم مجموعة معدل أقل من ٢ وجاء تقييم باقي الطلاب لهذه المعوقات متشابهاً

لحد ما، ونستنتج أن تقييم واقع العمل التطوعي يرتبط طردياً بالمعدل التراكمي فكلما زاد المعدل التراكمي زاد معه تقييم معوقات العمل التطوعي وهي تعني زيادة وعي وإدراك الطلاب مرتفعي المعدلات لمعوقات العمل التطوعي وهذا يجعلنا نقول أن زيادة المعدل التراكمي للطلاب يجعله يرى معوقات العمل التطوعي بطريقة أعمق

(د) المتغير الرابع: متغير (التقدير العام): تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه للتعرف على دلالة الفروق في استجابات الأفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب تنمية - معوقات) العمل التطوعي والراجعة لتأثير التقدير العام (ممتاز، جيد جداً، مقبول) فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٢٥):

الجدول رقم (٢٥). المتوسطات والانحرافات المعيارية ل (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية المشاركة، معوقات) العمل التطوعي في ضوء التقدير العام.

التقدير العام	العدد	واقع		الاتجاه		أساليب تنمية المشاركة		المعوقات	
		متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري
ممتاز	١٤٢	٥٥,٤٨	١٣,٠٩	٨٠,٧٨	١١,٥٣	٧٤,٨٣	٩,١٧	٥٣,٧٩	٧,٩١
جيد جداً	٣١١	٥٧,٧٤	١٣,١٢	٧٧,٨٥	١٣,١٩	٧٢,٤٩	٩,٤٨	٥٢,١٩	٧,٩١
جيد	٤٩٢	٥٩,٥٩	١١,١٢	٧٩,٥٦	١٢,٥٢	٧٣,٠٨	١٠,٥٣	٥١,٧٤	٨,٥٨
مقبول	١١٤	٦٢,١٤	١٠,٣٠	٧٤,٥٢	١٤,٤٦	٧٠,١٥	١٢,٥٦	٤٩,٣٦	٩,٠٧

الجدول رقم (٢٦). دلالة الفروق في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء التقدير العام.

العمل التطوعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
واقع	بين المجموعات	٣٤٩٩,٨	٣	١١٦٦,٥٩	٨,١٩	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٥٠٢١٢,٧	١٠٥٥	١٤٢,٣٨		
	الكلية	١٥٣٧١٢,٥	١٠٥٨			
الاتجاه	بين المجموعات	٣١٩٩,٢	٣	١٠٦٦,٣٩	٦,٤٩	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٧٣٣٤٤,٩	١٠٥٥	١٦٤,٣١		
	الكلية	١٧٦٥٤٤,١	١٠٥٨			
أساليب تنمية	بين المجموعات	١٤٥٣,٢	٣	٤٨٤,٣٩	٤,٥٦	٠,٠١
	داخل المجموعات	١١١٩٧٦,٩	١٠٥٥	١٠٦,١٤		
	الكلية	١١٣٤٣٠,١	١٠٥٨			
معوقات	بين المجموعات	١٢٨١,٢	٣	٤٢٧,٠٦	٦,١٢	٠,٠١
	داخل المجموعات	٧٣٦٠٤,٦	١٠٥٥	٦٩,٧٧		
	الكلية	٧٤٨٨٥,٨	١٠٥٨			

ويتضح من الجدول رقم (٢٦) أنه :

- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام.

وللتعرف على الفروق بين الطلاب ذوي التقديرات المختلفة في (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية، معوقات) العمل التطوعي تم استخدام اختبار أقل فرق دال LSD كأسلوب للمقارنات البعدية فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٢٧):

الجدول رقم (٢٧). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي التقديرات المختلفة بجامعة القصيم في تقييم واقع العمل التطوعي.

التقدير العام	ممتاز م = ٥٥,٤٨	جيد جداً م = ٥٧,٧٤	جيد م = ٥٩,٥٩
جيد جداً م = ٥٧,٧٤	٢,٢٦		
جيد م = ٥٩,٥٩	**٤,١١ لصالح تقدير جيد	*١,٨٥ لصالح تقدير جيد	
مقبول م = ٦٢,١٤	**٦,٦٦ لصالح تقدير مقبول	**٤,٤٠ لصالح تقدير مقبول	*٢,٥٥ لصالح تقدير مقبول

من الجدول رقم (٢٧) يتضح أنه: الطلاب أصحاب التقدير مقبول والطلاب أصحاب التقدير جيد على الترتيب أعلى في تقييمهم لواقع العمل التطوعي من الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً والطلاب أصحاب التقدير ممتاز.

وهنا يمكن استنتاج أن تقييم واقع العمل التطوعي يرتبط عكسياً بالتقدير العام فكلما زاد التقدير قل معه تقييم واقع العمل التطوعي وهذه النتيجة في ظاهرها تعني زيادة إدراك الطلاب منخفضي التقدير لواقع العمل التطوعي ولكن يجب الوضع في الاعتبار أن زيادة تقدير الطالب يجعله يرى الواقع بطريقة أعمق ولذلك لا يعجبه ما يتوافر من فرص للعمل التطوعي ويطمح في أن تتوافر فرص أفضل ولذلك يأتي تقييمه لواقع العمل التطوعي منخفضاً عن الطلاب منخفضي التقدير العام.

الجدول رقم (٢٨). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي التقديرات المختلفة بجامعة القصيم في الاتجاه نحو العمل التطوعي.

التقدير العام	ممتاز	جيد جداً	جيد
م = ٧٧,٨٥	م = ٨٠,٧٨	م = ٧٧,٨٥	م = ٧٩,٥٦
جيد جداً م = ٧٧,٨٥	*٢,٩٣ لصالح تقدير ممتاز		
جيد م = ٧٩,٥٦	١,٢٢	١,٧١	
مقبول م = ٧٤,٥٢	**٦,٢٦ لصالح تقدير ممتاز	**٣,٣٣ لصالح تقدير جيد جداً	**٥,٠٤ لصالح تقدير جيد

من الجدول رقم (٢٨) يتضح أن: أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب تقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد، بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً.

وهذه النتيجة تتفق إلى حد كبير مع النتيجة السابقة والخاصة بتقييم واقع العمل التطوعي فكلما زاد الاتجاه نحو العمل التطوعي يرى الطالب أن الواقع ليس بالدرجة المأمولة.

الجدول رقم (٢٩). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي المعدلات الأكاديمية المختلفة في تقييم أساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي.

التقدير العام	ممتاز	جيد جداً	جيد
م = ٧٢,٤٩	م = ٧٤,٨٣	م = ٧٢,٤٩	م = ٧٣,٠٨
جيد جداً م = ٧٢,٤٩	**٢,٣٣ لصالح تقدير ممتاز		
جيد م = ٧٣,٠٨	١,٧٥	٠,٥٨	
مقبول م = ٧٠,١٥	**٤,٦٨ لصالح تقدير ممتاز	*٢,٣٥ لصالح تقدير جيد جداً	**٢,٩٣ لصالح تقدير جيد

من الجدول رقم (٢٩) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد، بينما أقل الطلاب في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً.

الجدول رقم (٣٠). دلالة الفروق بين الطلاب ذوي التقديرات المختلفة بجامعة القصيم في تقييم معوقات العمل التطوعي.

التقدير العام	ممتاز م = ٥٣,٧٩	جيد جداً م = ٥٢,١٩	جيد م = ٥١,٧٤
جيد جداً م = ٥٢,١٩	١,٦٠		
جيد م = ٥١,٧٤	*٢,٠٥ لصالح تقدير ممتاز	٠,٤٥	
مقبول م = ٤٩,٣٦	**٤,٤٣ لصالح تقدير ممتاز	**٢,٨٣ لصالح تقدير جيد جداً	**٢,٣٨ لصالح تقدير جيد

من الجدول رقم (٣٠) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً، وأقلهم في تقييم معوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد.

هـ (المتغير الخامس: متغير) عدد الدورات التدريبية): تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه للتعرف على دلالة الفروق في استجابات الأفراد عينة الدراسة حول (واقع - اتجاه - أساليب تنمية - معوقات) العمل التطوعي والراجعة لتأثير الدورات التدريبية (بدون، دورة واحدة، دورتان، ثلاث دورات، غير ذلك) فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٣١):

الجدول رقم (٣١). المتوسطات والانحرافات المعيارية ل (واقع، الاتجاه، أساليب تنمية المشاركة، معوقات) العمل التطوعي في ضوء الدورات التدريبية.

الدورات التدريبية	العدد	واقع		الاتجاه		أساليب تنمية المشاركة		المعوقات	
		متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري	متوسط	انحراف معياري
بدون	٧٥٩	٦١,٣٩	١٠,٣١	٧٧,٠٩	١٣,١٥	٧٢,٢٣	١٠,٦٤	٥١,٥٦	٨,٥٤
دورة واحدة	١٦٤	٥٣,٤٣	١٠,٩١	٨١,٤٢	١١,٣٢	٧٤,١٣	٨,٨٤	٥٢,٦٨	٧,٨٨
دورتان	٥٧	٥٤,٨٩	١٤,٦٢	٨٣,٩٥	١١,٢٦	٧٥,٢١	٩,٢١	٥٤,٥٤	٧,٨٥
ثلاث دورات	٥١	٤٥,٥٧	١٧,٣١	٨٥,٧٣	١١,٠٦	٧٥,٤١	٩,٥٩	٥٢,٥٩	٧,٦٦
غير ذلك	٢٨	٥١,٠٤	١٤,٢٣	٨٢,١٤	١١,٩٣	٧١,٩٦	١٢,٥٩	٤٩,٥٧	٩,٢٢

الجدول رقم (٣٢). دلالة الفروق في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الدورات التدريبية.

العمل التطوعي	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
واقع	بين المجموعات	٢١٣١٦,٢	٤	٥٣٢٩,٠٥	٤٢,٤٢	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٣٢٣٩٦,٣	١٠٥٤	١٢٥,٦١		
	الكلي	١٥٣٧١٢,٥	١٠٥٨			
الاتجاه	بين المجموعات	٧٥٩٤,٢	٤	١٨٩٨,٥	١١,٨٤	٠,٠١
	داخل المجموعات	١٦٨٩٤٩,٩	١٠٥٤	١٦٠,٢٩		
	الكلي	١٧٦٥٤٤,١	١٠٥٨			
أساليب تنمية	بين المجموعات	١٢٣٩,٢	٤	٣٠٩,٨٠	٢,٩١	٠,٠٥
	داخل المجموعات	١١٢١٩٠,٩	١٠٥٤	١٠٦,٤٤		
	الكلي	١١٣٤٣٠,١	١٠٥٨			
معوقات	بين المجموعات	٧٦١,٩	٤	١٩٠,٤٩	٢,٧١	٠,٠٥
	داخل المجموعات	٧٤١٢٣,٨	١٠٥٤	٧٠,٣٣		
	الكلي	٧٤٨٨٦,٧	١٠٥٨			

ويتضح من الجدول رقم (٣٢) أنه :

- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي.
- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي.

- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي.

وللتعرف على الفروق بين الطلاب في ضوء الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي في (الاتجاه، أساليب تنمية، معوقات) العمل التطوعي تم استخدام اختبار أقل فرق دال LSD كأسلوب للمقارنات البعدية فكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول رقم (٣٣ - ٣٥) :

الجدول رقم (٣٣). دلالة الفروق في تقييم واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الدورات التدريبية.

الدورات التدريبية	بدون دورات م = ٦١,٣٩	دورة واحدة م = ٥٣,٤٣	دورتان م = ٥٤,٨٩	ثلاث دورات م = ٤٥,٥٧
دورة واحدة م = ٥٣,٤٣	**٧,٩٦ لصالح بدون			
دورتان م = ٥٤,٨٩	**٦,٥٠ لصالح بدون	١,٤٦		
ثلاث دورات م = ٤٥,٥٧	**١٥,٨٢ لصالح بدون	**٧,٨٦ لصالح دورة	**٩,٣٢ لصالح دورتان	
غير ذلك م = ٥١,٠٤	**١٠,٣٥ لصالح بدون	٢,٣٩	٣,٨٥	*٥,٤٧ لصالح غير ذلك

يتضح من الجدول رقم (٣٣) أنه :

- أعلى الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم الطلاب الذين لم يحضروا دورات تدريبية في مجال العمل التطوعي ، يليهم الطلاب الذين حضروا دورتين فقط ، بينما أقل الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم الطلاب الذين حضروا ثلاث دورات في مجال العمل التطوعي يليهم الطلاب الذين حضروا دورات أكثر من ثلاث دورات.

وهنا يمكن الحكم بأن تقييم واقع العمل التطوعي يقل بصورة كبيرة بزيادة الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي ، والذي يرجع بدرجة كبيرة إلى إدراك الطلاب الذين يحضرون دورات تدريبية لأساليب وفرص أكثر لتفعيل العمل التطوعي وبذلك لا يلقي الواقع رضاهم بدرجة كبيرة.

الجدول رقم (٣٤). دلالة الفروق في الاتجاه نحو العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الدورات التدريبية.

الدورات التدريبية	بدون دورات	دورة واحدة	دورتان	ثلاث دورات
	م = ٧٧,٠٩	م = ٨١,٤٢	م = ٨٣,٩٥	م = ٨٥,٧٣
دورة واحدة م = ٨١,٤٢	٤,٣٣** لصالح دورة			
دورتان م = ٨٣,٩٥	٦,٨٦** لصالح دورتان	٢,٥٣		
ثلاث دورات م = ٨٥,٧٣	٨,٦٤** لصالح ثلاث	٤,٣١* لصالح ثلاث	١,٧٨	
غير ذلك م = ٨٢,١٤	٥,٠٥* لصالح غير ذلك	٠,٧٢	١,٨١	٣,٥٩

يتضح من الجدول رقم (٣٤) أنه :

- أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب من حصلوا على ثلاث دورات تدريبية بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب الذين لم يحصلوا على دورات تدريبية مطلقاً ويتشابه الاتجاه نحو العمل التطوعي بين الطلاب من حضروا دورة ودورتين وغير ذلك في مجال العمل التطوعي. وهنا يمكن الحكم بأن الاتجاه نحو العمل التطوعي يزداد بزيادة عدد الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي.

الجدول رقم (٣٥). دلالة الفروق في تقييم أساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الدورات التدريبية.

الدورات التدريبية	بدون دورات م = ٧٢,٢٣	دورة واحدة م = ٧٤,١٣	دورتان م = ٧٥,٢١	ثلاث دورات م = ٧٥,٤١
دورة واحدة م = ٧٤,١٣	١,٩٠*			
دورتان م = ٧٥,٢١	٢,٩٨*	١,٠٨		
ثلاث دورات م = ٧٥,٤١	٣,١٨*	١,٢٨	٠,٢٠	
غير ذلك م = ٧١,٩٦	٠,٢٧	٢,١٧	٣,٢٥	٣,٤٥

من الجدول رقم (٣٥) يتضح أنه: أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب من حصلوا على ثلاث دورات في مجال العمل التطوعي بينما أقلهم في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم الطلاب من لم يحضروا أي دورات في مجال العمل التطوعي بينما كان الطلاب الذين حصلوا على دورة ودورتين وغير ذلك في مجال العمل التطوعي تقييمهم متشابهاً لفاعلية هذه الأساليب.

الجدول رقم (٣٦). دلالة الفروق في تقييم معوقات العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم في ضوء الدورات التدريبية.

الدورات التدريبية	بدون دورات م = ٥١,٥٦	دورة واحدة م = ٥٢,٦٨	دورتان م = ٥٤,٥٤	ثلاث دورات م = ٥٢,٥٩
دورة واحدة م = ٥٢,٦٨	١,١٢			
دورتان م = ٥٤,٥٤	٢,٩٨** لصالح دورتان	١,٨٦		
ثلاث دورات م = ٥٢,٥٩	١,٠٣	٠,٠٩	١,٩٦	
غير ذلك م = ٤٩,٥٧	١,٩٩	٣,١١	٤,٩٧** لصالح دورتان	٣,٠٢

يتضح من الجدول رقم (٣٦) أنه :

أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب من حضروا دورتين في العمل التطوعي بينما أقلهم هم الطلاب من لم يحضروا أي دورات والطلاب الذين اختاروا غير ذلك، بينما الطلاب من حضروا دورة واحدة وثلاث دورات جاء تقييمهم لهذه المعوقات متقارب إلى حد ما وإن كان أقل من تقييم الطلاب الذين حضروا دورتين ولكن الفروق بينهم لم تكن دالة إحصائياً.

خامساً: ملخص نتائج الدراسة وتوصياتها

ملخص نتائج الدراسة

كشفت نتائج الدراسة الحالية عن جملة من النتائج من أبرزها ما يلي :

- ١- بلغ مجتمع الدراسة (٩٤٢١) طالبا من كليات الشريعة والدراسات الإسلامية واللغة العربية والدراسات الاجتماعية والتربية والاقتصاد والإدارة والعلوم

والطب وبلغت عينة الدراسة (١٠٥٩) طالبا حيث كانت على النحو التالي : الشريعة والدراسات الإسلامية (٣٤٦ طالبا) واللغة العربية والدراسات الاجتماعية (١٨٥ طالبا) والتربية (٦٠) طالبا والاقتصاد والإدارة (٢٥٥) طالبا والعلوم (١٧٢) طالبا والطب (٤١) طالبا.

٢- أن واقع العمل التطوعي لدى طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية كان بدرجة عالية وبمتوسط ٣,٩٣ وانحراف معياري ٠,٨٠ وهذه النتيجة تختلف مع نتائج دراسة (السلطان.٢٠٠٩م) و(الباز.٢٠٠٢م) والذي أعطت مؤشرات منخفضة نحو واقع العمل التطوعي لدى شباب الجامعة بينما هذه الدراسة أعطت واقع غالباً وهو مرتفع للعمل التطوعي وكان من أكثر مؤشرات واقع العمل التطوعي لديهم وجود دليل إرشادي للطلاب للعمل التطوعي ثم تكليف عضو هيئة التدريس له بممارسة العمل التطوعي وعمل الطالب لخطوة للمشاركة بالأعمال التطوعية المختلفة.

٣- أن اتجاه طلاب جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية نحو العمل التطوعي بدرجة موافق ومرتفعة وبمتوسط ٤,٠٧ وانحراف ٠,٦٥ وهذه النتيجة تتفق مع (السلطان.٢٠٠٩م) (الضحيان.٢٠٠٧م) (الشهراني.٢٠٠٦م) و(الباز.٢٠٠٢م) والمكتب الإحصائي الاستراتيجي (٢٠٠٢م) ودراسة (SCO.2002) وتختلف عن دراسة (عارف.٢٠٠٦م) وكان من مؤشرات الاتجاه المرتفع رؤية الطالب للعمل التطوعي أنه يساهم في نمو المجتمع وتطوره وحل مشكلاته وشعورهم أن العمل التطوعي أمر ديني يشعر الفرد بالإحساس الديني والانتماء للوطن.

٤- أن الأساليب المقترحة لتنمية مشاركة طالب جامعة القصيم بالأعمال التطوعية لاقت قبولاً مرتفعاً حيث حصلت على درجة كلية موافق بمتوسط ٤,٢٨ وانحراف ٠,٨٦ ومن أهم الأساليب موافقة نشر مبادئ وقيم العمل التطوعي وتحفيز

الطالب مادياً ومعنوياً للمشاركة في الأعمال التطوعية وبث الطمأنينة وكسر حاجز الخوف والرغبة بالمشاركة في الأعمال التطوعية.

٥- أن المعوقات التي طرحها الباحث رأى طلاب جامعة القصيم أنها متحققة بدرجة كلية كبيرة وبمتوسط ٣.٩٩ وانحراف ١.٠٣ وكان من أكثر المعوقات موافقة تعارض أوقات العمل مع وقت الدراسة وعدم وجود آليات وأنظمة للعمل التطوعي وعدم الاهتمام بالعمل التطوعي داخل الجامعة.

٦- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية ونوعية الدراسة لصالح كلية التربية ثم الطب بينما كلية الاقتصاد والإدارة هم الأقل لتقييم الواقع يليهم كلية العلوم بينما الشريعة واللغة العربية تقييمهم للواقع كان متوسطاً.

٧- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية ونوعية الدراسة لصالح كلية الاقتصاد والإدارة ثم العلوم بينما التربية واللغة العربية كانوا الأقل اتجاهاً بينما الشريعة والطب متوسطاً.

٨- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية ونوعية الدراسة حيث إن طلاب كلية الاقتصاد والإدارة أعلى تقييم لأساليب تنمية مشاركة الطالب في الأعمال التطوعية يليهم الشريعة بينما الأقل هم طلاب كلية التربية واللغة العربية بينما الطب والعلوم متوسطاً.

٩- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير الكلية ونوعية الدراسة حيث إن طلاب

كلية الاقتصاد والإدارة هم أعلى في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي بينما باقي الكليات فكانت متوسطة.

١٠- لا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لتقييم واقع العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة والمستوى الدراسي.

١١- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة الدراسية والمستوى حيث إن أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى ثم الثانية، بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم طلاب السنة الرابعة والثالثة وغير ذلك، مما يعني أن الاتجاه نحو العمل التطوعي يقل بزيادة سنوات الدراسة.

١٢- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة والمستوى أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى وأقلهم في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم طلاب السنة الرابعة وطلاب غير ذلك.

١٣- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير السنة الدراسية والمستوى أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم طلاب السنة الأولى بينما جاء تقييم طلاب غير ذلك منخفضاً لهذه المعوقات، وطلاب السنة الثانية والثالثة والرابعة كان تقييمهم لهذه المعوقات متوسطاً ومتشابهاً لحد ما، وهو ما يؤكد أن هناك اتفاقاً بدرجة كبيرة بين طلاب السنوات المختلفة على معوقات العمل التطوعي.

١٤- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي أقل الطلاب في تقييمهم لواقع العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر بينما يتشابه تقييم واقع العمل التطوعي عند الطلاب أصحاب باقي المعدلات

١٥- لا توجد فروق دالة إحصائية في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي.

١٦- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي حيث إن أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر وكان تقييم الطلاب أصحاب باقي المعدلات لفاعلية هذه الأساليب متشابهاً نوعاً ما.

١٧- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير المعدل الأكاديمي حيث إن أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب معدل من ٤ فأكثر وأقلهم في تقييم معوقات العمل التطوعي هم مجموعة معدل أقل من ٢ وجاء تقييم باقي الطلاب لهذه المعوقات متشابه لحد ما.

١٨- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ في تقييم طلاب جامعة القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام حيث إن الطلاب أصحاب التقدير مقبول والطلاب أصحاب التقدير جيد على الترتيب أعلى في تقييمهم لواقع العمل التطوعي من الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً والطلاب أصحاب التقدير ممتاز.

١٩- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة

القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام حيث إن أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب تقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد، بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً.

٢٠- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة

القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام حيث إن أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد، بينما أقل الطلاب في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً.

٢١- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة

القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير التقدير العام حيث إن أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير ممتاز يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد جداً، وأقلهم في تقييم معوقات العمل التطوعي هم الطلاب أصحاب التقدير مقبول يليهم الطلاب أصحاب التقدير جيد.

٢٢- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في تقييم طلاب جامعة

القصيم لواقع العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي حيث إن أعلى الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم الطلاب الذين لم يحضروا دورات تدريبية في مجال العمل التطوعي، يليهم الطلاب الذين حضروا دورتين فقط،

بينما أقل الطلاب في تقييم واقع العمل التطوعي هم الطلاب الذين حضروا ثلاث دورات في مجال العمل التطوعي يليهم الطلاب الذين حضروا أكثر من ثلاث دورات.

٢٣- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في اتجاهات طلاب جامعة القصيم نحو العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي حيث إن أعلى الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب من حصلوا على ثلاث دورات تدريبية بينما أقل الطلاب في الاتجاه نحو العمل التطوعي هم الطلاب الذين لم يحصلوا على دورات تدريبية مطلقاً ويتشابه الاتجاه نحو العمل التطوعي بين الطلاب من حضروا دورة ودورتين وغير ذلك في مجال العمل التطوعي.

٢٤- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لأساليب تنمية المشاركة في العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي حيث إن أعلى الطلاب في تقييم فاعلية الأساليب المقترحة لتنمية المشاركة في العمل التطوعي هم الطلاب من حصلوا على ثلاث دورات في مجال العمل التطوعي بينما أقلهم في تقييم فاعلية هذه الأساليب هم الطلاب من لم يحضروا أي دورات في مجال العمل التطوعي بينما كان الطلاب الذين حصلوا على دورة ودورتين وغير ذلك في مجال العمل التطوعي تقييمهم متشابهاً لفاعلية هذه الأساليب.

٢٥- توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ في تقييم طلاب جامعة القصيم لمعوقات العمل التطوعي راجعة لتأثير الدورات التدريبية في مجال العمل التطوعي حيث إن أعلى الطلاب في تقييمهم لمعوقات العمل التطوعي هم الطلاب من حضروا دورتين في العمل التطوعي بينما أقلهم هم الطلاب من لم يحضروا أي دورات والطلاب الذين اختاروا غير ذلك، بينما الطلاب من حضروا دورة واحدة وثلاث

دورات جاء تقييمهم لهذه المعوقات متقاربا إلى حد ما وإن كان أقل من تقييم الطلاب الذين حضروا دورتين ولكن الفروق بينهم لم تكن دالة إحصائياً.

توصيات الدراسة

في ضوء النتائج السابقة فالباحث يقدم التوصيات التالية :

- ١- استثمار وسائل الإعلام والاتصالات والتقنية الحديثة في نشر الوعي بأهمية العمل التطوعي والتعريف به وأهدافه ومجالاته ومنطلقاته ومتطلباته.
- ٢- إنشاء الإدارات والمراكز المتخصصة بالعمل التطوعي داخل الجامعات وتوفير القيادات لها وإنشطة العمل التطوعي وشؤونه بالجامعات على عاتقها.
- ٣- توعية وتشجيع طلاب الجامعات بممارسة العمل التطوعي والمشاركة بالأعمال التطوعية وإشاعتهم حتى يصبح سلوكاً لديهم خدمةً لمجتمعهم، وتعزيز الثقة لديهم لممارسة الأعمال التطوعية.
- ٤- توفير المواد المطبوعة وغير المطبوعة من نشرات وملصقات وبوسترات ومطويات ودوريات ومجلات وأشرطة كاسيت وفيديو وCD والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية التي تساهم وتساعد طالب المرحلة الجامعية في زيادة الوعي بالعمل التطوعي.
- ٥- إعلان الجامعات بين الحين والآخر عن برامج العمل التطوعي والمشاركة بخدمة المجتمع.
- ٦- التعريف بالمؤسسات المعنية بالأعمال التطوعية من حيث أهدافها ومجالاتها وبرامجها وإنجازاتها وخططها ورجالاتها.
- ٧- تخصيص مشروع طلابي يعنى بالعمل التطوعي لكل طالب بالمرحلة الجامعية خدمة للمجتمع ويكون من ضمن متطلبات الجامعة.

- ٨- توفير الاحتياجات الأساسية اللازمة لممارسة العمل التطوعي خلال الدورات التدريبية والأنشطة التعليمية وورش العمل والندوات والنشرات والبحوث والدراسات العلمية.
- ٩- عقد الشراكة بين وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية مع المؤسسات ذات العلاقة بالعمل التطوعي.
- ١٠- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول العمل التطوعي وبيان كفايته وما يحتاج إلى تفعيله وإنجاحه وتقديم التصورات والصيغ العلمية لآلية ممارسته والمشاركة فيه.

قائمة المراجع

- [١] القرآن الكريم
- [٢] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٢٠٠٣ م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- [٣] ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٨ هـ). لسان العرب. لبنان: ط٢، دار إحياء التراث العربي: مؤسسة التاريخ العربي.
- [٤] ابن حنبل، أحمد (١٤٢٠ هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة
- [٥] ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (١٩٨٧ م). تفسير القرآن العظيم، لبنان: ط٢، دار المعرفة للنشر
- [٦] إبراهيم، مصطفى وآخرون (١٩٨٦ م). المعجم الوسيط. ط٤. دار الدعوة. استانبول. تركيا

- [٧] أبو بكر، مصطفى (٢٠٠٠م). *الرؤية الإستراتيجية لتعميق المشاركة الوطنية في العمل التطوعي*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.
- [٨] أبو النصر، مدحت (٢٠٠٠م). *العمل التطوعي والأمن الاجتماعي في مصر أربع تجارب ناجحة*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.
- [٩] الأصفهاني، الراغب (١٩٩٨). *المفردات في غريب القرآن الكريم*، بيروت. دار المعرفة.
- [١٠] الاصـيـعي، محمد (٢٠٠٠م). *العمل التطوعي في المجالات الأمنية: نماذج وتطبيقات*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أحمد، عمر (٢٠٠٠م). *مفهوم العمل التطوعي وعلاقته بالأمن*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- [١١] الباز، شهيرة (١٩٩٧م). *المنظمات الأهلية على مشارف القرن الحادي والعشرين: محددات الواقع وآفاق المستقبل*، مؤتمر المنظمات الأهلية والعربية، القاهرة. جمهورية مصر العربية.
- [١٢] الزهراني، علي (٢٠٠٠م). *مفهوم العمل التطوعي في التربية الإسلامية وثمراته الدنيوية والأخروية*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.
- [١٣] الباز، راشد (١٤٣٢هـ). *الشباب والعمل التطوعي*، مجلة البحوث الأمنية المجلد (١٠)، العدد (٢٠). كلية الملك فهد الأمنية. الرياض.

- [١٤] البلوي، ضيف الله (٢٠٠٠م). *واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الامن مسؤولية الجميع) ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. ورقة عمل قدمت من وكالة وزارة الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية.
- [١٥] التلمساني، عبدالعزيز (٢٠٠٠م). "نموذج جمعية مكة للتنمية في تعزيز الأمن"، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- [١٦] الجمل، أحمد (٢٠٠٩م). *العمل التطوعي في ميزان الإسلام*. ط ١. دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. جمهورية مصر العربية
- [١٧] الجودي، صالح (١٤١٧هـ). *التطوع مفهومه وصوره وسماته*. المؤتمر العلمي عن الخدمات التطوعية بالمملكة العربية السعودية: برامجه وأفاق تطورها وتوسعها المنعقد خلال الفترة ٢٢- ١٤١٧/٧/٢٤ هـ. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- [١٨] الحمادي، علي (١٤٢١هـ). *فلسفة العمل التطوعي ومتلازمة الامن والتنمية*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربية. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ.
- [١٩] الخطيب، عبدالله (١٤٢١هـ). *دور العمل التطوعي في تحقيق السلام والأمن الاجتماعيين*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربية. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. ٢٧- ١٤٢١/٦/٢٩ هـ.

[٢٠] الزهراني، علي (٢٠٠٠م). مفهوم العمل التطوعي في التربية الإسلامية وثمراته الدنيوية والأخروية. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧- ٢٩/٦/١٤٢١ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.

[٢١] الشبكة العربية للمنظمات الأهلية (٢٠٠٥م). التطوع والمتطوعون في العلم العربي. ط١، بيروت، لبنان.

[٢٢] الشيبكي، الجازي (١٩٩٢م). الجهود الإنسانية التطوعية في مجالات الرعاية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض.

[٢٣] الشهراني، معلوي (٢٠٠٦م). العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع (دراسة تطبيقية على العاملين في مجال العمل التطوعي في المؤسسات الخيرية بمدينة الرياض). رسالة ماجستير غير منشورة. قسم العلوم الاجتماعية. كلية الدراسات العليا. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

[٢٤] الصياد، عبدالمعطي (١٩٨٩م). جدول تحديد حجم العينة في البحث السلوكي، القاهرة: رابطة التربية الحديثة.

[٢٥] الضحيان، عبدالله (١٤٢٧هـ). العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية المؤثرة في ممارسة المعلم للعمل التطوعي داخل المدرسة. (دراسة استطلاعية على معلمي المرحلة الابتدائية في التعليم الحكومي العام بمدينة الرياض). رسالة ماجستير غير منشورة. قسم الدراسات الاجتماعية. كلية الآداب. جامعة الملك سعود. الرياض.

[٢٦] العكرش، الجوهرة (٢٠٠٨م). معوقات العمل التطوعي بالمجتمع السعودي. دراسة لبعض تظم ومعوقات العمل التطوعي الاجتماعي (دراسة وصفية بمدينة

الرياض)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

[٢٧] العنزي، موضي (٢٠٠٦م)، أثر بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على مشاركة المرأة السعودية في الأعمال التطوعية. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم الدراسات الاجتماعية. كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.

[٢٨] القرشي، عدنان (٢٠٠١م)، العمل التطوعي في دول مجلس التعاون: منطلقاته وآفاقه. اللقاء العلمي حول الدور التنموي الجديد لمؤسسات العمل الاجتماعي التطوعي بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ١١ - ١٣/٨/١٤٢٢ هـ.

[٢٩] القعيد، إبراهيم (١٤١٧هـ). "وسائل استقطاب المتطوعين والاستفادة من جهودهم". بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي للخدمات التطوعية في المملكة العربية السعودية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

[٣٠] العقل، سليمان (٢٠٠٠م)، الشباب السعودي والعمل الدعوي - دراسة استطلاعية لآراء الشباب السعودي حول العمل الدعوي التطوعي. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. العدد (٤٠). الرياض.

[٣١] العلي، سليمان (١٩٩٦م)، تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية. ط ١. مكتبة الكونجرس. إصدار مؤسسة أمانة.

[٣٢] المنيف، حصة (٢٠٠٥م)، الجهود التربوية للجمعيات النسائية السعودية. دار الملك عبدالعزيز

[٣٣] موسى، عبدالحكيم (١٤١٧هـ)، دراسة استطلاعية لاتجاهات بعض أفراد المجتمع نحو مفهوم العمل التطوعي ومجالاته من وجهة نظرهم. مكة المكرمة. جامعة أم القرى. كلية التربية.

- [٣٤] النعيم، عبدالله (٢٠٠٥م). *العمل الاجتماعي التطوعي مع التركيز على العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية*، ط ١. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض
- [٣٥] النجار، باقر (١٩٨٨م). *العمل الاجتماعي التطوعي في الدول العربية الخليجية*، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية (١١) مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية، مكتب المتابعة، النامة، البحرين.
- [٣٦] النقيشان، ابراهيم (٢٠٠٦م). *المعوقات النفسية المانعة من الانخراط في الأعمال التطوعية: الأسباب والعلاج بمجلة رسالة التربية وعلم النفس* (الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية). العدد (٢٧). السنة ١٤٢٧ هـ. الرياض.
- [٣٧] بار، عبد المنان (٢٠٠١م). *مدى استفادة الجمعيات والهيئات الخيرية الإنسانية من الأعمال التطوعية في المملكة العربية السعودية*. الدمام. مركز الدراسات الاجتماعية والإنسانية بجمعية البر بالمنطقة الشرقية.
- [٣٨] باشا، عدنان (٢٠٠٠م). *العمل التطوعي في الإسلام ودور المنظمات والهيئات الإسلامية في التنمية الشاملة*. مؤتمر العمل التطوعي والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع) ٢٧ - ٢٩ / ٦ / ١٤٢١ هـ. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.
- [٣٩] خاطر، احمد (١٩٨٤م). *طريقة تنظيم المجتمع*. ط ١. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. مصر.
- [٤٠] راشد، راشد محمد (١٩٩٠م). *العمل الاجتماعي التطوعي في الإمارات العربية المتحدة*. ط ١. دبي. مكتبة القراءة للجميع.
- [٤١] عطيفة أبو الفتوح (١٩٩٦م). *منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية*، القاهرة: دار النشر للجامعات.

[٤٢] عجوبة، مختار إبراهيم (١٤١٥ هـ). *القاعدة النظرية للأنشطة التطوعية الخيرية في المملكة العربية السعودية*. دراسة وثائقية لتجربة الجمعيات الخيرية. مجلة التعاون. العدد (٣٤). مجلس التعاون لدول الخليج.

[٤٣] عبد الحميد، لبنى وآخرون (٢٠٠١ م). *التطوع والمتطوعون في العالم العربي*. الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة.

[٤٤] مجمع اللغة العربية بالقاهرة: *المعجم الوسيط*. دار الحديث للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

[٤٥] يعقوب، أحمد والسلمي عبدالله (٢٠٠٥ م). *إدارة العمل التطوعي*، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي.

[٤٦] Roker, A and Coleman, J (1999). *Challenging the Image ; young people as volunteers and campaigners*, Leicester. UK; National Youth Agency. Youth work Press

[٤٧] Homans, George (1974). *social behavior ; Its elementary forms*. NY; Harcourt Brace Jovanovich

[٤٨] Social Work Dictionary (1987). National Association of social workers. Maryland, silver Spring; 173

[٤٩] Lieberman, (1994): *M Education sa a profession*, 6 edition, N.J. prentice Hall Inc, p.1

[٥٠] Australian Bureau of Statistics ; *Australian Social Trends 2002 Work-unpaid work: voluntary work*, Australia, 2002

[٥١] Bolles ,Richard: *promoting The role of Higher Education in The south east* .., *Thames Valley University* , 2002

[٥٢] Esmond ,judy: *The Untapped Potential of Australian University Students* .., *Australian Journal on Volunteering* , Vol.5, No.2, 2001, P.309

[٥٣] Harvey ,Ron ; *Graduates Voluntary Work ; A guide to Future Employment* .., *University of England* , 2003

- Hayase , Nobora ; status Volunteer in Japan and U.S ,*OVAC quarterly Magazine* ,Vol.1 , January ,2001 [٥٤]
- Holmes ,Andrew: Student Union Voluntary Work Skills Development Module [٥٥]
 ,*University of Hull* -2002-Center for Lifelong Learning
- Jones ,George: voluntary Work Can Cut Student Tuition Costs ,*Daily Telegraph* ,8 1 2002 [٥٦]
- King Brent: A National Survey of Canadian Co-Op Coordinators Attitudes Toward Volunteer Positions and Co-Op Students entrepreneurship ,*Journal of Education* ,Vol.32,No.3 ,1999,pp:70-79. [٥٧]
- Ress , Helen: Rory , Daly:Students Union , University Education Development Unit ,*Nottingham University* ,2003 [٥٨]
- Stimnan, Margaret ; The Role of Civic Education in Community Service ,Washington , Center for Civic Education , 2000 [٥٩]
- Villar , Rodrigo: Defining Non Profit Sector , Colombia , *Johns Hopkins University* ,Institute for Policy Studies , 2001 [٦٠]
- Willard , Christina: Malign Youth Volunteerism:The Youth Volunteer Corps of Canada ,*Journal of volunteer Administration* , vol.17 ,No.3 , 2000 , pp:21-24 [٦١]
- Retrived on:11/2011 <http://www.qu.edu.sa> [٦٢]
- .Retrived on 9/2011<http://www.mohe.gov.sa> [٦٣]
- Retrived on 12/2011 <http://www.asbar.com/ar> [٦٤]

The Reality of Volunteering Adversary and Methods of its Development and Trends in Al-Qassim University Students Toward him in the Kingdom Saudi Arabia

Dr. Ibrahim bin Abdullah Al-Obaid

Assistant Professor of Education

Department of Education - Education College - Qassim University

Abstract. This study of volunteerism, entitled: ' the reality of volunteering and constraints, development of methods and trends toward students with the BHEL Saudi Arabia ' and aimed to demonstrate the concept of volunteerism and its functions and his theories and learn the reality of volunteering and constraints, development of methods and trends toward students with the BHEL Saudi Arabia and clarify the nature of the relationship between the statistical significance the study sample members answers about (reality-direction-constraints-methods development) volunteerism among students in Qassim University, Saudi Arabia to study variables (college-level and school year – overall rating and rate courses Training in the area of volunteering) and use the Finder in the descriptive and documentary gateway survey and study of students in Qassim University, one of the highlights of their findings:

1- often students Qassim University in Saudi Arabia by volunteering and more indicators of reality was volunteering with a guide and instruct faculty member to exercise voluntary work and student work to plan to participate in voluntary work

2-toward Saudi Arabia's Qassim University students about volunteerism was high and had high indicators of direction toward volunteering: see student volunteering contributes to the growth and development of the society and solve its problems and felt that volunteering is a religious feel individual sense of religious affiliation.3-met with student participation methods development with the BHEL volunteer high acceptance and approval of the most important methods of dissemination of the principles and values of volunteering and motivate the student material and moral to participate in volunteer and reassurance and breaking the barrier of fear and AWE to participate in voluntary work. 4) found that volunteering practice constraints posed by researcher she achieved significantly and was notably opposed times work with study time and the absence of mechanisms and systems to voluntary work and lack of interest in volunteering at the University

Guidelines for Authors

a) Types of materials accepted by the Journal for publication:

1. Research and study: Works submitted to the Journal should make original contributions to any of the various fields of the Journal.
2. Articles: Papers dealing with criticism and analysis for previously published articles, books and scientific theses.
3. Distinguished scientific inventions and patents.
4. Correspondences: These can present creative ideas, scientific opinions, or research suggestions.

b) Publication Terms:

1. The work must be characterized by originality, innovation, scientific methodology, and correct attitudes.
2. It should be written in sound language free of any spelling and grammatical mistakes. The researcher is responsible for the errors contained in his/her research.
3. All types of manuscripts submitted to the Journal are subject to a blind peer review process.
4. All decisions taken by the Editorial Board are final. They have the right not to present any justification(s) for their decisions.
5. Manuscripts accepted for publication should not exceed 60 pages of A size.

c) Paper Selection and Publication Process:

1. A request to publish the manuscript. A written consent that the manuscript submitted has not previously been published and is not being considered for publication elsewhere, either in the submitted form or in a modified version.
2. Three hard copies in addition to a soft copy should be submitted.
3. An English and Arabic abstracts not exceeding 200 words should be included.
4. Title of the manuscript, or any brief biodata such as his/her name, affiliate, main interests, a contact address and an email address should be written in a separate page.
5. Margins of each page should be written at the bottom of the page.
6. One of the following methods should be used when referring to references:
 - a. using (MLA) style.
 - b. using (APA) style.
 - c. using (Foot Note) style.
7. Manuscript will not be returned to the author(s) whether accepted for publication or not.
8. Author(s) will be given two copies of the Journal and 20 reprints of the published manuscript.
9. Author(s) will be requested to make adjustments set forth in the reports of the referees. If they are willing not to do so they should justify their decisions.
10. All published materials reflect solely their authors' opinions.
11. Publication in the Journal is free and there is no bonuses for the authors.
12. It is not allowed to republish the manuscript or part of it in any type of publication material except a written permission from the Chief Editor.

Subscription and Exchange

Scientific Journal of Qassim University (Journal of Arabic and Human Sciences)

E-mail: jahsqu@gmail.com



**In The Name of ALLAH,
Most Gracious, Most Merciful**

Volume (6) – NO.(2)

Journal of ARABIC AND HUMAN SCIENCES

May 2013 - Rajab 1434H

Scientific Publications & translation

Editorial Board

Chief Editor

Prof. Abdulaziz R. Alsinaidi

Member Editors

Prof. Ahmad H. I. Ahmad

Prof. Hamdeno A. El-Awady

Dr. Mohammad A. Alseweed

Dr. Ibrahim A. Almutawa

Journal Secretary

Abdul Hamid Al-Othaim

Editorial Advisory Board

Prof. Ibrahim Mubarak Al-Jewaire

(Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University)
(Social Sciences)

Prof. Saad Hamdan Al-Ghamdi

(Um AlQura University)
(Syntax and Morphology)

Prof. Abdullah Hamd Al-Humeedan

(King Saud University)
(Applied Linguistics)

Prof. Abdullah Yousuf Al-Shabal

(Ex-President Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University)
(History)

Prof. Abdullah Yousuf Al-Ghuneem

(Kuwait University)
(Geography)

Prof. Fakhar Al-Din Qabawa

(Halab University)
(Linguistics)

Contents

Page

English Section

The effect of counsellor characteristics on use of counselling interview techniques in counselling work in KSA Dr. Dekheel Mohammed Al-Bahadel	1
Patterns of Call Technologies' Selection in English Departments in Saudi Universities and Suggested Considerations Dr. Khalid M. Abalhassan	29

Arabic Section

Noun- Suffixed Proper Names in Arabic: A morpho- Syntactic Study (English Abstract) Dr. Yousef M. Fajjal	562
Sentence Transformation Using Omission in the Sura of " The Believers" and its impact in the Sense (English Abstract) Dr. Mohammad A . Hazaimeh	597
"Then Semantics in Holly Quran" (English Abstract) Dr. Hassan Abd Elati Mohamed Omer	668
Geolinguistics between Being a New Field and its Basic Concepts Set by Arab Scholars (English Abstract) Dr. Abdulaziz Humaid Alhumaid	715
Geolinguistics between Being a New Field and its Basic Concepts Set by Arab Scholars (English Abstract) Dr. Abdulaziz Humaid Alhumaid	742
One of the aspects of Tai's dialect in contemporary Qassimi dialects (English Abstract) Dr. Khaled Mohammad Al-Jum'ah	835
Religious Sentiments Embody First Crusades Campaign (English Abstract) Abdul Muiz Asri Beni Essa	877

Development of the Local Community in Rural Regions: Applied Study on Dharish (English Abstract)	
Dr. Ahmed M. Alshabaan	937
Battle Bannockburn in 1314 AD (English Abstract)	
Fatma Abdel Latif El Shnawy	986
The Reality of Volunteering Adversary and Methods of its Development and Trends in Al-Qassim University Students Toward him in the Kingdom Saudi Arabia (English Abstract)	
Dr. Ibrahim bin Abdullah Al-Obaid	1076

The effect of counsellor characteristics on use of counselling interview techniques in counselling work in KSA

Dr. Dekheel Mohammed Al-Bahadel

Associate Professor in Psychological Counselling

Department of Psychology - College of Education, Qassim University, KSA

Abstract. The aim of the present study was to investigate the counselors' usage of counselling interview techniques (action, reaction, and interaction techniques) and explore the effect of characteristics like gender, basis of accreditation, education stage, educational level, age and experience, on use of counselling interview techniques in the counselling work in KSA. To answer the questions of the study, a measure was built for counselling interview techniques (by the researcher) and applied on a sample consisting of 207 counselors (85 female, 122 male).

The study concluded the following results:

- The most used counselling interview techniques were the listening, clarification, interpretation, and questioning techniques respectively, whereas the least used was paraphrase. The techniques of leading, feedback, confrontation, silence and reflection of feelings were used to a moderate degree

- There were no statistically significant differences between male and female counselors in using of the techniques of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, and leading, whereas there were statistically significant differences between male and female counselors concerning the usage of confrontation, clarification, and feedback techniques. All these were used more by females.

- There were no statistically significant differences in use of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of counselor accreditation, while there were statistically significant differences in use of confrontation and clarification techniques, in favor of the group that had training courses.

- There were no statistically significant differences in use of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of current work stage, while there was a statistically significant difference in using of paraphrase in favor of those working at the secondary stage.

- There were no statistically significant differences in use of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of educational level, while there were statistically significant differences in use of the confrontation technique in favor of those who had a postgraduate diploma.

- There were statistically significant differences in confrontation, reflection of feelings, leading, and feedback techniques due to the effect of age.

- There were statistically significant differences in confrontation, paraphrase, clarification, and feedback techniques due to the effect of years of experience in the field of counselling.

- There were statistically significant differences in use of paraphrase due to the effect of years of experience in the field of education.

Introduction

One of the aims of the counselling process and psychological guidance is to form a balanced individual who enjoys a great deal of mental health, emotional stability, social and vocational coping and integrated development [1]. Hence, Arab countries began to introduce counselling services in their educational institutions, especially in schools, to serve their students and help them in confronting problems facing them in their achievement, choosing a suitable specialization and so on. In KSA, the Ministry of Education began to introduce counselling and guidance services in 1981, and required those wishing to practice guidance to have a scientific qualification in guidance and mental health, psychology, or sociology. To choose counselors for field work, technical courses and seminars are held for a week or two weeks, and a written exam is done at the end. However, some studies like Alasdy and Ibraheem [4] pointed out the weak role of counselors in solving problems as a result of inadequate preparation.

Counselors give counselling services at all educational stages, and these services are differentiated according to different needs of the students in each stage. The Counselling process includes an interview that is done in a special place where the counselor listens to the interviewee in an attempt to understand what he can change in his conduct. A counselor must have the skill and experience required for conducting the interview successfully in order to reach solutions for the interviewee's problems [16].

Statement of the study and its questions:

The Counselling interview is considered the core of psychological counselling because it offers a chance for the counselor to identify the nature of the problem of the interviewee, identify the characteristics and qualities of his personality and obtain other information that is useful for the counselling process, in order to begin preparing a plan for suitable treatment that helps the interviewee in solving his problems.

Through observing counselors, the researcher noticed that there is a difference in use of counselling interview techniques (action, reaction, and interaction techniques). Hence, the problem of the study is represented in the main following question:

- What is the effect of counselor characteristics (gender, basis of accreditation, educational stage, educational level, age and experience) on use of the counselling interview techniques in the counselling work in KSA?

From this main question emerge the following questions:

1- What are the most used counselling interview techniques for counselors (male and female) in KSA?

2- Dose use of counselling interview techniques differ between male and female counselors?

3- Does use of counselling interview techniques differ according to the difference in basis of accreditation to become a counselor?

4- Does use of counselling interview techniques differ according to the current work stage (primary, preparatory, and secondary) in KSA?

5- Does use of counselling interview techniques differ according to education level?

6- Does use of counselling interview techniques differ according to age (from 20-30, 31-40, 41-50, 50-more years)?

7- Does use of counselling interview techniques differ according to years of experience in the field of counselling (from 1-5, 6-10, 11-15, more years)?

8- Does use of counselling interview techniques differ according to years of experience years in the educational field (from 1-5, 6-10, 11-15, and more years)?

Aims of the study

This study aims at investigating the use of interview techniques (action, reaction and interaction) by the counselor and the effect of some variables like gender, basis of accreditation to become a counselor, educational stage, educational level, age and experience on use of counselling interview techniques by counselors in KSA.

Importance of the study

The importance of the present study lies in its addressing a topic that has received little attention in Arabic and foreign researches. Also it can provide the sponsors of psychological counselling with information about interview techniques and how to use them in counselling.

Definition of terms

Counselling interview

It is defined as a professional relationship between the counselor and the interviewee that is done in a certain place, at a certain time and for a certain period, to achieve certain aims.

Counselling interview techniques

They are techniques that help in executing counselling strategies that enable the counselee to reach integrated development, face his problems and modify his behavior for the better. There are many kinds of counselling interview techniques, like action techniques (questioning, and confrontation), reaction techniques (silence, listening, reflection of feelings, paraphrase, and clarification), and interaction techniques (interpretation, leading, and feedback).

Theoretical framework and previous studies

Psychological, social and economic problems, disputes and pressures have increased in contemporary life, so individuals need others to help in solving their problems. This is what gives psychological counselling its importance nowadays, in

protecting humans from mental disorders and behavioral deviations, strengthening self confidence and feelings of security, and helping them in solving problems in order to achieve psychological and social coping.

Psychological counselling as seen by Omar [20] is an educational process that helps the individual to understand himself and identify his abilities and aspects of his personality, in order to make his own decisions, and solve his problems, in a way that contributes in his personal growth and social, educational and vocational development. This is done through a human relationship between him and the counselor who drives the counselling process toward achieving its goals through his professional experience.

Interview is one of the tools of psychological counselling that a counselor uses in the process of psychological and educational counselling to identify the personality of the counselee and his problems. It is a meaningful conversation in which a counselor tries to collect information about the personality of the interviewee who wants his help [30]. Thus, the counselling interview is not an ordinary interview, it is a formal relationship between the counselor and the counselee that has its aims summarized in establishing a formal professional relationship between the counselor and the counselee, collecting data and information about the counselee, interpreting them, helping him in expressing his emotions, ideas, and problems, and understanding himself, and suggesting sound solutions for his problems in order to make a suitable decision about them [5]; [23]. For the interview to be conducted correctly and effectively, a counselor must be well trained and qualified, for his contribution to be positive in establishing on unconditional counselling relationship with the counselee [6].

The Counselling interview contains a set of skills and styles named techniques. These are forms of verbal and nonverbal behavior the counselor uses during the interview, which help in driving the interview toward its goal [2].

Omar [20] divides interview techniques in psychological counselling into action techniques (questioning, and confrontation), interaction techniques and reaction techniques(silence, listening, paraphrase, reflection of feelings, and clarification). Many studies [18]; [20] state that the questioning technique is the basic technique a counselor uses in opening the interview and ending it, because it helps in collecting necessary information about the counselee; also it encourages him to express his views, feelings, and ideas freely. Consequently, this technique helps in achieving the goals of the counselling interview and the counselor must determine before asking for the information he needs whether it needs short answers or open ended answers.

The Confrontation technique is used when a counselor notices a contradiction between what a counselee person says and does. This technique helps the counselee to gain insight about what is in him so he reflects it in his external behavior. Confrontation is preferred to be used at the end of the building stage in the counselling interview, that is, after building familiarity between the counselor and the counselee, when there is a human, professional relationship between them. Confrontation will not be in a form of an attack or giving judgments, but it should

achieve the goals of the counselee, helping him to identify the weaknesses and contradictions in his behavior [1]; [5]; [20].

Omar [19] states that a good counselor is one who knows when and how to use the technique of silence, to give the counselee a chance for thinking deeply and looking into himself. Silence helps the counselor and the counselee to get their breath, because it not possible to have a conversation without taking a rest. This technique allows the counselor and counselee to arrange their ideas, and prepare for talking. A counselee resorts to silence if he feels upset or nervous; hence he needs silence to have a rest in order to have the ability to express his feeling. Shohimi [27] adds that silence occurs when there is a connection between the conversation and an event that is painful that the counselee doesn't want to remember, or to leave the way open for commenting about the cause. Also silence is an important tool used by a counselor to end the counselling interview.

Reflection of feelings is considered the main response of the counselor, through which he demonstrates and expresses the expressions of the counselee. A counselor repeats the feelings of a counselee by use of phrases that indicate reflection of feelings like "Do you feel angry?" or "Do you feel sad or nervous?" [25]; [27]. This technique represents a mirror through which a counselee knows that the counselor listened and understood what he said correctly. Good listening to everything a counselee says and does during the interview has a major role in the effectiveness of reflection of feelings. Elzeod [14] adds that the well trained counselor can identify the feelings of the counselee and reflects them in time through listening and observing his movements and gestures.

Paraphrase is done by the counselor, taking the most important words of the counselee and paraphrasing them in a clear manner. Paraphrase is an easy technique a counselor uses; he listens to the counselee and repeats what he says in his own words. This makes a counselee feel that the counselor listens and understands what he says and does [15]. Ivey et al. [17] add that paraphrase helps a counselee to speak deeply about his problems, and indicates to him that the counselor listens and understands him clearly. One form of paraphrase forms is for the counselor to repeat the important words a counselee says or repeat the main ideas that express the vision of the counselee.

Clarification means clarification of some points that are vague and misunderstood in the discussion between a counselor and a counselee [1]. A counselor uses clarification to clarify some ideas and sayings of the counselee that are vague. It aims at giving the counselee an image that the counselor understands what he says and cares about him in receiving verbal and nonverbal messages [5]. For clarification to achieve its aim, a counselor must not be shy and should not hesitate to ask the counselee to clarify what is not understood during the interview. There are important rules that must be followed in using the clarification technique, in order to achieve its aim. They are: use of easy and simple words that don't have more than one meaning; the counselor gives an interpretation that is suitable for the cultural, mental and historical situation of the counselee, at a suitable time, without

blame or hurt, and the counselor should be well qualified and trained in using this technique [19].

Interpretation is used at the last stage of the counselling process after a familiar counselling relationship has been built between the counselor and the counselee, based on respect and trust. This technique helps the counselee to understand and realize any feeling that is very deep inside him, recognize the defense mechanisms used, or identify the purposes of abnormal behavior. Also this technique is useful in building a self reference for the counselee, which influences his responses to the counselor and others [1]. Omar [20] adds that in order for the interpretation technique to achieve its goals, the counselor employs it gradually, so he starts with interpreting simple information, progressing to deep information as necessary. So this technique is built on preciseness.

Abdulaziz & Atawi [1] argue that the leading technique as an important and effective tool in helping the counselee to gain insight and organize his thoughts and develop them, forming his views, understanding deeply, and formulating his phrases and words to express his situation without putting words into his mouth. It helps also in identifying what a counselee should say and do if he is unable to reach a suitable decision on his problems. The well trained counselor uses this technique cleverly in the form of questioning and interpretation, focus of on the basic problems indirectly. Omar [20] summarized the important benefits of the leading technique as follows: helping the counselee to understand himself and others, demonstrating his feelings and showing them as he sees them, and assuring the validity of the information collected.

The Feedback technique aims at identifying how a counselor sees the counselee and listens to him, helping the counselee to review evaluating and modifying his behavior, also to achieve realization and define his identity [1]. Omar [20] maintained that the counselling interview cannot have any success when use of confrontation without feedback.

Feedback should be brief, and focus on strengths and things the counselee desires in order to be successful. Also, the counselor should give feedback in the form of instructions, not judgments [18].

After approaching the counselling interview techniques, the researcher presents modern trends in research concerning the effect of some variables on use of counselling interview techniques by counselors, like the study of Tanwos and hwaimida [28] which aimed at identifying counselling interview skills possessed by counselors, in addition to identifying differences in the possession of those skills according to gender, specialization, qualification, years of experience, and kind of study variables. The sample consisted of 200 counselors from governmental schools and Gawth Agency in Palestine. After applying the inventory of counselors skills in counselling intervention, the study found that there were no statistically significant differences possession of counselling interview skills according to counselors' gender, specialization, qualification, and years of experience. the study also found statistically significant differences in possession of the skills of counselling interview according to educational stage.

The study of Alsomayh [7] aimed at identifying the tasks of student counselors from the perspectives of the managers of schools and student counselors, validating the tasks of student counselors at the counselling interview, and demonstrating the statistical effect of difference in some important personal qualities for school managers and counselors in defining the degree to which the tasks and roles of student counselors are practiced. The sample consisted of 175 managers and counselors, and an inventory was designed. After application and statistical treatment, the study concluded the importance of the student counselor performing his tasks. It found statistically significant differences between managers and counselors of public schools in perceptions of the tasks of student counselors. The study revealed that the majority of counselors participating in the study were not specialized in student guidance and counselling, but relied on practical experience.

Sharpley et al. [25] conducted a study aimed at identifying the model of verbal response a counselor uses in relation to the counselee's realization and interaction with the counselor through a follow up of 60 counselling interviews of 50 minutes each. The sample consisted of 58 counselors who had a Master degree in counselling. The results of the study indicated that encouragement, reflection of feelings, and paraphrase are the most important verbal models the counselor uses in the counselling interview.

Peterson et al. [21] investigated the effect of counselling experience of school counselors. The sample consisted of 26 counselors who had experience and who had not. The results showed that counselors benefited from multiple guidance through their transfer across the profession. Results also showed that there were no differences concerning the years of experience of counselors.

The study of Poirier et al. [22] examined the effectiveness of training fresh medical students on psychological treatment and counselling through use of the skills of changing abnormal behaviors. The sample consisted of 42 students who were divided into three groups. The first one focused on learning interview techniques by use of short lectures, the second one focused on summer interactive activities, while the last one focused on role play and imitating patients during a semester. Results showed that the portion of trust gained by students after identifying the interview techniques at the end of the semester was 77%. Also it showed that 56% of students answered the questions concerning interview techniques correctly.

Brown [10] conducted a study that aimed to find out the impact of a counselor's ability to talk and communicate during the interview, through analyzing two interviews for one counselee with two different counselors. The study found that counselors differed in their use of counselling interview techniques (questioning and feedback). Also the study concluded that one of the counselors was more effective than the other in the communication process because of his competence in counselling skills.

The study of Shobir [26] aimed at identifying vocational obstacles for counselors at governmental schools in Gaza strip and their relationship with functional satisfaction. Also the study aimed at identifying differences according to

the gender of educational counselor, scientific specialization, years of experience and age, concerning vocational obstacles and functional satisfaction of educational counselors. The sample consisted of 144 counselors (male & female) from public schools in Gaza strip. After applying an inventory of vocational obstacles and functional satisfaction inventory, the study found that the most common vocational obstacle for educational counselors was lack of a special room for counselling. The study indicated that there was a negative relationship between the total degree of vocational obstacles for educational counselors and incentives, promotions and possibilities dimensions.

The study of Haddad and Abdullah [15] aimed at defining the most important counselling interview techniques psychological counselors use from the point of view of the counselees. The sample consisted of 80 counselees. After applying a measure of interview techniques that consisted of 49 items distributed across three dimensions: action, reaction, and interaction techniques, results showed that counselors use the majority of counselling techniques. Also the study showed that there were no differences between males and females on the first and second dimensions, and differences in favor of males on the third dimension, while results showed no significant differences concerning the variable of educational stage or interaction between gender and educational stage.

The study of Al-Amoush [3] aimed at defining counselling competencies of public school counselors in the north region in Jordan and its relationship with some variables. The sample consisted of 177 counselors distributed according to gender (79 females) and (98 males) counselors from the target population, that is, 224 counselors. The study found that there was no difference in training competencies of counselors attributed to gender or training, but it found difference in training competencies attributed to experience and academic qualification.

Kivlighan and Arthar [18] studied rapprochement between the counselor and counselee through counselling interview across 27 counselling sessions. The study revealed that rapprochement between the counselor and counselee is greater linearly with time, and that rapprochement increase is connected to the results of counselling related to decreasing psychological problems within the counselee.

Zyada [30] conducted a study to define the possession of counselling skills by educational counselors in dealing with crises. The sample consisted of 140 counselors from Erbid, Garowsh, Aglown and Almafrak governorates in Jordan. Results showed that counselors possess the basic counselling skills to a high degree, but their advanced skills are moderate. Also the study showed differences in counselling skills attributed to experience and academic degree, while it revealed no differences attributed to gender and specialization.

The study of Dawood & Freihat [12] involved a sample of 200 counselees (male and female) who received group and individual counselling services at schools in Amman city, and aimed at surveying the relationship between communication skills of counselors, their experience and effectiveness in delivering counselling services as seen by counselees. The researchers used a measure of counselor effectiveness, and a communication skills measure. The results showed

that there was a relationship between the communication skills of counselors and their effectiveness in delivering counselling services, while there were no differences in the effectiveness of the counselor attributed to gender.

Alturk [8] examined the relationship between the use of interview techniques by the counselor and evaluators of counselor effectiveness by supervisors, managers and counselees. The sample consisted of 17 counselors. To evaluate the use of interview techniques , an interview was video taped for 30 minutes for each counselor, in the actual environment. Two observers were required to watch each interview and respond to an evaluation checklist on the use of counselling interview by the counselor, which was developed for that purpose. For evaluation of counselors by counselees and managers, a special measure was developed for counselees, managers and supervisors. Results showed a relationship between the use of counselling interview by the counselor and evaluations of effectiveness, regardless whether the evaluator was a supervisor, manager or counselee.

The study of Duffus [13] aimed at exploring the relationship between the role of educational counselor and the ambiguity of the role, and functional satisfaction. The sample consisted of 221 counselors, and 166 persons responded to the survey. The results showed that there was a relationship between role conflict and functional satisfaction of counselors at primary schools. Generally, the role connected to functional satisfaction was positive.

Samadi [24] conducted a study aimed at testing the effectiveness of a counselling training program for improving basic counselling skills and educational, family counselling skills, and skills of behavior modification through a number of training workshop. The sample consisted of 39 counselors and a control group that consisted of 46 counselors. A counselors' skills measure was used. Results showed the ineffectiveness of the program in the field of basic counselling skills (listening, summarizing, interview skills, diagnosis, understanding and originality), and educational counselling skills.

Change [11] conducted a study aimed at defining the impact of the questions of the counselor and feedback on the positive and negative response of the counselee during counselling interviews. 67 counselees were interviewed and the results showed no impact of the counselor's questions on the response of the counselee during the counselling interview.

Wagner and Fowler [29] conducted a study aimed at defining preference for dealing with male counselors versus female counselors. The sample consisted of 20 counselees ranging from 7-15 years, who were subjected to 6 sessions with 10 counselors and 10 female counselors. The results showed that after completing a treatment program counselees demonstrated their preference in dealing with male counselors than female counselors in comparison with their colleagues who were treated by female counselors.

Alzbon [9] conducted a study aimed at defining the effect of communication skills of counselors on acceptance of the counselling process by managers and teachers. The sample consisted of 136 counselors and 136 managers in addition to 25% of teachers who were randomly chosen from schools that had centers of

counselling. After developing a measure for communication skills, results showed that communication skills of counselors, their practical experience, qualification, and gender were not significant in the perceptions of managers and teachers.

Conclusion and comments

Most of the previous studies showed an agreement that counselors differ in use of counselling interview techniques like the study of Brown [10], the study of Sharpley et al. [25] and the study of Haddad and Abdullah [15].

Some studies concluded that there were no differences in the level of counselling interview skills possessed by educational counselors according to the variables of gender, specialization, academic qualification, and years of experience like the study of Tanwos and Hwaimida [28] which added that there were differences due to educational stage, and the study of Peterson et al. [21], the study of Haddad and Abdullah [15] which found no difference for gender, but found differences in favor of males on the third dimension, while results showed no significant differences concerning the variable of educational stage or interaction between gender and educational stage, and the study of Al-Amoush [3] that found differences due to academic qualification in favor of those who had a postgraduate diploma, and the study of Zyada [30] that found differences in counselling skills due to the variables of experience and academic degree, but found no differences due to gender and specialization. One study concluded that the most common obstacle in the profession of counselling was not providing a special room for counselling Shobir [26].

Some studies pointed that the majority of counselors participating in counselling work were not specialized in guidance and student counselling, but had practical experience only, like the study of Alsomayh [7].

Procedures

First: Research method

A descriptive approach was used to answer the questions of the present research which depends on describing, explaining and identifying the variables of the phenomenon, distinguishing the differences between groups and using measurement, classification and interpretation procedures through which it identifies significant differences and correlations.

Second: Population and Sample

The population of the study included all counselors (males and females) in the program of counselling and guidance diploma who were free from the ministry of education to study the diploma program in a number of Saudi universities during the second semester of the academic year 1432-1433. A list of counselors was obtained from the registrar office to determine the population frame for the study. According to the list, target population was 427. A simple random sample of 207 counselors (males/females) was drawn from established population frame. the participants ages range between 20 to 60 years old. Table (1) shows the distribution of the study sample.

Table (1). Distribution of the study sample according to gender and level of education, age, basis of accreditation to become a counselor, the current work stage, years of experience in the field of counselling and the educational field.

current work stage			basis of accreditation to become a counselor			Gender		
category	Frequency	Percent	category	Frequency	Percent	category	Frequency	Percent
primary	49	23.7	training courses	41	19.8	Male	122	58.9
Preparatory	63	30.4	years of experience	118	57.0	Female	85	41.1
secondary	95	45.9	college certificate	48	23.2			
experience years in the educational field			experience years in the field of counselling			age		
category	Frequency	Percent	category	Frequency	Percent	category	Frequency	Percent
1-5	21	10.1	1-5	106	51.2	20-30	19	9.2
5-10	26	12.6	5-10	45	21.7	30-40	115	55.5
10-15	71	34.3	10-15	31	15.0	40-50	66	31.9
15 and More	89	43.0	15 and More	25	12.1	50 and more	7	3.4
level of education								
Diploma	33	15.9	bachelor	168	81.2	masters and what follows	6	2.9

Third: Instrumentation:

To achieve the aim of the study, the researcher developed a self reported questionnaire and administered in Arabic. The purpose of the questionnaire was to identify interview techniques counselors use in the field of student counselling according to the following procedures:

- Looking at educational and psychological literature related to counselling interview, its techniques and counselling (e.g. Alturk, 1996, Elzeod, 1998 and Omar, 2010).

- Identifying dimensions that the questionnaire consists of, via questioning a number of specialized persons in counselling and guidance in some Saudi universities (Qusiam, king Abdul-Aziz, Aom Alkora, and Tiaba), who are eleven arbitrators.

- Reviewing measures in previous studies like the measures of (Haddad and Abdullah, 2002 and Algaafra, 2006).

- The scale contains initially 65 items in its primary shape, and according to comments and suggestions of the experts in the field of counselling and psychology (11) items were omitted, and the questionnaire in its final form consists of (3) dimensions and (54) items distributed as follows:

Action techniques (18) items, reaction techniques (22) items, and interaction techniques (14) items. Items of the questionnaire were rated as follows: "applies always on me", "applies often on me", "applies occasionally on me", "applies rarely on me", and "never applies one me" to meet the scores (5,4,3,2,1). All items are in the positive direction.

Instrument Validity:

In the present study, face and content validity were used to determine the validity of the instrument utilised. In order to achieve face and content validity, the questionnaire was submitted to (11) of the faculty members in Al-Qassim University and whose majors are in the fields of counselling and psychology to give their opinions about the clearness of the items and the relevance of them to the purpose of the study. The referees agreed that the items appeared to be suitable and relevant to the purpose of the study. Their comments and suggestions were studied carefully, and the necessary modifications were made accordingly.

In addition to checking face and content validity, I used the Statistical Package for Social Sciences (SPSS) to calculate the validity of the questionnaire by using the Pearson correlation coefficient to calculate the correlation between each item with the total score of the relevant sub-scale to, based on the responses of the 100 school counselors from the same population of the present study. It was found that each item correlated with the sub-scale it belonged to at significant level 0.01 (see Table 2).

Table (2). The Coefficients of Correlation between items and total score of the relevant sub-scale to:

Questioning		Confrontation		Silence		Paraphrase		interpretation	
Items	correlation	Items	correlation	Items	correlation	Items	correlation	Items	correlation
1	0.539	12	0.438	23	0.395	34	0.748	41	0.660
2	0.549	13	0.620	24	0.620	35	0.792	42	0.772
3	0.359	14	0.684	25	0.550	36	0.702	43	0.725
4	0.266	15	0.484	26	0.746	clarification		44	0.749
5	0.555	16	0.601	27	0.662	37	0.758	45	0.726
6	0.546	17	0.613	28	0.596	38	0.790	46	0.690
7	0.552	18	0.651	Reflection of feelings		39	0.792	Feedback	
8	0.496	Listening		29	0.666	Leading		51	0.504
9	0.539	19	0.694	30	0.577	47	0.609	52	0.817
10	0.375	20	0.737	31	0.691	48	0.760	53	0.749
11	0.556	21	0.736	32	0.680	49	0.764	0.642	
		22	0.612	33	0.713	50	0.814	54	

**Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

The above table presenting the value of coefficients of correlation, gives an indication of the magnitude of correlation between each item and the total score for the sub-scale they belonged. It can be seen from the Table ... above that all items correlated with the section to which they belonged showed a strong validity at the significant level 0.01.

Instrument Reliability:

Alpha coefficients were calculated the reliability of the instrument. The result of Alpha for the questioning technique was (0.728), for confrontation technique was (0.693), for listening technique was (0.627), for silence technique was (0.647), for reflection of feelings technique was (0.742), for paraphrase technique was (0.806), for clarification technique was (0.705), for interpretation technique was (0.801), for leading technique was (0.714), and for feedback technique was (0.627). Table (3) Shows the Alpha Cronbach reliability coefficients for each dimension of the questionnaire.

Table (3). Reliability Coefficients:

Dimension	Interview techniques	Alpha
Action techniques	Questioning	0.728
	Confrontation	0.693
Reaction techniques	Listening	0.627
	Silence	0.647
	reflection of feelings	0.742
	Paraphrase	0.806
	Clarification	0.705
Interaction techniques	Interpretation	0.801
	leading	0.714
	Feedback	0.627

Significant level of $\leq .001$

The results of the reliability analysis show that the instrument used is reliable. The extent to which the items in the questionnaire are related to each other are good, and the correlation between them is very high as well.

Results and interpretations

1st Question

The first question of the present research states that: "what are the counselling interview techniques that are mostly used by the counselors in Saudi Arabia?"

To answer this question, means and standard deviations for the answers of the respondents concerning the techniques of the counselling interview were compared. Techniques were ordered by the degree of usage as shown in table (4):

Table (4). The order of the techniques used in the counselling interview.

technique		Mean	Std. Deviation	Order
action technique	questioning	4.02	.35	4
	confrontation	3.89	.46	7
reaction techniques	listening	4.36	.54	1
	silence	3.54	.58	8
	reflection of feelings	3.40	.66	9
	paraphrase	2.87	.73	10
	clarification	4.32	.54	2
interaction technique	interpretation	4.30	.52	3
	leading	3.98	.63	5
	feedback	3.92	.68	6

The previous table shows that:

- The counselling interview technique that are most used are listening, clarification, interpretation and questioning, whereas the least used technique was paraphrase. The use of leading, feedback, confrontation, silence, and reflection of feelings techniques was moderate.

- The previous table shows that the questioning technique is used more than the confrontation technique as an action technique, the techniques of listening and clarification are the most used reaction techniques, and the interpretation technique is the most used interaction technique. The great use of the techniques of listening, clarification, interpretation and questioning can be explained in the light of the nature of these techniques, as they don't require much effort from the counselor and they can be considered as direct techniques that require little preparation and planning. Also the greater use of these techniques may be due to the aim of use of them, that is, to get as much information as possible from the counselling interviewee.

The researcher refers this to the fact that questioning is used more than the confrontation technique because questioning is a basic tool without which the psychological counselor cannot do his work, considering that questioning is an effective tool in the dynamics of the counselling interview concerning its beginning, construction, and closing, also for diagnosis of the condition, treatment and evaluation which contribute in collecting necessary information. On the other hand, the confrontation technique is considered as a tool a counselor uses when he desires to make the counselling interviewee aware of his hidden thoughts and actions, which he was trying to avoid, so he cannot escape from them.

Listening and silence techniques achieve deeper understanding for the counselor than the other reaction techniques like reflection of feelings, which is considered an explanatory reply to what the counselling interviewee says, paraphrasing, which is considered an echo of what the counselling interviewee says which encourages him to keep talking, and clarification technique, which is used to clarify some points that may be ambiguous and misunderstood in discussion during the counselling interview.

Interpretation technique is considered the most used among interaction techniques because a counselor uses interpretation to help the counselling interviewee understand and realize any feelings or concepts that may be ambiguous, whereas leading helps the counselling interviewee to have a deep insight to recognize his feelings and understand himself. Feedback is considered an immediate response from the counselor to the counselling interviewee.

2nd Question:

The second question of the present research asked: "Does use of counselling interview techniques differ between male and female counselors?"

For answering this question, an independent samples T test was used to discover the significance differences in use of counselling interview techniques between male and female counselors in Saudi Arabia. The results are shown in table (5):

Table (5). Significant differences between males (N=122) and females (N=85) in use of counselling interview techniques.

techniques	Gender	Mean	Std. Deviation	T (effect size)
questioning	Male	44.369	3.986	.511
	Female	44.094	3.545	
confrontation	Male	26.607	3.287	3.613*** (0.245)
	Female	28.188	2.815	
listening	Male	17.221	2.265	1.885
	Female	17.788	1.902	
silence	Male	21.377	3.397	.671
	Female	21.047	3.606	
reflection of feelings	Male	16.779	3.612	1.204
	Female	17.341	2.779	
paraphrase	Male	8.475	2.198	.975
	Female	8.777	2.152	
clarification	Male	17.008	2.27635	2.350* (0.162)
	Female	17.718	1.88602	
interpretation	Male	25.516	3.29596	1.456
	Female	26.153	2.79342	
leading	Male	15.771	2.61523	1.035
	Female	16.141	2.42723	
feedback	Male	15.254	2.85044	2.651** (0.182)
	Female	16.259	2.36521	

Note: *** $P \leq .001$, ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that:

- There are no statistically significant differences between males and females concerning the usage of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, and leading techniques, while there are statistically significant differences between males and females concerning the usage of confrontation, clarification, and feedback techniques; the differences were in favor of females and the effect size was large. This result is in accordance with some results of previous studies that concluded that there were no differences between males and females in use of counselling interview techniques like the study of Tanwos and hwaimida [28], and the study of Haddad and Abdullah [15].

Greater use of confrontation, clarification, and feedback techniques by females may be due to the nature of female students which need a kind of confrontation and clarification of risks. Also female students are inclined to ask about everything and respond to advising and directing, unlike male students, for whom confrontation has no gain and may push them to intransigence.

Also greater use of clarification and feedback techniques for females may be due to females greater lingual ability than males, which enables them to master phrases that serve the situation without causing any problems for the client.

3rd Question

The third question of the present research asked that: "Does use of counselling interview techniques differ due to different basis of accreditation to become a counselor?"

To answer this question, analysis of variance was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to the difference in basis of accreditation to become a counselor and the results are shown in table (6):

Table (6).Significant differences in use of counselling interview techniques according to the basis of accreditation to become a counselor.

techniques	approved basics to become a counselor	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference	
						(2)	(3)
questioning	training courses (1)	41	44.244	4.024	.277	---	---
	years of experience (2)	118	44.119	3.533		---	---
	college degree in counselling (3)	48	44.604	4.271		---	---
confrontation	training courses (1)	41	28.024	2.902	4.583** (0.043)	.575	1.899**
	years of experience (2)	118	27.449	2.960		---	1.324*
	college degree in counselling (3)	48	26.125	3.694		---	---
listening	training courses (1)	41	17.732	2.214	1.199	---	---
	years of experience (2)	118	17.517	2.054		---	---
	college degree in counselling (3)	48	17.063	2.282		---	---
Silence	training courses (1)	41	21.512	3.171	.310	---	---
	years of experience (2)	118	21.271	3.421		---	---
	college degree in counselling (3)	48	20.938	3.889		---	---
reflection of feelings	training courses (1)	41	18.000	3.186	2.541	---	---
	years of experience (2)	118	16.873	3.020		---	---
	college degree in counselling (3)	48	16.500	3.941		---	---
paraphrase	training courses (1)	41	9.098	2.234	1.441	---	---
	years of experience (2)	118	8.525	2.083		---	---
	college degree in counselling (3)	48	8.354	2.365		---	---
clarification	training courses (1)	41	17.829	2.376	3.774* (0.036)	.439	1.204**
	years of experience (2)	118	17.390	2.104		---	.765*
	college degree in counselling (3)	48	16.625	1.975		---	---
interpretation	training courses (1)	41	25.732	3.139	.490	---	---
	years of experience (2)	118	25.941	3.103		---	---
	college degree in counselling (3)	48	25.417	3.107		---	---
leading	training courses (1)	41	16.244	2.965	1.678	---	---
	years of experience (2)	118	16.042	2.377		---	---
	college degree in counselling (3)	48	15.354	2.488		---	---
feedback	training courses (1)	41	15.902	3.330	1.667	---	---
	years of experience (2)	118	15.839	2.439		---	---
	college degree in counselling (3)	48	15.042	2.775		---	---

Note: ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that there are no statistically significant differences in the use of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of the approved basics to become a counselor, while there are statistically significant differences in use of confrontation and clarification techniques. However the effect size is small. By use of LSD for multiple comparison, it was shown that the group that had training courses was the one that most used confrontation and clarification techniques, while those with a college degree in used them least.

The researcher may explain the greater use of confrontation and clarification techniques by persons who had training courses by saying that these techniques

need, beside theoretical content, practical training in order that the counselor can apply them in the counselling interview at the appropriate time. This chance may not be available for those who had a college degree in counselling.

4th Question:

The fourth question of the present research asked : "Does use of counselling interview techniques in Saudi Arabia differ due to different work stage (primary, Preparatory, secondary)?"

To answer this question, analysis of variance was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to the current work stage and the results were as shown in table (7):

Table (7).Significant differences in use of counselling interview techniques according to current work stage.

techniques	current work stage	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference	
						(2)	(3)
questioning	primary (1)	49	43.980	3.854	.180	---	---
	prep (2)	63	44.286	3.270		---	---
	secondary (3)	95	44.379	4.116		---	---
confrontation	primary (1)	49	27.408	3.061	.072	---	---
	prep (2)	63	27.206	3.001		---	---
	secondary (3)	95	27.211	3.396		---	---
listening	primary (1)	49	17.673	1.875	.355	---	---
	prep (2)	63	17.429	2.069		---	---
	secondary (3)	95	17.358	2.324		---	---
Silence	primary (1)	49	20.612	3.774	1.066	---	---
	prep (2)	63	21.381	3.215		---	---
	secondary (3)	95	21.474	3.482		---	---
reflection of feelings	primary (1)	49	16.694	3.063	.345	---	---
	prep (2)	63	17.000	3.142		---	---
	secondary (3)	95	17.179	3.555		---	---
paraphrase	primary (1)	49	7.898	1.851	3.834* (0.036)	-.721	-1.049**
	prep (2)	63	8.619	2.051		---	-.328
	secondary (3)	95	8.947	2.358		---	---
clarification	primary (1)	49	17.510	2.042	.308	---	---
	prep (2)	63	17.254	2.000		---	---
	secondary (3)	95	17.221	2.330		---	---
interpretation	primary (1)	49	26.061	3.092	.478	---	---
	prep (2)	63	25.492	2.833		---	---
	secondary (3)	95	25.821	3.291		---	---
leading	primary (1)	49	15.878	2.421	1.298	---	---
	prep (2)	63	15.540	2.729		---	---
	secondary (3)	95	16.200	2.452		---	---
feedback	primary (1)	49	15.612	2.893	.415	---	---
	prep (2)	63	15.444	2.558		---	---
	secondary (3)	95	15.842	2.753		---	---

Note: ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that there is no statistically significant differences in questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of current work stage, while there are statistically significant differences in use of paraphrase technique, the effect size is small. Through use of LSD for multiple Comparison, it was shown that the use of this technique is greater for individuals who work at the secondary stage and less at

the primary stage. This result is in accordance with some results of previous studies like the study of Tanwos and Hwaimida [28], and the study of Haddad and AbedAllah [15]. The researcher attributes this to the nature of the students at different stages of education, as in the primary stage, understanding depends on tangible visible information more than abstract learning and hence the use of paraphrase is less, while at the secondary stage, dependence on abstract learning increases so the use of this technique is greater. Also, students at the secondary stage have the ability to express and describe their problems, therefore rehearsing phrases as they are is just an echo of what the student says, which encourages him to keep talking.

5th Question:

The fifth question of the present research asked: "Does use of counselling interview techniques differ due to different educational level (diploma, bachelor, master etc)?"

To answer this question, analysis of variance was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to difference in educational level and the results were as shown in table (8):

Table (8). Significant differences in use of counselling interview techniques according to educational level.

techniques	educational level	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference	
						(2)	(3)
questioning	diploma (1)	33	44.182	4.127	.121	---	---
	bachelor (2)	168	44.244	3.776		---	---
	master etc (3)	6	45.000	2.966		---	---
confrontation	diploma (1)	33	28.303	2.663	3.088* (0.029)	1.184	2.969*
	bachelor (2)	168	27.119	3.244		---	1.785
	master etc (3)	6	25.334	3.077		---	---
listening	diploma (1)	33	17.758	2.122	.441	---	---
	bachelor (2)	168	17.387	2.155		---	---
	master etc (3)	6	17.667	2.066		---	---
Silence	diploma (1)	33	20.485	3.012	1.008	---	---
	bachelor (2)	168	21.405	3.583		---	---
	master etc (3)	6	20.833	2.483		---	---
reflection of feelings	diploma (1)	33	16.455	3.280	.563	---	---
	bachelor (2)	168	17.107	3.325		---	---
	master etc (3)	6	17.333	3.327		---	---
paraphrase	diploma (1)	33	7.939	1.999	1.933	---	---
	bachelor (2)	168	8.708	2.214		---	---
	master etc (3)	6	9.167	1.941		---	---
clarification	diploma (1)	33	17.970	2.008	2.390	---	---
	bachelor (2)	168	17.202	2.149		---	---
	master etc (3)	6	16.333	2.805		---	---
interpretation	diploma (1)	33	26.303	3.245	1.128	---	---
	bachelor (2)	168	25.631	3.077		---	---
	master etc (3)	6	27.000	2.966		---	---
leading	diploma (1)	33	16.121	2.724	.142	---	---
	bachelor (2)	168	15.893	2.500		---	---
	master etc (3)	6	15.667	2.875		---	---
feedback	diploma (1)	33	15.545	2.906	.344	---	---
	bachelor (2)	168	15.720	2.647		---	---
	master etc (3)	6	14.833	4.021		---	---

Note: ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that there are no statistically significant differences in use of questioning, listening, silence, reflection of feelings, paraphrase, interpretation, leading, and feedback techniques due to the effect of educational level, while there are statistically significant differences in use of the confrontation technique. Again, the effect size was small. By use of LSD for multiple comparison, it was shown that this technique is greater for individuals who had a post graduate diploma and less for individuals who had a Masters degree and what follows.

The researcher attributes this results to some subjects taught in the Diploma of Guidance and Counselling, The use of interview in counselling and psychological treatment is studied in a theoretical and practical framework that gives the student tactics, strategies and techniques that help him in conducting the interview as required. Hence, those who had a diploma in guidance and counselling were more economical in use of the confrontation technique as a result of their realization of its risk to the counselee.

6th Question

The sixth question of the present research asked: "Does use of counselling interview techniques differ due to age (from 20-30, 30-40, 40-50, 50- up)?"

To answer this question, One way ANOVA analysis of variance was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to age and the results are shown in table (9):

Table (9). Significant differences in use of counselling interview techniques according to age.

techniques	age	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference		
						(2)	(3)	(4)
questioning	20-30 (1)	19	45.632	4.153	.979	--	--	--
	30-40 (2)	115	44.035	3.866		--	--	--
	40-50 (3)	66	44.212	3.532		--	--	--
	50- up (4)	7	44.571	4.198		--	--	--
confrontation	20-30 (1)	19	28.105	2.726	3.609** (0.051)	.392	1.863*	1.105
	30-40 (2)	115	27.713	3.142		--	1.471**	.713
	40-50 (3)	66	26.242	3.143		--	--	-.758
	50- up (4)	7	27.000	3.786		--	--	--
listening	20-30 (1)	19	17.053	2.248	2.11	--	--	--
	30-40 (2)	115	17.757	2.097		--	--	--
	40-50 (3)	66	17.167	2.153		--	--	--
	50- up (4)	7	16.286	1.976		--	--	--
Silence	20-30 (1)	19	21.526	3.486	1.404	--	--	--
	30-40 (2)	115	21.496	3.555		--	--	--

techniques	age	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference		
						(2)	(3)	(4)
	40-50 (3)	66	20.576	3.415		--	--	--
	50- up (4)	7	22.571	1.902		--	--	--
reflection of feelings	20-30 (1)	19	17.316	2.083	3.988** (0.056)	-.093	1.331	- 1.970
	30-40 (2)	115	17.409	3.089		--	1.424**	- 1.877
	40-50 (3)	66	15.985	3.656		--	--	- 3.301**
	50- up (4)	7	19.286	4.030		--	--	--
paraphrase	20-30 (1)	19	7.789	1.813	9.789*** (0.126)	- 1.411**	.137	- 2.068*
	30-40 (2)	115	9.200	2.010		--	1.548**	-.657
	40-50 (3)	66	7.652	2.138		--	--	- 2.205**
	50- up (4)	7	9.857	2.673		--	--	--
clarification	20-30 (1)	19	17.526	1.712	.565	--	--	--
	30-40 (2)	115	17.426	2.279		--	--	--
	40-50 (3)	66	17.061	1.984		--	--	--
	50- up (4)	7	16.857	2.968		--	--	--
interpretation	20-30 (1)	19	26.053	2.198	1.286	--	--	--
	30-40 (2)	115	26.096	3.123		--	--	--
	40-50 (3)	66	25.212	3.246		--	--	--
	50- up (4)	7	25.143	3.237		--	--	--
leading	20-30 (1)	19	16.632	1.342	2.894* (0.041)	.415	1.435*	.632
	30-40 (2)	115	16.217	2.509		--	1.020**	.217
	40-50 (3)	66	15.197	2.724		--	--	-.803
	50- up (4)	7	16.000	2.517		--	--	--
feedback	20-30 (1)	19	16.368	1.862	5.253** (0.072)	.238	1.762**	.225
	30-40 (2)	115	16.130	2.677		--	1.524**	-.013
	40-50 (3)	66	14.606	2.751		--	--	-1.537
	50- up (4)	7	16.143	2.734		--	--	--

Note: ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that there are statistically significant differences among age groups in the use of confrontation, reflection of feelings, leading, feedback and paraphrase techniques. While the effect size of age on confrontation, reflection of feelings, and leading techniques was small, it was moderate on feedback and paraphrase techniques. Use of LSD for multiple comparison has shown that the age group from 40-50 made the least use of these techniques. It was indicated that:

- Confrontation technique use is greater for the age group from 20-30 and the age group from 30-40.
- Reflection of feelings technique was most used by the age group from 50- up, followed by the age group from 30-40, then the age group from 20-30 years.
- Paraphrase technique was most used by the age group from space 50- up, and the age group from 30-40, then the age group from 20-30 years.
- Leading technique was most used by the age group from 20-30 and from 30-40.
- Feedback technique use increased with the age groups from 20-30, from 30-40 and 50- up respectively.

7th Question:

The seventh question of the present research asked: "Does use of counselling interview techniques differ due to years of experience in the field of counselling (from 1-5 years, from 5-10 years, from 10-15 years, from 15- up)?"

To answer this question, One way ANOVA was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to the difference in years of experience in the field of counselling and the results are shown in table (10):

Table (10).Significant differences in use of counselling interview techniques according to years of experience in the field of counselling.

techniques	experience years in the field of counselling	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference		
						(2)	(3)	(4)
Questioning	1-5 (1)	106	44.349	3.827	.111	--	--	--
	5-10 (2)	45	44.311	3.566		--	--	--
	10-15 (3)	31	44.161	4.116		--	--	--
	15-up (4)	25	43.880	3.887		--	--	--
Confrontation	1-5 (1)	106	27.783	3.153	4.882** (0.067)	.094	1.718*	2.063**
	5-10 (2)	45	27.689	2.953		--	1.624*	1.969**
	10-15 (3)	31	26.065	3.193		--	--	.345
	15-up (4)	25	25.720	3.021		--	--	--
Listening	1-5 (1)	106	17.585	2.168	2.468	--	--	--
	5-10 (2)	45	17.889	2.069		--	--	--
	10-15 (3)	31	17.065	2.016		--	--	--
	15-up (4)	25	16.600	2.121		--	--	--
Silence	1-5 (1)	106	21.330	3.483	.504	--	--	--
	5-10 (2)	45	21.044	3.686		--	--	--
	10-15 (3)	31	21.710	3.258		--	--	--
	15-up (4)	25	20.640	3.426		--	--	--
reflection of feelings	1-5 (1)	106	17.547	2.795	2.086	--	--	--
	5-10 (2)	45	16.511	3.540		--	--	--
	10-15 (3)	31	16.645	4.371		--	--	--
	15-up (4)	25	16.080	3.201		--	--	--
paraphrase	1-5 (1)	106	8.963	1.995	4.360** (0.061)	1.007**	-.069	1.283**
	5-10 (2)	45	7.956	2.121		--	-	.276

techniques	experience years in the field of counselling	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference		
						(2)	(3)	(4)
							1.076*	
	10-15 (3)	31	9.032	2.639		--	--	1.352**
	15-up (4)	25	7.680	2.036		--	--	--
clarification	1-5 (1)	106	17.698	2.094	3.589** (0.05)	.654	.537	1.458**
	5-10 (2)	45	17.044	2.078		--	-.117	.804
	10-15 (3)	31	17.161	2.002		--	--	.921
	15-up (4)	25	16.240	2.437		--	--	--
interpretation	1-5 (1)	106	25.915	2.980	.982	--	--	--
	5-10 (2)	45	26.178	3.040		--	--	--
	10-15 (3)	31	25.258	3.266		--	--	--
	15-up (4)	25	25.120	3.516		--	--	--
Leading	1-5 (1)	106	16.255	2.488	1.737	--	--	--
	5-10 (2)	45	15.889	2.516		--	--	--
	10-15 (3)	31	15.452	2.656		--	--	--
	15-up (4)	25	15.160	2.511		--	--	--
feedback	1-5 (1)	106	16.302	2.684	4.503** (0.062)	1.391**	.915	1.622**
	5-10 (2)	45	14.911	2.183		--	.476	.231
	10-15 (3)	31	15.387	3.222		--	--	.707
	15-up (4)	25	14.680	2.529		--	--	--

Note: ** $P \leq .01$, * $P \leq .05$

The previous table shows that the duration of counseling experience has a statistically significant effect on the use of clarification, confrontation, confrontation, paraphrase, and feedback techniques. While the size effect of the duration of counseling experience on the clarification technique was small, it was moderate for the other three techniques. paraphrase techniques. Use of LSD for multiple comparison has, shown that the use of these techniques decreases with the increase of experience. It was shown that:

- Confrontation technique: The 1-5 years of experience group and 5-10 years of experience group used this technique more than the 10-15 years of experience group and 15- up years of experience.

- Paraphrase: The 1-5 years of experience group and 10-15 years of experience group used this technique more than the 5-10 years of experience group and 15- up years of experience group.

- Clarification technique: The 1-5 years of experience group made most use of this technique and the 15- up years of experience group used it least.

- Feedback technique: The 1-5 years of experience group made most use of this technique and the 15- up years of experience group used it least.

The decrease of use of these techniques with increasing years of experience can be explained by saying that with the increase of experience in the process of counselling, the counselor reaches beliefs and indications that these techniques have some unfavorable side effects on the client and this leads to a decrease in their use. The counselor, after years of experience, may conclude that the benefit of these techniques does not equal the effort invested in them, hence affecting the degree of their use.

8th Question:

The eighth question of the present research asked: "Does use of counselling interview techniques among counselors in Saudi Arabia differ due to years of experience in the educational field (from 1-5 years, from 5-10 years, from 10-15 years, from 15- up)?"

To answer this question, One way ANOVA was used to discover significant differences in use of counselling interview techniques due to the difference in years of experience in the educational field and the results are shown in table (11):

Table (11). Significant differences in use of counselling interview techniques according to years of experience in the field of education.

Techniques	experience years in the field of education	N	Mean	Std. Deviation	F (effect size)	Mean difference		
						(2)	(3)	(4)
questioning	1-5 (1)	21	44.286	3.621	1.158	--	--	--
	5-10 (2)	26	45.538	3.547		--	--	--
	10-15 (3)	71	44.028	3.840		--	--	--
	15-up (4)	89	44.056	3.865		--	--	--
confrontation	1-5 (1)	21	27.571	3.295	1.434	--	--	--
	5-10 (2)	26	27.423	3.126		--	--	--
	10-15 (3)	71	27.746	3.201		--	--	--
	15-up (4)	89	26.742	3.146		--	--	--
listening	1-5 (1)	21	17.333	2.198	.737	--	--	--
	5-10 (2)	26	17.462	1.794		--	--	--
	10-15 (3)	71	17.746	2.163		--	--	--
	15-up (4)	89	17.247	2.212		--	--	--
Silence	1-5 (1)	21	22.476	3.326	1.717	--	--	--
	5-10 (2)	26	20.769	3.691		--	--	--
	10-15 (3)	71	21.577	3.620		--	--	--
	15-up (4)	89	20.820	3.284		--	--	--
reflection of feelings	1-5 (1)	21	17.381	2.459	2.547	--	--	--
	5-10 (2)	26	17.269	2.836		--	--	--
	10-15 (3)	71	17.690	3.008		--	--	--
	15-up (4)	89	16.303	3.725		--	--	--
paraphrase	1-5 (1)	21	9.477	2.294	2.975* (0.042)	1.092	.533	1.297*
	5-10 (2)	26	8.385	2.418		--	.559	.205
	10-15 (3)	71	8.944	2.083		--	--	.764*
	15-up (4)	89	8.180	2.097		--	--	--
clarification	1-5 (1)	21	17.524	1.662	1.397	--	--	--
	5-10 (2)	26	16.692	2.650		--	--	--
	10-15 (3)	71	17.620	2.031		--	--	--
	15-up (4)	89	17.169	2.191		--	--	--
interpretation	1-5 (1)	21	26.952	2.355	1.806	--	--	--
	5-10 (2)	26	24.846	3.449		--	--	--
	10-15 (3)	71	25.789	2.995		--	--	--
	15-up (4)	89	25.764	3.191		--	--	--
leading	1-5 (1)	21	16.333	1.354	.949	--	--	--
	5-10 (2)	26	15.769	2.026		--	--	--
	10-15 (3)	71	16.225	2.485		--	--	--
	15-up (4)	89	15.629	2.890		--	--	--
feedback	1-5 (1)	21	16.048	2.202	1.020	--	--	--
	5-10 (2)	26	15.808	2.786		--	--	--
	10-15 (3)	71	15.972	2.530		--	--	--
	15-up (4)	89	15.292	2.947		--	--	--

Note: ** $P < .01$, * $P < .05$

The previous table shows that there are statistically significant differences in use of the paraphrase technique due to the effect of years of experience in the field of education. However, the effect size was small. Use of LSD for multiple comparison, has shown that the more experience the counselor has, the less he or she uses this technique. It was shown that the 1-5 years group made most use of this technique while the 15- up years group made least use of it.

As the experience of the counselor is greater, he realizes that the technique of paraphrasing is used only in the early stages, just to build communication between the counselor and the client, then it loses its significance when discussion becomes deeper. The counselor starts with questioning then stays silent till the client delivers the information he has, use of the listening technique which indicates the extent of his attention to the client and his understanding of what he says. Then, his turn in talking comes, using the paraphrasing technique as a tool for communication with the client. This is often a rehearsal of the same phrases of used by the client, which makes it an echo of what the client says. Hence, he is encouraged to keep talking, which makes the client look at himself deeply. This technique, if used in time and in an appropriate manner, assures the client of the counselor's attention to him, so the more the experience of the counselor is greater, the less he uses this technique or uses it just at the appropriate time.

Recommendations of the study:

- Counselors should be selected from professionals in guidance, student and psychological counselling, not only the ones who have experience.
- A special room for counselling should be provided at every educational institution
- There is a need for the departments of psychology, counselling, and mental health at the universities in KSA to train students in counselling skills and counselling interview techniques theoretically and practically, with an intensive period of field training for the students within schools and mental health institutions.
- Student counselors should receive training in counselling interview techniques because they are prone to development and modification.
- Student counselors should be encouraged to participate in conferences and seminars about counselling, to cope with new developments.
- References, books and practical models about the skills of counselling as a whole, and the counselling interview techniques specifically, should be available to all counselors, whether psychological or educational.
- preparing specialized scientific conferences that join counselling experts from special needs, researchers, scientists, counseling students and all who are involved in the counselling process in order to exchange experiences and discussing problems, results of researches, and how to benefit from them in developing the performance level in counseling process theoretically and scientifically.

- Preparing journals that are to be prepared by specialized experts and scientists to provide psychological counsellors with novel techniques concerning counselling interview and how to use them in counseling process.

References

- Abdulaziz, S. and Atawi, G. (2004). *School Guidance*. Culture Home Library, Amman.
- Ahmad, S. (2000). *Guidance and psychological counselling*. Alex Book Center. Egypt.
- Al-Amoush, S. (2002). Counselling competences of counselors in the general school and its relationship with some variables. *Unpublished Master thesis*, Yarmouk University, Erbid, Jordan.
- Alasdy, S. and Ibraheem, M. (2003). *Educational Counselling. Its Concept. Features*. Scientific Home for publishing, Amman.
- Alsafasifah, M. (2003). *Basics of Psychological and Educational Counselling and Guidance*. Alfalah Library, Kuwait, Hanen Publishing, Amman.
- Alshikh, M. (1994). *School Counselling*, Damascus University.
- Alsomayh, A. (2004). The tasks of student counselor between the importance and practice: A field study of managers, counselors of public schools at Ryiad district. *Umm Alqura Journal For Educational, Social And Human Sciences*, Vol. 16, Riyadh, KSA.
- Alturk, A. (1996). Use of interview techniques by the counselor and its relationship with evaluating the effectiveness of the counselor by supervisors, managers, and counselees. *Masters degree*, National Success University. Nablus.
- Alzbon, S. (1987). The effect of counselor's communication skill and its relationship with his experience in counselling and his educational qualification on acceptance of counselling services by teachers and principals, *Unpublished Master thesis*, The University of Jordan, Amman.
- Brown, A. (2003). Interviewer variation and the co-construction of speaking proficiency, *Journal of Language Testing*, Vol. 20, PP. 1-25.
- Change, P. (1994). Effects of interviewer questions and response type on compliance, *Journal of Counselling Psychology*, Vol. 41, 1, P 8.
- Dawood, N. and Freihat, N. (1997). The relationship between the skills of communications and counselor and its relation with his gender, years of experience and effectiveness in introducing counselling services as perceived by counselors, *Journal of Studies*, Vol. 24, 1, PP.47-58, The University of Jordan, Amman.
- Duffus, E. (1996). *Role ambiguity, role conflict, job satisfaction of school counselors in an urban school district urban education*. Texas , Southern University.
- Elzeod, N. (1998). *Scientific Manual for Psychological and Educational Counselors*. 1st edition, Alfkr Publishing, Amman.

- Haddad, A. and Abdullah, S. (2002). Counselors' usage of the counselling interviewing techniques, as perceived by counselees, *Journal of Abhath Al-Yarmouk*, Vol. 18, No. 1, PP. 34-52.
- Hussein, T. (2004) *Psychological Counselling: Theory, application and technology*. Amman, Jordan, Alfikr Inc Publishing.
- Ivey, A.; Ivey, M. and Zalaquett, C. (2009). *International Interviewing and Counselling: Facilitating Client Development in Multicultural Society*. Brooks/Cole.
- Kivlighan, D. and Arthur, E. (2000). Convergence in client and counselor recall of important session events, *Journal of Counselling Psychology*, Vol. 47, PP. 79-84.
- Omar, M. (1992). *Psychological Counselor*. Cairo, Arabic Al-nahddah Publishing.
- Omar, M. (2010). *Interview in Psychological Counselling and Treatment*. 3rd edition, Alex, University Cognition Publishing.
- Peterson, J.; Goodman, R.; Keller, T. and McCauley, A. (2004). Teachers and non-teachers as school counselors: Reflections on the internship experience, *J. of Professional School Counselling*, Vol. 7, 4, PP. 246.
- Poirier, M.; Clark, M. and Cerhan, J. (2004). Teaching motivational interviewing to first-year medical students to improve counselling skills in health behavior change, *Mayo Clinic Proceeding*, Vol. 79, PP. 327-331.
- Rabea, H. (2003). *Educational Counselling: Theory, application and Importance*. The International Scientific Home for Publishing, Amman.
- Samadi, A. (1994). The effect of training program on counselors' skills. *Journal of Abhath Al-Yarmouk*, Vol. 10, 1, PP. 373-410.
- Sharpley, C.; Fairnie, E.; Bates, R. and Lee, P. (2004). The use of counselor verbal response modes and client- perceived rapport. *J. of Counselling Psychology Quarterly*, Vol. 13, PP. 18-99.
- Shobir, M. (2003). Vocational obstacles for educational counselors at governmental schools in Gaza strip and their relationship with functional satisfaction. *Masters degree*, Postgraduate studies College, Islamic University, Gaza.
- Shohimi, M. (2005). Techniques of Psychological Counselling. Available at www.balagh.com/najah/iw.html.
- Tanwos, A. and Hwaimida, S. (2007). The extent of possessing educational counselling skills by counselors in dealing with crises at schools in the governorates of Gaza strip. *Palestine, Educational Sciences Journal*, 13th issue, Jordan.
- Wagner, W. and Fowler, W. (1993). Preference for and comfort with male versus female counselors among sexually abused girls in individual treatment. *Journal of Counselling Psychology*. Vol. 40, PP. 65-72.
- Zyada, R. (1999). The extent of possessing counselling skills by the educational counselor in dealing with crises. *Master's degree*, Alyarmook University, Erbid, Jordan.

تأثير بعض المتغيرات علي استخدام المرشدين لفنيات المقابلة الإرشادية في العمل الإرشادي في المملكة العربية السعودية

د. دخيل بن محمد بن حمد البهدل

أستاذ الإرشاد النفسي المشارك

قسم علم النفس - كلية التربية، جامعة القصيم

ملخص البحث. هدفت الدراسة الحالية بحث مدى استخدام المرشد لفنيات المقابلة (فنيات الفعل، وفنيات رد الفعل، وفنيات التفاعل)، وكذلك بحث تأثير بعض المتغيرات مثل (الجنس، الأسس المعتمدة للتحويل كمرشد، مرحلة التعليم، المستوى التعليمي، العمر، الخبرة) علي استخدام المرشد لفنيات المقابلة الإرشادية في العمل الإرشادي في المملكة العربية السعودية. وللإجابة علي تساؤلات الدراسة، تم بناء مقياس فنيات المقابلة الإرشادية (إعداد الباحث)، وتطبيقه علي عينة ضمت (٢٠٧) مرشدا ومرشدة (١٢٢ مرشدا ؛ ٨٥ مرشدة).

وتوصلت نتائج الدراسة إلي ما يلي :

- أكثر فنيات المقابلة الإرشادية استخداماً هي فنيات الإصغاء والإيضاح والتفسير والتساؤل على الترتيب بينما أقل الفنيات استخداماً هي فنية إعادة العبارات وجاء استخدام فنيات الإنجاء والتغذية الراجعة والمواجهة والصمت وعكس المشاعر استخداماً متوسطاً.
- لا توجد فروق دالة إحصائية بين المرشدين والمرشدات في استخدام فنيات التساؤل والإصغاء والصمت وعكس المشاعر وإعادة العبارات والتفسير والإنجاء، بينما وجدت فروق دالة إحصائية بين المرشدين والمرشدات في استخدام فنيات المواجهة والإيضاح والتغذية الراجعة والفروق لصالح المرشدات.
- لا توجد فروق دالة إحصائية في فنيات (التساؤل والإصغاء والصمت وعكس المشاعر وإعادة العبارات والتفسير والإنجاء والتغذية الراجعة) راجعة لتأثير الأسس المعتمدة للتحويل كمرشد، بينما توجد فروق دالة إحصائية في استخدام فنيات المواجهة والإيضاح والمجموعة التي حصلت على دورات تدريبية.

- لا توجد فروق دالة إحصائية في فنيات (التساؤل والمواجهة والإصغاء والصمت وعكس المشاعر والإيضاح والتفسير والإيحاء والتغذية الراجعة) راجعة لتأثير مرحلة العمل الحالية، بينما توجد فروق دالة إحصائية في استخدام فنية إعادة العبارات لصالح العاملين في المرحلة الثانوية .
- لا توجد فروق دالة إحصائية في فنيات (التساؤل والإصغاء والصمت وعكس المشاعر وإعادة العبارات والإيضاح والتفسير والإيحاء والتغذية الراجعة) راجعة لتأثير المستوى التعليمي، بينما توجد فروق دالة إحصائية في استخدام فنية المواجهة لصالح ذوي الدبلوم العالي.
- توجد فروق دالة إحصائية في فنيات (المواجهة وعكس المشاعر وإعادة العبارات والإيحاء والتغذية الراجعة) راجعة لتأثير العمر .
- توجد فروق دالة إحصائية في فنيات (المواجهة وإعادة العبارات والإيضاح والتغذية الراجعة) راجعة لتأثير سنوات الخبرة في المجال الإرشادي .
- توجد فروق دالة إحصائية في فنية إعادة العبارات راجعة لتأثير سنوات الخبرة في المجال التعليمي .

Patterns of Call Technologies' Selection in English Departments in Saudi Universities and Suggested Considerations

Dr. Khalid M. Abalhassan

Imam Mohammed bin Saud Islamic University (IMBSU)

Email: call.doc@gmail.com

Abstract. This study uses a mixed method that comprises of two tools, one secondary and another primary research tool. The first tool is quantitative. A survey was used to identify the scope and magnitude of the problem involving the common practices in selecting CALL technologies in a number of English departments in selected higher education institutions in Saudi Arabia. The second tool was qualitative. Document analysis was used as a primary tool through which the criteria for the selection of CALL technologies were created. Using document analysis, the study reviews different resources to elicit an evaluative formula that researchers and language educators have suggested in relevant studies. Among the resources that have been analyzed used in this study are conference presentations, refereed publications, software reviews, and related literature available online and in-print.

Findings reflected a range of improper practices and a common pattern of misplaced priorities that could be attributed to varied degrees of inadequacies of knowledge concerning CALL technology selection, use, role, and assessment. Based on these findings, the study presents a number of effectiveness-related considerations for stakeholders including decision makers, education investors, language instructors, CALL specialists, and educators in general to keep in mind when evaluating and choosing CALL solutions for their English departments. Criteria for the selection of CALL solutions were gathered from these different sources, synthesized, and then sorted to make a comprehensive list of prioritized criteria for the selection of CALL solutions.

Keywords: CALL, CALL technology Selection Criteria, CALL technology Evaluation, CAI.

Introduction

CALL - Computer Assisted Language Learning- is defined as "language instruction that is aided through the use of technology." When the term is applied loosely, it means any language learning activity done on a computer. In this sense, student e-mail exchange in English would be a CALL activity. When the term is used more specifically, it refers more to using technology to provide more individualized practice on specific language points. TEIJ (2008).

The concept of CALL has moved from the technology with which we provide our students to work to incorporate more learning components, modes, and technologies. In the past, CALL programs were not actually designed as "CALL programs". There were tools used for other purposes, but happened to fit properly in the language learning setting. Such tools included word processors, which allowed language teachers to help their students practice writing more often and in a more productive fashion instead of handwriting which was the common technique. Stevens (2007).

The next significant contributor to the advancement of CALL solutions is the web browsers that evolved from text only browsers to more advanced web tools that started with Netscape, Mosaic, and then Internet Explorer, which all came out in the mid-nineties. Such tools were also not designed for language learning, but have in fact contributed significantly in advancing CALL solutions and have helped tremendously in language learning classes. Web tools provided enhanced exposure to authentic language on issues that students chose themselves out of interest. More tools evolved including different web services that all make a significant language learning enhancement tool including search engines, new media tools, web e-communities, social communication websites, translation websites, bulletin boards, search engines, e- learning, distance learning, and content management systems, and many other tools.

Warschauer (1997, 1998, and 1999) believes that the presence of CALL in ESL/EFL classrooms will be noticed increasingly due to the attention that ESL/EFL training programs give it presently. More CALL-oriented coursework is now added to these training programs with experience and knowledge of technology becoming a major requirement ESL/EFL practitioners are expected to exhibit. However, we need first to define what CALL is first. Levy (1997) defines CALL as the use of computer applications in language learning on a network or a stand-alone PC. This definition differentiates between CALL and multimedia tools. CALL technology may still utilize multimedia programs when computers are being used. This definition may have been widely accepted during the 1990s; however, the role of computer technology being a major constituent of CALL and the evolution of the concept of CALL became an inevitable result as technology continued to evolve rapidly.

The need and importance for language instructors to be more astute in their selection of CALL technologies is expanding rapidly as technologies become more involved in language learning. Kessler (2010) studied the notion held of Call by a

group of thirty-three pre-service teachers. He found that they were "initially apprehensive" about the notion of CALL. Much of their apprehension came as a result of negative experiences but they also lacked awareness of the potential benefit to be gained from CALL. It was abundantly clear as well that the teachers felt threatened by CALL. Teachers also did not easily transfer their skills from common use of computers to CALL contexts. Discussions led them to appreciate the potential for using technology in language teaching. However, they still expressed consistent concern over an expected loss of control over the classroom environment and students. Such concerns reflect the need for further exposure to the details of integrating CALL into language learning practices including CALL technology selection and methods of its integration into the educational process. Kessler revisited some of those aspects again with relation to collaborative writing (Kessler, 2012).

Computers and EFL/ESL classrooms

Celce-Murcia (1991) writes, "The past decade [1980s], the computer's use in educational settings has increased dramatically. There was a revolution in both hardware and software which increased the capabilities of this powerful machine to be used in many fields including education in general and language learning in specific." Although attention was given first to computer-assisted instruction (CAI) in general, computer-assisted language learning (CALL) is gradually spreading to educational institutions. Computers have not been utilized as much as other educational media tools such as tape-recorders and VCRs. Yet, experts are optimistic about the future of CALL. They believe that computers are going to be used in language classes as often as tape recorders.

"Many educators have become familiar with the statement that says: computers will not replace teachers, but teachers with technology will replace those without it", (Abalhassan, 2000). The implications of this statement are indicative of the importance that technology in general and computers in particular are having in education.

Computers can handle a wide range of activities and perform programmed functions at remarkable speeds that humans are incapable of obtaining. They can check exercises each time they are done, move students along from easier to more difficult exercises according to their levels and abilities and provide a huge amount of support to teachers. When students fail to follow an activity or to answer questions correctly, the computer can provide individualized instruction in the form of drills, simulation or games. Teachers also can use computers for storing information about their ESL/EFL learners and their progress. Statistical information can be stored on computer diskettes, hard drives, and compact disks in a small space, while we might need thousands of papers and files when using traditional data storage methods.

Computers can be used, at the very least, to perform language testing tasks such as scoring tests, managing and reporting test results, and providing statistical analysis of those results. Most standardized tests have now moved to the

computerized choice like TOEFL, GRE, Pierson, IELTS, and GMAT. On top of all this, students generally like working with computers, as they are able to learn things more quickly than in the traditional classroom setting, (Warschauer, 1995).

Birsen (1990) indicates that a significant number of ESL students have agreed that it was fun to work with computers. Even for drill type exercises (tutorials), they said they found them more enjoyable compared to similar exercises found in textbooks. However, technology, especially computers, is getting to the point where they could play a significant role and make a notable difference in language instruction in ESL/EFL classrooms. The growth of technology's involvement in education in general and language learning in particular notably has developed to the extent that we can see such tools continuing to flourish in both technology-based and technology-assisted modes.

A claim could be made that computers can be the ultimate teaching tools for ESL/EFL students of all competencies. They can be used with students from the beginning to advanced levels. The computer market is full of programs that can be used for all language skills in isolation or integration. Computers will not replace teachers, but teachers with technology expertise will replace those without it. Nevertheless, the decision to use language technology in ESL/EFL classes has to be based on a series of evaluations before a choice is made to do so.

An important concern may be addressed by estimating the degree to which the technology can meet specific learner needs as well as specific curricular goals and objectives. Other typical considerations, which may assume greater importance when choosing any technology, are the operation of that particular technology, the program format, and the program content. The instructor/evaluator should ask some specific questions before deciding to utilize any instructional program. They are also expected to consider the practicality of programs as well as their level of clarity, interaction, and the degree of feedback provided to the user. Program formatting, the content of the motivational devices (bells and whistles) and the consistency and compatibility of the program content with the instructor goals are also important issues to be considered when evaluating or selecting any program (Abalhassan & Alkahtani, 1999). The second equally important concern may be addressed by comparing the program under consideration for adoption to other instructional technology or materials that are available on the market, especially those that are already in use in other educational institutions. Evaluator is recommended to consider all purposes or functions, both explicit and implicit, that the technology ultimately promises to deliver. To address these two concerns, this paper will cover the aforementioned aspects using a scale that has been developed specifically for this study. When all of this information is combined, practitioners are expected to make better decisions that, if adopted, should make their CALL experience more pleasant, productive, and rewarding.

Purpose of the study

CALL is becoming increasingly a substantial part of the academic context in English departments in Saudi universities. More funds are being invested in these

technologies, and more teaching staff and teaching assistants continue to choose CALL for their graduate studies. This growing interest calls for revisiting the common practices in these departments in search of better practices and improvement of these practices.

This study seeks to identify the problems in the way English departments in Saudi universities select and adopt their CALL technologies. It also seeks to investigate the current practices to create a possible pattern of selection and evaluation, if any. Moreover, the study will learn from a group of best practices, from which certain considerations can be recommended for these departments to adopt and implement.

METHOD

The mixed method this study uses puts together two research tools that are different in nature. However, these two tools were used consecutively for the investigation of two sets of research questions. In the first phase of the study, a preliminary quantitative tool, a survey, was used as a secondary tool. It was used to pave the way for a deeper investigation using a qualitative tool, which was "document analysis".

Participants

The survey was developed for this study and distributed to a selected group of twenty five English department chairmen to reveal the different scenarios reflecting departmental practices with regards to the selection of call technologies. Afterwards, the primary tool was used to further dig for other answers regarding the common patterns of selection and evaluation recommended in research and other outlets. These department chairs were ranging from assistant professors to full professors.

The participants worked for these departments under the umbrella of three types of colleges: five colleges of languages and translation, ten colleges of arts and letters, and ten university colleges located in seven different cities in Saudi Arabia.

Participants provided their responses via email or on the webpage developed for the survey delivery and collection. All participants worked for government-funded universities. They were selected from such universities since they witness massive construction projects accompanied by generous financing for equipment, furniture, and educational technologies.

No participants were excluded from the study as the turnout was complete with missing responses. Since gender was not targeted in this study, the survey was distributed to participating chairmen based on their location and affiliation.

Context of the Problem

In order to set the scene for this study, the context of the study needs to be described, so as to identify the problem which motivated conducting this research. While call specialist learn that working on the horse has the priority over the carriage, they are mostly found outside the decision making process with regards to the selection of call tools being adopted for English language learning. This process

continues to reoccur in Saudi Arabia since the late 1980s when Saudi schools adopted the language lab technologies. Schools then, were fitted with language labs regardless of compatibility with the curriculum or readiness of English language teachers to use them (Abalhassan, 2002).

Universities in Saudi Arabia include 25 government-funded universities and 8 private universities. Government-funded universities mostly are pre-equipped with hardware including classroom technologies and multimedia. basic software is usually provided with the hardware. The administrations of Saudi universities usually handle the purchasing of all educational needs. however, none of these purchases involve academics or representatives from academic departments. Departmental needs related to call technologies can still be provided based on a department request to administrators to provide the requested material or technology.

Research questions

The survey was developed to answer the following questions related to the current status and common practices in Saudi universities with regards to the selection of call technologies:

1. Do English departments in Saudi universities have courses dedicated to call technologies in English language instruction? what call infrastructures do they have in their departments?
2. What are the common practices that English departments have in their selection of call technologies for use in English language instruction? Can any patterns of behavior be drawn out of those practices? What could be the causes of faulty practices?

What could the underlying beliefs be for those practices?

In the subsequent phase of the study, the primary qualitative research tool was introduced. the results of the survey were used as indicators to help guide the application of the qualitative tool. the document analysis research tool was used as a primary tool to synthesize answers to these research inquires:

What are the common issues considered fundamental for the evaluation and selection of call technologies?

What are the specifications that researchers, call specialists, and practitioners find most important to be examined in the call technologies being considered for selection?

What implications can be drawn from the study findings for EFL/ESL instructors interested in integrating call into their course?

Using document analysis, the study reviewed different resources to elicit the views that researchers and language educators have suggested in relevant studies. among the resources that have been analyzed in this study are conference presentations, refereed publications, software reviews, and related literature available online and in-print.

Research Hypothesis

The study predicts a number of hypotheses based on the situation in English departments in the Saudi universities. for the survey, this study hypothesizes that:

1. English departments in Saudi universities are predicted to have started the inclusion of courses dedicated to call technologies in English language instruction without adequate call infrastructures in the surveyed departments.
2. The common practices that English departments have in their selection of call technologies for use in English language instruction are expected to a generalizable pattern of haphazardness and arbitrariness in the selection behavior.
3. The causes of faulty practices may include the financial and administrative regulations, lack of specialized faculty, and established culture from previous practices.
4. The underlying beliefs behind practices are expected to include negligence of academic expertise needed for selection. It is also expected to involve the possibility of providing such technologies without the need for departmental involvement or expert opinion.

LITERATURE REVIEW

Why the call medium matters

CALL technologies come in different forms and packages with each meeting different goals and objectives. Teachers must have the appropriate incentives to make the decision to consider CALL solutions in their classrooms. Chen (1996) wrote an article titled, "CALL is not a Hammer and not Every Teaching Problem is a Nail". The title spells out the purpose and content of the article to a degree. Chen attempts to warn ESL teachers of being dragged into the use of CALL technology without proper investigation, preparation, and conceptualization of the idea. A list of questions that need to be asked before making such a decision is provided at the end of this study (appendix # 1). Chen's view is echoed by Levy (1997) in his widely acclaimed book, *Computer Assisted Language Learning: Context and Conceptualization*. He asserts that the use of CALL in ESL/EFL programs is not necessarily helpful, but may, in fact, hinder the learning process if it is not conceptualized and presented in the appropriate context.

CALL literature has repeatedly utilized the statement that haunts many traditional ESL/EFL teachers, which says: "Technology will not replace teachers, but teachers with technology will replace teachers without it." As a result, some ESL/EFL teachers rush into using them to satisfy an interest, or maybe a curiosity, that they or their students may have. Furthermore, Pennington (1991) also asserts that rushing into the use of technology without the adequate investigation of its benefits may be harmful to the learning process. His views were reaffirmed in his publication the power of CALL that followed five years later (Pennington, 1996).

Having shown the "conservative" perspective, it is important to flip the coin to the other side to see what is said about the positive use of CALL. Warschauer (1998

and 1999) presents a number of parameters that ESL/EFL teachers ought to consider before making their decision on the use of CALL technology for their ESL/EFL classes. The parameters are: *Knowledge, need, and vision*. Warschauer's parameters were reflected in a number of significant reports such as Microsoft's 1998 Educational Report (Microsoft Corporation, 1998) which was titled, *Teach Teachers Technology*. Moreover, Egbert & Hanson-Smith (1999 & 2007) reaffirmed the importance of those parameters for ESL/EFL teachers to consider before making the decision to employ CALL technologies. The parameters that continued to inspire authors were (Warschauer, 1999):

Knowledge

This knowledge parameter is related to the knowledge of CALL, TESL methods, and the technology itself. That is, teachers need to know what the nature of CALL is and what it offers to ESL/EFL programs. Also, they need to have the appropriate knowledge and training on the integration of CALL into their teaching methods. Furthermore, they require adequate knowledge of how the technology works, what it needs, what it offers, and how it proposes to help them in their teaching.

Need

Needs-analysis is a wise beginning for the teaching process. Teachers should identify and analyze the needs of their ESL/EFL students and then see if the use of CALL programs can be a good tool to meet those needs. If need be, they can then move on to the next step. If no need for CALL programs is detected or it is determined that CALL programs are not going to make a significant difference, it may then need to rethink the idea of using CALL and reconsider their decisions.

Vision

If the knowledge is satisfactory and a need is detected, the vision of how the process will be carried out is the next step. Teachers need to have the appropriate vision of everything they plan to do with the CALL programs they want to employ. This involves the timing, purpose, and lesson planning. In fact, the more teachers work on their vision, the better they should be in their use of these technologies. Hubbard (2003) links successful implementation of CALL technologies to their proper evaluation and the proper development of CALL technologies in a manner that allows their utilization in language classrooms to be positive.

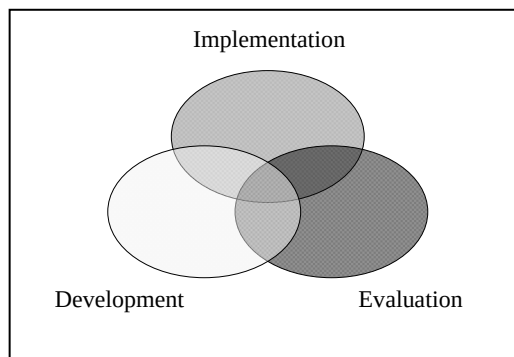


Fig. (1). Hubbard's CALL Framework Interrelationships (Hubbard, 2003).

Recognition of Warschauer's parameters should lead to better decisions regarding the selection of CALL technologies. However, when accompanied with required knowledge of CALL technologies' types and categories CALL practitioners are expected to make even better decisions.

Educational technology categories

While online and networked learning continues to flourish and occupy significant space in educational settings, CALL multimedia has continued to mature with systematic reviews that have led to the increased presence of CALL media technologies in the educational process. Envisioning proper use of any educational technology entails the need for having a clear vision of the category to which it belongs. Before selecting and evaluating the desired CALL technology, decision makers need to have an adequate knowledge of the types of educational technology, how they may be used in EFL education, and the role they should play in the instructional process. Required selection visions are unattainable if these categories are not foremost in evaluators' minds.

The study tracked how researchers categorized CALL technologies by reviewing and analyzing a group of studies from 1984 to 2012) in a quest to learn how researchers categorized CALL technologies (Ariew, 1984; Hubbard, 1988; Levy, 1990; Tutunis, 1990; Squires, 1994; Schofield, 1995; McCarthy, 1995; Johnson, 1996; Bloch, 2002; Warschauer, 2010 & Levy, 2012). The study found a considerable agreement on certain types that continued to exist in the categorization system, with limited overlapping between some of them. These categories can be summarized as follows:

1) Gaming CALL packages

Many educators find this category of educational technology the most difficult to evaluate because of the difficulties evaluators find in pinpointing the degree of learning and improvement of language skills that may be achieved. Gaming Technology uses games to provide learning within. The motivation students usually

have to play games provides a genuinely unique opportunity to take advantage of that interest and make it serve an educational purpose.

2) Repetitive drills

Grammar is one of the disciplines that often consider this function in the development of educational technology. Specific features make this category of CALL technology interesting to language educators including the ability to track errors, tracking error patterns, reporting scores, and repetition of items answered incorrectly with additional examples, which is a capability very much needed by language teachers. This category is found more fitting to younger learners.

3) Problem solving

Problem solving software provides students with problems to solve based on previously acquired information either in the classroom or through reading. EFL teachers often use such programs to expose students to extra problem solving exercises.

4) Tutoring systems

Tutorial programs are usually used to enhance previous learning or introduce new lessons based on the course objectives.

5) Simulators

Situations that are not possible or easy to implement in classrooms or that may jeopardize student safety if performed in actuality are examples of the possible uses of simulation technology.

6) Networked communities, social media, and mobile technologies

These technologies appeared in the more recent studies reviewed in this study. Such e-communities allow learners to interact using different media that may integrate one or more of the aforementioned categories. Such integration has become more present with the development of web services. Such networks now allow tremendous opportunities for learners and instructors to interact in more attractive and productive learning environments created through Mobile Assisted Language Learning (MALL) technologies.

Effectiveness of CALL

After proper selection, comes the question of effectiveness of CALL technologies and compatibility with the instructional process. CALL technologies can make a great contribution to the learning and instructional process when chosen responsibly, and effectively implemented.

Bull (1997) writes, "Learning technologies are rarely effective unless they are carefully and thoughtfully planned." Bull's view is crucially important for it shows what needs to be done to make the use of CALL a successful and effective decision..

The reviewed studies and reports on CALL use in EFL/ESL classrooms (Ariew, 1984; Hubbard, 1988; Levy, 1990; Tutunis, 1990; Squires, 1994; Schofield, 1995; McCarthy, 1995; Johnson, 1996; Bloch, 2002; Warschauer, 2010 & Levy, 2012) indicated that certain actions have great impact on the effectiveness of CALL technologies and they include:

1) Assessment

Teachers need to set their goals and perform frequent assessments to guarantee the balance and effectiveness expected in the use of CALL technologies. These assessments entail the use of CALL tools for testing, and assessing the results of the integration of these tools into the curriculum. Assessment leads to avoiding mistakes as many mistakes do not appear at the beginning. The success of a CALL tool in a given environment does not necessarily mean it would be successful in another.

2) Need

When needs are diagnosed, meeting them becomes an easier task. However, many ESL/EFL teachers make an initial diagnosis and analysis of their students' needs, and then continue to target those specific needs dogmatically. In reality, needs continue to change and evolve. Students may exhibit a need threshold on a certain skill, but manage to make adequate improvement on that skill after some time. Therefore, teachers should continually make assessment of their students' needs.

3) Adaptation of tools

ESL/EFL teachers sometimes choose not to use CALL tools as is. They often need to adapt them to fit the classes they teach. Student levels, cultural messages, and topics are some examples that CALL programs may not cover appropriately. Therefore, teachers need to modify the content of their CALL tools to make them fit the level of their students. They should also modify topics so that they are appropriate for the age and culture of their students.

The listed actions were found highly influential by the aforementioned studies and were highly recommended for CALL practitioners to bear in consideration.

Fitting CALL tools into the curriculum

Wyatt (1988) asserts that while effective use of technology in language classrooms is the goal CALLers are seeking to achieve, it is how they fit CALL into their curricula that leads them to achieve those instructional goals, which Levy termed as "integration of CALL into curricula" (Levy, 1997). Teachers need to manage their lesson plans and time factors appropriately so CALL tools contribute effectively to their classes. It is important to know where a technology package fits and what it offers.

Hubbard (2003) also considers the operational description of technology central to the success in the selection of the technology based how well it fits the teacher's goals and the students' learning needs:

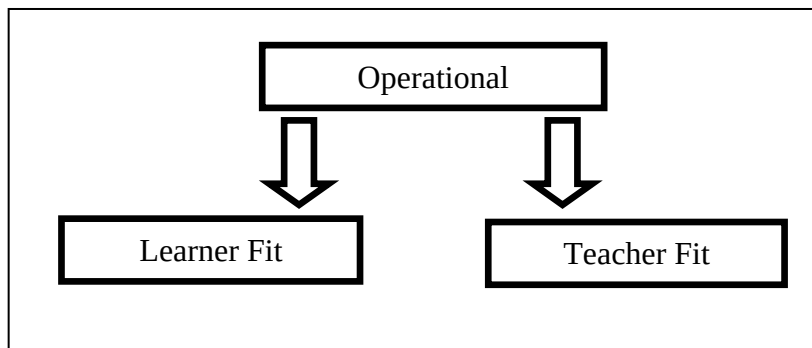


Fig. (2). Hubbard's CALL Evaluation Framework (Hubbard, 2003).

The study found a pattern of misplaced priorities regarding the selection and integration of CALL technologies in English departments in Saudi universities. This includes the purchase of complete computer labs, audio labs, and multimedia labs with no involvement of the faculty members and language instructors in the process. All were kept in the dark regarding the specifications of the hardware that was provided without their involvement. The pattern also indicated that Purchase Departments did not ask for any information except for the location and room number in three universities. English departments were not consulted on any technological or educational aspects leading to the selection of the hardware and software that was provided.

The study also found that an academically-proper practice was completely lacking. This specific finding was a major purpose of the survey, which was quite focused on finding out whether or not English departments, or their administrative superiors, used proper methods in acquiring and implementing CALL technologies. Lack of knowledge and experience on issues like the role of CALL technologies in EFL education, the proper selection process and procedures, the purposeful use of those technologies, and the systematic evaluation processes was reflected in the findings of the survey. Little weight was given to those aspects.

The survey also indicated that a course on CALL has become a requirement in a significant number of English Departments' undergraduate and graduate programs in the surveyed sample. Some of them offered this course in both the undergraduate and graduate programs. However, less than 5% of the instructors in the surveyed departments were found using proper CALL technologies to teach their courses, while an average of 13% of the departments indicated the existence of faculty members and instructors with advanced knowledge of CALL because of their personal academic interests.

As this study investigated the reasons for the absence of well-selected CALL solutions or complete lack of those solutions in the Saudi English Departments reviewed in this study, they provided these reasons:

- a) Departments do not see the need for it,
- b) Lack of proper equipment,
- c) Lack of content-friendly CALL technologies in the market,
- d) Not a priority now,
- e) Lack of management support,
- f) We had it before and it is now collecting dust,
- g) It is a luxury,
- h) The limited influence on the quality of the programs,
- i) Students' resistance,
- j) And the unavailability of curriculum-related CALL technologies.

While some of these reasons maybe true, the absence of vision on the role of CALL in language teaching, misconceptions on CALL effectiveness and usefulness to the learning process, and lack of proper beliefs and experience could be the underlying factors to such absence, which calls for further investigation considering these reasons (Abalhassan, 2002).

As for the selection of CALL technology in those departments, the survey indicated many improper processes. For example, some participants indicated that their department moved to the new campus to a fully equipped building with furniture and computer labs. Such labs would have the computers and basic technology. No CALL software was found pre-installed in those labs. Such departments usually used such labs for editing and training on word-processing. Using these labs for CALL technology is not possible until a faculty member with interest in CALL urges the department to consider CALL programs. The choice of equipment did not involve department chairmen or faculty members. The selection of these programs, therefore, was not even a choice. However, some departments selected these programs at the request of some of their faculty members. Such programs were mostly selected based on a sales offer, earlier experience of instructors, and/or the recommendation of a fellow instructor from another institution. A systematic process reflecting the presence of selection criteria was not denoted in any of the collected responses.

Based on the findings outlined from the survey, the literature review, and the resources collected for this study, a number of effectiveness-related considerations were developed for decision makers, education investors, language instructors, CALL specialists, and educators in general to bear in mind when evaluating and choosing to use CALL technology.

Criteria for selecting CALL technologies

There have been many suggested language educational technology selection criteria throughout CALL history, but these criteria kept changing and evolving due to factors including the continuous change of needs and instructional goals and rapid growth in the technologies and methodologies in education. Teachers may have experience using the many poorly-explained or rationalized checklists on their sheets with inadequate usability or learning that may be achieved, besides many other shortcomings. CALL practitioners give primary consideration to certain

aspects when evaluating CALL programs. This paper seeks to elicit the most significant aspects that are most likely to be considered when developing, evaluating, and executing effective plans for CALL integration into ESL/EFL education using document analysis of a group of resources collected for this purpose.

Abalhassan & Alkahtani (1999) used a criterion of eight aspects to evaluate and compare two popular CALL software packages, MacReader and Storyboard. These aspects are not confined to software packages meant to be used for CALL, but can also be used as a checklist to evaluate other educational software packages. However, the progress made in educational design and technologies brought and continues to bring changes to these criteria. It is important for CALL technologies buyers to know under which category the technology they intend to buy falls. The failure to recognize this circumstance may lead to failure in integrating the use of that technology into the curriculum of any given subject, and consequently blaming the failure to the technology or its developers.

Using the qualitative techniques of document analysis, the following criteria were drawn out from the resources selected for this study. These criteria were synthesized in the form of a number of important aspects that are found significantly important to consider when evaluating educational technology based on the different resources collected and reviewed for this study:

Achieved learning

The selected CALL technology should be influential enough to produce the added value to the knowledge students acquire when they utilize them. This makes the use of the technology for their language instruction a worthwhile endeavor. Students should finish their learning sessions having, actually, learned something valuable.

Entertainment

Computers are believed to be entertaining to many learners. Since the use of a computer is hoped to break the ice and remove some of the boredom that usually associated with classrooms, a degree of entertainment is likely to be provided by the technology to be used.

Ease of use

The ideal technology will be easily used by students with minimal help or instruction. Simple and direct use design is the key. This aspect is essential since teachers need the technology to teach something without having to worry about students not being able to deal with its delivery tool, being CALL technologies. A good educational technology allows teachers to teach through technology rather than having to teach technology itself. Complicated technology may hinder the learning process instead of assisting it.

Cost and educational value

Some educational technologies do not offer enough features that make it stand out and deserve the money invested in it. Weighing the value to be matched by the features the technology offered in the technology is an important consideration for evaluators to have. Comparing the technology under review to similar packages maybe helpful in determining whether they should be purchased or not.

Integrity

“Attention-grapping” titles flood the market. However, one “should not judge a book by its cover.” The same applies to educational technology. Some educational software packages are offered in the market before they are solid enough for use in the hope that users will provide feedback that will improve the next generations of the technology. Therefore, it would be smart to choose well-established and adequately supported packages.

Integration

The integration of the use of technological solutions into curriculums is a big concern that teachers need to address when purchasing CALL technology. The integration aspect has to be clear enough to the teacher and the technology should allow easy integration for its users.

Navigation

Simplicity and friendliness are very important in CALL technologies. Some programs are sloppy or sluggish in the way they work. They require teachers and students to go through loopholes to finally manage to use it. User-friendly programs are surely that for which language instructors should be looking. Navigating and operating the technology should not be a point of hindrance to the learning process.

Media utilization

Most computers are now capable of handling multimedia-enriched software programs. Therefore, a certain degree of multimedia integration has become a requirement to make a clear difference between learning with computers and learning using the traditional media. However, some technological solutions/programs use the multimedia features to an extreme degree to the extent that some computers fail to run the software properly. Therefore, comparing the technology’s requirements of hardware to what one’s institution has is important. Demanding solutions such as online technologies sometimes fail to provide a favorable learning experience because the institution's infrastructure may fail to meet the demands of running that technology properly.

Aesthetics

The interface of a software or any other CALL technology needs to be attractive enough reflecting friendliness and ease of operation to its users. The aesthetic aspect of software is important to bring a pleasant change to the learner.

However, this aspect should not be given more attention than it deserves because it is only a complementary consideration..

Implementation

Some CALL technologies that are available in the market require professional expertise for the installation process and support for frequent inquiries despite the familiarity that teachers may have with computers. Therefore, problems with implementation are more likely to occur.

Learnability/ Teachability

This aspect is one of the most important to be considered when evaluating educational technology. How much learning does a particular CALL technology require teachers/students to have in order to be able to use it? Can it be taught easily? Answers to such questions determine the quality of the selected system.

Overall functionality

A demonstration copy of the technology may not show this aspect clearly. Educators, therefore, are advised to consult other institutions and CALLers that have used the technology to be selected so that they can reflect their experience with its overall functionality. This aspect cannot be investigated without extensive use.

Miscellaneous features/accessories

In some cases, this aspect makes the difference between the selection of one CALL package over another. Other supporting features are sometimes the point of strength that distinguishes a package from others. Among these features are the statistical reports about learners, integration with the Internet applications, integration with other computer applications, remote accessibility, upgradability, technical support, training, and many other features of importance to advanced and high-end users.

Implications for language instructors

As CALL developed from the stand-alone systems of the past to the handheld smart device of today, a really effective role in the language classroom was often neglected. Researchers were dragged by the focus on the technology at the expense of its role in the instructional process. It is important to have the proper belief about the role of the technology in the classroom or total instruction of language. The proper conception should lead to successful conceptualization of CALL technologies to serve the learning purposes language instructors seek to achieve in classrooms.

Another important aspect that leads to proper conception is the proper execution of CALL integration, where all key aspects are taken into consideration. CALL specialists have different execution steps, but they always have a place for evaluation. For example, Colpaert (2006) lists ten steps for pedagogy-driven design for online language teaching as follows :

- a) the learning environment,
- b) the system requirements,
- c) the learning architecture,
- d) the activity framework,
- e) linguistic/didactic functionalities,
- f) personas and goals,
- g) conceptualization,
- h) specification,
- i) pre-use evaluation, and
- j) post-use evaluation.

Such steps reflect a properly organized and flexible process where the technology selected to enhance language learning undergoes necessary evaluation.

To learn from the best practices, language instructors are recommended to refer to hands-on resources such as TESL Internet Journal and NAFSA publications and resources (NAFSA, 2012), to name a few, where they find examples of attempted practices that others found useful.

When teachers make the effort to excel in learning the use of these tools and finding out what they need to know, they should be able to use these tools in a manner that makes them effective and efficient. CALL tools are not cheap and the decision to use them must not be haphazard. Yet, ESL teachers will always find a solution that CALL programs offer to them.

Teachers should seek feedback from their students, fellow CALLers, and colleagues. Teachers should also keep themselves connected to the world of CALL and to the industry as well. Many CALL programs come with problems and only teachers are able to discern these problems and shortcomings related to efficiency and quality and then report them to the manufacturers of those packages for improvement in subsequent versions. Sharing CALL problems and solutions with peers is another effective idea that should make CALL programs work for teachers, not against them.

As for integration and implementation, Levy (1997), Warschauer (1999), Chen (1996), Hubbard (2003), and Egbert (2005) have suggested a number of ideas that they found influential in helping teachers make a successful integration of the CALL programs into their curriculums. Four ideas can be summarized and recommended as implications for CALL practitioners to consider:

1) Careful planning

Planning relates to the whole curriculum and each lesson. It helps avoid bumps that cannot be seen without planning. With proper planning, prospects for effective and successful integration of the CALL technology into the curriculum is more likely to be achieved.

2) Gradual implementation

Levy (1997) believes that teachers should make sure they are ready to use CALL technologies and that they have done what it takes to allow these tools to

achieve the goals for which they have been intended. The sudden or rushed implementation of CALL may lead to a techno-phobic reaction from students.

3) Purposeful usage

Many CALL specialists advise TESL/TEFL teachers to use CALL technologies for the sake of just using it. Using the parameters discussed above should provide great help for teachers to make their decisions wisely. Having a clear purpose and a well-planned role for these technologies to play in classes usually renders better learning outcomes for students.

4) Assessment of progress

As students make progress, teachers need to identify the factors that led to their progression. If the use of CALL technologies was not responsible for that, then they may need to consider using an alternative technology. Assessment definitely is a key factor the successful use of CALL technologies.

Finally, As networking has become more advanced and attainable, instilling a profound sense of learning is becoming more important. Distracting learners is the downside that CALL technology is expected to cause. An alert language instructor should practice better control and effective utilization of the technology to lend itself to students' needs. Instructors are advised to play a more effective role in the selection of CALL technologies for their institutions. They should also make their needs and methods more visible to administrators to make the selection of CALL technologies a more rewarding practice.

Conclusion

This paper explored a diverse body of relevant research to gather the experts' views and findings on the most important criteria to choose and evaluate educational technology. It starts with a categorization of the educational technology in general. Then provides an overview of the use of computers in language instruction, which is the investigated case of this study. It also discusses the acceptable incentives that ought to be behind the educator's decision to choose and use any educational technology. Suggestions to enhance the efficiency of CALL technology as well as the success of its integration into the curriculum are included as well. This study paves the way for further investigation targeting language instructors and EFL educators' perspectives on a number of questions including: What is their role in selecting the CALL technologies they are using? What changes were made and in what parts of the instructional process were the changes made to achieve successful integration of CALL technologies into the curriculum?

References

Abalhassan, K. & Alkahtani, S. (1999). MacReader and Storyboard in ESL Reading Classrooms. *CALL E. Journal*, 3: 2.

- Abalhassan, K. (2000). "CALL or CHLL? Computers in Saudi High School EFL Classes: Description and Evaluation." Paper presented at CALICO (Computer Assisted Language Instruction Consortium) 2000 Convention; The University of Arizona, Tucson.
- Abalhassan, K. (2002). *English as a Foreign Language Instruction with CALL Multimedia in Saudi Arabian Private Schools: A Multi-case and Multi-site Study of CALL Instructors' Pedagogies and Beliefs*. Unpublished doctoral dissertation, Indiana University of Pennsylvania, USA.
- Ariew, R. (1984). *Computer-assisted Foreign Language Materials: Advantages and Limitations*, CALICO Journal, 2 (1).
- Birsen, T. (1990). *CALL in the Heart of Darkness: A Research into the Place of "CALL" in TESOL*. Paper presented at the International Conference of the International Association of Teachers of English as a Foreign Language (24th, Dublin, Ireland, March 27-30, 1990).
- Bloch, J. (2002). Student/teacher interaction via email: The social context of Internet discourse. *Journal of Second Language Writing*, 11, 117–34. Retrieved from <http://www.jslw.org/>.
- Bull, S. (1997). Promoting Effective Learning Strategy Use in CALL, *Computer Assisted Language Learning Journal*, 10(1), 3-39.
- Celce-Murcia, M. (1991). *Teaching English as a Second or Foreign Language*. Boston: Heinle & Heinle.
- Chen, J. , (1996). CALL is not a Hammer and not Every Teaching Problem is a Nail. *The Internet TESL Journal*, Vol. II, No. 7, Available: <http://iteslj.org/Articles/Chen-CALL.html>. Retrieved: June 4, 2011.
- Colpaert (2006). Pedagogy-driven Design for Online Language Teaching and Learning. *CALICO Journal*. V. 23:n 3.
- Egbert, J. & Hanson-Smith, E. (1999). *CALL Environments: Research, Practice, and Critical Issues*. (2nd Edition) TESOL Publications.
- Egbert, J. (2005). *CALL Essentials: Principles And Practice In CALL Classrooms*. TESOL Publications.
- Egbert, J. & Hanson-Smith, E. (2007). *CALL Environments: Research, Practice, and Critical Issues*. (3rd Edition), TESOL Publications. TESOL Publications.
- Hubbard, P. (1988). Language Teaching Approaches, the Evaluation of CALL Software and Design Implications. In Wm. F. Smith, *Modern Media in Foreign Language Education: Theory and Implementation*, pp. 227-254.
- Hubbard, P. (2003). Courseware Evaluation, Development, and Implementation. In: *CALL Mini-Course*. Available: <http://www.stanford.edu/class/ling289/CALL2.htm>. Retrieved: June 4, 2011.
- Johnson, L.C. (1996). The Keypal Connection. In M. Warschauer, *Telecollaboration in Foreign Language Learning*, Honolulu: University of Hawaii, pp. 131-142.
- Kessler , G. (2010). When They Talk about CALL: Discourse in a Required CALL Class. *CALICO Journal*, v27 n2 p376-392.

- Kessler, G. (2012). Collaborative Writing Among Second Language Learners in Academic Web-based Projects. *Language Learning & Technology*. V. 15, n. 1. pp. 91-109.
- Levy, M. (1990). Concordances and their integration into a word processing environment for language learners. *System*, 18 (2), pp. 177-88.
- Levy, M. (1997). *Computer-Assisted Language Learning: Context and Conceptualisation*, Oxford: Clarendon Press.
- Levy, M. (2012). Towards a Podcasting pedagogy: Engaging Applied Linguistics Postgraduate Students in the Process. Paper presented at The Fifteenth International CALL Conference, Providence University, *The Medium Matters: Proceedings*. Taichung, Taiwan.
- McCarthy, B. (1995). Grammar Drills: What CALL Can and Cannot Do, *On-CALL*, 9 (2).
- Microsoft Corporation (1998). *Teach Teachers Technology: A Technical Report*. Available: www.microsoft.com. Retrieved and saved: June 4, 1998.
- NAFSA. (2012). Bibliography for Administrators. Retrieved (October 8, 2012). Available: <http://www.nafsa.org/resourcelibrary/default.aspx?id=8828>).
- Pennington, M. (Ed.). (1991). *Building better English language programs: Perspectives on Evaluation in ESL*. Washington, DC: NAFSA: Association of International Educators.
- Pennington, M. (Ed.). (1996). *The Power of CALL*. Houston, TX: Altheistan.
- Schofield, J. (1995). *Computers and Classroom Culture*. New York: Cambridge University Press.
- Squires, D. (1994). *Choosing and Using Educational Software: A Teacher's Guide*. London: Falmer Press.
- Stevens, V. (2007). *What is CALL: Computer Assisted Language and Literacy*. Available: <http://advancededucation.blogspot.com/2007/04/what-is-call-computer-assisted-language.html>. Retrieved: June 4, 2011.
- TEIJ (2008). *Glossary of TEFL*. Available: (<http://www.teaching-english-in-japan.net/acronyms/call>). Retrieved: June 4, 2011.
- Tutunis, B. (1990). "CALL" in the Heart of Darkness: A Research into the place of "CALL" in TESOL. A paper presented at the International Conference of the International Association of Teachers of English as a Foreign Language (24th, Dublin, Ireland, March 27-30,1990).
- Warschauer, M. (1995). *E-mail For English Teaching*. Alexandria, VA: TESOL Publications.
- Warschauer, M. (1996). Computer-assisted Language Learning: An Introduction. In S. Fotos (Ed.), *Multimedia Language Teaching* (pp. 3-20). Tokyo: Logos International. Available: (<http://www.lll.hawaii.edu/web/faculty/markw/papers.html>). Retrieved: May 14, 2010.
- Warschauer, M. (1997). Computer-mediated Collaborative Learning: Theory and Practice. *Modern Language Journal*, 81, 470-81.

- Warschauer, M. (1998). Online Learning in Socio-cultural Context. *Anthropology & Education Quarterly*, 29, 68-88.
- Warschauer, M. (1999). Electronic Literacies: Language, Culture, and Power in Online Education. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates. (Introductory chapter).
- Warschauer, M. (2010). Netbooks and open software in one-to-one programs. Paper presented at the Annual Meeting of the American Educational Research Association, Denver, Colorado, May 2010.
- Wyatt, D.H. (1988). Applying Pedagogical Principles to CALL Courseware Development. In Smith, Wm. F., Modern Media in *Foreign Language Education: Theory and Implementation*, pp. 85-98.

Appendix # 1

Questions to ask before selecting CALL technologies

Teachers need to have adequately convincing answers to a number of important questions determining whether or not the CALL technologies is the right choice for their purposes. Among these questions are:

- Do we have a genuine need for it, or is it just a fashionable desire?
 - Why should we consider using a computer to assist me in the teaching of our courses?
 - How are we going to use it?
 - Do we have the necessary resources and infrastructure to use it effectively?
 - Are we ready to use it successfully?
 - Is our institution ready and adequately equipped to provide a successful use of computer-assisted instructional media?
 - How are we going to integrate the use of computers into our curriculum?
- Do we see where we are going to use it and how the computer is going to be handy and useful for our teaching objectives?

- What are our objectives behind using educational technology?
- Do we have alternative plans in case the educational technology fails to deliver what it promises to provide?

اختيار تقنيات تعليم اللغات: إطار حديث

د. خالد بن محمد أبا الحسن

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث. استعانت هذه الدراسة باستبانة لرصد عمليات اختيار تقنيات تعليم اللغات بالحاسبات التي تتبعها أقسام اللغة الإنجليزية في عدد من مؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية. وخرجت بنتائج تعكس عدداً من الممارسات غير السليمة التي يمكن نسبتها إلى درجات متفاوتة من القصور المعرفي فيما يتعلق باختيار تقنيات تعليم اللغات بالحاسبات واستعمالها وتقييمها وقياس كفاءتها. وتستهدف الدراسة الإجابة على عدد من الأسئلة المتعلقة بالفعالية وتضع جملة من الاعتبارات للمستفيدين بما فيهم متخذي القرار والمستثمرين في مجال التعليم ومعلمي اللغات والمتخصصين في تعليم اللغات بالحاسبات والمهتمين بالتعليم بصورة عامة لتكون في حسابهم لدى تقويم واختيار الحلول التقنية المستخدمة في تعليم اللغات بالحاسبات. واستعانت الدراسة أيضاً بمنهجية البحث الكيفي المتمثلة في تحليل المضمون بهدف مراجعة مصادر متعددة بهدف استنباط الطرق التقييمية التي اتبعها الباحثون ومعلمو اللغات في الدراسات ذات العلاقة. وقد شملت هذه المصادر التي تم تحليلها وتوظيفها في هذه الدراسة أوراق عمل قدمت في المؤتمرات المتخصصة وأبحاثاً محكمة وتقارير علمية لعرض برمجيات متخصصة في تعليم اللغات بالحاسبات ودراسات مرتبطة بهذه القضية مما هو متاح على الإنترنت أو مما تم نشره في المجلات العلمية المتخصصة. ومن خلال ذلك، بنت هذه الدراسة معايير مقترحة وضعتها في صورة إطار مقترح يتكون من قائمة موصى بها لاختيار برامج تعليم اللغات بالحاسبات.

